Wasit University Repository

Wasit University Repository

repository.uowasit.edu.iq

التطورات السياسية في الصين إبان عهد سلالة هان (206 ق.م- 221 م)

عجيل, ناصر رحيم

إشراف: أ.م.د احـمـد بشـار جمعه

جامعة واسط — 2026

https://repository.uowasit.edu.iq/handle/123456789/180

https://doi.org/10.31185/uowasit-24

حُمِّل هذا الملف من مستودع جامعة واسط

Downloaded from the Wasit University Repository — repository.uowasit.edu.iq

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة واسط
كلية التربية للعلوم الانسانية – قسم التاريخ

التطورات السياسية في الصين إبان عهد سلالة هان

(٢٠٦ ق.م- ٢٢١ م)

اطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب

ناصر رحيم عجيل

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة واسط

وهي جزء من متطلبات منح درجة دكتوراه فلسفة في التاريخ القديم

إشراف
الأستاذ المساعد الدكتور
احـمـد بشـار جمعه

١٤٤٧ هـ **٢٠٢٥ م**

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾

سورة آل عمران، الآية ١٤٠.

إقرار المشرف

اشهد ان أعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (**التطورات السياسية في الصين إبان عهد سلالة هان 206 ق.م- 221 م**) للطالب (ناصر رحيم عجيل) تم بإشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات منح درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ القديم.

التوقيع

الاسم : أ. م. د. احمد بشار جمعة

التاريخ ٢٠/ ٨/ 2025

توصيات رئيس القسم

بناء على التوصيات المتوفرة ارشح هذه الأطروحة للمناقشة

التوقيع

أ.م.د.
احمد بشار جمعة
رئيس قسم التاريخ

الاسم : أ. م. د. احمد بشار جمعة

التاريخ ٢٠/ ٨/ 2025

إقرار الخبير اللغوي

اشهد ان أعداد هذه الأطروحة الموسومة بـ (**التطورات السياسية في الصين إبان عهد سلالة هان 206 ق.م- 221 م**) للطالب (ناصر رحيم عجيل) المقدمة إلى كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة واسط ، وهي جزء من متطلبات منح درجة الدكتوراه فلسفة في التاريخ القديم

قد وجدتها صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع

الاسم : أ.م.د بديعة ناصر عبيد

التاريخ / / 2025

إقرار لجنة المناقشة

نشهد بأننا أعضاء لجنة المناقشة الموقعين في أدناه، قد اطلعنا على الاطروحة الموسومة بـ (التطورات السياسية في الصين ابان عهد سلالة هان ٢٠٦ ق.م – ٢٢١م)التي تقدم بها الطالب (ناصر رحيم عجيل)، وهي جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه فلسفه في التاريخ القديم وبتقدير ( ).

التوقيع:

الاسم: أ. د. محمد فهد القيسي

رئيساً

التاريخ ٣٨ / ٤ / ٢٠٢٦

التوقيع:

الاسم: أ. م. د أحمد بشار جمعة

عضواً ومشرفاً

التاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠٢٦

التوقيع:

الاسم: أ. د. فاضل كاظم حنون

التاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠٢٦

عضواً

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. احمد لفته رهمه

التاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠٢٦

عضواً

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. علي جبار عزيز

التاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠٢٦

عضواً

التوقيع:

الاسم: أ. م. د. حسَين حسن مجيد

التاريخ ٣٠ / ٣ / ٢٠٢٦

عضواً

صادق مجلس كلية التربية/ جامعة واسط على قرار لجنة المناقشة

التوقيع:

أ. د. محمود حمود عراك القريشي

عميد كلية التربية– جامعة واسط

٥ / ٥ / ٢٠٢٦

الإهداء

أبي الغالي، رحمك الله

أخي الغالي رحمك الله

أمي الغالية حفظك الله

علي , حسين , محمد وعباس

زهراء , رقيه وليان

زوجتي الغالية د. صابرين

أهديكم هذا العمل

شكر وتقدير

الحمد لله ربّ العالمين، الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبفضله وتوفيقه تمّ إنجاز هذه الدراسة, فله الحمد والشكر على ما يسّر من أسباب العلم والمعرفة، وما منح من عونٍ وتوفيقٍ في إتمام هذا المنجز العلمي.

أتقدّم بجزيل الشكر والتقدير إلى أساتذتي الكرام في قسم التاريخ، لما بذلوه من جهدٍ صادقٍ في تعليمي وتوجيهي، ولما غرسوه فيّ من قيمٍ علميةٍ ومنهجيةٍ رصينة, وأخصّ بالشكر والتقدير العميق **الأستاذ المساعد الدكتور أحمد بشار**، المشرف هذه الدراسة، لما أولاني من دعمٍ ومتابعةٍ مستمرة، ولإشرافه العلمي الدقيق وتوجيهاته السديدة التي كان لها الأثر البالغ في إنجاز هذا العمل بصورته النهائية.

كما أتقدّم بخالص الشكر إلى **الدكتور شاو** من جمهورية الصين الشعبية على ما قدّمه من ملاحظاتٍ علميةٍ ومراجع قيّمة أغنت هذا البحث، وإلى **الدكتور ديفيد** من جامعة روما على مداخلاته البنّاءة ومساعدته في تدقيق بعض الجوانب البحثية، وإلى **الباحثة سارة** من استراليا لما تفضّلت به من تعاونٍ في توفير بعض المصادر الأجنبية المهمة. ولا يفوتني أن أتوجّه بالشكر إلى **الدكتورة ماركيت** و**السيدة لي** في بكين على ما قدّمتاه من دعمٍ وتيسيرٍ خلال مراحل إعداد هذه الدراسة, كما أشكر زميلي **الدكتور ضياء رحمن** لما قدمه من دعم ومتابعة وإسناد طيلة أيام الدراسة وكتابة البحث, وأشكر **مؤسسة بيت الحكمة** في مصر المعنية بنشر التراث الصيني لما قدمته لي من مصادر علمية.

وختامًا، أسأل الله تعالى أن يجزيهم جميعًا خير الجزاء، وأن يوفّقهم لكل خير، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا الجهد خالصًا لوجهه الكريم.

المحتويات

ت	المحتويات	الصفحات
	الآية القرآنية	أ
	الإهداء	ب
	الشكر والتقدير	ت
	المحتويات	ث.ج.ح
	المقدمة	١-٧
	التمهيد	٨-١٩
	التطورات لغة واصطلاح	٨-١٢
	مفهوم التطورات في الفكر الصيني القديم	١٢-١٦
	اصول هان	١٦-١٩
	الفصل الأول- التطورات السياسية في ظل تأسيس أسرة هان الأولى	٢٠-٨٦
	المبحث الأول بواعث توحيد الصين	٢١-٢٩
	المبحث الثاني سقوط إمبراطورية تشين وصعود أسرة هان	٣٠-٤٢
	أولا- سقوط إمبراطورية تشين ٢٠٦ ق.م	٣٠-٣٥
	ثانيا- ثورة الفلاحين الكبرى ٢٠٩-٢٠٨ ق.م	٣٥-٣٧
	ثالثا –الصراع بين هان وتشو ٢٠٦-٢٠٢ ق.م	٣٨-٤٢
	المبحث الثالث التطورات السياسية في عهد أباطرة هان الأوائل (٢٠٢-١٧٩ ق.م)	٤٣-٦٧
	أولا- الإمبراطور الأول كاوتسو ٢٠٢-١٩٥ ق.م	٤٣-٥٨
	ثانيا – حكم الإمبراطورة لو ١٩٥-١٨٠ق.م	٥٨-٦٧
	المبحث الرابع- التطورات السياسية في عهد ون وتشينغ (-١٧٩-١٤١ ق.م)	٦٨-٨٦
	أولا- الصراع العائلي على العرش عام ١٨٠ ق.م	٦٨-٧٠
	ثانيا –حكم الإمبراطور ون ١٧٩-١٥٧ ق.م	٧٠-٧٨
	ثالثا-حكم الإمبراطور جينغ ١٥٦-١٤١ق.م	٧٩-٨٠
	رابعا- تمرد الدويلات السبع عام ١٥٤ ق.م	٨٠-٨٦
	الفصل الثاني التنظيم السياسي الداخلي والتوسع الخارجي (١٤١ ق.م-٩ م)	٨٧-١٤٩
	المبحث الأول الشأن الداخلي وبناء الدولة في عهد الإمبراطور وو ١٤١-٨٧ ق.م	٨٨-١١١
	أولا- النظم السياسية والأطر المركزية	٨٨-٩١

	ثانيا – القضاء على الأزمة الإقطاعية	٩١–٩٣
	ثالثا– أحياء الكونفوشيوسية في البلاط الهاني	٩٤–١٠٤
	رابعا – الإصلاحات الاقتصادية	١٠٤–١١١
	المبحث الثاني العلاقات الخارجية لأسرة هان في عهد وو(١٤١–٨٧ ق.م)	١١٢–١٣٨
	أولا– الصراع مع الهون والقضاء عليهم	١١٢–١٢٠
	ثانيا – التوسع الخارجي	١٢٠–١٢٦
	ثالثا – طريق الحرير	١٢٦–١٢٩
	رابعا– العلاقات الخارجية واثرها في الإمبراطورية	١٢٩–١٣٨
	المبحث الثالث– الانقسام ونهاية هان الغربية (٨٧ قبل الميلاد–٩ ميلادية)	١٣٩–١٤٩
	أولا – العهد الأخير لحكم الإمبراطور وو	١٣٩–١٤٤
	ثانيا – حقبة خلفاء وو واندثار الإمبراطورية	١٤٤–١٤٩
	الفصل الثالث الانقسام وصعود هان الشرقية (٢٥–٢٢١ م)	١٥٠–٢٠٠
	المبحث الأول – استيلاء وانغ مانغ على السلطة(٩– ٢٣ م)	١٥١–١٥٨
	تأسيس أسرة شين	١٥١–١٥٣
	الإصلاحات الجذرية	١٥٤–١٥٧
	مقتل وانغ مانغ وسقوط أسرة شين	١٥٧–١٥٨
	المبحث الثاني: السياسة الداخلية خلال عهد أباطرة هان الشرقية (٢٥–٢٢٠م)	١٥٩–١٧٩
	أولاً: عهد غوانغ وو تشونغ شينغ	١٥٩–١٦٢
	ثانياً: حكم مينغ وتشانغ	١٦٣–١٦٥
	ثالثاً: تولي الإمبراطورة دنغ سوي المسؤولية	١٦٥–١٦٧
	رابعاً: عهد الإمبراطور شون (١٢٥–١٤٤م)	١٦٧–١٦٩
	خامسا: تدهور الوضع السياسي(١٥٩–١٨٩)	١٧٠–١٧٢
	سادسا– الإصلاحات الاقتصادية	١٧٢–١٧٥
	سابعا: تدخل أمراء الحرب وسقوط الإمبراطورية	١٧٥–١٧٩
	المبحث الثالث: العلاقات الدبلوماسية لأسرة هان الشرقية	١٨٠–٢٠٠
	العلاقات الدبلوماسية والصراع مع الهون	١٨٠–١٨٣
	التفاعلات مع الجيران والقوى الخارجية	١٨٣–١٨٨

	التجارة عبر طريق الحرير ودورها في السياسة الخارجية	١٨٨-١٩٤
	سياسات التوسع الإمبراطورية	١٩٤-٢٠٠
	الفصل الرابع تأثير التطورات السياسية على انهيار الإمبراطورية الهانية ونظمها الحاكمة	٢٠١-٢٥٢
	المبحث الأول: اثر التطورات السياسية على الفكر السياسي	٢٠٢-٢٢١
	ايدلوجية الحكم	٢٠٢-٢١٠
	الهياكل الإدارية والنظم السياسية	٢١٠-٢٢١
	المبحث الثاني: الأزمات الداخلية واثرها في انهيار الإمبراطورية الهانية	٢٢٢-٢٣٧
	أولا- تأثير الفكر المعارض على السلطة الإمبراطورية	٢٢٢-٢٢٥
	ثانيا – تمرد العمائم الصفراء (١٨٤ م)	٢٢٥-٢٣٧
	المبحث الثالث: أسباب انهيار نظام هان الشرقية	٢٣٨-٢٥٢
	أولا: الأزمات السياسية والاقتصادية	٢٣٨-٢٤٤
	ثانيا- تراجع سلطة الإمبراطور وظهور القوى المحلية	٢٤٤-٢٤٩
	ثالثا- المعطيات التاريخية في تجربة هان	٢٥٠-٢٥٢
	النتائج	٢٥٣-٢٥٧
	الملاحق	٢٥٨-٢٦١
	المصادر	٢٦٢-٢٧٢
	الملخص الإنكليزي	a-b-c

المقدمة:

تُعدَّ الحضارة الصينية من أقدم الحضارات في تاريخ البشرية، إذ تمتد جذورها لآلاف السنين تاركةً بصمات عميقة في مختلف جوانب الحياة الإنسانية من الفكر والفن إلى السياسة والاقتصاد, ومن بين الحقب الزمنية الزاخرة بالأحداث والتطورات التي شهدتها تلك الأرض الشاسعة، يظهر عهد أسرة هان (٢٠٦ ق.م– ٢٢١ م), كعصر محوري بالغ الأهمية. لم تكتفِ تلك الأسرة بتوحيد الإمبراطورية الصينية وتوسيع نفوذها، بل أرست أسساً ثقافية وإدارية واجتماعية استمر تأثيرها لقرون لاحقة.

في صفحات هذا الدراسة، سننطلق في رحلة استكشافية لتتبع مسار هذه التطورات الحاسمة وسنحلل بدقة كيف وُطِّدتْ أسرة الهان سلطتها بعد عهدٍ من الاضطرابات والفوضى التي أعقبت سقوط أسرة تشين وكيف بنت نظاماً إمبراطورياً مركزياً قوياً استمر لقرون. سنتفحص عن كثب المؤسسات السياسية التي ازدهرت في عهد الهان، من نظام الجدارة الذي بدأ في الظهور في اختيار المسؤولين إلى التوازن المعقد للقوى بين البلاط الإمبراطوري والبيروقراطية المتنامية.

أما فيما يتعلق بالشؤون الخارجية، فسوف نتعمق في كيفية تفاعل أسرة الهان مع جيرانها، سواء أكانوا حلفاء أم خصوماً. سنستكشف بدايات طريق الحرير الشهير وتأثيره العميق على التبادل التجاري والثقافي بين الشرق والغرب، فضلاً عن العلاقات الدبلوماسية المعقدة التي نسجتها الإمبراطورية مع الممالك الأخرى.

إن اختيار عنوان الدراسة "**التطورات السياسية في الصين إبان عهد سلالة هان (٢٠٦ ق.م – ٢٢١م),** يُمثل امتدادًا منهجيًا ومنطقيًا لرسالتي في مرحلة الماجستير، التي تناولت فيها التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة خلال المدَّة (٧٧١–٢٢١ ق.م), ويهدف هذا الاختيار إلى تعميق التحليل السابق عبر دراسة كيفية تطور وتجسد البنى السياسية والمؤسسية التي بدأت تتشكل في الحقبة السابقة، لا سيما عهد أسرة تشين، لتصل إلى ذروتها وتستقر تحت مظلة إمبراطورية موحدة وطويلة الأمد مثل الهان, ويسهم هذا التدرج في إثراء فهمنا لتأسيس وتطور آليات الحكم الإمبراطوري، وصياغة الأيديولوجيات السياسية، وديناميكيات السلطة المركزية والمحلية في السياق التاريخي الصيني القديم.

مشكلة الدراسة:

تنبع مشـكلة هذه الدراسـة من الحاجة إلى تفسـير الكيفية التي تشـكّلت بها أسـس النظام الإمبراطوري في عهد أسرة هان الصينية، في ظل التطورات السياسية الداخلية والخارجية المتداخلة التي شـهدتها تلك المرحلة, فعلى الرغم من الأهمية التاريخية البالغة لعصـر هان في مسـار الحضـارة الصـينية، ما تزال طبيعة العلاقة بين بناء الحكم المركزي، وتطور الجهاز البيروقراطي، واعتماد الأيديولوجية الكونفوشـيوسـية، من جهة، وبين توسـع النفوذ السـياسـي والعسـكري وتعزيز الاسـتقرار الداخلي، من جهة أخرى، بحاجة إلى تحليل تاريخي معمّق يوضـح آليات هذا التفاعل وتأثيراته المتبادلة.

كما تتمثل مشـكلة الدراسـة في الكشـف عن دور السـياسـة الخارجية لأسـرة هان، ولا سـيما تأسـيس طريق الحرير وتطوير العلاقات التجارية والدبلوماسـية مع الدول والمناطق المجاورة، في تعزيز المكانة الاقتصـادية والثقافية للإمبراطورية، وفي تشكيل تصور الصين عن العالم الخارجي, وتزداد هذه الإشـكالية تعقيدًا عند النظر إلى هذه التطورات بوصـفها عملية تاريخية مترابطة، لم تحدث بمعزل عن بعضـها البعض، بل أسـهم تفاعلها في صـياغة إرث سـياسـي وحضـاري طويل الأمد لأسـرة هان, وعليه تسـعى هذه الدراسـة إلى معالجة هذه الإشـكالية من خلال تحليل الأدلة التاريخية والمصـادر المتاحة، بهدف توضـيح أبعاد التحولات السياسية في عهد أسرة هان، وبيان أثرها في بناء الدولة الإمبراطورية وترسيخ مقومات استمرارها.

أهداف الدراسة:

يمكن تحديد أهداف الدراسة على النحو الاتي:

١. تحليل وتقييم التطورات السـياسـية الرئيسـة في أسـرة هان بهدف فهم كيفية تأسـيس النظام الإمبراطوري الهاني، وتتبُع تطور المؤسسـات السياسية والإدارية، وتحليل طبيعة العلاقة بين السلطة المركزية والبيروقراطية، فضلاً عن دراسة التحولات في أساليب الحكم وإدارة الدولة.

٢. اسـتكشـاف وتحليل طبيعة العلاقات الخارجية لأسـرة هان بهدف دراسـة تفاعلات الهان مع الدول والمجموعات المجاورة، وتحليل طبيعة العلاقات التجارية والدبلوماسـية التي نشـأت،

وتبيان أهمية طريق الحرير وتأثيره على التبادل الثقافي والاقتصادي، فضلاً عن فهم التحديات والفرص التي واجهت الإمبراطورية في تعاملها مع العالم الخارجي.

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على حقبة تأسيسية حاسمة إذ تعد أسرة هان حقبة بالغة الأهمية في التاريخ الصيني، شهدت ترسيخ العديد من المؤسسات والنظم السياسية والاجتماعية والثقافية التي استمرت لقرون لاحقة. إن فهم التطورات التي حدثت خلال تلك المدة يمثل مفتاحاً لفهم تطور الحضارة الصينية بشكل عام, وفهم جذور النظام الإمبراطوري الصيني بشكل خاص اذ أسهمت أسرة هان بشكل كبير في تطوير وتثبيت النموذج الإمبراطوري الصيني، بما في ذلك نظام الحكم المركزي، والبيروقراطية، وأيديولوجية الكونفوشيوسية كركيزة للدولة, دراسة هذه التطورات تساعد في فهم الأسس التي قامت عليها الإمبراطوريات الصينية اللاحقة.

كما تقدم الدراسة أيضا تحليلاً متكاملاً لكيفية تأثير التطورات السياسية والعسكرية والخارجية على بعضها خلال عهد الهان, هذا التكامل يوفر رؤية أعمق للديناميكيات التي شكلت قوة الإمبراطورية واستقرارها وعلاقاتها بالعالم المحيط بها. وبالتالي تكمن أهمية هذه الدراسة في قدرتها على تقديم فهم شامل ومتعمق لواحدة من أهم الحقب التأسيسية في تاريخ الصين، والكشف عن التأثيرات بعيدة المدى لتطوراتها السياسية والعسكرية والخارجية على مسار الحضارة الصينية والعالم.

فرضية الدراسة

تنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن التطورات السياسية التي شهدتها أسرة هان جاءت مترابطة ومتفاعلة فيما بينها، وأسهمت في بناء نظام إمبراطوري مركزي قوي ومستدام، وتعزيز نفوذها العسكري والخارجي, كما تفترض أن اعتماد الحكم المركزي، وتطوير البيروقراطية، وتوظيف الأيديولوجية الكونفوشيوسية، إلى جانب تأسيس طريق الحرير وتنشيط العلاقات التجارية والدبلوماسية، كانت عوامل رئيسة في ترسيخ سلطة الدولة وتشكيل إرثها الحضاري, وتسعى الدراسة إلى اختبار هذه الفرضية من خلال تحليل منهجي للأدلة التاريخية والمصادر المتاحة.

نطاق الدراسة:

سيركز نطاق هذه الدراسة على تحليل التطورات السياسية والعسكرية والخارجية الرئيسية التي حدثت خلال عهد أسرة هان الصينية (٢٠٦ ق.م – ٢٢١ م).

زمنياً: سيغطي التحليل كامل عهد حكم سلالة هان، مع إيلاء اهتمام خاص للمدد التاريخية التي شهدت تحولات مفصلية في الجوانب محل الدراسة. سيتضمن ذلك:

- عهد التأسيس والتوحيد (هان الغربية الأولى): دراسة كيفية نشأة الأسرة وتوطيد سلطتها بعد سقوط أسرة تشين, وهذا ما تطرقنا إليه في الفصل الأول: "**التطورات السياسية في ظل تأسيس أسرة هان الأولى" ٢٠٦-١٤١.ق.م.**

- عهد التوسع والازدهار (عهد الإمبراطور وو وغيره من الأباطرة الأقوياء في هان الغربية): تحليل التوسع الإقليمي والتحولات السياسية والعسكرية الهامة, وهذا ما ذكرناه في الفصل الثاني: "**التنظيم السياسي الداخلي والتوسع الخارجي (١٤١ ق.م-٩ م)**".

- عهد الضعف والانقسام التدريجي (هان الشرقية): دراسة العوامل التي أدت إلى تدهور السلطة المركزية والاضطرابات الداخلية وصولاً إلى نهاية الأسرة. كان ذلك في الفصلين الأخيرين, الثالث: **الانقسام وصعود هان الشرقية (٢٥-٢٢١ م),** والرابع: "**تأثير التطورات السياسية على انهيار الإمبراطورية الهانية وعلى نظامها الحاكم**".

مكانياً: ستركز الدراسة بشكل أساسي على الأراضي التي كانت تحت سيطرة أسرة هان بشكل مباشر، بالإضافة إلى المناطق الحدودية والممالك التي كانت لها علاقات سياسية أو عسكرية أو تجارية مع الإمبراطورية، خاصة تلك التي تأثرت بالتوسع الهاني أو بطريق الحرير.

موضوعياً : سينصب التركيز على الجوانب الآتية:

- التطورات السياسية: تحليل هياكل الحكم، ونظام البيروقراطية، والصراعات على السلطة داخل البلاط الإمبراطوري، وتطور الأيديولوجيات السياسية (خاصة الكونفوشيوسية)، والتغيرات في القوانين والإدارة.

- التطورات العسكرية: دراسة استراتيجيات الحرب والتوسع، وتنظيم الجيش وتكوينه، والتطورات في التكنولوجيا العسكرية، والعلاقات مع القبائل والشعوب الحدودية (مثل شيونغنو)، وتأثير الحروب على استقرار الإمبراطورية.
- التطورات الخارجية : تحليل العلاقات الدبلوماسية مع الممالك الأخرى، وتطور طريق الحرير وأثره على التجارة والتبادل الثقافي، والتوسع وامتداد النفوذ الهاني في المناطق المجاورة (مثل آسيا الوسطى وفيتنام وشبه الجزيرة الكورية).

ومنهجياً فقد جاء اختيار المنهج الوصفي والتحليلي في هذه الأطروحة لملاءمته لطبيعة الدراسة التاريخية، إذ أسهم المنهج الوصفي في عرض الأحداث السياسية وتوثيقها اعتمادًا على المصادر الموثوقة, كما مكّن المنهج التحليلي من تفسير هذه الوقائع وربطها بسياقاتها الفكرية والاجتماعية والاقتصادية, وقد حقق هذا التكامل المنهجي توازنًا بين السرد التاريخي والتحليل العلمي، مما عزز دقة النتائج وموضوعيتها.

تحليل المصادر:

أولاً: المصادر الأولية:

تمثل المصادر الأولية شهادات مباشرة أو وثائق أُنشئت في مدة قيد الدراسة أو بعدها بمدة وجيزة. تعد هذه المصادر حجر الزاوية في البحث التاريخي.

* سجلات المؤرخ الكبير (Shǐjì–史記): يُعد هذا العمل الضخم الذي كتبه المؤرخ الصيني العظيم "سيما تشيان" (司馬遷) في القرن الثاني قبل الميلاد, انتهى منه حوالي عام ٩٤ قبل الميلاد, من أهم المصادر الأساسية لدراسة تاريخ الصين القديمة، بما في ذلك المدة التي سبقت هان وأثناء المراحل المبكرة منها.

ويقدم كتاب "سجلات المؤرخ الكبير" سرداً تاريخياً شاملاً يبدأ من العصور الأسطورية وصولاً إلى عهد الإمبراطور وو من أسرة هان, ويتضمن معلومات قيمة عن الأحداث السياسية والعسكرية والثقافية والاقتصادية، فضلاً عن سِيَر شخصيات هامة, ويُعد هذا الكتاب نموذجاً للتأريخ الصيني اللاحق.

وأما عن محتواه, فيتكون الكتاب من عدة أقسام تشمل السجلات الأساسية للأباطرة، والجداول الزمنية، والأطروحات حول مواضيع مختلفة (مثل الموسيقى والطقوس والاقتصاد)، والسير الذاتية للشخصيات البارزة، وحسابات عن المناطق والشعوب الأجنبية.

وملاحظاتنا حول الكتاب, فعلى الرغم من قيمته الهائلة، يجب التعامل مع "سجلات المؤرخ الكبير" بحذر أكاديمي، مع الأخذ في الاعتبار وجهة نظر المؤلف والقيود المفروضة على المعلومات المتاحة في عصره.

* كتاب هانشو (Hànshū – 漢書) (تاريخ هان): كُتب هذا العمل من قبل المؤرخ "بان جو" (班固) وأخته "بان تشاو" (班昭) وابنه "بان مينغ" (班猛) خلال القرن الأول الميلادي، ويغطي تاريخ اسرة هان الغربية (٢٠٦ قبل الميلاد – ٢٤ ميلادي).

ويُعد "هانشو" المصدر الرئيس لدراسة عهد هان الغربية، إذ يقدم سردًا تفصيلياً للأحداث السياسية والإدارية والثقافية والاجتماعية خلال تلك المدة, ويُعد استمراراً و"تحديثاً" لكتاب "سجلات المؤرخ الكبير" مع تركيز خاص على اسرة هان.

ويتبع "هانشو" هيكلاً مشابهاً لـ "سجلات المؤرخ الكبير"، اذ يتضمن سجلات الأباطرة، والجداول الزمنية، والأطروحات، والسير الذاتية. يتميز بتركيز أكبر على التفاصيل المتعلقة بالإدارة والمؤسسات الحكومية في عهد هان الغربية, ويُنظر إلى "هانشو" عموماً على أنه عمل دقيق وموثوق به، ويعد مصدراً أساسياً لفهم عهد هان الغربية.

ثانيًا: المصادر الثانوية الحديثة:

تعتمد المصادر الثانوية على تحليل وتفسير المصادر الأولية لتقديم رؤى وتفسيرات للتاريخ, وهناك عدد كبير من الدراسات الحديثة الهامة حول تاريخ الصين وسلالة هان, أهمها:

China: A New History" by John King Fairbank and Merle Goldman"

يُعد هذا الكتاب مرجعاً كلاسيكياً وشاملاً لتاريخ الصين، ويتضمن فصولاً مفصلة عن أسرة هان تضعها في سياق أوسع.

The Cambridge History of China, Volume I: The Ch'in and Han " Empires, 221 B.C. – A.D. 220" edited by Denis Twitchett and Michael :Loewe

يُعد هذا المجلد جزءاً من سلسلة كامبريدج لتاريخ الصين، ويقدم دراسات متعمقة كتبها متخصصون حول مختلف جوانب إمبراطورتي تشين وهان. يعتبر مرجعاً أساسياً للباحثين.

Early Imperial China: A Historical and Cultural Dictionary" by Rafe de " Crespigny

يوفر هذا القاموس معلومات مفصلة حول الأشخاص والأماكن والمصطلحات والمؤسسات الهامة في حقبة الصين الإمبراطورية المبكرة، بما في ذلك أسرة هان.

:A History of China" by Wolfram Eberhard"

يقدم هذا الكتاب سرداً شاملاً لتاريخ الصين من منظور اجتماعي واقتصادي، ويتضمن تحليلات قيمة لحقبة حكم أسرة هان.

* مقالات ودوريات أكاديمية: فضلا عن الكتب، هناك العديد من المقالات المنشورة في الدوريات الأكاديمية المتخصصة في التاريخ الصيني القديم، والتي تقدم أحدث الأبحاث والتفسيرات حول جوانب محددة من تاريخ سلالة هان.

وأخيراً: أتوجه بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى جميع من مدَّ لي يد العون وقدم لي الدعم في رحلة هذا البحث التاريخي, أخص بالذكر والتقدير العميقين الدكتور شاو من جامعة بكين، الذي أغنى فهمي بتاريخ الصين العريق بمنظوره الثاقب ومعرفته الواسعة. كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان للبروفيسور ديفيد من جامعة روما، الذي أضاء لي جوانب مهمة من تاريخ الإمبراطوريات القديمة بمنهجيته الرصينة وخبرته القيّمة. ولا يسعني إلا أن أعرب عن بالغ شكري وتقديري لمشرفي الأستاذ المساعد الدكتور أحمد بشار جمعة الذي اسهم بجهوده وأفكاره في إثراء هذا العمل, لقد كانت مساهماتك محل تقديرٍ أثّرت بشكل كبير في نضج هذا المشروع.

ناصر الموسوي

الفصل الأول – التطورات السياسية في ظل تأسيس أسرة هان الأولى (هان الغربية)

(٢٠٦-١٤١.ق.م)

المبحث الأول- بواعث توحيد الصين

توحيد الصين من قبل أسرة تشين

تتناقل المدونات التاريخية الصينية أسطورة "ينغ شنغ" الذي أنشأ دولة [١]، وكان محاربًا عظيمًا وطاغية لا يعرف الرحمة, كان الهوّس يقود تصـــرفاته، فأراد بناء الدولة الأعظم على كوكب الأرض؛ فدفعته هذه الرؤية إلى الجنون. لكن, هذه الرؤية تحولت إلى الصين وكان هو إمبراطورها الأول؛ فتكلف بتوحيد البلاد، وضـم الدويلات بالتدريج. كانت الحروب تدور بقسوة غريبة، فمثلًا حينما أخضـع أسرة تشو[٢] في عام ٢٥٦ ق.م، أباد جيشها المؤلف من أربعمائة

---

[١] دولة تشـين (Qin ،秦) حكمت أسـرة تشـين, الصـين الموحدة للمدَّة من ٢٢١ –٢٠٦ ق.م واســتطاعت أن تؤســس أول دولة إقطاعية موحدة متعددة القوميات في تاريخ الصـــين بعد أن أجهزت على الدويلات الســـت المتحاربة ينظر: خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة – ٢٠٠٤)، ص ٢٥.

[٢] تعد أسرة تشو من اقوى الأسر الحاكمة في الصين في تاريخها القديم اذ استولت على الحكم بعد سقوط أسرة شانغ سنة ١٠٤٦ ق.م واستمر حكمها طيلة ٩ قرون متتالية وعرفت الصين في عهدها الإقطاعية ينظر: ناصر رحيم عجيل , **التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة ٧٧١ –٢٢١ ق .م** , رسالة ماجستير جامعة واسطة- كلية التربية, ٢٠١٩, ص٨٠ وما بعدها. و ينظر

Yuri Pines, **Zhou History And Historiography Introducing The Bamboo Manuscript Xinian**, Beijing Normal University, Toung Pao 100-4-5, (2014), P.P 278-324.

ألف عنصـر، وذبح الحكام وذويهم، وضـمت دولة تشـين الدول السـت الأخرى[٣], بالطريقة نفسها التي تلتهم بها دودة القز ورقة التوت على حد تعبير المؤرخ الصيني سيما تشيان[٤].

وفي عام ٢٢١ ق.م أعلن توحيد الصـين العظيمة تحت حكم سـيد واحد، وهو السـيد الأعلى لتشـين، الذي اتخذ لقب 'شـي هوانغ دي'، أي (الإمبراطور الأول)[٥] . كما جاء في النص:

"ها أنا أيتها السماوات, ابنك الإلهي يتكلم, أترين ؟

أخيرا توحد العالم, لقد محوت الشك, وفرضت القانون,

أزلت الفوضى, وجئت بالهدوء إلى أصقاع العالم الأربعة,

الآن, كل ما تحت الشمس والنجوم خاضع لشخص واحد, لي أنا

---

[٣] الكبريات السـتة وهي دويلات (وي، هان, تشـو، تشـاو، يان، تشـي) وكانت تلك الكبريات تخوض أطول حرب أهلية عرفها التاريخ القديم في الصـين اذ اسـتمرت اكثر من مئتين عام وراح ضـحيتها من البشـر يفوق التصـور حتى اعلن عام ٢٢١ ق.م عن سـقوطها جميعاً على يد أسـرة تشين, وتأسيس أول إمبراطورية موحدة في الصين. لمزيد من المعلومات ينظر:

Victoria Tin – Bor Hui, **War And State Formation In Ancient Chine And Early Modern Europe** , Cambridge University Press, (New York – 2005), P.60-90.

[٤] سيما تشيان 司马迁 ، هو مؤرخ صيني من أسرة هان، ولد عام ١٤٥ ق.م ويعتبر أب التاريخ الصـيني وكتابه سـجلات المؤرخ الكبير او ما يعرف ب (شـي جي) ، يغطي أكثر من ألفي عام بدءًا من صـعود الإمبراطور الأصفر الأسطوري وتشكيل أول نظام حكم صيني حتى عصرة في عهد هان. ينظر:

Jiayi Zhang , **A Study On Sima Qians View Of Life And Death And The Principle And Influence Of His Writing** , Proceedings Of The 4th International Conference On Educational Innovation And Philosophical Inquiries , 4/11/2023, P 126.

[٥] اعتقد ينغ تشـنغ أن لقب "ملك"王國 (وانغ) الذي كان يسـتخدمه الملوك الذين سـبقوه سـواء ملوك أسرة شانغ أو ملوك اسرة تشو لا يجسد إنجازاته, فمنح نفسه لقب "شي هوانغ دي" (皇始帝) ويعني (الإمبراطور الأول)، وقرر أن تتبعه الأجيال التالية جيلا بعد جيل باسـتخدام لقب "الإمبراطور الثاني"، ثم "الإمبراطور الثالث"... بلا نهاية. ينظر:

Maria Khayutina , **Qin The Eternal Emperor And His Terracotta Warriors** , Neue Zürcher Zeitung Publishing , 2013 , P 117.

تقودهم كلهم إرادة واحدة, إرادتي أنا

اعطني تلك القوة الإلهية لحكم الصين"[٦].

وهكذا تأسست إمبراطورية تشين بعد نحو قرنين من الحروب والصراعات، لتكون فاتحةً لأربعة قرون من الوحدة الإمبراطورية, وفي العاصمة جيانغ يانغ أقيمت حكومة مركزية استبدادية، إذ مارس 'شي هوانغ دي' سلطةً مطلقة، وقاد الشعب الصيني بيدٍ من حديد[٧] .

لم يكن وصول الإمبراطور "شي هوانغ دي" إلى سدة الحكم في الصين عملية تقليدية، بل تميز بمسار معقد وصعب قل نظيره في تاريخ الصين, اذ تولى حكم الدويلات الصينية المتحاربة وهو في الثالثة عشرة من عمره، وواجه تحديًا كبيرًا في بداية عهده تمثل في فضائح والدته مع رئيس وزرائه، لو بي وي[٨]. هذا الظرف غير المعتاد، الذي جمع بين الصعود المبكر للسلطة والاضطرابات السياسية العائلية، والتجربة المريرة قد صقلت شخصية "شي هوانغ دي" السياسية، وغرست فيه نزعة قوية للسيطرة المطلقة وعدم الثقة في المحيطين به, هذا الواقع يدعم فكرة أن التعامل مع تلك الفضائح لم يكن مجرد حدث عابر، بل كان عاملًا حاسمًا في تشكيل رؤيته الاستبدادية للدولة الموحدة التي سعى إلى تأسيسها[٩] .

ومن المؤكد أن البيئة القاسية التي نشأ فيها شي هوانغ دي، والصراعات السياسية التي شهدها في طفولته وشبابه، تركت بصماتها العميقة على شخصيته وقراراته؛ فالخوف من

---

(٦) Robert Eno , **The Qin Dynasty**, Indiana University, History Reading , 2010 , P.16.

(٧) Maria Khayutina , **Qin The Eternal Emperor And His Terracotta Warriors**, P 117.

[8] لو بي وي : هو عشيق والدة الإمبراطور الأول شي هوانغ دي وبدفع منها بعد موت زوجها عُيّن بمنصب رئيس الوزراء واصبح وصياً على العرش وطرد من منصبه بعد خيانة داخل القصر قادها احد الخصيان يدعى الماركيز (لو اي) وهو عشيق اخر للملكة الأم, وعقب تلك الفضائح اقدم (شي هوانغ دي) الإمبراطور الأول على قتل أخوته الصغار, ونفى والدته مع رئيس وزراءه (لو بي وي) الذي اقدم على الانتحار بعد تلك الحادثة ينظر:

Knoblock, John; Riegel, Jeffrey, **The Annals Of Lü Buwei: A Complete Translation And Study**. Stanford University Press. (2000) , P 12.

(٩) Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , Indiana University, History Reading , 2010 , P.8.

الفشـل، والرغبة الجامحة في إثبات الذات، والشـك الدائم في ولاء الآخرين، كلها عوامل يمكن أن تفسر بعض القرارات الصارمة التي اتخذها [١٠] .

بعد تلك الفضائح من جانب الملكة الأم, وحادثة طرد الوزير لوبي وي من البلاط, اختار الإمبراطور "شـي هوانغ دي" رائد المدرسـة القانونية "لي سـي" [١١], لمنصـب رئاسـة الحكومة, وهذا الأخير بدوره أدخل سـلسـلة من الإجراءات الهادفة إلى قمع المعارضـة، وإخضـاع الإمبراطورية كافة للحكم المركزي الشديد وتشجيع الزراعة، وزيادة القوة العسكرية للإمبراطورية، وكانت تجرى مناقشـة الأمور المهمة من قبل الوزراء، لكن القرار كان متروكًا للإمبراطور، الذي كانت قراراته مطاعة دون قيد أو شرط[١٢].

ورئيس الوزراء لدولة تشـين هذا, يُعّد واحداً من كبار المشـرعين القانونين, وكان قادراً على وضع العديد من الإجراءات التي تهدف إلى كبح وقمع أية معارضة محتملة للإمبراطور, كما كان من اهم أهدافه السـياسـية وضـع سـلسـلة من القوانين التي تهدف إلى بقاء والتزام وخضوع البلاد كافة تحت سيطرة الحكم المركزي الاستبدادي للإمبراطور [١٣].

---

[١٠] Ibid, P.8.

[١١] لي سـي (李穗) هو ابرز رئيس وزراء حكم في تشـين بعد نفي (الوزير لو بي وي), ويعد المهندس الحقيقي لصـعود تشـين, وأحد رجالات المدرسـة القانونية فيها, وأصـله من مملكة تشـو وجاء إلى تشـين سـنه٢٤٧ ق.م, وقاد حروب السـنوات التسـعة في توحيد الصـين, وكان معروف آنذاك باستخدام المال السياسي أو الرشوة السياسية في تنفيذ برنامجه الحكومي وقد تحقق مبتغاه بأسقاط جميع الممالك الستة وإعلان توحيد الصين عام ٢٢١ ق.م , بوفاته عام ٢٠٨ ق.م انتهى دور إمبراطوريه تشين وسقوطها على يد سلالة هان لمزيد من المعلومات ينظر:

Herrlee G. Creel. Shen Pu-Hai, **A Chinese Political Philosopher Of The Fourth Century B. C**, Pp. 138, 151-152 . Bodde, Derk ,**China's First Unifier: A Study Of The Ch'In Dynasty As Seen In The Life Of Li Ssu (280?-208 B.C.),** Hong Kong University Press (Hong Kong -1975). Victoria Tin-Bor Hui , **History And Thought In China's Traditions** , Journal Of Chinese Political Science, 2012, p. 130. K. E. Brashier, **SIMA QIAN, The First Emperor**, Oxford University Press, 2007 , P.P 24-35.

[١٢] Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.7.

[١٣] Victoria Tin-Bor Hui , **History And Thought In China's Traditions** , p 130.

ونتيجة لتلك الإجراءات في دولة تشين, حدث تطورٌ مهمٌ اسهم بشكل ثابت في تحديد المشهد السياسي للصين, وقد تمثل في إنهاء الأرستقراطية الوراثية التي كانت المحرك الرئيس للسياسة الرسمية للدولة والذي كان نتيجة لتطور آخر أدى لتغيرات عميقة في كيان تشين, ألا وهو ما خلفته الحرب الشاملة قبل توحيد الصين من آثار بما فيه الكفاية لتدمير المؤسسات القديمة, وإيجاد مؤسسات جديدة حلت محلها في كل ما يتعلق بشؤون التنظيم العسكري, والضرائب والبيروقراطية الإدارية والأفكار, وإنَّ الآثار المترتبة على ارتفاع مستويات الحرب مثلما هو متوقع, كان ارتقاء التنظيمات العسكرية لدولة تشين وتطورها(١٤).

وكانت أولى قوانين "بُناة الدولة الجدد" هو تقسيم إمبراطورية تشين على هيكلية إدارية بمستويين ضمن ست وثلاثين منطقة، تنقسم أيضًا إلى محافظات، وكل محافظة تدار من قبل حاكم عسكري ورئيس قضاة, ومن العاصمة المركزية (جيانغ يانغ) عيَّن الإمبراطور الآمريات والمحافظين الذين كان يفترض أن يُزيحوا سلطة النخب الميراثية المحلية، واستهدف النظام الجديد طبقة النبلاء المتداعية بشكل مباشر، وروت تواريخ تلك الحقبة أنَّ مائة وعشرين ألف عائلة نُقلت بالقوة من أرجاء الصين كافة، وأُعيد توطينها في محافظة قريبة قرب العاصمة، لإبقائها تحت المراقبة الشديدة(١٥).

ورأى "الحكام الجدد" أنّ مفتاح حكم الدولة الفعال هو تنمية واستخدام السلطة المطلقة, وكانت الغايات التي يجب أنْ توضع لها السلطة بسيطة تتمثل في تحقيق توسع الدولة وزيادة ثروتها, وعلى الرغم من أنَّ القانونيين الأوائل لتشين لم يمتلكوا من القوة الكافية لتدمير جميع العوائل الأرستقراطية الوراثية في الدولة, إلا انهم تمكنوا من تعزيز ملكية تشين بشكل كبير وتقليص دور الأرستقراطيين القدامى, وأصبحت مزيد من الأراضي تحت سيطرة تشين المباشرة(١٦).

ودافع المشرعون القانونيون بقوة عن تأسيس حكومة مركزية ذات سلطة مطلقة، تفرض عقوبات صارمة على أي مخالفة. تلك السياسة لم تلقَ معارضة من الكونفوشيوسيين والتيارات

---

(١٤) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي (من عصور ما قبل الإنسان إلى الثورة الفرنسية**، ص ١٩١.

(١٥) Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.7.

(١٦) Robert Eno , **The Qin Dynasty** , P.10.

الفكرية الأخرى فحسب، بل قوبلت أيضًا برفض شديد من اللوردات الإقطاعيين الذين كانوا يرون في تطبيقها تهديدًا مباشرًا لنفوذهم ومكانتهم السياسية[١٧] .

وفي إطار سعيها لتوحيد الصين وبناء دولة مركزية قوية، شرعت أسرة تشين في تنفيذ مجموعة من الإصلاحات الجذرية, ألغت الدولة نظام الولايات، مما قلص نفوذ الطبقة الأرستقراطية وأنهى دورها التقليدي الذي كان غالبًا ما يغذي الانقسامات. ولتجنب المزيد من الحروب الأهلية التي عصفت بالدويلات الصينية، هُدّمَتْ أسوار المدن المحصنة، وتم إطلاق برنامج ضخم لجمع الأسلحة من السكان. كانت تلك الإجراءات ضرورية لبناء إدارة مركزية فعالة قادرة على السيطرة على مساحة شاسعة مثل مساحة الصين وتوحيدها تحت سلطة واحدة[١٨] .

إنَّ تلك التطورات التي حدثت في تشين لها أهمية سياسية ثنائية الأبعاد، فمن جهة قد خلقت مجموعة أفكار معيارية لتنظيم الحكومة السليمة، استعملتها الأجيال الصينية اللاحقة في الحكم على أداء قادتها السياسيين, وكانت أشهر تلك الأفكار العقيدة القانونية، لكنَّ القانونيين انخرطوا في جدالات وصراعات فكرية مريرة مع المدارس الفكرية الأخرى، مثل المدرسة الكونفشيوسية، وهو خلاف عَكَس الصراعات السياسية الدائرة، ومن جهة ثانية شجّع ذلك الحراك جميع المفكرين في الصين على نمو شيء متزايد أشبه ما يكون بثقافة قومية[١٩].

وقد حدث تطوران مهمان أسهما بشكل ثابت في تحديد المشهد السياسي للدولة الصينية، وتقوية كيان أسرة تشين فيها، الأول: إنهاء الأرستقراطية الوراثية التي كانت المحرك الرئيس للسياسة في تشو الغربية إلى عصر الربيع والخريف[٢٠]، والآخر: التوحد أو الاتحاد المناطقي

---

[١٧] هـ.ج. كريل , **الفكر السياسي الصيني ...** , ص ٢٠٢ – ٢٠٣.

[١٨] Dingxin Zhao, **The Rise Of The Early Chinese Empire And Patterns Of Chinese History**, P.31.

[١٩] Ibid, P.31.

[٢٠] أنَّ القرون الثلاثة ٧٧١-٤٥٣ ق.م من عصر الربيع والخريف في الصين القديمة كانت سنوات لسياسات سلطوية حادة وحروب داخلية شرسة, وأعُتمد في وصف أحداثها على سجلات الربيع والخريف المنسوبة إلى كونفوشيوس, والتي نقلت ٣٦ مثالاً في قتل الملوك, و٥٢ حالة في إنهاء الولايات, فضلا عن تسجيلها لـ(٤٨٣) حربا في المدة من ٧٢٢-٤٨١ ق.م, لمزيد من المعلومات عن هذه الحقبة ينظر: ناصر رحيم عجيل , **التحولات السياسية في عصر الربيع**

والقانوني لدولة تشين مع الدويلات الصينية الأخرى بفعل إصلاحات المدرسة القانونية، والتي قدمت زيادة في التلاحم الفكري لمعظم شعوب الدويلات الصينية المتحاربة(٢١).

ويمكن تصور حكومة تشين على أنها كتلة متشابكة من أربع عناصر مهمة, كان على رأسها الإمبراطور ورئيس الوزراء الذي يكون على رأس حكومة بيروقراطية مدنية على مستوى عال في البلاد يديرها المدنيين من العاصمة, ثم القائد العام للجيش الملكي ورئيس الرقابة المالية, وقد اطلق على رئيس الوزراء ورئيس الرقابة المالية والقائد العام لقب "الدوقات الثلاث", وهم عملياً من يديرون الحكومة نيابة عن الإمبراطور (٢٢).

ولم يكن هناك نظام واضح لتعيين المناصب العليا في البلاد، ويبدو أن التعيينات كانت تعتمد بشكل أساسي على الاتصالات الشخصية والتوصيات الإقليمية التي يرفعها حكام الأقاليم، اذ يقترحون من خلالها بعض الأفراد الموهوبين لشغل المناصب الحكومية العليا. وتجدر الإشارة إلى أن الأهمية الكبرى في الهرم الوظيفي الصيني القديم كانت تكمن في منصب رئيس الوزراء، الذي كان يمارس السلطة الفعلية في إدارة شؤون البلاد نيابة عن الإمبراطور الحاكم(٢٣) .

ويبدو أنَّ قوة تشين كانت مرتبطة بشكل وثيق للغاية بقدرات رؤساء الوزراء فكان (لو بو وي) ابرز أولئك الرجال, لكنه لم يكن بدهاء (لي سي) الذي يَعُدَّهُ الكثيرون المهندس الحقيقي لصعود تشين, وكانت سياساته مبنية وفق مبدأ "**تجذبهم فرص العيش السهل ويحكمهم الخوف, سيطر على الطعام والخوف تسيطر على الخونة**(٢٤).

وقد بدأ "لي سي" عمله وفق إجراءات حدّية، إذ تنازع مع الإدارة الميراثية القائمة؛ فهاجم امتيازاتها المتوارثة، ونجح في نهاية المطاف في استبدال المناصب الوراثية بنظام من عشرين مرتبة تُمنح على أساس الجدارة العسكرية، ومنحت الدولة مواطنيها الأرض والحاشية والإماء

والخريف (٧٧١-٤٥٣ ق.م) بحث منشور , مجلة كلية التربية , جامعة واسط , العدد ٣٤ , ٢٠١٩ , ص١٧٧.

(21) Korhan Yazgan, **Change In International System: A Comparative Study Of Hierarchic And Anarchic Systems**, P.52.

(22) Robert Eno , **The Qin Dynasty**, PP.10-11.

(٢٣) Ibid, P11.

(٢٤) Herrlee G. Creel. Shen Pu-Hai: **A Chinese Political Philosopher Of The Fourth Century B. C ,** P 140.

والملابس كلها على أساس الجدارة وحسن الأداء، في حين واجهت من يعصي قوانينها بسلسلة عقوبات صارمة، والأهم من ذلك أنَّ الدولة لم تسمح بتحويل أي منصب من المناصب الحكومية الممنوحة بموجب هذا النظام إلى ملكيات متوارثة، مثل: مناصب النظام الأرستقراطي الميراثي، بل أعادت توزيعها دوريًا(٢٥).

ويمكن ربط كل واحدة من الابتكارات المؤسسية في تشين في تلك الحقبة مباشرةً بمتطلبات الحرب، وتوسع الخدمة العسكرية لتشمل عامة السكان الذكور، وصعود البيروقراطية العسكرية أولًا، ثم البيروقراطية المدنية، وتراجع شأن أصحاب المناصب الوراثية والاستعاضة عنهم بقياديين جدد أُخْتيرُوا على أساس الجدارة والكفاءة، وتسجيل السكان، والإصلاح الزراعي، وإعادة ترتيب حقوق الملكية وإبعادها عن النخبة الميراثية، وقيام بنية تحتية، ووسائل اتصال أفضل، وفرض تراتبية لا شخصية جديدة من الوظائف الإدارية، وإيجاد نظام معياري للأوزان والمقاييس؛ كلها إجراءات ترجع في أصولها إلى الاحتياجات العسكرية(٢٦)، في حين أنَّ الحرب لم تكن المحرك الوحيد لتشكّل الدولة، فإنَّها بالتأكيد كانت قوة رئيسة وراء تطور الدولة الحديثة الأولى في الصين القديمة عبر إجراءات دولة تشين(٢٧).

والتطور الأكثر إثارة هو أنَّ سياسة تشين القانونية قد أسفرت عن النتائج التي توقعها القانونيين الأوائل؛ فأصبحت تشين دولة قوية وثرية ومنظمة, وخالية من الطبقة الأرستقراطية الأنانية ومطيعة لتوجيهات الحاكم(٢٨), وقد واصل ذلك التوسع السريع في البيروقراطية من هذا الإجماع الفاعل في الإصلاحات للسيطرة على حركة الشعب، وعلى النشاطات اليومية، وصار جهاز الدولة حقيقة حيّة في حياة النخبة والعامة، وقوَّى من إحساس العودة إلى الدولة والكيان المشترك(٢٩).

إنَّ هذا التطور المهم الذي وصل إليه التأثير بالإحساس الوطني الداخلي لشعب تشين، كان دون أدنى شك نتيجة التجنيد العسكري الشامل، الذي أسهم بشكل ثابت بتوحيد السكان

---

(٢٥) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي**...، ص ١٧٤.

(٢٦) المصدر نفسه.., ص ١٧٦.

(٢٧) Dingxin Zhao, **The Rise Of The Early Chinese Empire And Patterns Of Chinese History**, P.31.

(٢٨) Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.5.

(٢٩) Yuri Pines, **The Question Of Interpretation Qin History In Light Of New Epigraphic Sources**, P 38.

في تشين، وإنَّ الخدمة العسكرية المطولة، واستمرار الصراعات الدموية مع الأعداء المنافسين، والصراعات العنيفة مع الدويلات الأخرى، كل ذلك أسهم في تقوية الشعور الوطني الموحد في دولة تشين(٣٠).

وساهمت تلك التطورات باتجاه توحيد الشعب والدولة بشكل مركزي، وبشكل مهم نحو التوحيد المناطقي للدولة، ثم التحديد المادي من جيرانها، وإنَّ بناء الأسوار الحامية الطويلة الدفاعية، عززت من الشعور الوحدوي لشعب تشين، حتى اختفى شعور التمايز بين شعوب تشين الأصليين والرعايا الجدد من الدويلات الأخرى الذين عاشوا في تشين، وكان بناء الأسوار في تشين مُقدمة لبناء سور الصين العظيم (٣١).

وغيَّرت إجراءات وإصلاحات تشين من طبيعة الصين بطريقتين: الأولى: إنَّ الدولة الإصلاحية كانت قادرة على تحريك قسم كبير من سكانها من الذكور الكبار، وكمية كبيرة من المصادر لشن الحروب بميزان واسع وبمدَّة أطول، والثانية: حينما تخلصت تشين من المشاكل المرتبطة بالأزمة الإقطاعية فإنَّها صارت متعطشة لقضم مزيد من الأراضي، وتغير غرض الحرب الآن من السيطرة في عصر "المسيطرين" وهو عصر أسرة تشو السابقة إلى التوسع بالأراضي وإنجاح مشروع التوحيد في هذا العصر وهو عصر إمبراطورية تشين(٣٢).

وكان القانونيون من أمثال لي سي يرغبون في التخلص من أشكال المعارضة كافة بما في ذلك المذاهب الفكرية المختلفة؛ فوافق إمبراطور تشين على نصيحة لي سي، وأمر بإحراق المآثر الكلاسيكية لمختلف المذاهب، ثم قيل إنَّه أمر بدفن أربعمائة باحث كونفوشيوسي وهم على قيد الحياة، وأنَّ مثل هذه الأعمال بالطبع أكسبت نظام تشين كراهية أبدية من الكونفوشيوسيين اللاحقيين(٣٣).

ومن ثَمَّ حلَّ نمط بيروقراطي مركزي للحكم محل السلطة الإقطاعية، وكانت الإمبراطورية تخضع لحكم الموظفين الذين لم يكونوا يلقبون بالدوقات، ولم تكن مناصبهم وراثية وصودرت

---

(٣٠) Ibid , P 38.

(٣١) Yu Bai , Yanju_, **The Legacy Of Imperial China—Evidence From The Great Wall** Rechearch Gate press , 2022, P 7.

(٣٢) Dingxin Zhao,**The Rise Of The Early Chinese Empire And Patterns Of Chinese History**, P.44.

(٣٣) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي**...، ص ١٩٢.

الملكيات الإقطاعية الكبيرة، واتُّخِذَ الكثير من الإجراءات والتدابير الإدارية، لتوطيد دعائم الحكم المركزي، وعُمل إحصاءٌ تفصيلي للبلد ككل، يشتمل على تسجيل عدد المنازل ورؤساء العائلات، واسم كل مواطن وسنه ومسقط رأسه، وكان مثل هذا الإجراء ضروريًا لفرض ضرائب الرؤوس، والعمل الإجباري، والخدمة العسكرية بشكل فعال، وسُجّلت اثنتا عشرة مليون أسرة في الصين، بلغ إجمالي عددها حوالي (٥٩،٥ مليون فرد)[٣٤].

وترجع أهمية تلك الإحصاءات في كونها المرشد الأمين للوزراء ومن ثم الإمبراطور في تحديد الضرائب المفروضة على كل فرد في البلاد, وكذلك في تحديد أعداد السكان الصالحين للعمل الإجباري لحساب الدولة في مشاريعها الكبرى, وكذلك في تحديد أعمار الذكور البالغين القادرين على الخدمة العسكرية في الجيش الإمبراطوري [٣٥].

وامتدت المملكة الوسطى (مملكة تشين) تحت حكم الإمبراطور الأول شي هوانغ دي من التلال السفحية للهضبة المنغولية إلى حوض نهر اليانغتسي، إذ اندفعت جيوشه جنوباً لإخضاع المناطق الشمالية لفيتنام الحالية، والمناطق الساحلية قرب كانتون[٣٦].

وعمل الإمبراطور العظيم بعد أن وحّد الصين على إتمام الأسوار التي كانت مُقامة من قبل عند حدودها، وربطها بعضها ببعض، وقد وجد في أعدائه المُقيمين في داخل البلاد موردًا سهلًا يستمد منه حاجته من العمال، لتشييد ذلك البناء العظيم؛ رمزًا لمجد الصين ودليلًا على عظيم صبرها[٣٧].

ولم تكن هنالك نقطة تطور وتحول في التاريخ الصيني أكثر حُسماً من عام ٢١٠ ق.م, الذي كان في كثير من النواحي بمثابة نقطة الانطلاق لثورة اجتماعية وسياسية وتعَدُّ الأكثر دراماتيكية في تاريخ البشرية, ومع ذلك لم يكن أي منها يتضمن توازناً أكثر دقة بين العوامل السياسية والشخصية غير المستقرة[٣٨].

---

[٣٤] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ترجمة: أشرف محمد كيلاني، المشروع القومي للترجمة والنشر، (القاهرة – ٢٠٠٢) ، ص ص ٥٩- ٦٠.

[٣٥] فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي**...، ص ١٩٢.

[٣٦] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٦٠.

[٣٧] ول وايرل ديورانت، **قصة الحضارة**... المجلد الأول،ج٤، ص ٩٨.

[٣٨] Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.6.

وباتباع إمبراطور تشين المنهجيات القانونية بحذافيرها، كان حكم تشين قاسيًا لدرجة أثارت سلسلة انتفاضات في أرجاء الصين كافة، أدت في النهاية إلى انهيار سلالة تشين بعد موت الإمبراطور الأول عام ٢١٠ ق.م[٣٩].

إن سقوط أسرة تشين السريع كان نتيجة لعوامل متعددة؛ فالموت المفاجئ للإمبراطور الأول" شي هوانغ دي" عام ٢١٠ ق.م، واغتيال رئيس الوزراء "لي سي" عام ٢٠٨ ق.م، وكثرة المؤامرات في القصر، والقيود المفروضة على الفلاحين وثوراتهم، والمشاعر المعادية لتشين من الشعوب المهزومة، كلها أدت إلى انهيارها, هذا فضلاً عن ثقة تشين المفرطة بقدراتها التنظيمية وأساليب حكمها القاسية، ومشاريعها الاجتماعية الطموحة التي أثارت معارضة واسعة، مما مهد لقيام أسرة هان في الصين.

المبحث الثاني – سقوط إمبراطورية تشين وصعود أسرة هان

أولا– سقوط إمبراطورية تشين ٢٠٦ ق.م

اهتم الباحثون كثيراً في دراسة الانهيار السريع لإمبراطورية تشين, لأن من الصعب العثور على مثال لإمبراطورية قوية ومتقدمة مثل تشين, تتراجع بهذه السرعة وبمدة قصيرة جداً من الزمن, هذا ما جعل من سقوط إمبراطورية تشين العظيمة مثالاً جيداً ومهماً للغاية, لدراسة الأسباب التي تجعل من النظام الذي يبدو فعالاً ومتطوراً ينهار بهذه السرعة[٤٠].

ففي عام ٢٢١ ق.م, قام شي هوانغ دي(始皇帝)(٢٥٩ – ٢١٠ ق.م) – الإمبراطور الأول لتشين– بتوحيد الممالك الستة, وأسس أول إمبراطورية إقطاعية ديكتاتورية موحدة تتمتع بالسلطة المركزية في تاريخ الصين[٤١] .

وكان الضعف الأكثر وضوحاً في تلك الإمبراطورية، تمركز حول "شي هوانغ دي" هو أن سلطته وشخصيته هي التي أبقت الصين موحدة, لقد نجا من العديد من محاولات الاغتيال، لكن موته وتفكك إمبراطورتيه كانا بمثابة تهديد كبير , ولعله قلَق من ذلك، إذ أصبح

---

[٣٩] فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي**...، ص ١٩٢.

[٤٠] Sunxiaozhong Liu , **Exploring The Reasons For The Rapid Demise Of Qin Dynasty**, International Conference On Advances In Social Sciences And Sustainable Development , (Hong conk– 2022) , No 3 , P 272.

[٤١] Maria Khayutina , **Qin The Eternal Emperor And His Terracotta Warriors**, P 117.

مهووساً بإيجاد طرق لإطالة عمره وتحقيق الخلود, فقد استعان بالكيميائيين والسحرة, وذهب في رحلات مع بلاطه بحثاً عن إكسير يمنح الحياة. وفي النهاية، فإنَّ رغبته في العيش إلى الأبد هي التي قتلته, لقد مات وهو يتناول خليطاً ساماً على أمل أن يمنحه الخلود(٤٢).

لدراسة أسباب الانهيار السريع لإمبراطورية تشين، لابدّ من تحليل النظام السياسي الذي اعتمدته؛ فبعد توحيد الصين على يد تلك الأسرة، واصل إمبراطورها الأول تطبيق مبادئ المدرسة الشرائعية (القانونية) التي أثبتت فاعليتها منذ إصلاحات الأمير شانغ يانغ(361-٣٣٨ ق.م), وذلك بهدف حماية مصالح طبقة ملاك الأراضي الجدد, وتعزيز مشروع توحيد البلاد, وترسيخ السلطة المركزية(٤٣).

وقدم إمبراطور تشين الأول مؤازرة حماسية لإقامة أول نظام سياسي ديكتاتوري للحكام على أساس القانون, وحُكم الدولة والقوة, فضلاً عن تأسيس نظام مركزي يهيمن على السلطة من خلال الاضطلاع بالنظام الإقليمي الواقع تحت السيطرة المباشرة للبلاط الملكي, بدلاً من نظام الأنساب السابق المتبع في أسرة تشو(٤٤), وأدرك رئيس وزراءه لي سي ببراعة المناخ السياسي الجديد في تشين, لأنه كان هو من أوجده؛ فقد ألغى النظام الإقطاعي القديم الذي ساد في الصين، واستبدله بنظام بيروقراطي عسكري محكم تمحور حول شخص الإمبراطور وربطه بسلطة إلهية(٤٥).

ولم تكن مهمة لي سي تبرير الاستيلاء على الممالك الستة وإخضاع الشعب الصيني لسلطة تشين فحسب، بل كان عليه أيضًا, إعادة بناء الأقاليم التي دُمِّرَتْ أثناء الحرب الشاملة(٤٦). ولضمان استقرار أسرة تشين الوليدة وديمومتها، كان من الضروري إحداث تحول

---

(٤٢) Saylar Url, **The Qin Dynasty**, The Saylar Foundation Press , P 1-4.

(٤٣) Sunxiaozhong Liu , **Exploring The Reasons For The Rapid Demise Of Qin Dynasty** , P 273.

(٤٤) Robert Eno , **THE QIN DYNASTY** , P.3.

(٤٥) Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.7.

(٤٦) وقعت الحرب الشاملة في الصين بعد عام ٤١٩ ق.م بعد غزو دولة وي لدولة تشين, وحدث ان دخلت الصين بأكملها في أتون الحرب الأهلية الشاملة في عصر الممالك المتحاربة, وانتهت عام ٢٢١ ق.م بتوحيد الصين في مملكة واحدة لمزيد من المعلومات عن هذه المدة ينظر :

Victoria Tin – Bor Hui, **War And State Formation In Ancient Chine And Early Modern Europe** Cambridge University Press, (New York – 2005), P. 60. Mark

جذري في الولاءات التقليدية؛ فلم يعد يكفي الولاء للأسرة الحاكمة، بل أصبح لزامًا على جميع الأفراد، على اختلاف طبقاتهم ومواقعهم، أن يدينوا بالولاء المطلق لدولة تشين ككيان موحد، ولإمبراطورها الأول بشكل خاص. ذلك الشرط لم يكن مجرد مطلب شكلي، بل كان حجر الزاوية في بناء نظام حكم مركزي قوي، يهدف إلى القضاء على الولاءات المحلية والقبلية التي طالما مزقت الصين(٤٧) .

ومن أجل فرض هيمنته على الشعب, عمد شي هوانغ دي بدفع من " لي سي" إلى حظر التعليم الخاص, وإقصاء المدرستين الكونفوشيوسية والطاوية, وإجبار الناس على التعليم العام, ومن مسؤولين في البلاط الإمبراطوري وإلزامهم باتباع المدرسة القانونية, وارتكب الحادثة التاريخية البشعة المشهورة من حرق الكتب, ودفن علماء الكونفوشيوسية أحياءً(٤٨).

للسيطرة على عقول الشعب لابد من التوجه إلى الأفكار, وإنَّ الحرب على الأفكار تتم عبر قطع مصادرها, لذلك أمر شي هوانغ دي بحرق الكتب والمآثر الدينية والأدبية والفكرية في الصين كافة عدا سجلات تشين(٤٩). وإنَّ تدبير حادثة إحراق الكتب ودفن علماء الكونفوشيوسية أحياء ليس عملاً عارضاً إطلاقاً, بل يُعّد نتيجة قيام إمبراطور تشين الأول بنشر الاستبدادية المركزية التي نادى بها "لي سي", وكما يعد تجسيداً للسياسة الديكتاتورية المقيتة لهذا الإمبراطور, فضلاً عن إماطة اللثام عن طبيعته الوحشية منذ بدايته الأولى في حكم تشين(٥٠).

عُرفت نظرية "لي سي" الاستبدادية في التقيد بالقانون, وثمة دليلاً يبّين كيف أصبحت قوة هذا النظام الجديد مطبقة, وأنَّ الإمبراطور الأول شرّع قانوناً صارماً على الشعب عندما

Edward Lewis , **Warring State Political History From The Cambridge History Of Ancient China** , Cambridge University Press , (Cambridge: 1999), P. 59.

(٤٧) Victoria Tin – Bor Hui, **War And State Formation In Ancient Chine And Early** P.103.

(٤٨) Gideon Shelach And Elt, **Birth An Empire The State Of Qin Revisited**, University Of California Press, (USA – 2014), Pp. 113-141.

(٤٩) Herrlee G. Creel. Shen Pu-Hai: **A Chinese Political Philosopher Of The Fourth Century B. C ,** P 140.

(٥٠) Handout , **Ancient China** , Constitutional Rights Foundation , P 72

اتبع المذهب السياسي للمدرسة القانونية ولمشرعها لي سي, وتَكَشَّفَ أمام العيان بصورة سافرة ومفضوحة استبداده وقمعه واستغلاله للشعب(٥١).

وتم العثور على الواح تشتمل على قوانين أسرة تشين التي تتصف بالقسوة والوحشية, وعرفت أكثر من عشرين قانوناً ينص على كيفية إلقاء القبض على الأفراد وعلى وسائل العقاب البدني, مثل إخضاع الناس للإعدام والتعذيب وأعمال السخرة الشاقة, ويهدف ذلك كله إلى قمع الناس وتكميم أفواههم(٥٢) .

وسعى إلى تحقيق مآربه في توحيد الفكر وترسيخ أركان الحكم الاستبدادي، عبر فرض حظرٍ شامل على أفكار مائة مدرسة تتبارئ(٥٣) . لكن, النتيجة كانت مخيبة تماماً لأهدافه اذ سبّب الخراب والدمار للتراث الثقافي الصيني القديم, وأحبط التيار الاكاديمي التقدمي لأفكار "دع مائة مدرسة تتحاور" الذي شهده عصر الممالك المتحاربة(٥٤), وقد أعاق هذا النهج التطور الثقافي بصورةٍ شديدة، فضلًا عن إخفاقه في تحقيق غاياته المتمثلة في توحيد الأفكار وتعزيز السلطة؛ إذ أسهم، على العكس من ذلك، في تعميق الانقسامات داخل الطبقة

---

(٥١) Chun Fung Tong , **The Reformation Of Social Order In The Qin Empire**, Asia Major (2023) 3d Ser. Vol. 36, P. 103. Dark Bodde, **China's First Unifier – A Study Of Chin Dynasty As Seen – In The Life Of Le Ssu (280 – 208 BC)**, Prill Press, (1938), P.22.

(٥٢) Michael Lüdke , **Professional Practice: Law In Qin And Han China** , P 40.

(٥٣) إنَّ سنوات العُنف الشديدة في أواخر عصري الربيع والخريف والدويلات المتحاربة(٤٥٦-٢٢١ ق.م)، أنتجت أحد أعظم الاندفاعات الفكرية في تاريخ الصين القديم، وتسبب الانزياح الاجتماعي الشديد، جراء الحروب المستمرة، بقدر معتبر من التأمل، والتفكر في القضايا السياسية والأخلاقية، فظهر مفكرون أمثال: (مو تسوه، ومانشيوس، وسن تزو، وهان في تزو، وشون زي وشانغ يانغ ولي سي)، وهؤلاء شكّلوا نماذج جديدة في الفكر الصيني القديم , فسمي عصرهم بعصر الـ (مائة مدرسة فكرية)، في بداية حقبة الدويلات المتحاربة (٤٥٣ – ٢٢١ ق.م). ينظر:

Mark Edward Lewis , **Warring State Political History From The Cambridge History Of Ancient China**, P. P.588 -594.

Gideon Shelach And Elt, **Birth An Empire The State Of Qin Revisited**, Pp. 120.

(٥٤)

الحاكمة، وأفضى إلى إضعاف بنية الحكم في دولة تشين، مما عجّل بانهيارها واندثارها بتلك السرعة [٥٥].

يصف المؤرخ سيما تشيان(司馬陳) الإمبراطور الأول في مقطع شعري ساخر بأنه "**رجل ذو انف بارز وعينين واسعتين وصدر طائر وجارح ووجه ابن آوى, وهو لا يعرف الإحسان وله قلب نمر أو ذئب**". وُيْنَقلُ عنه, أن الإمبراطور كان غامضاً وبمعزل عن الناس, ويعيش في سرية يلفها الِحرص والحذر, اذ استبد به الخوف من أنْ يُغْتَالُ, وكان يتنقل من غرفة لأخرى في قصوره العظيمة دون أنْ يعلم بمكان تواجده سوى القلة القلية من خصيانه فقط[٥٦].

لكن, نادراً ما يموت الحكام في الصين لأسباب طبيعية, الحوادث أو محاولات الاغتيال لا يسجلها التاريخ في الصين, لكن السبب الحقيقي وراء حريق عربة الإمبراطور عام ٢١٩ ق.م لا يشكل أي فرق بالنسبة للإمبراطور, فالأعداء كثر, إنَّهم أعداء غَيْرَ مرئيين, أعداء من الداخل فلجأ إلى الانسحاب أكثر إلى عالمه الخاص[٥٧].

وفي تلك الأثناء, بدأ اتصال الإمبراطور بالواقع يقل أكثر بسبب استخدامه لمادة الزئبق, فزادت الجرعات خلال السنوات الأخيرة من عمره, فزادت رغبته بالخلود إلى هاجس كبير, وفشل الأكسير في أنْ يصبح حقيقه, لكن بعيداً عن إطالة حياته, ظهر عليه نقيض ما كان احد يرغب به؛ هو الجنون[٥٨].

وبعد سبع سنوات على بدء شي هوانغ دي بحثه عن الخلود بدء الزئبق يسمم له جسمه وعقله أيضا, فضلاً عن الأعضاء الأخرى, وراحت كليتاه تضعفان, فعرف أن الوقت يكاد أنْ ينفذ, ولم يبقى إلا مكان واحد يلجأ إليه لينقذ نفسه, "**ها أنا أيتها السماوات ابنك الإلهي يتكلم**

---

(55) Sunxiaozhong Liu , **Exploring The Reasons For The Rapid Demise Of Qin Dynasty**, p273.

[٥٦] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٦٦.

[٥٧] Robert Eno , **THE QIN DYNASTY** , P.19.

[٥٨] Reza Afshari , **Mercury Poisoning, Emperor Qin Shi Huang And His Terracotta Army BC**, Toxicology News Monthly Bulletin BCTOX 2019 Jan 1 , No 4 , P. 424.

أترين..., إنني وحدت العالم كله تحت امرتي أنا, لكن في يوما ما ســـأرحل, اعطني تلك القوى الإلهية لكي ابقى"(٥٩).

وفي عام ٢١٢ ق.م، انطلق شـــي هوانغ دي في رحلةٍ إمبراطورية، غير أنّ هذه الرحلة جاءت مغايرة لما ســـبقها؛ إذ إنّ الأمة التي كانت مزدهرة وقوية غدت أمةً فاســـدة، تعاني الحرمان نتيجة المشاريع الكبرى التي أشرف عليها لي سي، فيما عمّت المجاعة أرجاء البلاد, ولم يعد نظام القانون يخضـــع إلا للأوامر العليا، وفي الوقت الذي كان فيه الإمبراطور غارقًا في عالمه الخاص، كان لي سي ماضياً في تطبيق نظرياته بلا رحمة, وقد تحولت هذه الرؤية إلى ما يشبه الهوس، ولم يكن أمام لي سي خيارٌ سوى التعامل معها بالطريقة نفسها(٦٠).

وتشـــير المدونات التاريخية إلى أنّ الإمبراطور بلغ جزيرة «زو فو» في ربيع عام ٢١٠ ق.م، وقد أصـبح في تلك المرحلة أسـيرًا لعالمه المتخيَّل، منفصـلًا عن واقع الدولة وشـؤونها. وهكذا رحل الحاكم الإلهي، ملك تشـــين، والمحارب العظيم، ليحلّ محلّه حاكمٌ منقاد لنزواته، مهما بدت غريبة، وكان تنفيذها يُعدّ أمرًا لا يقبل النقاش(٦١) .

في حين كان الإمبراطور يلهو في عالمه الخاص باصـطياد السـمك السـماوي في «زو فو»، كان لي ســـي يخطط لما ســـيفعله بمملكته ما أنْ ينتهي جســـده كما انتهى عقله. وكان الابن الأكبر للإمبراطور خلفه الطبيعي، ومعروفًا بقوته وصـــلابته في الإرادة مثل والده، لكن لي سي كان يرى العكس؛ فهو لا يريد مجنونًا آخر يتربع على عرش الإمبراطورية(٦٢) .

وفي طريق العودة من السـاحل، مرض شـي هوانغ دي، وسـارع بالعودة إلى عاصـمته, فَكَتبَ لابنه البكر من يخلفه إمبراطوراً ثانياً، لكن الموكب الإمبراطوري لم يصـــل إلى البلاط, انتهى البحث عن الخلود، وخسرت الإمبراطورية العظيمة صـانعها. توفي شـي هوانغ دي عن

---

(٥٩) Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.11-12.

(٦٠) Sunxiaozhong Liu , **Exploring The Reasons For The Rapid Demise Of Qin Dynast** , P 274.

(٦١) Robert Eno , **THE QIN DYNASTY** , P.23.

(٦٢) Chun Fung Tong , **The Reformation Of Social Order In The Qin Empire**, P 113.

عمر يناهز الخمسين عامًا، وأصبحت البلاد بلا قائد, وتلك اللحظة التي طالما انتظرها لي سي، فقرر إبقاء خبر وفاته سرًا ليمنح نفسه الوقت لوضع خططه قيد التنفيذ(٦٣) .

ولم يكن اكبر أبناء الراحل شي هوانغ دي واحداً من القانونين المخلصين اذ عارض سابقاً على سبيل المثال الإجراءات الصارمة مثل إحراق الكتب, وتآمر لي سي مع احد الخصيان والذي يدعى شاو كاو للتخلص من هذا الأمير الذي دفعته المؤامرة للانتحار, وورث (اير شي) الضعيف الابن الثاني العرش(٦٤).

وزادت معاناة الناس وبؤسهم في ظل حكم الإمبراطور الثاني (اير شي دي- 胡亥) (٢١٠ – ٢٠٧ ق.م) وارسل البالغين من الذكور بمئات الألوف لحماية الحدود أو السخرة وأوكل النساء حرث الأرض وحدهن أو القيام بأعمال النقل, وعدّ الإمبراطور الثاني الشدة والقسوة اختياراً جيداً لولاء الموظفين, وفي عهده حكم على أعداد كبيره من الناس بالسخرة, وعوقبوا بالتعذيب حتى الموت, وكان المهرب الوحيد من ذلك الفرار إلى الجبال أو الغابات أو المستنقعات والعيش خارجين على القانون(٦٥).

ولم يكن هناك تطور أكثر أهمية من عام ٢٠٨ ق.م، الذي شكّل في كثير من النواحي نقطة الانطلاق لثورة اجتماعية وسياسية من بين الأكثر دراماتيكية في تاريخ الصين القديم، إذ أُعْلنَ في عام ٢٠٨ ق.م مقتل الوزير الأعلى لتشين ورئيس وزرائها الأعظم، لي سي، نتيجة اغتيال نفذه الخصي شاو كاو(٦٦) .

لقد رحل لي سي على أمل أن تنتهي الاستبدادية المقيتة التي كان ينتهجها، ولكن بموته لم تُسقط قوانينه الظالمة فحسب، بل انهارت مملكة تشين واختفت من مسرح الأحداث، كأنها لم تكن يومًا أقوى وأعظم إمبراطورية عرفتها الصين(٦٧) .

ثانيا – ثورة الفلاحين الكبرى ٢٠٩-٢٠٨ ق.م

---

(٦٣) Robert Eno , **The Qin Revolution And The Fall Of The Qin** , P.16.

(٦٤) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص 68.

(٦٥) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص 68.

(٦٦) Saylar Url, **The Qin Dynasty**, P 3.

(٦٧) K. E. BRASHIER, **SIMA QIAN, The First Emperor**, Oxford World's Classics Press, (New York – 2007) , P 24-35.

في خضـم تلك الاضـطرابات في تشـين بعد اغتيال لي سـي, كانت إجراءات الحكومة بقيادة (شـاو كاو- 鬆獅) جائرة على شـعب الإمبراطورية ومهيأة كل قوانينها للحرب وليس للسـلام, وأثقلت كواهل الفلاحين بالضـرائب الباهظة والسـخرة الدائمة[٦٨]. وبالرغم من أنَّ الصـينيين كانوا يزرعون بجد وينسـجون بلا توقف؛ فلم يكن لديهم ما يكفي للطعام أو الملبس, وكان قانون دولة تشين صارماً, وكان الناس عرضة للعقاب في أي لحظة بالسجن أو الإعدام, وغالباً ما كان عقاب الفرد يطال أسرته وإدانة أحد الأسر تطال جيرانها[٦٩].

وفي أعقاب تلك القوانين الجائرة أمر الإمبراطور الثاني لتشـين (تشـين اير شـي) في عام ٢٠٩ ق.م بتجنيد المزيد من الرجال لحماية الحدود, وحدث ان تعرَّضـت احدى جماعات الفلاحين وكانت تتألف من حوالي ٩٠٠ رجل لأمطار غزيرة أعاقت مسـيرتهم وجعلت تقدمهم أمراً مسـتحيلاً, وطبقاً للقانون؛ فقد كان الإخفاق في الوصـول إلى المكان المحدد في الموعد المحدد يعني عقوبة الإعدام, وهو ما دفع اثنين من هذه الجماعة, وهما (تشـين شـنغ) و (وو كوانج) إلى قتل الضابط المسؤول قبل ان يطالبا بقية رفقاهم بالثورة[٧٠].

وعندما أجمع الجنديان (تشين شنغ) و (وو كوانغ) على الثورة, تقدم تشين تشنغ مخاطباً الفلاحين "**ان الـذهـاب إلى يو بيـانـغ يؤدي إلى الموت, والهرب يؤدي إلى الموت, والتمرد يؤدي إلى الموت على الأكثر, وأظن ان الموت في التمرد افضـــل...**"[٧١], فتحمس الجميع ورفعوا راية الانتفاضة, وكان سلاح الفلاحين الهراوات, لكنهم اقسموا على الإطاحة بحكم أسرة تشـين, وهكذا اشـتعل في (داتشـهشـيانغ) لهيب أول حرب فلاحية في تاريخ الصـين[٧٢]. وقد تردد صـدى دعوة المجند تشين تشنغ بعيداً وعلى نطاق واسع في أرجاء الإمبراطورية, وكانت أول ثورة من الثورات العظيمة المتلاحقة التي قام بها الفلاحون والتي ظلت سـمة مميزة لتاريخ

---

[٦٨] Edgar Kiser & Yang Cai , **War And Bureaucratization In Qin China** , Exploring An Case , American Sociological Review , (New york -2003) P 511.

[٦٩] Robert Eno **, The Laws Of Qin**, Indiana University, History Reading ,No 380, 2010, P.1-8.

[٧٠] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٦٨-٦٩.

[٧١] نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , الجزء الأول , سلسلة سور الصين العظيم للكتب ,مجلة بناء الصبن , (بكين – ١٩٨٦), ص٣٤.

[٧٢] المصدر نفسه, ص٣٥.

الصـــين حتى القرن العشـــرين, وعبر قرون لم يجد الفلاحون أمامهم من ملجأ للتخلص من معاناتهم سوى الثورة(٧٣).

وقد استولت قوات الانتفاضـة على داتسـهشـيانغ ثم على مقاطعة تشـيشـيان وعدد من حواضــر المقاطعات المجاورة, وانَضَــمَّ اليها الفلاحون أفواجاً, ولم يمض إلا شــهر واحد حتى أصبحت قوة كبيرة تتألف من ستمائة أو سبعمائة عربة حربية, واكثر من ألف فارس وعشرات الألاف من المشـاة, وكانت الانتفاضـة تتعاظم وتتقدم حتى احتلت محافظة تشـنشـان, وأقامت أول سلطة فلاحية في تاريخ الصين(٧٤).

وانَضَمَّ الكونفوشيوسيون والموهيون الذين كانوا يبغضون دولة القانونين وكذلك اللوردات الإقطاعيين الذين نُزِعَتْ ملكياتهم إلى الثوار الذين انتخبوا تشـين تشـنغ ملكاً وشـكلوا حكومة, لكن حدث ما كان متوقعاً هو استغلال تلك الثورة من قبل السادة الإقطاعيين وإعلان استقلال مقاطعاتهم عن سـلطة تشـين وعدم الاعتراف بالثورة ونتائجها(٧٥), مما دفعا تشـن شـنغ و وو قوانغ بإيفاد المبعوثين إلى مناطق شـــمال النهر الأصـــفر وشـــبه جزيرة شـــاندونغ وحوض اليانغستي الأوسط للعمل على تطوير قوة المعارضـة لأسرة تشين؛ فهب الفلاحون في معظم محافظات هذه المناطق لقتل الولاة والمحافظين والاســتيلاء على الحواضــر الهامة, ثم كلف تشن شنغ صاحبه وو قوانغ بقيادة الهجوم على شيغيانغ, وهي مدينة عسكرية هامة, وعهد إلى قائد آخر اسمه تشو ون بقيادة الهجوم على قوانتشونغ في مركز الدولة. في طريق زحفه اليها, عمل تشــو ون على زيادة قواته فأنضــم اليها عشــرات الألوف من المحاربين, واندفعت القوة بسرعة حتى وصلت إلى مكان يبعد عن العاصمة شيانيانغ خمسين كيلو متر(٧٦).

وفي عام ٢٠٨ ق.م, بلغت أنباء هذا الزحف الكبير الإمبراطور الثاني؛ فاســتولى عليه الذعر والارتباك, ولعدم قدرته على تجميع قواته بالســرعة المطلوبة, ســلح العاملين في بناء الضــريح, وكلف قائده تشــانغ هان بقيادتهم في الهجوم المضــاد, وجرت معارك طاحنة لمدة

---

(٧٣) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٦٩.

(٧٤) نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , الجزء الأول , ص٣٥.

(٧٥) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٦٩.

(٧٦) نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , الجزء الاول , ص٣٥.

شـهرين أسـفرت عن هزيمة تشـو ون وقتل وو قوانغ على يد احد المتآمرين, وبالتالي خسـرت الثورة احد قادتها الكبار(٧٧).

وبعد مقتل القائد وو قوانغ تدارك الموقف القائد (تشـن شـنغ) بقيادة قواته لمجابهة هجوم تشين المضـاد, وحقق انتصـارات باهرة, وأنجز (تشن شنغ) إحدى أهم العمليات العسكرية في تاريخ الثورة ونجح في تحقيق واحدة من أعظم الأهداف العسكرية لها بوقف زحف قوات تشين، وإذا كانت الانتصـارات الباهرة تبتلع صـانعيها في غالب الأحيان، فإنَّ قائد هذه العملية خضـع لهذه القاعدة أيضـا فالعودة المظفرة، على الرغم من الحفاوة التي نالها القائد العظيم تشن شنغ، كان سـوء الحظ متربصًـا به، إذ اغتاله سـائق عربته بدفع من قوات تشـين, لتخسـر الثورة مؤسسها الثاني(٧٨). وعلى الرغم مما آل إليه مصير القائدين العظمين للثورة، وو كوانغ وتشن شـنغ فإنَّ هذا الإنجاز قد تحقق فيما بعد، بفعل القيادة الكفوءة للضـابط ليو تشـن الذي شـن هجوماً مضـاداً على قوات تشين واسـترجع محافظة تشـنشيان واعدم الخائن الذي اغتال تشن شنغ, ثم اتحد مع فصائل أخرى من الثائرين لمواصلة القتال(٧٩).

ثالثا – الصراع بين هان وتشو ٢٠٦ – ٢٠٢ ق.م

(٧٧) المصدر نفسه , الجزء الاول , ص٣٥.

(٧٨) Victoria Tin – Bor Hui, **War And State Formation In Ancient Chine** , P 106.

(٧٩) Gideon Shelach And Elt, **Birth An Empire The State Of Qin Revisited**, , Pp. 113-141.

على الرغم من مقتل تشن شنغ و وو قوانغ عام ٢٠٧ ق.م, وتمكن قوات تشين من سحق الانتفاضة فأن جذوة الثورة الفلاحية التي قاداها لم تخمد, بل تعاظمت بمرور الأيام وانتهت إلى ظهور قوتين جديدتين ليو بانغ (劉邦)[٨٠] وشيانغ يوي(張宇)[٨١] .

وعلى إثْر ذلك, اندلعت العديد من الثورات على التوالي في جميع أنحاء الصين على مدى السنوات الثلاث التالية, وادعت العديد من قوات المتمردين أنها تستعيد الممالك الست السابقة, وظهر مطالبون بعروش تلك الممالك، مما أدى إلى تشكيل العديد من الدويلات والممالك المستقلة وكان عددها ثمانية عشر مملكة, ودخلت بعد ذلك في حالة حرب فيما بينها[٨٢].

---

[٨٠] ينتمي ليو بانغ إلى أسرة فلاحية فقيرة وكان قد تولى منصب مسؤول حكومي منخفض المستوى في أسرة تشين الملكية, وهو منفتح الذهن وواسع الصدر, وكان منفيا داخل جبلي مانغ ودانغ بسبب الإفراج عن السجناء, وحشد ليو بانغ عام ٢٠٩ قبل الميلاد في بلدته الجماهير تجاوبا مع انتفاضة فلاحية شنها تشن شنغ و وو قوانغ عام ٢٠٩ ق.م. وبعد ذلك، وصل ليو بانغ وجيشه إلى عاصمة مملكة تشين شيان يانغ وأسقط سلطة أسرة تشين الملكية, وبعد موته عام ١٩٥ ق.م اضفى عليه سيما تشان مؤرخ سلالة هان صفات الهيه, وانه قبل ان يكون إمبراطورا كان يحمل هالة ابن السماء وانه الموعود في توحيد الصين وإنقاذها من الطغيان, واصبح فيما بعد احد الاله الخمسة في لاهوت هان الغربية. ينظر:

Yansu Lu, **The Mythology Of Liu Bang In Shiji And Western Hanelites** , Advances In Social Science, Education And Humanities Research, Vol 664 , (ICHSSR- 2022) , P 2091.

[٨١] ولد شيانغ يو في تشو عام ٢٣٢ ق.م وكان قائدا عسكريا بارزا وسياسيا ماهرا, وفي أواخر عهد تشين عام ٢٠٨ انتفض ضد السلالة الحاكمة وهو لم يبلغ من العمر سوى ٢٤ سنه, وقد حقق انتصارات باهرة لا مثيل لها, وحصل على لقب دوق لو من قبل الملك هواي الثاني ملك تشو, وبعد سقوط إمبراطورية تشين عام ٢٠٦ ق.م اعلن نفسه الملك المهيمن على تشو الغربية ودخل في صراع طويل مع ليو بانغ انتهى بانتحاره سنة ٢٠٢ ق.م ينظر:

Ke Xiang , **Reproducing The Chinese Ancient Heroic Figure "Xiang Yu" Using 3D Graphics Technology** , Thesis Documentation For The Master Of Fine Arts **China**- Degree , 2014 , P 4

Sharaealika License , **Chu – Han Contention** , By Using Terms Of Use , 2021 , .

[٨٢] P 2

في عام ٢٠٦ ق.م، استسلم آخر إمبراطور لتشين زينغ دي (٢٠٧-٢٠٦ ق.م) إلى ليو بانغ، مما أدى إلى نهاية أسرة تشين[٨٣], ومن بين جميع القوى المتمردة، كانت أقوى قوة هي مملكة تشو, وحصل شيانغ يو، على دعم العديد من قادة المتمردين الآخرين بعد انتصاره في معركة جولو[٨٤]، وعمل زعيماً فعلياً للقوات المتمردة عند انهيار أسرة تشين، فقسم شيانغ يو إمبراطورية تشين إلى ثماني عشرة مملكة، يحكم كل منها ملك تابع، وأعطى الملك هواي الثاني ملك تشو لقبًا أكثر تشريفًا، "الإمبراطور يي تشو"[٨٥] .

وأعلن شيانغ يو نفسه "الملك المهيمن" على منطقة "تشو الغربية"، وحكم تسع مقاطعات كانت تابعة سابقًا لأراضي ليانغ وتشو، وجعل عاصمته في بينغشنغ (المعروفة اليوم بشوتشو), وقد عيّن شيانغ يو عددًا من الجنرالات المتمردين ملوك تابعين له، رغم أن هؤلاء الجنرالات كانوا في الأصل مرؤوسين لأباطرة آخرين، وكان من المفترض أن يظلوا تحت إمرة مرؤوسيهم الأصليين. فضلاً عن ذلك، مُنحت منطقة "تشيان شانغ" لثلاثة من جنرالات تشين المستسلمين، على الرغم من أن الأرض كانت مملوكة رسميًا لليو بانغ بموجب اتفاقية سابقة بينهم[٨٦]والتي نصت على أن الشخص الذي يغزو (زيان يانغ) أولاً سيحصل على لقب ملك, ومع ذلك, تم إرسال ليو بانغ إلى منطقة باشو النائية (في سيتشوان الحالية) ومنحه لقب "ملك هان"[٨٧].

---

[٨٣] K. E. Brashier, **SIMA QIAN, The First Emperor**, P 114.

[٨٤] وقعت هذه المعركة في قلب عاصمة إمبراطورية تشين عام ٢٠٧ ق.م بين قوات المتمردين بقيادة شيانغ يو وليو بانغ وقوات تشين وكسب المتمردون هذه المعركة وعلى اثرها قسمت إمبراطورية تشين إلى ثمانية عشر مملكة وقتل إمبراطور الثالث لتشين (زينغ تشين) مع كافة أفراد عائلته من قبل المتمردين ينظر: نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الاول, الدار العربية للعلوم الناشرين , ٤٦ , ص١٧٨.

[٨٥] Ke Xiang , **Reproducing The Chinese Ancient Heroic Figure "Xiang Yu" Using 3D Graphics Technology** , P 4.

[٨٦] Robert Eno , **THE Rise Of The Han**, Indiana University, History Reading , G380 , 2010 , P.2.

[٨٧] Grant Hardy And Anne Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China**, Greenwood Press ,(London -1984) , P 17.

بعد وصوله إلى باشو، أمر ليو بانغ بتدمير الطرق المؤدية إلى المنطقة كإجراء احترازي ضـد أي هجوم محتمل من الخلف، ولإيهام شـيانغ يو بأنه لا ينوي مغادرة باشـو. في الوقت نفسه، كان تيان رونغ، مستشار تشين، غير راضٍ عن تقسيم شيانغ يو لأراضـي تشين، فقام بالتمرد ضـد الملوك التابعين له في جياودونغ، المعروفين مجتمعين باسـم "تشـين الثلاثة" أو "الجنرالات الثلاثة"، وأعلن سيطرته على مناطق تشين وتشي وتشاو, وشعرت قوات شيانغ يو بالتهديد جراء هذا التمرد، فقاد جيشًـا لمهاجمة تيان رونغ، ما أدى إلى اندلاع معارك طاحنة بين الطرفين(٨٨).

وبينما كان شـيانغ يو بعيدًا لقمع التمردات في تشـي، اسـتغل ليو بانغ الفرصـة لمهاجمة تشين في منطقة غوانتشونغ, فقد أمر جنرالـه هان شين قواته بالتظاهر بأعمال إصلاح الطرق، بهدف خداع تشـانغ هان، ملك يونغ، ومن ثم التسـلل سـريًا وبسـرعة عبر تشـينكان, وتمكنت قوات هان شـين من الوصـول إلى أسـوار المدينة بشـكل مفاجئ، محققة انتصـارًا كبيرًا على قوات يونغ(٨٩).

شرع ليو بانغ في غزو لونغشي وبيدي وشانغجون مستفيدًا من هذا النصر الذي تحقق في يونغ، وعند سماع أخبار هجمات ليو بانغ، أرسل شيانغ يو جيشًا إلى يانغشيا لاعتراض جيش هان، وعين تشنغ تشانغ ملكاً على مملكة يان لمساعدته في تغطية جناحه في يان(٩٠).

بعد إنشـاء قاعدته في جوانتشـونغ في عام ٢٠٥ ق.م، تقدم ليو بانغ بقواته شـرق ممر هانغو لغزو منطقة خنان, ونتيجة لتلك المعارك اسـتسـلم سـيما شـين (ملك سـاي)، ودونغ يي (ملك دي)، وشين يانغ (ملك هينان) إلى ليو بانغ بينما رفض تشنغ تشانغ الخضوع له ودخل معه في مناوشـــات عســـكرية لم تفضِ إلى الحســـم, وعندما تلقى ليو بانغ أخبارًا عن مقتل الإمبراطور يي من تشو بناءً على أوامر شيانغ يو، أقام حفل تأبين للإمبراطور، متهمًا شيانغ يو بارتكاب جريمة قتل الإمبراطور(٩١).

---

(٨٨) Sharaealika License , **Chu – Han Contention** , P 2.

Ke Xiang , **Reproducing The Chinese Ancient Heroic Figure Technology** , P 4-5.

(٨٩)

(٩٠) K. E. BRASHIER, **SIMA QIAN, The First Emperor**, P 115-116.

(٩١) Sharaealika License , **Chu – Han Contention** , P 3 .

استخدم لي بانغ تلك الحادثة كدعاية سياسية لتبرير حربه ضد تشو الغربية, وفي الشهر الرابع من عام ٢٠٥ ق.م، هزم شيانغ يو تيان رونغ في تشنغيانغ وقتله أثناء انسحابه إلى بينغيوان, وعلى الرغم من استسلام مملكة تشي لتشو، إلا أن شيانغ يو لم يسترضي الناس وبدلاً من ذلك سمح لقواته بنهب أراضي تشي . فقام تيان هنغ، الأخ الأصغر لتيان رونغ، بتثبيت تيان غوانغ (ابن تيان رونغ) على عرش تشي، واستمر في قيادة المقاومة ضد تشو. وفي هذه الأثناء، حشد ليو بانغ جيشًا قوامه حوالي خمسمائة الف عسكري بدعم من الملوك التابعين المستسلمين, وفي الشهر الثامن، سقطت عاصمة تشو بنغتشنغ (شوتشو الحالية) في أيدي قوات التحالف بقيادة ليو بانغ[٩٢].

عندما تلقى شيانغ يو أخباراً تفيد بأن ليو بانغ قد احتل بنغشنغ، قاد بنفسه حوالي ثلاثين ألف جندي لاستعادتها من قوات ليو بانغ وتمكن من هزيمته وإلقاء القبض عليه مع أفراد عائلته, وبعد هذه المعركة فقدت هان مكاسبها الإقليمية في تشو، وانشق معظم الملوك الذين استسلموا لهان في وقت سابق إلى تشو[٩٣].

في الشهر السادس من عام ٢٠٥ ق.م، تمكن ليو بانغ من الفرار, وعين ابنه ليو ينغ (إمبراطور هان المستقبلي هوي) وليًا للعهد, وبعد مدَّة وجيزة غزت قوات هان مدينة فيكيو (شينغبينغ، شنشي الحالية)، واشتبكوا مع قوات تشو الغربية والحقوا هزيمة بجيشها[٩٤].

ثم دخلت البلاد كلها في حالة حرب أهلية في غضون أشهر, واتبعت الحرب الأهلية مساراً معقداً, فقد كان هناك العديد من الملوك يتنافسون على مستويات مختلفة من السلطة، وكانت جيوشهم التي تتكون غالباً من مجندين وفلاحين، متنقلة للغاية وغير مستقرة[٩٥].

ومع تفكك إمبراطورية تشين فإنَّ الفرع القوي من سلالة تشين الحاكم قد اختفى، ولم يعد هنالك ملكًا واحدًا في البلاد، وكان ملك تشو الغربية يستعمل اللقب الإمبراطوري، لكنّ الحكام الآخرين ما عادوا يذعنون له، وقصّروا في فروض الطاعة والولاء، وتغاضت الممالك المحلية

---

(٩٢) Grant Hardy And Anne Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China**, , P 18.

(٩٣) Robert Eno , **THE Rise Of The Han**, P .6.

(٩٤) Grant Hardy And Anne, Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China** , P 19.

(٩٥) Robert Eno , **THE Rise Of The Han**, , P 3.

الطامحة التي قامت على الحرب والتوســـع عن المبادئ والقواعد الأخلاقية القديمة ودخلت بصراعات مريرة فيما بينها(٩٦).

وقد تنامت التقنية العســـكرية في المدَّة (٢٠٦-٢٠٢ ق.م)، وظهر توازن جديد في الحروب مكَّن الممالك من التنافس فيما بينها، ممَّا أدى إلى تبعات جديدة، وحدوث تغيرات في الدويلات الكبيرة، وبالنتيجة فإنَّ دولًا ضعيفة مثل دويلة وي وداي وتساو وتشين الثلاثة سرعان ما ســـقطت تحت احتلال الدويلات الكبيرة. وبفعل هذه التطورات, بدأت الحدود بين الدويلات المتجاورة تختفي؛ فصارت الدويلات الكبيرة مثل تشو وتشين فريسة سهلة لقوى عظمى جديدة، مثل مملكة هان، التي صارت جيوشها تُقدر بمئات الآلاف(٩٧).

ودفعت الكلفة العالية للحروب قادة الممالك المتحاربة إلى التفكير في مصـــادر تمويلها، وهذا الأمر كان مهمًا للقادة في مواصلة الحرب، ونتيجة ظهور القوة الرئيسة في الصين برزت سياسة اقتصادية ليس هدفها تحسين أحوال العامة, بل توفير كُلفة الحروب الباهظة(٩٨).

وتشكلت التحالفات بين الملوك والجنرالات بسرعة وتم حلها بنفس السرعة, بمرور الوقت انجذب المنافســـون الرئيســـيون لقوة شـــيانغ يو تدريجياً إلى قوات ليوبانغ زعيم هان, رغم ان شـيانغ يو كان يحقق الانتصـارات, فقد تفككت جيوشـه وتلاشـت تماماً, وعندما أدرك أخيراً أنَّه لا امل من العودة أقدم على الانتحار(٩٩).

يعطينا سيما تشان وصفا للصراع الأخير بين شيانغ يو وليو بانغ اذ يقول: "كان الوقت ليلاً عندما ســمع تشــانغ يو رجالا يغنون في معســكر العدو أغنية شــعبه وانتابه قلق شــديد وتساءل قائلا: "هل انضم رجالي جميعا إلى ليو؟" ثم نهض وامضى ليلته يحتسي الشراب في

---

(٩٦) Yuri Pines, **The Question Of Interpretation Qin History In Light Of New Epigraphic Sources**, Early China, No 29, 2004, P 38.

(٩٧) Dingxin, **The Rise Of The Early Chinese Empire And Patterns Of Chinese**, P.33.

(٩٨) Yongjin Zhang, **The Idea Of Order In Ancient Chinese**, P. 172.

(٩٩) Aaron Zhao, **Imagining Wu In The Han** , Submitted In Partial Fulfillment Of The Requirements For The Degree Of Master Of Arts , University Of Washington , (Washington- 2020) , P 12.

خيمته وكانت له زوجه جميله تدعى يو وفرس رائع يدعى دابل وراح يغني معبرا عن أحزانه [١٠٠].

"لقد اقتلعت قوتي الجبال, وسادت قواتي العالم, لكن الحظ تخلى عني

فلم يعد دابل قادرا على العدو, واذا كان دابل لم يعد قادرا على العدو

فماذا عساي ان أحقق؟ يو يو ماذا سوف يكون مصيرك[١٠١].

بعد وفاة شيانغ يو منتحراً، استسلمت بقية مناطق تشو الغربية لهان واتحدت الصين تحت حكم ليو بانغ, وأعلن نفسه "إمبراطوراً على الصين" وأطلق على سلالته اسم "هان", وقام ببناء عاصمته في لويانغ وعين زوجته لو هي إمبراطورته، و ابنه ليو ينغ وليًا للعهد[١٠٢]. وأطلق المؤرخون على أسرة هان الأولى اسم "هان الغربية", وذلك لان عاصمتها مدينة تشانغان كانت تقع في الغرب الصيني على نهر لو في مدينة لويانغ, وهي ذات الموقع لعاصمة مملكة تشو الغربية[١٠٣].

إن صعود ليو بانغ إلى سدة الحكم وتأسيسه لأسرة هان يعزى إلى مجموعة من العوامل المتضافرة؛ فبعد انهيار أسرة تشين، برز ليو بانغ قائداً فعالاً استطاع استثمار حالة السخط العام ضد السياسات القمعية لسلفه. وقد تميزت قيادته بالبراغماتية والقدرة على حشد الدعم الشعبي والعسكري، متفوقًا على خصومه، لا سيما شيانغ يو، في صراع القوى الذي أعقب سقوط تشين, هذا المزيج من الدهاء السياسي والمهارة العسكرية، فضلاً عن تبنيه لنهج حكم أكثر اعتدالًا مكنه من توحيد الصين وتأسيس إمبراطورية مستقرة ودائمة.

المبحث الثالث- التطورات السياسية في عهد أباطرة هان الأوائل (٢٠٢-١٧٩ ق.م)

أولا- الإمبراطور الأول كاو تسو(勝夫)(٢٠٢- ١٩٥ ق.م)

---

(١٠٠) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٧٠.

(١٠١) Robert Eno , **THE Rise Of The Han** , P.1.

(١٠٢) The Free Encyclop , **Live Of Emperor Gaozu Of Han** , 2014 , P 4.

(١٠٣) Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce**, Indiana University, History Reading, 2010 , P.1.

كان ليو بانغ أول رجل من عامة الشعب يتربع على عرش الصين, ومن المناسب, أنْ يسمى بالاسم الذي اطلقه عليه التاريخ الصيني "هان كاو تسو"(勝夫)[١٠٤]. وكان ابناً لفلاح, وقد تصادف ونقض قانوناً من قوانين تشين؛ فكان عليه أن يهرب خوفاً على حياته من عقوبة الإعدام, وصار فيما بعد رئيساً لعصابة من قطاع الطرق, فلما جاءت الثورة ظهر بوصفه واحداً من زعماء قادتها [١٠٥].

وفي عام ٢٠٢ ق.م, تمكّن من التغلب على خصمه شيانغ يو، مُعلِنًا توحيد الصين في إطار إمبراطورية واحدة متعددة الممالك، واتخذ لنفسه لقب الإمبراطور كاو تسو, وفي أول خطابٍ له، دعا إلى نقض القوانين الاستبدادية لأسرة تشين، والحثّ على العيش بكرامةٍ وحرية، إذ يقول:

"**الأخوة المواطنين..., لقد عانيتم طويلاً في ظل حكم تشين الاستبدادي, وكانت الشكوى العلنية مجلبة لعقوبة الإعدام, حتى كلمات الاعتراض العابرة كانت عقوبتها قطع الرأس, والآن فقد اتفقت أنا وغيري من النبلاء, على ان من دخل أرض الصين, أن يحكمها, لذا أتيت لأحكمكم ...., وهأنذا اتفق معكم على ثلاثة قوانين**"[١٠٦] وهي:

"**الموت عقابا لمن يقتل**

والقصاص العادل عقاباً لمن يلحق أذى بأحد

والقصاص العادل عقاباً لمن يسرق

أما بقية القوانين المعمول بها في (الصين) فسوف يبطل العمل بها"[١٠٧].

---

[١٠٤] ان اسم (كاو تسو) جاء في مدونات المؤرخ الكبير سيما تشان (شي جي) ويعني في اللغة الصينية الإله الأعلى أو السلف العظيم او (الإمبراطور جاو) وان اسمه العام كان ليو بانغ وتم حضر استخدام تسمية بانغ لأي شخص في الإمبراطورية احتراما للإمبراطور كاو تسو ولا يحق لأي عائلة ان تسمي أولادها بهذا الاسم في الصين بعد عام ٢٠٢ ق.م ينظر:

Robert Eno , **THE Rise Of The Han**, Indiana University, History Reading , 2010 , P.1.

[١٠٥] Grant Hardy And Anne Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China ,** Pp 16-17.

[١٠٦] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص 71.

[١٠٧] المصدر نفسه ، ص ٧٢.

وقد كان "كاو تسو" في أشد الحاجة إلى استمالة الشعب، وإنَّ من أهم الوسائل التي استعملها في الدعاية السياسية، تصوير نفسه وأسرته، على أنَّهم يعملون لصالح الأمة الصينية، ويهدفون لتحرير الشعب من حكام تشين الظالمين(١٠٨). وذلك بدلالة النص الذي جاء على لسانه:

بقدر ما نُعقّد الأشياء وبقدر ما نكثر القوانين, تنتشر المخالفات, وبقدر ما نحكم بقوة السلاح يزداد الخصوم, واذا كان الـ تشين قد فقدوا الملك, فهذا ليس لنقص في القدرة على إحلال النظام, وإنما لانهم عاملوا الناس بقساوة, وافرطوا في استخدام العقوبات" (١٠٩).

لذلك, لم يعمل كاو تسو على كسب ود الشعب بإعلان العفو العام, وتخفيف الضرائب, وتحرير العبيد وما إلى ذلك فحسب, وإنما أتاح للناس أيضاً في أوائل عهده بالنضال من اجل السلطة, وأنْ يكون لهم رأي محدود في الحكومة؛ فقرر أنه ينبغي على موظفيه أنْ يتشاورا بانتظام مع ممثلي الشعب لتوكيد رغباتهم وتلبية طلباتهم المشروعة(١١٠).

إنَّ عملية التحرير الطويلة ضد تشين, والحرب الأهلية بين هان وتشو قد استنزفت كميات مذهلة من الثروات الاجتماعية, فأحدثت ركوداً اقتصادياً في جميع القطاعات, وتضاعف سعر الغلال وازداد الشعب فقراً وجوعاً, حتى لم يكن هنالك أربعة خيول متشابهة الألوان لعربة الإمبراطور, ولمعالجة ذلك الانهيار الخطير, طرح "لو جيا" مستشار الإمبراطور, بأن الدولة بحاجة لنظام قانوني لاستقرارها, وتدعيم سلطاته(١١١).

وقد تم اتخاذ إجراءات عاجلة وفعالة لإصلاح الاقتصاد, وتشجيع الزراعة وتقديم العون للفلاحين, وكانت هنالك حاجة ماسة وعاجلة إلى مثل تلك الإجراءات, نظراً لما كانت عليه

---

(١٠٨) Grant Hardy And Anne Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China** , P 1.

(١٠٩) ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ترجمة محمد حمود , المنظمة العربية للترجمة , ص٣٥٦.

(١١٠) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص٢٣٨.

(١١١) نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , الجزء الاول , ص٣٧ ; هيربرت .أ. جايلز , **تاريخ الأدب الصيني** , ترجمة سامي مسلم , جامعة القدس للنشر, (رام الله – ٢٠١٧) , ص ١١٦.

الإمبراطورية من توقف في الإنتاج, وندرة في المال, وظل الفلاحون يخرجون للحروب, والكبار والصغار يُستخدمون لنقل الطعام(١١٢).

التنظيم الإداري والسياسي لإمبراطورية هان الغربية

تعد المرحلة المبكرة من أسـرة هان، التي بدأت عام ٢٠٦ ق.م، من الحقب الهامة في تطور الهيكل الإداري والسـياسـي للصـين القديمة, لقد خضـع النظام الإداري لتغييرات كبيرة سـاعدت في تعزيز سـلطة الحكومة المركزية وتوسـيع السـيطرة على الأراضـي الواسـعة التي كانت تحت حكم الإمبراطورية(١١٣). في هذا السـياق، سـنسـتعرض تفاصـيل التنظيم الإداري والسـياسـي في بداية سـلالة هان الغربية, وتحديداً تحت حكم الإمبراطور كاو تسـو مؤسـس الإمبراطورية.

ففي بداية حكم أسرة هان، قرر الإمبراطور كاو تسو (الذي حكم من ٢٠٦-١٩٥ ق.م) تقسـيم الإمبراطورية إلى 13 مقاطعة، وذلك بهدف تحسـين إدارة المناطق الواسـعة التي كانت تحت سـيطرته, كل مقاطعة تخضـع مباشـرة للحكومة المركزية، التي كانت ممثلة في البلاط الإمبراطوري، وكان هذا التقسيم يعمل على تسهيل التحكم العسكري والتحصيل الضريبي, وإلى جانب تلك المقاطعات الـ١٣، تم تشكيل عشر ممالك شبه مستقلة في المناطق الشرقية من الإمبراطورية، والتي كانت تحت حكم نبلاء محليين, هذا كان جزءًا من سـياسـة التوازن بين السـلطة المركزية والسـلطة المحلية، اذ كان الإمبراطور يهدف إلى ضـمان السـيطرة على المناطق من خلال تقوية الروابط مع النبلاء المحليين (١١٤).

لذلك اتبع سياسة "منح الأراضي" فكانت تلك السياسة واحدة من الأدوات الرئيسة التي اعتمد عليها الإمبراطور كاو تسـو لتأمين ولاء النبلاء المحليين وضـمان عدم تحدي سـلطته, وتم منح الأراضـي لأفراد من العائلة المالكة والنبلاء المتعاونين مع الإمبراطورية في تلك المرحلة، اذ كانت الأراضـي تُعَدّ مصـدرًا للقوة السـياسـية والاقتصـادية, وكانت هذه الأراضـي تُمْنَحُ على أنها نظامٌ إقطاعيٌ، اذ يتحمل النبلاء مسـؤولية جمع الضـرائب وتدبير شـؤون

(١١٢) The Free Encyclop , **Live Of Emperor Gaozu Of Han**, P 4.

(١١٣) Ball, Warfwick, **Rome in the East: The Transformation of Empire**, London and New York: Routledge, (2016), p.p 36-50.

(١١٤) Barbieri-Lo, Anthony J. **Craftsmen in Early Imperial China**, Seattle and London: University of Washington Press. (2007) , p 120.

المنطقة, لكن مع مرور الوقت, ظهرت مخاوف من تزايد نفوذ المماليك والنبلاء المحليين، مما جعل الإمبراطور كاو تسو يُعِدّلُ من سياسة منح الأراضي, ففي عام ١٩٦ ق.م، قرر الإمبراطور استبدال معظم المماليك الذين تم تعيينهم في بداية حكمه بملوك من عائلة ليو الحاكمة، وهي خطوة تهدف إلى زيادة السيطرة المركزية وتقليص سلطة النبلاء المحليين(١١٥). ومع استبدال المماليك المحليين بملوك من عائلة ليو، بدأ يتم تعيين أفراد العائلة الإمبراطورية حكاماً للمقاطعات أو المماليك(١١٦). وهذا التغيير كان له عدة أهداف:

- تعزيز السلطة المركزية: من خلال تعيين أفراد من الأسرة المالكة كحكام للمقاطعات، يمكن للحكومة المركزية أن تضمن ولاء الحكام والحد من التمردات المحلية.
- تقليل الصراع بين العائلات الحاكمة: عندما كانت الممالك شبه المستقلة تحت حكم النبلاء المحليين، كان هناك خطر من حدوث نزاعات على السلطة. وبالتالي، فإن تعيين أفراد من عائلة ليو كملوك للمقاطعات قلل من هذا الخطر.
- التأكيد على الشرعية الملكية: كان هذا التعيين يهدف إلى تقوية شرعية الحكم الإمبراطوري وتوضيح أن السلطة المطلقة كانت محصورة في عائلة ليو.

مع توسع الإمبراطورية في عهد الإمبراطور كاو تسو وخلفائه، تم إنشاء مناصب إدارية وعسكرية جديدة لضمان الإشراف الفعّال على المناطق النائية, فقد تم تعزيز الوجود العسكري في المناطق الحدودية، مثل الحدود الشمالية مع قبائل الشمالية، وذلك لضمان الأمن والحفاظ على الاستقرار الداخلي, كما تم إنشاء مناصب إدارية عليا، مثل الوزير الأكبر ووزير المالية، لتحسين تنسيق العمل الحكومي وضمان تطبيق القوانين بشكل فعّال (١١٧).

---

(١١٥) Cotterill, Maurice, **The Terracotta Warriors**: The Secret Symbols of the Imperial Legislature, Rochester: Bear and Company Publishers, (2004),p.p 9-22.

(١١٦) Zhang, Tshun-Shu, **The Rise of the Chinese Empire**: The Second Volume; Borders, Migration, and Empire in Han China, 130 BC - 157 AD, Ann Arbor: University of Michigan Press, (2007). The Free Encyclop , **Live Of Emperor Gaozu Of Han**, P 4.

(١١٧) Beck, Mansfeld, "**The Fall of the Han**", in Twitschit, Dennis; Lowy, Michael (editors), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 BC - 220 AD, Cambridge University Press, (1986), pp. 317-376.

نظام الحكم المركزي وتطوير الإدارة

تطور النظام الإداري المركزي في عهد أسرة هان مع مرور الوقت، اذ بدأ حكام المقاطعات والأقاليم يضطلعون بمسؤوليات أكبر في تنفيذ سياسات الإمبراطورية، إلا أنَّ سلطة الإمبراطور كانت تبقى مركزية، أي أن جميع القرارات الهامة كانت تتخذ في القصر الإمبراطوري, وكان التركيز على الكفاءة الإدارية وضبط الشؤون المالية أحد الأهداف الرئيسية للإمبراطورية في تلك المدة إذ كانت الحاجة كبيرة لضمان استقرار الاقتصاد في وقت كانت الإمبراطورية توسع فيه أراضيها وتخوض حروبًا[١١٨].

وعلى الرغم من التحديات التي واجهتها أسرة هان، فإن التنظيم الإداري والسياسي الذي وضعه الإمبراطور كاو تسو في بداية أسرة هان الغربية أسهم في تعزيز الاستقرار السياسي للإمبراطورية، وأدى إلى استمرار حكم أسرة هان لمدة طويلة, كما أسهم هذا التنظيم في إرساء الأسس التي قامت عليها أنظمة الحكم في الصين في المستقبل[١١٩].

كان التنظيم الإداري والسياسي في بداية أسرة هان الغربية محوريًا في تعزيز سلطة الحكومة المركزية وضمان الاستقرار الداخلي في الإمبراطورية, ومن خلال تقسيم الأراضي إلى مقاطعات وتعيين حكام من العائلة المالكة، تمكن الإمبراطور كاو تسو من تحقيق توازن بين السلطة المركزية والنفوذ المحلي, ومع مرور الوقت، تم تعديل هذه السياسات لضمان استمرار هيمنة أسرة هان على السلطة، وهو ما ساعد في إنشاء إمبراطورية هان قوية ومستقرة [١٢٠]

---

[١١٨] Csikszentmihalyi, Mark, **Readings in Han Chinese Thought**, Indianapolis and Cambridge: Hackett Publishing Company, (2006). Chines Civilization Centre, **China Five Thousand Years Of History....,** P.30.

[119] Cribb, Joe, "**Chinese lead ingots with barbarous Greek inscriptions**", Coin Hoards, archived from the original on 16 August 2021, No 4: p.p 76–78.

[١٢٠] Chi, Tung-Tsu ,Dole, Jacques L. (Editor), **China in the Han Period**: Volume I: Social Structure in the Han, Seattle and London: University of Washington Press, World , p12.

وعلى هذا الأساس, شَرَّعَ رئيس الوزراء (شيا خه) قانوناً استمده من قوانين تشين للضرائب والسخرة والتجنيد, عُرِفَ بقانون ذي التسعة أبواب, وهي الأقسام التي اشتمل عليها, كما سُنَّتْ أنظمة لقياسات الحقول, وتحديد الجبايات الزراعية والتسجيل السكاني, وقد جلب النظام القانوني الجديد بعض التحسن لمعيشة الكادحين والفلاحين والفقراء[١٢١].

وقد كان هنالك تشجيعاً للجند على العودة للعمل بالزراعة, وكان يتم إعفاء من يقم منهم بذلك من أعمال السخرة, واسترد حريتهم أولئك الذين باعوا انفسهم عبيدا في ما مضى بسبب فقرهم, وتم خفض ضرائب الأرض والرؤوس. ولتشجيع الزيادة السكانية, اصدر الإمبراطور كاو تسو مرسوماً ينص على إعفاء الأسر ذات الرضع حديثي الولادة من أعمال السخرة لمدة عامين, ونتيجة لهذه الإجراءات بدأ يظهر التحسن في اقتصاد البلاد[١٢٢].

لم يكن (كاو تسو) ميّالًا إلى التمجيد، وقد اتّسم بالإخلاص في هذا التوجّه، غير أنّ ذلك لم يكن مجرّد سمة شخصية بقدر ما كان سياسةً واعية انتهجها, وقد عبّر الباحث هومر ديز عن هذه السياسة بقوله: "إنّ معاملة كاو تسو الكريمة والشفوقة للشعب أسهمت في ترسيخ شعور الألفة والملازمة بينه وبينهم، إذ أدركوا أنّه واحدٌ منهم "[١٢٣]. وتأكيدًا لهذا القول، تذكر المصادر أنّه توجّه في أكثر من مناسبة إلى مسقط رأسه، اذ دعا أصدقاءه ومعارفه القدامى إلى ولائم استمرّت عدة أيام، وكان يشاركهم الغناء والرقص بقصد الترفيه عنهم, ولعلّ عدم التزامه الصارم بآداب السلوك الرسمي، واستخدامه لغةً بسيطة، بل فظة أحيانًا، حتى مع أقرب أتباعه، قد أسهما في تعزيز ميل عامة الشعب إليه, وبذلك استطاع أن يكسب الرأي العام إلى جانبه، وأن يفوز بقلوب الشعب الصيني[١٢٤] .

إنّ هذه الإجراءات الحكومية تدلّ على إدراك (كاو تسو)، منذ وصوله إلى الحكم، أنّه وإن كان قد تمكّن من فرض سيطرته على البلاد بالقوّة، فإنّه لا يستطيع إدارتها أو الحفاظ على استقرارها بالقوّة وحدها؛ ولذلك أبدى قدرًا كبيرًا من الحكمة حين وعى حاجته الملحّة إلى كسب رضا الشعب وتأمين تأييده [١٢٥].

---

[١٢١] نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , الجزء الاول , ص٣٨.

[١٢٢] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص 74.

[١٢٣] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص٢٣٨.

[١٢٤] المصدر نفسه ..، ص٢٣٨.

[١٢٥] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , P.3.

ومن أجل كسب رضا الشعب، كان لا بدّ من بلورة رؤية سياسية تتلاءم مع طبيعة الأوضاع التي كان يمرّ بها المجتمع الصيني، والذي عانى طويلًا من سوء إدارة الحكّام السابقين, وفي هذا السياق، غدا سحب السلطة من الإدارة السابقة والقيام بثورة للإطاحة بها فعلًا مشروعًا، بوصفه استجابةً لمطالب الإصلاح وإنهاء مظاهر الفساد وسوء الحكم(١٢٦).

ومن هنا جاءت أسرة هان بنظرية «الثورة الإصلاحية الحقة»، التي بموجبها عُدَّ صوتُ الشعب هو صوتَ السماء ذاته، وبذلك لم يعد الحاكم بحاجة إلى تفويضٍ سماويّ مباشر في الحكم، على النحو الذي اعتمد عليه ملوك أسرتي تشو وتشين من قبل(١٢٧).

إنّ هذا التطوّر الكبير كان لا بدّ أن تسبقه إجراءاتٌ أكثر عقلانية وإقناعًا، تمثّلت في سعيه إلى تجاوز وضعه الاجتماعي المتواضع بوصفه ابنَ فلاح، عبر إضفاء نسبٍ إمبراطوريّ على شخصه يعود به إلى أحد أباطرة الصين الأسطوريين؛ ولهذا اتّخذ من الإمبراطور الأسطوري «ياو» أصلًا لنسبه، تعزيزًا لشرعيته السياسية والرمزية(١٢٨).

ثم أدرك أنّه إذا اعتمد بصفة خاصة على تعميم فكرة النسب الإلهي الأسطوري، فلن يستطيع أن يُهيمن – هو وأسرته – على حكم الصين إلى الأبد، فألزم نفسه بفكرة الأخلاق والفضيلة، حتى يسدَّ النقص في فكرة النسب الأسطوري في الحكم(١٢٩). فرأى من الضروري أنْ يعيش الناس بلا خوف وظلم فأدعى: "**بغيتي الوحيدة من المجيء إلى هنا, هي القضاء على الظلم, ولا أريد ان ابطش بأي واحد منكم, فلا خوف (بعد الآن)**"(١٣٠).

ونتيجة لهذا القول, فقد صوّر لرعيته أنَّه لم تكن في نيته قبول اللقب الإمبراطوري، وأنَّ عبء هذا المنصب قد ألقته مصلحة الشعب على كاهله، لأنَّ آخر ملوك تشين كان وغدًا

---

(١٢٦) Chines Civilization Centre, **China Five Thousand Years Of History....,** P.30.

(١٢٧) Pingxin Zhao, **Cinfucian –Legalist State** (A New Theory Of Chinese History), Oxford University Press, (New York _ 2015), P. 60.

(١٢٨)The Free Encyclop, **Emperor Gaozu Of Han**, P 4.

(١٢٩) John. S.Major And Constance. A. Cook, **Ancient China**, Rutledge Press, (New York- 2017), P 121.

(١٣٠)هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص 73.

مخمورًا، يظلم رعاياه ويتهكم على الآلهة، ولهذا قرر الثورة على حاكم تشين وانتزاع الحكم منه واعتلاء عرش الصين(١٣١).

وكان الأساس المنطقي المعلن لتتويجه مختلفاً بشكل واضح عن ملوك تشو وتشين, لأنه لم يأت إلى الحكم بمرسوم إمبراطوري، بل كان على شكل التماسات من الحلفاء والمؤيدين, الالتماس الوحيد الذي وصل إلينا, كان من قبل سبعة قادة موالين له، تم تقديمه مباشرة بعد منحهم مناصب ملوك في عام ٢٠٢ ق.م تقريبًا, وهي صفقة تبادل للحصول على إقطاعاتهم الملكية, وقد توسلوا إليه لقبول عرضهم بلقب الإمبراطور، وبرروا ذلك على أساسين واضحين – الإنجاز والفضيلة(١٣٢).

واذا كان إنجاز كاو تسو عسكرياً بحتاً, وقد تم الفوز بالإمبراطورية عن طريق الثورة، ومن بين جميع الملوك الجديرين بالتقدير، كان إنجاز كاو تسو، ملك هان، هو الأعظم, فمن المفترض أنْ تكون العلاقة الهرمية بين الملوك الجدد والإمبراطور الجديد, علاقة من أدنى إلى رئيس, علاوة على ذلك، تم تعريف فضيلة كاو تسو بوضوح على أنها ترسيخ جدارة قادته كملوك, والسماح لهم بأن يكون لهم ممالكهم الخاصة(١٣٣).

وكانوا الملوك الجدد أو رؤساء الإقطاعيات أقوياء لجيوشهم ومرتبطين بالإمبراطور كاو تسو بعلاقة تعاقدية هرمية مبنية بإجماع على تقاسم السلطة بطريقتهم الخاصة, أي من خلال جعله يؤيد ممالكهم التي أنشأت بعد سقوط تشين(١٣٤).

وإذا أردنا أن نتفحّص إدارة كاو تسو للحكم في الصين، فإننا، دون أدنى شك، نجد أنها مثّلت مزيجًا من القانونية والكونفوشيوسية. فحينما وصل إلى الحكم، كان أمامه خياران ونموذجان للحكم: إمّا أن يُلغي النموذج الاستبدادي لأسرة تشين، الذي ثار عليه، ويعود إلى نموذج تشو الإقطاعي المتداعي الذي لم يكن يرغب فيه، أو أن يستمر في النظام المركزي

---

(١٣١) Hok-Lam Chan, **El Mandato Del Cielo 天命 Y El Emperador Han Gaozu汉高祖. Una Lectura ,** Revista Estudios, No (33), 2016, P16-19.

(١٣٢) Grant Hardy And Anne Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China**, P 2-3.

(١٣٣) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , University Of Hong Kong Press , (Hong Kong -2007) , P 25.

(١٣٤) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 36.

لأسـرة تشـين، الذي جمع بين سـمات البيروقراطية المدنية والسـلطة الاسـتبدادية لحكمٍ وراثيٍّ واحد(١٣٥) .

ويبدو أن كاو تسـو قد اختار الإبقاء على نموذج تشـين، مع إدخال جملةٍ من التغييرات الرئيسـة بهدف التهدئة؛ فانحاز مؤقتًا إلى النموذج الإقطاعي عبر توزيع نحو نصـف أراضـي الإمبراطورية على القادة المتمرّدين الذين وقفوا إلى جانبه، بوصـفها إقطاعيات شـبه مسـتقلة، يديرونها كملوكٍ مسـتقلين، مع الإبقاء على النصـف الآخر من الإمبراطورية تحت سـيطرة السلطة المركزية(١٣٦) .

فإذن, مَثّل ذلك النظام الذي ارساه الإمبراطور حالة وسطى بين الاستعادة الكاملة للنظام الإقطاعي القديم المتبع في مملكة تشـو وبين الديكتاتورية الحديثة لإمبراطورية تشـين, ولم تكن لدى كاو تسو قاعدة سياسية في دولة قائمة سلفاً على خلاف "شي هوانغ دي" إمبراطور تشين السابق, بل استندت شرعيته كليًا إلى الكاريزما الشخصية التي تمتع بها بوصفه قائدًا ناجحًا لجيشٍ ثوري حارب طاغيةً مكروهًا(١٣٧).

إنّ رسـم المعالم الواضـحة لسـياسـة الإمبراطور كاو تسـو، ولا سـيّما توزيع الإقطاعيات على أعوانه بهدف إنشـاء كونفدرالية واسـعة من ممالك متعدّدة، كان مسـارًا معقّدًا ومتشـابكًا. غير أنّ التطوّر الأهم الذي طرأ في بدايات حكمه تمثّل في التحوّل على مسـتوى الأفكار السـياسـية؛ إذ فقدت مبادئ شـانغ يانغ ولي سـي، سـيّئة الصـيت، والتي دعت إلى اسـتخدام المحكومين بلا رحمة في خدمة الحاكم، الكثير من مصـداقيتها، في حين أُعيد الاعتبار للرأي الكونفوشيوسي الأقدم القائم على وجوب ممارسة السلطة لخدمة الرعيّة وتحقيق مصالحها(١٣٨).

وتحدّدت سـلطة أوائل أباطرة أسـرة هان بحقيقة أنّها كانت مؤسَّسـة ضـمن أطر البيروقراطية الكونفوشيوسية المحيطة بالقصر الإمبراطوري. غير أنّ الكونفوشيوسيين، شأنهم

---

(١٣٥) Robert Eno , **The Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , P.2.

(١٣٦) Ibid , P.3.

(١٣٧) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي (من عصور ما قبل الإنسان إلى الثورة الفرنسية)** ، ص ١٩٣.

(١٣٨) Hok-Lam Chan, **El Mandato Del Cielo 天命 Y El Emperador Han Gaozu汉高祖. Una Lectura ,** Revista Estudios, , P16-19.

شأن سائر البيروقراطيين، مارسوا قدرًا معتبرًا من التأثير غير الرسمي وغير المباشر، مستمدّين ذلك من خبرتهم الواسعة ومعرفتهم العميقة بشؤون الإدارة والإمبراطورية(١٣٩) .

ولم يكن كاو تسو مواليًا للكونفوشيوسيين؛ إذ كان ينظر إليهم بوصفهم منكفئين على قراءة الكتب ومتفاخرين بذلك، ولم يكن يخفي ميله إلى السخرية منهم أو الحطّ من شأنهم أحيانًا عبر النكات الفجّة. ومع ذلك، ضمّت دائرة مستشاريه المقرّبين عددًا من الكونفوشيوسيين المخلصين، من بينهم أخوه الأصغر، الذين بذلوا جهدًا كبيرًا في محاولة توجيه سياساته نحو الفكر الكونفوشيوسي، إلى حدّ أنهم ألّفوا كتابًا خاصًا لهذا الغرض(١٤٠) .

وعلى الرغم من ذلك، لم يكن بلاط كاو تسو كونفوشيوسيًا بالمعنى الحصري، إذ لم يمت الفكر التشريعي القانوني لتشين تمامًا، بينما كان الكونفوشيوسيون أكثر انشغالًا بالطقوس الدينية، والميتافيزيقا، والأدب, وبما أنّ بلاط إمبراطورية هان كان هيئة سياسية واقتصادية ضخمة، فقد تطلّب ذلك فنونًا إدارية معقدة وموظفين ذوي كفاءة عالية لاستخدامها بفعالية, وكان الموظفون الباقون من إمبراطورية تشين وحدهم يمتلكون هذه المهارات، لذا عمد كاو تسو إلى توظيفهم والاستفادة من خبراتهم، رغم تمسّكهم بالقوانين والأنظمة بطريقتهم الخاصة .(١٤١)

وبوجود القانونيين في البلاط، أدخل الكونفوشيوسيون مبدأ المحاسبة والمساءلة إلى الحكم، وإنْ لم تكن هذه المحاسبة رسمية أو إجرائية، بل كانت تعتمد على الحس الأخلاقي الخاص للإمبراطور، الذي تشكّله البيروقراطية الكونفوشيوسية عبر التربية والتعليم. وأكد الباحثان (ليفنسون) و(شورمان) أنّ الأحكام الأخلاقية الصادرة عن البيروقراطية عكست في الواقع مصالحهم الأساسية، إذ كانت تعكس معارضتهم الشديدة للاستخدام الفجّ لسلطة الدولة من قبل الحكام القانونيين، كون البيروقراطيين الكونفوشيوسيين كانوا أول ضحايا هذه السلطة .(١٤٢)

---

(١٣٩) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي (من عصور ما قبل الإنسان إلى الثورة الفرنسية)**، ص ١٩٥.

(١٤٠) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص٢٤٠.

(١٤١) المصدر نفسه ، ص٢٤١.

(١٤٢) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي (من عصور ما قبل الإنسان إلى الثورة الفرنسية)**، ص ١٩٦.

إنّ ظهور أسـرة هان في هذا الوقت مثّل التقاءً كاملاً لاتجاهين ظاهريًا متناقضـين، اللذين ارتبطا بشـكل متزايد منذ عهد شـانغ يانغ بمبدأ الجدارة والاسـتحقاق، وهو المبدأ الذي تمثله المدرسـة القانونية. ومع ذلك، يرى الباحث دوبز "أنّ اعتلاء كاو تسـو العرش كان دليلًا على انتصـار المفهوم الكونفوشيوسي، إذ إنّ سلطة الإمبراطور كانت محدودة، وكان يجب أن تُمارَس لصالح الشعب، وعلى أن تقوم على أساس العدالة"(١٤٣).

وبناءً على ذلك، فإن حكومة كاو تسـو تتوافق، إلى حدٍّ ما من الناحية النظرية، مع مبدأ كونفوشيوس بشأن طبيعة الحكم المثالي؛ إذ تقوم الحكومة على خدمة الشعب، وتُدار بواسطة وزراء يختارهم الحاكم ويُفوِّض إليهم ممارسـة السـلطة الإدارية. غير أن ما يثير العجب والدهشـة، بحسـب ما يرى الأسـتاذ كريل، "هو أن شـخصًـا يُوصَـف بالقسـوة مثل كاو تسـو قد اقترب في سلوكه العملي إلى هذا الحد من ذلك المبدأ"(١٤٤).

وقد برزت في الآونة الأخيرة مقاربات تفسيرية جديدة لصـعود كاو تسـو، اسـتنادًا إلى ما يورده نص *هانشو* (漢書)، إذ تشير هذه المقاربات إلى أن مبدأ تقاسم السلطة ـ أو ما يسميه النص «تقاسم العالم» ـــ شكّل الأساس النظري الذي قامت عليه إمبراطورية هان. كما تُعزى النقاشـات المتكررة في بلاطه حول كيفية وصـوله إلى العرش إلى مسـعى واعٍ لتثبيت طبيعة النظام السـياسـي الذي سـتُبنى عليه الإمبراطورية، وبهدفٍ معلن يتمثل في إنشـاء كونفدرالية اتحادية تضم ممالك دستورية شبه مستقلة(١٤٥) .

ويُثار باسـتمرار التسـاؤل: «كيف تمكن كاو تسـو من الانتصـار على خصـومه رغم التناقضـات الجوهرية التي كانت قائمة في عصـره؟» وقد أكدت الباحثة هيلدا هذا التسـاؤل في إطار تحليلها لأسباب انتصـاره، موضـحة العوامل التي أسـهمت في تثبيت سلطته وتمكينه من فرض النظام الإمبراطوري(١٤٦) . وعند تفحص سـجلات المؤرخ الكبير سـيما تشـان، المؤرخ الرسمي لسـلالة هان، تبيّن أن هذا السؤال قد طرحه كاو تسو شخصـيًا في إحدى اجتماعات

---

(١٤٣) Robert Eno , **THE Rise Of The Han**, P.1.

(١٤٤) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٣٩.

(١٤٥) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 26.

(١٤٦) هيلدا هوخام، تاريخ **الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص 73.

القصـر، إذ خاطب الوزراء والمسـتشـارين والحاضـرين جميعًا قائلاً: "برأيكم، كيف تمكنت من تحقيق الهيمنة على البلاد، ولماذا فشل شيانغ يو؟"(١٤٧).

تكشـــف القراءة المتأنية لحوار معين يُفترض انه تكرر في الاجتماع ذاته, والموثق في نصـين مختلفين شـي جي سـجلات سـيما تشـان وهانشـو سـجلات بان جو, عن وجود تلميح واضـح لهذا التوتر. ففي أعقاب أربعة أشـهر من حصـول كاو تسو على لقب الإمبراطور، أقام وليمة في قصـــره دعا فيها جميع حلفائه وجنرالاته، لتوضـــيح أســـباب نجاحه في تحقيق الإمبراطورية، مقابل فشل ملك تشو، شيانغ يو، في ذلك(١٤٨).

ولا نجد جوابًا أدق من الذي أورده كاو تسو للوزير وانغ لينغ، اذ أجاب على السؤال قائلاً: "على الرغم من أن جلالتكم رجـل متعجرف ويحـب إهـانـة الآخرين، إلا أنكم تكـافئونهم وتشـاركونهم في السـراء والضـراء بعد تحقيق النجاح في المعارك. وهذا ما لم يفعله خصـمكم، شيانغ يو، وهو سبب خسارته وفشله"(١٤٩). ومع ذلك، كان رد كاو تسو مختلفًا، إذ ادعى أن سـبب نجاحه يكمن في حسـن توظيف أصـحاب الكفاءة والجدارة، مشـيرًا إلى عدد منهم مثل: "تشـانغ ليانغ وزير التخطيط، وشـيا خه رئيس الوزراء، وهان شـين وزير الحرب، مؤكدًا أنهم كانوا أفضل منه، وأن انتصاره تحقق بفضل جهودهم"(١٥٠).

إنّ هذه التفسـيرات والتباينات في النصـوص لا تغيب الحقائق عن المشـهد التاريخي، لكنها تظل مؤشّرًا لما كان يُنظر إليه على أنّه المعقول في ذلك الوقت, وتشير هذه الاختلافات في الفهم إلى وجود تعدّد في الرؤى، ضمن إجماعٍ مشترك على أنّ الإمبراطورية تحقّقت بفعل الجهد الجماعي، وأنّ الفضيلة التي خوّلت كاو تسو الحكم تمثّلت في قبوله تقسيم الإمبراطورية إلى ممالك متعددة ومنحها لقادته وأعوانه(١٥١).

---

(١٤٧) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الاول , الدار العربية للعلوم الناشرين , ٥٢ , ص٢٠٨.

(١٤٨) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 26.

(١٤٩) Grant Hardy And Anne Behnke Kinney, **The Establishment Of The Han Empire And Imperial China** , P 20.

(١٥٠) Ibid , P 21.

(١٥١) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 27.

وكانت مكافأة هؤلاء القادة بمناصب كبيرة ومنحهم إقطاعيات مستقلة أمرًا محفوفًا بالمخاطر، لا سيّما أنّ كاو تسو كان يتعامل معهم بحذر شديد. وقد ثبت ذلك في حوليات شي جي وهانشو، التي تشير إلى أنّ مبدأ تقاسم السلطة فُرض على الإمبراطور، على الرغم من أنّه كان استراتيجية مؤقّتة ضرورية لتشكيل التحالفات ويبدو أنّ هذا السياق كان واضحًا لبعض القادة، ما دفعهم إلى الامتناع عن المشاركة في بعض القرارات(١٥٢).

وإذا كانت التوترات قائمة بين أعضاء المجموعة نفسها، ومتجذّرة بدوافع متباينة وروابط متشابكة ربطتهم بزعيمهم كاو تسو، فإن تركهم يتخاصمون فيما بينهم حول فهم مبدأ تقاسم السلطة وصلاحيات الممالك الأخرى داخل جسم الإمبراطورية الواحد كان كفيلاً بتدمير المجموعة ذاتها من الداخل(١٥٣).

ويظهر أنّ كاو تسو، من خلال تركه المجال لهؤلاء القادة للتخاصم فيما بينهم حول حدود السلطة وصلاحيات الممالك، أسهم بشكل غير مباشر في سقوطهم جميعًا، إذ أدى عدم ضبط الخلافات الداخلية إلى تفكك تحالفاتهم وإضعاف مواقعهم الفردية داخل الإمبراطورية.

سياسة كاو تسو الخارجية

أنَّ نجاح الإمبراطور كاو تسو في فرض سلطته وسيطرته على البلاد, وقيامه بإجراءات حكومية فعالة لفرض الهيمنة على الداخل, ولإبقاء الإمبراطورية آمنة يلف أراضيها السلام, كان لزاماً عليه أيضا, التوجه إلى الخارج لتأمين الحدود ولإشغال الداخل بصراعات الخارج, فكان أكبر خطر خارجي يهدد الإمبراطورية هو الاتحاد القبلي المعروف بـ (شيونغنو), أو ما

(١٥٢) Aaron Zhao, **Imagining Wu In The Han** , P 13.

(١٥٣) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 40.

عرف في التدوينات الغربية بالهون[١٥٤]. وقد امتد نفوذ ذلك الاتحاد من منشـوريا الغربية عبر منغوليا إلى اقصى الغرب وصولاً إلى جبال البامير [١٥٥].

وكانت مناطق السهوب الشمالية التي تشمل مقاطعات شانشي وشنشي مسرحاً لغارات شيونغنو, وقد تفاقمت اعتداءات هذا الاتحاد حتى شملت عام ٢٠٠ ق.م جنوب غربي تاييوان بمقاطعة تشـانجان وقد تصـدت لهم قوات ضـخمة من الهان تناهز على ٣٢٠ الف جندي ودفعتهم إلى ما وراء هذه المقاطعة[١٥٦].

إنَّ ذلك الانتصـار الكبير الذي حققه كاو تسـو في تشـانجان دفعه إلى المبالغة في إمكانيات جيشه العسكرية في القضاء على شيونغنو, مما انساق وراء مغامرة عسكرية فاشلة, حينما طارد فلولهم الهاربة في داتونغ بغية القضـاء عليهم, إلا أنَّه فوجئ بتعرض جيشـه إلى كمين دُبِّرِ بأحكام وسرعة خاطفة, ونتيجة لذلك, انقطع التموين عن جيشه[١٥٧] .

حاول الإمبراطور كاو تسـو فك الحصـار عن جيشـه بقيادة هجوم مضـاد ضـد قوات شـيُونغنو (الهون). باءت هذه المحاولة بالفشـل، إذ وقع الإمبراطور في الأسـر بعد معركة

---

[١٥٤]شيونغنو) بالصينية匈奴 :، بينينXiongnu :، (Hsiung-Nu) : هو اتحاد كونفدرالي قديم من شعوب الرحل التي كانت تسكن سهول شرق آسيا من القرن الثالث قبل الميلاد وحتى أواخر القرن الأول الميلادي وفقًا للمصـادر الصـينية القديمة. ذكرت المصـادر الصـينية أن مودو شـانيو ابن تومان شانيو، القائد الأعلى بعد عام ٢٠٩ قبل الميلاد، أسس إمبراطورية شيونغنو, وأصبحت الشيونغنو قوة مهيمنة على سهوب شمال شرق آسيا الوسطى في المنطقة التي عرفت فيما بعد باسم منغوليا، وكانت علاقاتهم مع السلالات الصينية المجاورة إلى الجنوب الشرقي معقدة، حيث شـهدوا فترات متكررة من الصـراعات والمكائد، وشـهدوا فترات أخرى من تبادل المعاهدات والاتفاقيات التجارية وعلاقات الزواج. لمزيد من المعلومات ينظر:

Christoph Baumer "**The History Of Central Asia – The Age Of The Silk Roads** ,Part I: Early Empires And Kingdoms In East Central Asia- The Xiongnu, The First Steppe Nomad Empire, Vol 2, P.p 147-158.

[155] Ibid , p.p 147-158.

[١٥٦]نخبة من العلماء , تاريخ الصين , الجزء الاول , ص٤٠.

[١٥٧] Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , Advances In Social Science, Education And Humanities Research, Volume 586 , P712.

بايدنغ. وبذلك، تحول الإمبراطور، الذي كان قائدًا لإمبراطورية عظيمة، إلى أسير في بلاط شيونغنو[١٥٨].

لم يجد الإمبراطور كاو تسو، وهو في الأسر، حلولًا سوى اللجوء إلى ما وثقه المؤرخ سيما تشان؛ أي التفاوض مع زوجة حاكم شيُونغنو الأولى, وتمحورت المفاوضات حول إيجاد سُبل لتجنب تصاعد الصراع بين القبيلتين الكبيرتين, واقترحت السيدة الأولى إطلاق سراح كاو تسو مقابل معاهدة سلام تُقيم علاقة بين الطرفين على أساس وجود إمبراطوريتين متجاورتين وشقيقتين، تتساويان في المكانة والأهمية[١٥٩].

ومن خلال التمعن في الخطاب الذي وجهته السيدة الأولى لزوجها ماوتن إمبراطور الهون نلتمس حقيقة مخاوفها من نشوب صراع كبير بن الهان والهون, ولن يستفيد احد منهم من إراقة دماء الشعبين الشقيقين, اذ قالت **"لماذا يجب على حاكمين هاتين الدولتين العظيمتين إثارة الحروب والمشاكل لبعضهم البعض؟ حتى لو استحوذت على أراضي الهان فلن تتمكن أبداً من السيطرة عليها, وقد يكون للهان آلهته الحارسة التي تحميه, فأتوسل إليك في أنَّ تفكر بالأمر جيدا"**[١٦٠].

إنَّ قراءة خطاب السيدة الأولى يحمل بعض الدلالات على تساو الدولتين من الناحية السياسية والقدرات العسكرية, مما يجعل من المستحيل السيطرة على أراضي الهان الشاسعة, نظرا لافتقار دولتها إلى الموارد المادية والبشرية التي تمكنها من فرض سيطرتها المطلقة على الهان[١٦١].

وإنَّ إذعان زوجها الإمبراطور مارتن حاكم شيونغنو لهذا التصريح ما هو في الحقيقة إلا قراءة جيدة للمناخ السياسي آنذاك, وأنَّ عملية الغزو التي قام بها إمبراطور الهون إلى أراضي هان لم يكن الهدف منها غزو الإمبراطورية, وإنما لإظهار القوة الكافية لخلق ورقة ضغط

---

[١٥٨] نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , الجزء الاول , ص٤٠.

[١٥٩] Sima Qian. **Shiji** , 110. Watson Burton. Records Of The Grand Historian Of China, Vol – 2 , Columbia University Press (Columbia . 1971),P 49.

[١٦٠] Ibid , P 49.

[١٦١] Ming Sun **, The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P 712.

سياسية للمساومة في الحصول على مزيد من المكاسب أثناء المفاوضات مع الهان(١٦٢). وبعد مفاوضات شاقة بين كاو تسو ومارتن, اتفقا على إبرام معاهدة صداقة بينهم, سُمَّيَتْ بمعاهدة هتشين في عام ٢٠٠ ق.م, وكانت أهم بنودها, السماح في التبادل الدبلوماسي بين البلاطين, وأنْ يكونا على قدر من المساواة السياسية, وأنْ تقام الأخوة بينهم, وجعل سور الصين العظيم حدود فاصله بين دولتيهما, وأنْ يُدعم هذا الاتفاق بالتبادل الاقتصادي الحر وأنْ تُقَدَّم الهدايا السنوية من قبل الهان لـــ (شيونغنو), وعُزِّزَتْ هذه الاتفاقية بالزواج السياسي من خلال تزويج ابنة كاو تسو للإمبراطور مارتن مقابل ذلك أطلق سراح كاو تسو(١٦٣).

ولتحليل تلك المعاهدة, نرى أنها كانت في الأساس معاهدة اقتصادية بالدرجة الأولى متوافقة تماما مع مطالب شيونغنو, واحتياجاتها الاقتصادية من بلاد الهان عبر التبادل التجاري والهدايا السنوية المقدمة من الهان, فضلاً عن أنها فرضت واقعاً سياسياً جديداً لإطلاق يدها في آسيا الوسطى, والتي تمثل أرضاً خصبة لطموحاتها التوسيعية(١٦٤). وفي المقابل فأن مكاسب هان كانت تتمثل في إطلاق سراح الإمبراطور كاو تسو بعد وقوعه في الأسر, وتأمين حدود الإمبراطورية من غزوات الهون التي كانت مصدر خطر وإزعاج كبير, وأسهمت أيضا في تفرغ كاو تسو في ترميم البيت الداخلي لإمبراطورية هان, وتثبيت دعائم حكمه بعد تزايد نفوذ حكام الأقاليم واللوردات بعد وقوعه في شرك الأسر(١٦٥).

وبدأ التطور الحقيقي يظهر بعد عام ٢٠٠ ق.م، في الوقت الذي اضطر فيه كاو تسو إلى تقديم التنازلات للهون عبر معاهدة الصداقة والسلام تلك. غير أنّ الأخطر من ذلك كان تراجع سلطته على الإقطاعيات المستقطعة من دولته بعد عودته من حملة شيونغنو، إذ أخذت سلطته المركزية تتقلص تدريجيًا مع مرور الأيام، لا سيّما الإقطاعات البعيدة عن المركز،

---

(١٦٢) Cui Mingde, "**On The Self-Esteem Of Hun Leader In The Han Dynasty,**" China's Borderland History And Geography Studies, 2008, Vol 18, No22, p.1.

(١٦٣) Ming Sun **, The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P 712.

(١٦٤) Sima Qian. **Shiji** , P 123. Watson Burton, Records Of The Grand Historian Of China , P 231-252.

(١٦٥) Ming Sun **, The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P 714-715.

التي شـرعت في اتباع سـياسـة توسـعية، وتعزيز قوتها العسـكرية، وممارسـة هيمنتها على الإقطاعات الأقرب إلى المركز(١٦٦).

وصـــار لكل إمارة وإقطاعية نظامٌ إداري يشـــبه نظام إدارة الأملاك الملكية، وكان ذلك النظام بعيدًا عن الكمال والدقة، إذ يسعى أولئك الحكام، وقد غدوا بمعزل عن المراقبة الملكية، للتحرر من السلطة المركزية، لا بل للتحالف ضدها أحيانًا، ولن تجدي مساعي كاو تسو في الخلاص من هؤلاء اللوردات بالطرق السلمية من خلال العودة لمبدأ تقاسم السلطة(١٦٧).

وبعد العودة المخيبة وتقديم التنازلات القاســـية للهون عمل كاو تســـو جاهداً إلى تعزيز الوحدة الإمبراطورية وتقوية السلطة المركزية للدولة, وهذا الإصلاح يتم أولاً عبر القضاء على بعض اللوردات والقادة العسكرين الذين أصبح لديهم نفوذ كبير يهدد سلطة الإمبراطورية(١٦٨).

إنّ تعيين هان شـــين على تشـــو، وبينغ يو على ليانغ، وتشـــنغ يو على هواي نان مثّل مؤشـــرًا على ضـــعف ســـلطة الإمبراطور، إذ لم يقل هؤلاء القادة الثلاثة كفاءة عن كاو تســـو نفسه. وطالما ظلّوا على رأس إقطاعاتهم، يبقى التهديد على نفوذه وسلطته قائمًا، لذلك منحهم مناصـب عليا لمجاراة قدراتهم، ريثما تتاح له الفرصـة لاحقًا للحدّ من نفوذهم والسـيطرة عليهم (١٦٩).

فقام الإمبراطور باستدعاء هان شين إلى البلاط الإمبراطوري، ومنحه لقب الجنرال العام وتوليه منصب قائد الجيش الأعلى, ولم تكن هذه الخطوة سوى خدعة لوضع هان شين تحت الإقامة الجبرية، ليبقى تحت رقابة الإمبراطور مباشـرةً, وتزامن مع ذلك حدوث تمرد في مدينة تشنشي، فأمر الإمبراطور جنرالـه هان شين وخصمه بينغ يو، أمير ليانغ، بمهاجمة تشنشي.

---

(١٦٦) Yongjin Zhang, **The Idea Of Order In Ancient Chinese**, Published By John Wiley & Sons Ltd, 9600 Garsington Road, Oxford Ox4 2dq , International Affairs 90: 1, (USA-2014), P.172

(١٦٧) Friedrich Hirth,**The Ancient History Of China**, P.171.

(١٦٨) Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , P.3.

(١٦٩) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 37 . Grant Hardy And Anne Behnke Kinney**, The Establishment Of The Han Empire And Imperial China**, P 22.

غير أنّ الرجلين رفضا تنفيذ المرسوم الملكي، بادعاء المرض، ما اضطر الإمبراطور إلى قيادة الحملة بنفسه(١٧٠).

وبعد العودة المظفّرة بالقضاء على تمرد تشنشي، واستكمالًا لنواياه المبيتة السابقة ضد هان شين وبينغ يو، أمر الإمبراطور كاو تسو بقتلهما بذريعة تمردهما وعصيان الأوامر الملكية. وبمقتل هذين القائدين، ثار الجنرال الأخير تشينغ يو، ودخل في مناوشات ومعارك مع الجيش الإمبراطوري، قُتل على إثرها(١٧١).

وبمقتل القادة الأقوياء لم يعد هنالك خطر حقيقي يهدد الإمبراطورية, فكان الإمبراطور سعيداً للغاية, إذ استضاف مأدبة كبيرة في مسقط رأسه, وبعد الاحتفاء بهذا الإنجاز العظيم, استعرض أمام أهله ورفاقه تاريخ حياته ونضاله من الصغر إلى الضفر بالإمبراطورية, فغنى أغنيته الشهيرة "الرياح العاتية"(١٧٢).

"آه ... تهب الرياح, مبعثره السحب الطائرة, وها أنا قد سيطرت على البلاد بقوتي,

ورجعت إلى بلدتي بمجدي, كيف يمكنني تكليف جنودي الشرسين بحراسة أركان أمتنا الأربعة؟"(١٧٣).

ثانيا – حكم الإمبراطورة لو (如果她) (١٩٥ -180 ق.م)

عندما كان ليو بانغ في مقتبل شبابه، تزوّج من امرأة تفوقه مكانةً اجتماعية، إذ تنتمي إلى أسرة ذات نفوذ وسلطة أرستقراطية تُعرف بعشيرة «لو». وقد ظلّ ليو بانغ مدينًا لهذه العائلة لما قدّمته له من دعمٍ سياسي واجتماعي أسهم في تعزيز مسيرته حتى اعتلائه عرش الصين. كما تحمّلت السيدة لو مشاقّ عديدة خلال تلك المرحلة، ولا سيما حين كان ليو بانغ يشغل وظيفة متواضعة في ظل حكم أسرة تشين(١٧٤).

---

(١٧٠) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , ٥٢ , ص٢٠٩-٢١٠.

(١٧١) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 37.

(١٧٢) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , ٥٢ , ص٢١٢.

(١٧٣) The Free Encyclop, **Emperor Gaozu Of Han**, P 7.

(١٧٤) Sunxiaozhong Liu , **Exploring The Reasons For The Rapid Demise Of Qin Dynasty** , P 274.

وتميّزت السيدة لو بهِمّةٍ عالية وشخصيةٍ قوية، صقلتهما على الأرجح الظروف القاسية التي عاشتها بصفتها زوجةً في أسرةٍ فقيرة, وكما كان ليو بانغ أول فلاح من أصول متواضعة يعتلي عرش الصين، جاءت الإمبراطورة لو حالةً استثنائية بدورها في مسار الوصول إلى السلطة؛ إذ لم تبلغ هذا المنصب عبر السبل التقليدية المعهودة، مثل الوراثة أو الاختيار السياسي، وإنما من خلال كفاحٍ استثنائي أثبتت فيه قدرتها على إدارة شؤون الحكم، لتغدو بذلك أول امرأة تتولى السلطة العليا في تاريخ الصين القديم(١٧٥).

وبعد تتويج ليو بانغ على عرش الصين واتخاذه لقب الإمبراطور «كاو تسو»، شغل عدد من أفراد أسرة السيدة لو مناصب رفيعة في جهاز الدولة، ما أدى إلى تشكّل كتلة سياسية نافذة قادتها الإمبراطورة وأقاربها، وكان لها ثقلٌ واضح داخل البلاط الإمبراطوري. وللحدّ من تنامي نفوذ هذه الكتلة، لجأ كاو تسو إلى إحياء قانون «لي سي» القائم على مبدأ الطاعة المطلقة للمحكومين تجاه الحاكم دون قيد أو شرط، بوصفه تشريعًا يُنظر إليه على أنه يهدف، في نهاية المطاف، إلى حماية مصالح الإمبراطورية واستقرارها(١٧٦).

ففي مطلع عام ١٩٥ ق.م، سعى الإمبراطور كاو تسو إلى إحداث تغيير في ولاية العهد، بعدما كان ليو ينغ، نجل الإمبراطورة لو، قد عُيّن وليًا للعهد، إذ حاول استبداله بابنه الآخر ليو روي، ابن المحظية هو تشي. وقد استند هذا التوجه إلى قناعة كاو تسو بأن ليو ينغ يفتقر إلى الحزم والقوة اللازمة لتولي حكم الصين(١٧٧).

إن اتخاذ قرارٍ من هذا النوع كان يستلزم، بالضرورة، الحصول على قدرٍ من القبول داخل مجلس الوزراء التابع للبلاط الإمبراطوري. فعلى الرغم من اتساع صلاحيات الإمبراطور، فإن لمجلس الوزراء ومستشاريه نفوذًا مؤثرًا يتيح لهم الاعتراض على قرارات مماثلة، ولا سيما تلك التي قد تُفضي إلى انقسام داخلي يهدد تماسك الإمبراطورية وربما يفضي إلى إضعافها(١٧٨).

---

(١٧٥) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , Indiana University, History Reading ,No 380, 2010, P.3.

(١٧٦) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 47.

(١٧٧) The Free Encyclopedia, **Emperor Gaozu Of Han**, P 5.

(١٧٨) Anne Behnke Kinney , **Empress Lü. China's First Female Ruler** , Bonn University Press , 2021 , P 211.

عندئذٍ دعا الإمبراطور كاو تسو كبار المسؤولين في الجهازين المدني والعسكري، إلى جانب القادة والوزراء والمستشارين، للاجتماع في المعبد الملكي. وهناك أصدر أمرًا بذبح حصانٍ أبيض، ثم مُلئ كأسٌ من دمه، فرفعه الإمبراطور عاليًا معلنًا: "**من اليوم فصاعدًا، لا يُسمح لأحد بتولي المناصب العليا في البلاد إلا إذا كان من أسرة ليو (الأسرة الإمبراطورية)، وستُلاحق كل جهة تخالف هذا القرار**". وبعد ذلك شرب نصف الكأس، ورشّ النصف الآخر على الأرض، وشارك الحاضرون جميعًا في هذا الطقس، تعبيرًا عن إقرارهم والتزامهم بالقرار الإمبراطوري(١٧٩).

بعد «اتفاق الخيل الأبيض» عام ١٩٥ ق.م، أُصيب الإمبراطور كاو تسو بمرضٍ أسهم في إحداث شرخٍ واضح في طبيعة العلاقة بين أسرة الإمبراطور وأنصاره من جهة، وأسرة الإمبراطورة لو ومؤيديها من جهة أخرى, وظهرت ملامح هذا الصراع في وقتٍ مبكر نسبيًا، إذ كاد الأمير ليو ينغ أن يفقد ولاية العهد، لولا براعة الإمبراطورة لو في توجيه مجلس الوزراء والمستشارين نحو رفض هذا التوجه، بل إن بعضهم اضطر إلى تقديم استقالته احتجاجًا على محاولة تغييره, ونظرًا إلى أن المبرر الرئيس لتعديل ولاية العهد تمثّل في الادعاء بضعف شخصية الأمير ليو ينغ، اقترح المستشار شانغ تعيين «الحكماء الأربعة» لمساندته في إدارة شؤون الحكم وتعزيز أهليته السياسية(١٨٠).

وقد حظيت هذه الفكرة بقبولٍ واسع في الأوساط السياسية داخل البلاط الإمبراطوري، وبضغطٍ مباشر من أسرة لو، اضطرّ الإمبراطور كاو تسو إلى الموافقة على هذا الاقتراح على مضض، متخليًا عن قراره القاضي بتغيير ولاية العهد, ونتيجة لذلك، أُبقي الأمير ليو ينغ في منصبه وليًا للعهد، على الرغم من حداثة سنّه، إذ لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره آنذاك، الأمر الذي جعله غير مؤهلٍ لتولي شؤون الحكم إلا تحت وصاية والدته الإمبراطورة لو(١٨١).

إن قبول كاو تسو لمقترح شانغ، والإبقاء على الأمير ليو ينغ وليًا للعهد على الرغم من معارضته لذلك، يثير تساؤلاتٍ مستمرة في أوساط الباحثين؛ إذ كيف يمكن لإمبراطور قوي مثل كاو تسو أن يُرغم على اتخاذ قرارٍ مصيري يتعلّق بوراثة الحكم استجابةً لمبادرة مستشار

---

(١٧٩) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 53 , ص٢١٣.

(١٨٠) Sharon Sanderovitch , **Empress Lü** , Hebrew University Of Jerusalem press ,(Israel- 2021) , P.1.

(١٨١) Sima Qian , **Shiji** , 9, P 389.

أو جنرال مثل شانغ؟ وتشير بعض التفسيرات، ولا سيما ما ورد في «قصيدة أجنحة البجعة»، إلى أن اقتراح شانغ بتعيين «الحكماء الأربعة»، ومنح الأمير ليو ينغ منصبًا عسكريًا داخل الجيش، وتعزيز مكانته السياسية إلى حين بلوغه سلطة فعلية، لم يكن سوى مناورة سياسية محسوبة. وقد هدفت هذه المناورة، في جوهرها، إلى توسيع نفوذ أسرة الإمبراطورة لو، ولا سيما أفرادها الذين شغلوا مناصب قيادية في المؤسسة العسكرية(١٨٢) .

وفي الواقع، كان نفوذ قادة الجيش داخل البلاط الإمبراطوري هو العامل الحاسم الذي أجبر كاو تسو على التخلي عن فكرته؛ إذ يشير البيت الأخير من «قصيدة أجنحة البجعة» إلى العجز الواضح للإمبراطور في تعديل ولاية العهد, وبناءً على ذلك، تبيّن أن قادة الجيش لعبوا الدور الأبرز في هذه المسألة، إلى درجة أن الإمبراطور نفسه لم يكن قادرًا على مواجهة تأثيرهم، مما اضطره، مجبرًا، إلى التراجع عن قراره(١٨٣) .

وبما أن الإمبراطورية كانت لا تزال في طور تشكّلها، فإن أي تغيير جذري في ولاية العهد كان من شأنه أن يفضي إلى فوضى سياسية داخل البلاد، فضلاً عن أنه كان سيبرز جحودًا صارخًا في شخصية الإمبراطور تجاه زوجته الأولى، التي شاركته في فقره ونضاله، والتي ظلّ ليو بانغ مدينًا لها ولأسرتها في بلوغه العظمة التي وصل إليها. وقد ذهب مستشاره الخاص، شو سون، إلى أبعد من ذلك، حيث هدد بالانتحار إذا أصرّ الإمبراطور على تنفيذ خطته. وبناءً على ذلك، كان التراجع عن هذه الخطة تعبيرًا عن إدراك أسرة هان بأن الإمبراطورية لم تكن ملكًا لكاو تسو وحده، بل كانت ملكًا أيضًا لاتباعه ورفاقه الذين ساعدوه في اعتلاء العرش، الأمر الذي استدعى الاستماع إلى آرائهم والانصياع لمطالبهم(١٨٤) .

وفي خضم ذلك الجدال الدائر حول ولاية العهد, تفاقمت حالة الإمبراطور الصحية في نهاية عام ١٩٥ ق.م, واستدعت الإمبراطورة لو طبيباً ماهراً يدعى "بيان تشو" الذي يعد أشهر

---

(١٨٢) Zhang Yangfan, **The Interaction Between Liu Bang And The Group Of Generals** , Advances In Social Science, Education And Humanities Research, Volume 497 , Proceedings Of The, Art And Human Development (ICLAHD- 2020) , P 354.

(١٨٣) Zhang Yangfan, **The Interaction Between Liu Bang And The Group Of Generals** , P 354

(١٨٤) Hans Van Ess **, Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu**, University Of Munich , Brill, Leiden, 2006 , NAN- No 8.2 , P 207-208.

طبيب في الصـــين حينذاك لمعالجة الإمبراطور إلا أنَّه طرد الطبيب وقال: "**إنني كنت رجلاً عادياً وفقيراً, ونجحت في السيطرة على البلاد بسيفي البالغ طوله متراً, أليس هذا مصيري؟ وقد قررت الســـماء مصـــيري, فماذا يمكن أنَّ يفعل الطبيب الماهر حتى ولو جاءني بيان تشو؟**"(١٨٥).

وفي سـنة ١٩٥ ق.م، وبعد رفضـه الاسـتمرار في العلاج وترك مصـيره للقدر، رحل صـانع إمبراطورية هان ومؤسـسـها الأول، الإمبراطور كاو تسـو، بعد مسـيرة نضـالية طويلة استمرت نحو خمسين عامًا, وقد حكم لمدة سبع سنوات بصفتِه أول إمبراطور لأسرة هان، مُؤسسًا بذلك أسس الدولة الإمبراطورية التي امتدت لمدة طويلة في تاريخ الصين القديم(١٨٦).

وبعد مضي أربعة أيام على وفاة الإمبراطور كاو تسو، لم تُعلن الإمبراطورة لو عن خبر وفاته على الفور، بل استدعت الجنرال شن شيتشي، الذي كانت توليه ثقتها، وأفصحت له عن خطتها القاضـية بالقضـاء على جميع الوزراء والمسـتشـارين، نظرًا لأنها لم تلمس منهم تعاونًا طوعيًا لدعم ابنها. وقد أصـاب هذا الجنرال الذعر، فقام بإفشـائها إلى الوزير شـانغ على أمل إقناع الإمبراطورة بتغيير موقفها. وفي النهاية، اضـــطرت الإمبراطورة إلى تعديل خطتها، وأصـدرت إعلانًا رسـميًا بنعي الإمبراطور كاو تسـو، وإعلان تولي الأمير ليو ينغ عرش هان خلفًا لوالده تحت اسم الإمبراطور هوي، مع تولي الإمبراطورة لو وصـاية العرش نظرًا لصـغر سن ابنها واحتياجه لدعمها في إدارة شؤون الإمبراطورية(١٨٧).

توفي الإمبراطور كاو تســو تاركًا شــؤون الدولة في أيدي الإمبراطورة لو، التي حكمت لمدة خمسة عشر عامًا بصفتها حاكمة قديرة، وإن كانت قاسية, وكما هو الحال مع العديد من الحاكمات النسـاء في التاريخ الصـيني، سـجّلت السـجلات التاريخية عدداً من الأعمال التي اعتُبرت خسـة أو نذالة خلال عهدها. ويعتمد تقييم مدة حكمها وشـخصـيتها بشـكل كبير على المصـادر التاريخية الرسمية لعهد أسرة هان، لا سيما أعمال المؤرخين سيما تشيان في شـي جي وبان جو في هانشو(١٨٨).

---

(١٨٥) نخبة من العلماء, **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 53 , ص٢١٤.

(١٨٦) Wolfram Eberhard , **A HISTORY OF CHINA** , University Of California Press , (Berkeley And Los Angeles 1969), P 71.

(١٨٧) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 53 , ص٢١٥.

(١٨٨) Sharon Sanderovitch , **Empress Lü** , P1.

إن القراءة الدقيقة لحوليات شي جي وهانشو المتعلقة بحكم الإمبراطورة لو تكشف عن اختلافات ملحوظة، رغم أن النصوص قد تبدو متشابهة للوهلة الأولى, فبالنسبة لسيما تشيان، كانت السمة الأساسية التي سيطرت على حياة الإمبراطورة هي الخوف على نفسها وعشيرتها. في المقابل، أعزى بان جو أفعالها إلى قسوة شخصية محضة، واعتبر أن الصراع السياسي بين أسرة ليو وأسرة لو لم يكن سوى نزاع بين فصيلين متنافسين على السلطة وفق منظور سيما تشيان، بينما صور بان جو الأحداث على أنها مواجهة بين الأسرة الحاكمة والعائلة التي تعرضت للظلم. وقد عمد بان جو، بطريقة خفية، إلى إعادة صياغة الأحداث بحيث تصبح الإمبراطورة أكثر تأثيرًا من النسخة الأصلية التي قدمها سلفه سيما تشيان[١٨٩] .

إن النظام الإمبراطوري الجديد الذي أدخلته أسرة هان في الصين انتج ايدلوجية كارهة للنساء وأصبحت متأصلة بشكل دائم في فكر النخبة, ووفقاً لهذه الايدلوجية يفترض ان الأغلبية تنظر إلى المرأة على أنها مصدر لكثير من الأزمات السياسية, فأن استقرار الإمبراطورية كان نقطة البداية لتقليد يفترض ان النساء غيورات وعنيدات. وبالتالي, يجب على الرجال ان يحاولوا منع النساء من الوصول إلى السلطة السياسية, وعلى الرغم من صحة تلك الحجة وتداولها في أسرة هان[١٩٠], إلا ان هناك مبالغة في هذا الموضوع, لان عهد الإمبراطورة قد شهد استقرار وازدهار سياسي كبير, ماعدا تلك الحادثة ضد هو تشي وابنها الأمير تشاو[١٩١].

---

[١٨٩] Hans Van Ess , **Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu** , P 221.

[١٩٠] ان قراءتي لحوليات المؤرخ الكبير سيما تشان في شي جي وجدت فيها قصصا تبدو غريبة عن النساء في الصين وبصرف النظر عن القصة الشهيرة عن الإمبراطورة لو هي وما فعلته بدرتها السيدة هو تشي تبادر إلى ذهني على الفور روايته عن السيدة باو سي التي بحثتها في سياق رسالتي الماجستير المسومة التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة, وتلك الرواية كان مفادها ان ملك يو ملك تشو الغربية فقد عرشه وحياته سنة ٧٧١ ق.م بسبب افتتانه بها لدرجة انه كان يضيئ لها النور في الطرقات حتى يرى ابتسامتها عبثا, وجُعّل منها السبب الحقيقي لسقوط سلالة تشو الغربية لمزيد من المعلومات ينظر: ناصر رحيم عجيل , **التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة (٧٧١-٢٢١ ق.م)** , ص ٤٨-٥٠.

[١٩١] Hans Van Ess , **Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu**, P.222.

ان وصف سيما تشان للإمبراطورة لو في حولياته على أنها وحش بشري بلا قلب يثير الاستغراب فمعظم النقاد يرون ان المؤرخ الكبير قد أدان الإمبراطورة لو بكلمات قاسية, ولِفهم ما أراده سيما تشان من ذلك الوصف الغريب, علينا قراءة الحادثة البشعة التي ارتكبتها بحق درتها السيدة هو تشي من زوايا مختلفة(١٩٢).

فنقلت المرويات بأن الإمبراطورة لو قد شعرت بالاستياء العميق ضد السيدة هو تشي وابنها الأمير تشاو, وامرت بالقبض عليها وعاقبتها بالعمل الشاق ليلا نهارا بزي السجناء, ثم عاملتها بوحشية مفرطة, اذ قطعت يديها وقدميها وقلعت عينيها وأذنيها وسقتها دواء حرمها من الكلام, ورمتها في حضيرة حيوانات, ولقبتها بالسيدة الخنزير. ثم بعد مدة, بعثت بولدها الإمبراطور الصبي هوي لرؤيتها, وحينما دخل عليها أصيب بالذهول, وانهار بالبكاء لدرجة انَّه دُخل في حالة اكتئاب شديدة الزمه الرقود في الفراش لمدة عام(١٩٣).

أرسل الإمبراطور هوي، وهو على فراش المرض، رسالة إلى والدته الإمبراطورة لو أعرب فيها عن استيائه قائلاً: "إن تصرفاتها كانت غير إنسانية، وأن ما فعلته بالمحظية السيدة تشي لا يليق بأي إنسان، مضيفًا أنه، باعتباره ابنها، لم يكن قادرًا على تولي حكم الإمبراطورية بشكل فعّال", وبعد ذلك، انغمس الإمبراطور هوي في الشرب لأوقات طويلة، غير مهتم بشؤون الدولة، تاركًا إدارة الإمبراطورية بيد والدته بوصفها الوصية على العرش(١٩٤) .

كانت الإمبراطورة لو تتحيّن الفرص للتخلص من الأمير تشاو، الذي استُدعي للعيش في البلاط الإمبراطوري. وعندما علم الإمبراطور الصبي هوي بوجود شقيقه في القصر، ومع علمه بنوايا والدته، حرص على دعوته للعيش معه بهدف حمايته، ولم يفارق هوي الأمير تشاو مطلقًا، مما حال دون تمكن الإمبراطورة من تنفيذ مخططها. إلا أنه في يومٍ خرج الإمبراطور الصبي للصيد مبكرًا، وتعذّر اصطحاب الأمير تشاو معه، فاستغلت الإمبراطورة لو هذه الفرصة وسمّته بنبيذٍ سام، فتوفي على إثره (١٩٥).

تكشف هذه الروايات المروعة الواردة في حوليات شي جي وهانشو عن السلوك الإجرامي للإمبراطورة لو في تنفيذ جريمتها بحق الأمير تشاو ووالدته، بدافع الانتقام السياسي

---

(١٩٢) Ibid , P 231.

(١٩٣) Anne Behnke Kinney , **Empress Lü. China's First Female Ruler** , P202.

(١٩٤) Sima Qian , **Shiji** , 9. P397.

(١٩٥) Anne Behnke Kinney , **Empress Lü. China's First Female Ruler** , P 208.

والشخصي. وقد تركت هذه الحوادث القاسية أثرًا بالغًا على الإمبراطور الصبي هوي، الذي توفي حزناً قبل بلوغه سن الرشد، مما أتاح للإمبراطورة لو الاستفراد بالسلطة والسيطرة الكاملة على شؤون الإمبراطورية(١٩٦) .

لكن في الوقت ذاته, أكدت تلك النصوص ان الإمبراطورة لو كانت الزوجة الرسمية الرئيسة للإمبراطور كاو تسو, وانه وفق السياق الطبيعي ان يكون ابنها وريثاً شرعياً. الشخص الذي تجاهل هذه القاعدة الشرعية كان كاو تسو, وبالتالي عليه ان يتحمل نصيبه من الذنب لمقتل ابنه الأمير تشاو وخليلته السيدة هو تشي, ولم تتصرف الإمبراطورة لو بدافع الغيرة أو الغضب غير المبرر, فهي تصرفت لحفظ مكانتها البارزة كسيدة أولى في البلاط أولاً, وثانيا لمواجهة التحدي من عائلة تشي في اغتصاب حقها وابنها الشرعي(١٩٧) .

إن مصادرنا الرئيسة حول حكم الإمبراطورة لو، كما أشرنا سابقًا، تتمثل في حوليات شي جي وهانشو .ويبدو أن المحور الأساسي لهذه السجلات يتركز على إبراز القوة المفرطة للإمبراطورة الأرملة، ومنحها لأفراد أسرتها مناصب وزارية عليا، اذ حصلت على النصيب الأكبر من السلطة واستخدمتها بطرق ملتوية. وقد اتفقت هذه الروايات على تحميلها مسؤولية وفاة ابنها، الإمبراطور الصبي هوي، الذي توفي متأثرًا بالحزن على مقتل شقيقه الأمير تشاو ووالدته السيدة هو تشي، في سياق أعمال الانتقام التي نفذتها والدته الإمبراطورة لو(١٩٨) .

وإذا ما أمعنّا النظر في هذه القصة، التي شكّلت المحور الرئيس في تصوير حكم الإمبراطورة الأرملة، فإننا نجد في ثناياها أبعادًا بنيوية تتصل بنظرة الثقافة الذكورية إلى النساء بوصفهن غير صالحات للحكم، وأنهن، إذا تسلطن، يفتقرن إلى الحكمة والحنكة السياسية. وفي هذا السياق، غدت السيدة لو مثالًا مناسبًا لتجسيد هذه الرؤية، كما عبّر عنها بوضوح كلٌّ

---

(١٩٦) Li Xueqin And Xing Wen , **New Light On The Early-Han Code: A Reappraisal Of The Zhangjiashan Bamboo-Slip Legal Texts** , Stanford University Pess , P 131.

(١٩٧) Hans Van Ess , **Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu**, P 232.

(١٩٨) Sima Qian 司馬遷, **Shiji 史記**, (Records Of The Grand Historian), Revised Ed , Translated By Burton Watson, 3 Vols., Vol. 1.,(Hong Kong 1993), P 269.

من سيما تشيان وبان جو في سجلاتهما التاريخية، وهي رؤية انسجمت مع توجهات النخبة الفكرية والسياسية في الصين القديمة(١٩٩).

وللابتعاد عن تضخيم الحوادث الروائية والتركيز على إنجازات الإمبراطورة لو الفعلية، يتبيّن أن حكمها مرّ بمرحلتين متميزتين: الأولى تمثلت في فترة وصايتها على الإمبراطور الصبي هوي بين عامي ١٩٥ و١٨٨ ق.م، أما المرحلة الثانية فكانت مرحلة تفردها بالسلطة عقب وفاة هوي عام ١٨٨ ق.م حتى عام ١٨٠ ق.م, ويُعدّ من أبرز إنجازاتها خلال هذه الحقبة إتمام بناء العاصمة الجديدة «تشانغآن»، الواقعة في وادي نهر وي، بالقرب من مواقع عاصمة تشو الغربية وعاصمة تشين, وقد شُيّدت هذه المدينة الضخمة بأسوارٍ محكمة وتخطيطٍ عمراني متقدم، عكس بوضوح عظمة القوة الإمبراطورية الصينية ومكانة الحكم المركزي في عهدها(٢٠٠).

وقد شُيّدت العاصمة بأكملها وفق شبكة واسعة من طرق المواصلات المنتظمة، امتدّت عبر نحو مائة حيّ سكني كبير، وضمت سوقين رئيسيين إلى جانب عدد من الأسواق الفرعية, غير أن أبرز ما يلفت النظر في هذا التخطيط العمراني كان قصر البلاط الإمبراطوري، تلك التحفة المعمارية البارزة التي أُقيمت في منتصف المساحة الإجمالية للمدينة تقريبًا, وقد اشتمل القصر على خمس مناطق سكنية مجمّعة ومحاطة بأسوار، تضم في داخلها مجموعات من القصور والأجنحة المخصّصة للعائلة الإمبراطورية. وبهذا الشكل، غدت تشانغآن أعظم تعبيرٍ عمراني جسّد مجد العرش الإمبراطوري في عهد أسرة هان، بل ويمكن عدّها انعكاسًا مباشرًا لقوة الحكم في زمن الإمبراطورة لو على وجه الخصوص(٢٠١).

وعلى الرغم من النبرة السلبية التي سادت كتابات سيما تشان حول شخص الإمبراطورة فإنَّه في غير مناسبه يظهر نقيضاً لما كتبه للوهلة الأولى؛ فلدينا نص يوحي إلى السلام والازدهار في عهدها, إذ يقول: "**في عهد الإمبراطور هوي (الصبي) ووالدته الإمبراطورة لو هي, كان الشعب قادر على التخلص من معاناة الممالك المتحاربة, واللوردات والاتباع اعتزموا الراحة وعدم الحرب وأصدرت المراسيم الملكية باسم السيدة لو دون الحاجة للخروج من قصرها, وكانت الإمبراطورية تنعم بالسلام والازدهار, ونادراً ما كانت تطبق العقوبات,**

---

(١٩٩) Bret Hinsch, **Women In Early Imperial China**, (Boston: Rowman & Littlefield Publishers, 2002), P 107.

(٢٠٠) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 5.

(٢٠١) Ibid, P 6.

فلا يوجد مجرمين في الإمبراطورية, وكرس الناس انفسهم للزراعة والحصاد و(نتيجة لذلك) أصبحت الملابس والطعام متوفرة بشكل متزايد"(٢٠٢).

وقد استتبّ السلام على الصعيد الداخلي خلال عهدها، إذ لم يشهد البلاط الإمبراطوري صراعاتٍ حادّة تُذكر، كما عمّ الاستقرار أراضي المملكة. ويُعزى ذلك، إلى حدٍّ كبير، إلى تماسك السلطة الحاكمة وتكاتف أفراد أسرة الإمبراطورة لو في إدارة شؤون الحكم، بعدما تبوّأ عدد منهم مناصب عليا في جهاز الدولة، الأمر الذي أسهم في تعزيز السيطرة المركزية وترسيخ الأمن الداخلي(٢٠٣) .

وعلى الصعيد الخارجي، انتهجت الإمبراطورة لو السياسة نفسها التي اتبعها زوجها كاو تسو في التعامل مع اتحاد شيونغنو، والقائمة على مبدأ الاسترضاء عبر سياسة المصاهرة , وقد تمثلت هذه السياسة في تزويج الأميرات الصينيات لزعماء شيونغنو، مقرونًا بمهور سخية، إلى جانب إرسال هدايا سنوية من الحبوب والحرير والخمور. وتشير بعض الروايات كذلك إلى أن ماوتن، حاكم شيونغنو، بعث برسالة إلى الإمبراطورة الأرملة لو ألمح فيها إلى وحدته، ولوّح بإمكانية عقد تحالف زواجي معها. وقد ردّت الإمبراطورة معربةً عن امتنانها لما أبداه من اهتمام، غير أنها أوضحت، بلباقة سياسية، أن تقدمها في السن ووضعها الجسدي لا يؤهلانها لأن تكون موضعًا لمثل هذا الارتباط، في تعبير يعكس حرصها على الحفاظ على التوازن الدبلوماسي دون الانجرار إلى التزامات رمزية غير مألوفة قائلة له: "**لقد قصر نفسي واخذ شعر راسي وأسناني في التساقط وتعثرت مشيتي, لكني امتلك عربتين إمبراطورتين ومجموعتين من الخيل سوف أرسلها اليك عساك أنْ تداوم على ركوبهما**"(٢٠٤).

ويبدو أنَّ سياسية الاسترضاء نجحت إلى حد ما في تهدئة الجبهة الشمالية من الصين, على الرغم من حدوث بعض الغارات التي كان يشنها أفراد من شيونغنو على الأراضي الزراعية التي يستوطنها الفلاحون الصينيون في الشمال الغربي, ولكنها لم تصل إلى تهديد حقيقي يزعزع استقرار الإمبراطورية(٢٠٥).

---

(٢٠٢) Hans Van Ess , **Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu**, , P 236.

(٢٠٣) Sharon Sanderovitch , **Empress Lü** , P 2.

(٢٠٤) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٩٠.

(٢٠٥) Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P 712.

وفي أقصى جنوب الصين، نشأت مملكة أسسها لاجئون صينيون فرّوا من حروب أسرة تشين قبل نحو عقد من الزمن، عُرفت باسم مملكة «يو الجنوبية». وقد تمركزت هذه المملكة قرب البحر الصيني الجنوبي، في محيط مدينة كانتون الحالية، وتألف سكانها في الغالب من قبائل غير صينية خضعت لحكم ملوك من أصول صينية. ومع اتساع نفوذ هذه الدولة، ولا سيما في المناطق الخاضعة لسيطرة هان في حوض نهر اليانغتسي، سارعت جيوش هان إلى فرض حصارٍ عسكري واقتصادي عليها، الأمر الذي دفع حاكمها، الملك غاو دي، إلى الدخول في مفاوضات مع مبعوثي هان بهدف إبرام معاهدة سلام تُنهي الحصار, وقد أسفرت هذه المفاوضات عن نجاح الطرفين في التوصل إلى اتفاق أنهى حالة المواجهة(٢٠٦).

تمثّل هذه أبرز التطورات التي دوّنتها السجلات التاريخية على الصعيد الخارجي في ظل حكم الإمبراطورة لو، غير أن الخطر الداخلي وصراع السلطة يظلان الحدث الأهم في تلك المرحلة, ففي عام ١٨٨ ق.م توفي الإمبراطور الصبي هوي في ظروف غامضة قبل بلوغه سن الرشد، وقد وجّهت الروايات التاريخية، على نحوٍ غير مباشر، أصابع الاتهام إلى قسوة تصرفات والدته بوصفها عاملًا مؤثرًا في وفاته. وبموته، انفردت الإمبراطورة لو بالسلطة، فعمدت إلى تنصيب صبيين ادّعت انتسابهما إلى ابنها هوي، وذلك تفاديًا لانتقال الحكم إلى فرعٍ آخر من أسرة ليو, وطوال المدة التي شغل فيها هذان الصبيان منصب الإمبراطور الاسمي، مارست الإمبراطورة لو السلطة الفعلية على شؤون الحكومة، واستمر ذلك حتى وفاتها عام ١٨٠ ق.م(٢٠٧).

وقبيل وفاتها بقليل، سعت الإمبراطورة لو إلى إدامة هيمنة عشيرتها على السلطة من خلال ترك وصية تقضي بتعيين أفراد من أسرة لو في أعلى المناصب الوزارية، وفي مقدمتها منصبا رئيس الوزراء والقائد العام للجيش. وقد مثّل هذا الإجراء خرقًا صريحًا لـ«اتفاق الخيل الأبيض» الذي أُبرم في عهد زوجها الراحل الإمبراطور كاو تسو، والذي نصّ على حصر تلك المناصب العليا بأفراد أسرة ليو، مع فرض عقوبات على كل من يخالف هذا القرار(٢٠٨).

---

(٢٠٦) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 7.

(٢٠٧) Michael Loewe , Denis Twitchett, **Cambridge History Of China**, 15 Vols., Vol. 1: **The Ch'in And Han Empires, 221 BC – AD 220**, Cambridge 1986, P 518.
Hans Van Ess **, Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu**, P 230.

(٢٠٨) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 8.

توفيت الإمبراطورة لو عام ١٨٠ ق.م إثر عضة كلب تعرّضت لها أثناء عودتها من طقوس يُعتقد أنها أُقيمت لطرد الأرواح الشريرة، وربما جاءت هذه الطقوس في سياق محاولة درء سلسلة من الكوارث الطبيعية التي عُدّت نُذرَ شؤم، وكان آخرها كسوف الشمس, ويشير سيما تشيان إلى أن الكلب الذي هاجمها اختفى على نحوٍ غامض، وقد ربطت العرّافات هذه الحادثة بروح الأمير ليو روي المنتقمة. ودُفنت الإمبراطورة لو في ضريح زوجها الإمبراطور كاو تسو في تشانغلينغ(٢٠٩).

المبحث الرابع- التطورات السياسية في عهد ون وتشينغ (-١٧٩-١٤١ ق.م)

أولا – الصراع العائلي على العرش سنة ١٨٠ق.م

إن القوى السياسية التي أوصلت الإمبراطورة الراحلة إلى سدة الحكم، وأسهمت في الحفاظ على مكانتها بوصفها السلطة العليا في الدولة، ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بتشديد منظومة العقوبات وتطبيق إجراءات استثنائية وقاسية لدرء ما عُدّ تهديدات محتملة لحكمها. وقد شكّلت هذه الممارسات، ولا سيما العقوبات الشاذة التي نُفّذت بحق خصومها، أحد أكثر الأمثلة رعبًا على ما وُصف بوحشيتها، الأمر الذي منحها موقع الصدارة في السجلات التاريخية الإمبراطورية، حيث جرى الاستشهاد بها مرارًا بوصفها رمزًا لفساد عهدها واستبداده(٢١٠)لكن، ماذا لو اعتُبرت الإجراءات العقابية التي اتبعتها الإمبراطورة لو في حكمها مماثلة لتلك التي مارستها أسرة زوجها، الإمبراطور كاو تسو، ضد عائلة الإمبراطورة بعد وفاته، والتي سجّلتها المصادر نفسها بشكل إيجابي؟ يشير هذا في الواقع إلى وجود تحيز في هذه السجلات، التي ربطت فشل الإمبراطورة لو، رغم براعتها وكفاءتها، بدعمها لتسلط عشيرتها (أسرة لو)، وهو القرار الذي أدى في النهاية إلى تعرضها وأفراد أسرتها لخطر الإبادة السياسية والاندثار التاريخي(٢١١).

ولا تزال بنود «اتفاق الخيل الأبيض» الذي أُبرم قبل وفاة الإمبراطور كاو تسو عام ١٩٥ ق.م نافذة في النظام السياسي للإمبراطورية، ومؤثرة في أوساط الوزراء والمستشارين المخلصين لعائلة ليو, وكان استبدال الإمبراطور الراحل لجميع ملوك الدويلات والمقاطعات الذين لم يكونوا من أسرة ليو بأعضاء من عائلته، وسيلة لتعزيز سلطة الأسرة الملكية وتحقيق

(٢٠٩) Sharon Sanderovitch , **Empress Lü** , P 3.

(٢١٠) Anne Behnke Kinney , **Empress Lü. China's First Female Ruler** ,P 221.

(٢١١) Ibid , p 221.

مصالحها، بما يعكس تركيزه على ترسيخ المركزية الإمبراطورية وضمان ولاء المسؤولين للحكم الملكي المباشر(٢١٢) .

وقد تعاملت الإمبراطورة لو بعد وفاة الإمبراطور بالمثل، إذ دفعها الخوف الواقعي من احتمال تعرض أفراد عائلتها للإبادة بعد وفاتها إلى تعزيز نفوذ عشيرتها، أسرة لو، في مفاصل الدولة، على حساب الأسرة الملكية، عشيرة ليو. ولم يكن للخليفة الذي اعتلى العرش من أسرة ليو القدرة على مواجهة هذا التضارب في المصالح أو الحدّ من امتداد نفوذ الإمبراطورة وذويها، ما أكسبها سيطرة فعلية على شؤون الإمبراطورية طوال مدة حكمها(٢١٣) .

وفي هذا الاطار, زادت دوافع الإمبراطورة لو وضوحاً اذا ما نظرنا إلى أوضاع الوراثة داخل البيت الإمبراطوري؛ اذ كان للإمبراطور كاو تسو في عام ١٨١ ق.م سبعة أبناء بالغين من نساء محضيات, في حين لم يكن للإمبراطورة لو سوى ابنٍ واحد, وقد توفي قبل سنة ١٨٨ ق.م, ومن اجل ضمان استمرار عائلتها في السلطة, سعت الإمبراطورة لو إلى أبعاد أبناء الإمبراطور كاو تسو عن المشهد السياسي, فعمدت إلى سجن احدهم يدعى ليو يو بتهمة الخيانة وحرمته من الطعام حتى مات في سجنه جوعاً, ودفعت بأخر إلى الانتحار للسبب ذاته, ومات الثالث منهم فجأة, قيل لأسباب طبيعية(٢١٤).

وفي نهاية عام ١٨٠ ق.م، تعرضت الإمبراطورة لو لوعكة صحية، وقبل وفاتها عمدت إلى تعيين إخوتها وأبنائهم قادة للقوات الشمالية والجنوبية، وملوكًا على المقاطعات الإقطاعية، بدلًا من أبناء الإمبراطور كاو تسو الذين قضوا في حوادث مختلفة. وقد مثل هذا الإجراء محاولة أخيرة لضمان هيمنة أسرة لو على مفاصل الدولة وحماية مصالحها السياسية بعد رحيلها, وقالت في المرسوم الحكومي: "**قد أثار تعيينكم استياء الوزراء الأخرين, وهم قد يتمردون بعد وفاتي, فأمركم بالدفاع عن القصر الملكي, ولا تقوموا بالحداد لي**"(٢١٥).

وقد أشار هذا الإجراء إلى المؤشر المحتمل لسعي أسرة لو للاستيلاء على السلطة، إذ كانوا يدركون جيدًا أن أي فشل في هذا المسعى قد يعرضهم للإبادة بعد وفاة الإمبراطورة.

---

(٢١٢) Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire** , P 47.

(٢١٣) Hans Van Ess **, Praise And Slander: The Evocation Of Empress Lü In The Shiji And The Hanshu**, , P 232.

(٢١٤) Anne Behnke Kinney , **Empress Lü. China's First Female Ruler** , P 216.

(٢١٥) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 54 , ص٢١٧.

وعزز هذا القرار طموحاتهم السياسية، في ضوء اعتقادهم الراسخ بمكانتهم التي لا تقل شأنًا عن الأسرة المالكة، بل يروْن أنفسهم على قدم المساواة معها، أو حتى متفوقين عليها. ومن هذا المنطلق، لم يروا أي مانع يحول دون حلّهم محل الإمبراطورة في إدارة شؤون الحكم, كما استغلّوا تقدم الإمبراطورة في السن وسهولة التأثير عليها كعامل مساعد لتحقيق مآربهم في الوصول إلى سدة السلطة(٢١٦) لذلك سخرت الإمبراطورة لو سلطتها لضمان حماية حكم أسرتها، غير أن تطور الوضع سرعان ما انحرف عن تصورها. إذ أثارت هذه الإجراءات استياءً كبيرًا داخل المجلس الوزاري الموالي لعائلة ليو، وكان كبار الوزراء من أصدقاء الإمبراطور كاو تسو، ويُعدّون من أشد المخلصين للأسرة الملكية. وقد شكّل هذا التوتر بداية التصدع في التحالفات داخل البلاط، ممهّدًا للأحداث التي أعقبت وفاة الإمبراطورة(٢١٧) , وبمجرد الإعلان عن وفاة الإمبراطورة لو عام ١٨٠ ق.م، أرسل ليو جيانغ، حفيد الإمبراطور الراحل كاو تسو، شقيقه ليو شيانغ، أمير منطقة تشي، لشن هجوم على العاصمة تشانغان بهدف القضاء على أسرة الإمبراطورة لو والسيطرة على الحكم. وقد كان التصدي لمثل هذه القوة العسكرية يتطلب تأييد الجيش المركزي، فقررت أسرة لو تكليف الجنرال قوانيينغ بحماية العاصمة والدفاع عنها. إلا أن الجنرال تخاذل عن أداء مهمته، وتواصل سرًا مع ليو شيانغ للتآمر على القضاء على أسرة لو، ما سهّل سقوط نفوذها واستعادة السلطة لعائلة ليو(٢١٨) .

وكان (تشو بو) بصفته قائداً عاماً للجيش ومناصراً لعائلة ليو قد سيطر على المنطقة العسكرية الشمالية بطريقة سلمية, وذلك حينما صعد إلى المنصة العسكرية وطلب من أفراد الجيش الاختيار بالانضمام لعائلة لو أو مناصرة العائلة الملكية ليو, فصوت قادة الجيش وأفراده بالدفاع عن عائلة ليو(٢١٩).

وأثناء ذلك انضم الجيش الذي كان بقيادة الحفيد الإمبراطوري ليو شانغ والقائد قوانغييغ إلى قيادة المنطقة العسكرية الشمالية, ولم تبقى سوى المنطقة الجنوبية التي كانت بيد لو تشان ابن أخ الإمبراطورة "لو " الذي قرر المواجهة, وأدى ذلك إلى هزيمته ومقتله, ودخلت القوات

---

(٢١٦) Sima Qian , **Shiji** , 9. P 406 .

(٢١٧) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 54 , ص٢١٧.

(٢١٨) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 54 , ص٢١٨.

(٢١٩) Zhang Yangfan, **The Interaction Between Liu Bang And The Group Of Generals** , P 355.

الموالية لعائلة ليو العاصـــمة تشـــانغان, وقتلت جميع أفراد عائلة لو, وجيء بأحد أبناء الإمبراطور كاو تسو وهو الأمير ليو هنغ إلى العرش ليحكم البلاد باسم الإمبراطور ون[٢٢٠].

وتشـــير قراءة الأحداث التي أعقبت وفاة الإمبراطورة لو إلى أن الخوف الذي زرعته في نفوس الآخرين وقسوتها الشديدة كان أحد العوامل التي وحدت الإمبراطورية الهشّة، ومكّنها من تحقيق نوع من السلام المستدام لأكثر من خمسة عشر عامًا, ومن هذا المنظور، يمكن القول إن فشـلها النهائي لم يكن نتيجة وحشـيتها بحد ذاته، بل بسـبب عدم قدرتها على التنازل عن السـلطة في الوقت المناسـب أثناء مرضـها، ورفضـها حرمان أسـرتها من مواقع النفوذ, وعلى ســـبيل المثال، لو أنها قامت بتعيين أحد أبناء الإمبراطور كاو تســـو المتبقين خليفة لابنها الإمبراطور هوي المتوفى سنة ١٨٨ ق.م، لكان ذلك قد جنّب أسرتها خطر الإبادة الجماعية.

ثانيا – حكم الإمبراطور ون – 帝文(١٧٩-١٥٧ ق.م)

إنَّ مقتل عشـــيرة لو لم يكن كافياً لخلق الاســـتقرار في البلاط الإمبراطوري, والطفل الذي سمته الإمبراطورة لو وريثاً للعرش كان في موضـع شك من قبل الوزراء –على انه– ليس ابن الإمبراطور هوي, كما أبدئ أولئك القادة الموالون حرصـهم على رؤية إمبراطوراً قوياً قادر على إدارة الإمبراطورية, ولم يكن ضـــمن خيارهم وجود طفلاً على ســـدة الحكم. ومن بين البدائل الممكنة والمتاحة لاختيار الإمبراطور, برز أبناء الإمبراطور كاو تســـو الثلاثة المتبقون, اذ كانوا يشغلون مناصب ملوك لإقطاعيات في مناطق الشرق الصيني[٢٢١].

كانت العملية التي من خلالها تم اختيار واحد من هؤلاء غير عادية, وان قادة القوات الموالية الذين سـيطروا على العاصـمة, حددوا ببسـاطة أيَّ من هؤلاء الثلاثة سـوف يكون الأفضـل والأنسـب للحكم, ولم يكن ليو هنغ الذي وقع عليه الاختيار, الأقوى من بين أخوته الثلاثة, لكن استبعاد الأخوين الآخرين كان بسبب قوة شخصية أمهاتهم, فلن يرغب أحداً بعد الآن, بظهور مجنونة أخرى على شـــاكلة الإمبراطورة لو, وبالتالي, لم يُختر ليو هنغ للعرش بسـبب كفاءته السـياسـية, بل بسـبب تواضـع والدته التي ضـمنت ألا تشـكل أي تهديد عائلي مستقبلي في الإمبراطورية[٢٢٢].

---

[٢٢٠] Sharon Sanderovitch , **Empress Lü** , P 3.

[٢٢١] Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 8.

[٢٢٢] Ibid , P 9.

إنَّ الإمبراطور ون (١٧٩ – ١٥٧ ق.م) كان في منتصف العشرينيات من العمر عندما تولى الحكم ويعدّ شخصاً لطيفاً ومتواضعاً مع الناس, مشهوراً ببساطته في الحكم حينما كان حاكماً لتشي قبل توليه العرش, وهي صفة نادرة في أي حاكم صيني, وغالباً ما تم تصوير المدة الطويلة إلى حد ما من حكمه, على أنها حقبة ذهبية في عهد هان الأول[٢٢٣].

إنَّ اليوم الذي انتصر فيه القائد (تشو بو) في قمع عائلة لو, والدفاع عن حكم أسرة ليو صادف منتصف الشهر الأول حسب التقويم القمري الصيني التقليدي[٢٢٤] ومن اجل الاحتفاء بهذا اليوم, اصدر الإمبراطور ون مرسوماً يقضي بان يكون عيداً وطنياً, سمي بعيد الفانوس[٢٢٥], يخرج فيه الإمبراطور سنوياً من القصر لمشاركة الشعب في الاحتفالات, والى الآن تقوم العائلات الصينية بإضاءة الفوانيس, وممارسة رقصة التنين في هذا اليوم, ولازال إلى اليوم عيداً تقليدياً مهماً في الصين[٢٢٦].

وطيلة تمتعه بالحكم, اتبع الإمبراطور ون في كثير من الوجوه المثل العليا الذي ينبغي عليه الحاكم الكونفوشيوسي, لقد كان يعدّ وظيفة الإمبراطور مسؤولية, هدفها رفاهية الشعب,

---

[٢٢٣] احمد محمد الربيعي, **قصة تاريخ الصين , منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الحادي والعشرين** , بيت الحكمة للنشر والتوزيع, (القاهرة – ٢٠٢٤) , ص٤٢.

[٢٢٤] ان التقويم القمري الصيني بدأ منذ عهد شيا (قبل ٢٠٠٠ سنة)، لذلك يسمى بتقويم شيا أيضا، و له دور إرشادي للإنتاج الزراعي من القدم، ولطبيعته العلمية والواقعية ، استمر العمل بهذا التقويم حتى اليوم. ويقسم التقويم القمري الصيني الأيام الاعتيادية لكل سنة إلى ٤ فصول، و٢٤ يوما شمسيا محددا وأعياد سنوية. ويحدد دوران الشهر فى السنة كلها حسب تغيرات أشكال القمر، وباعتبار الشهر كوحدة أساسية يبدأ الشهر بظهور الهلال ، وينتهى بظهور الهلال الجديد قبل يوم واحد ينظر: تشينغ يوي تشن , **لمحة عن الثقافة الصينية** , ص ٣٥٦.

[٢٢٥] يصادف عيد الفوانيس اليوم الخامس عشر من الشهر الأول حسب التقويم القمري الصيني، وكلمة "شياو" تعني الليل و"يوان" تعني الأول ويعني ذلك أول ليلة بدر في السنة الصينية الجديدة. ولأن البدر مهم جدا للصينيين، ويرمز إلى التئام شمل الأسرة والسعادة في الحياة، يحرص الناس منذ القدم على الاحتفال في هذا اليوم المميز، وبالنسبة للصينيين، قدوم عيد الفوانيس يعني الانتهاء من الاحتفال بعيد الربيع، واعتاد عامة الناس في الصين على تعليق الفوانيس الملونة في تلك الليلة منذ القدم ولذلك سمي بعيد الفوانيس. ينظر: تشينغ يوي تشن , **لمحة عن الثقافة الصينية** , ص ٣٥٦.

[٢٢٦] نخبة من العلماء , خمسة الآلف من تاريخ الصين , المجلد الأول , 54 , ص٢١٩.

وقد خفض الضـــرائب حتى وصـــلت إلى حدها الأدنى, واعتق عبيد الحكومة, وقاوم فســـاد الموظفين وخفف من شـدة القانون حتى صـارت عقوبة الإعدام نادرة التنفيذ, واجرى معاشـات للمسنين, والغى القوانين التي تحظر نقد الإمبراطور(٢٢٧).

وكان هو واحداً من أربع وعشـرين مثلاً كلاسـيكياً للبر بالوالدين في الصـين, مما جعله يخدم أمه المريضـة لثلاث سـنوات دون أنْ يغير ملابسـه, وكان شـاعراً وأديباً, وقد رثى والده الراحل الإمبراطور كاو تسو بأبيات شعرية في غاية الإبداع والروعة(٢٢٨). كما جاء في النص:

"إلى السماء اللازوردي اللامتناهي طارت روح أبي

وتُركت دون أصدقاء , لا احد يهتم بي لوحدي

محروم من السلوان فيما عدا البكاء والآهات

قلبي لا يزال فتيا مثقلا بالألم

يا للأسف على أبي فصل عن كبريائه

يا للآسف أنا لا استطيع ان اقف إلى جانبه بعد اليوم"(٢٢٩) .

واصـــل الإمبراطور ون ما كان عليه الإمبراطور كاوتســـو في منح الأرض والألقاب لتعزيز حكمه ولكن الأمراء المعينين ســـابقاً قد صـــاروا أقوياء, وبدأوا في تهديد الحكومة المركزيـة, وكـانوا المســـؤولون الحكوميون بعيـدي النظر قـد لاحظوا الخطر بـالفعـل, فقـدم المسـتشـار(جيا ايي) مذكرته الشـهيرة "سـياسـة الحكم" التي أوصـى فيها بأن يقسـم الإمبراطور أراضـي النبلاء ويمنح قطعاً صـغيرة منها لأبنائهم وأخوتهم, مما يضـعف أي دولة منهم, وقام الإمبراطور بتقسيم تشي إلى سبعة أقسام صغيرة وفعل الأمر ذاته مع هونان وغيرها(٢٣٠).

ونظراً لانهماك البلاط الإمبراطوري والولايات المحلية في اسـتعادة الانتعاش الاقتصـادي واسـتقرار الأوضـاع الاجتماعية كلٌ على حدة, أصـاب الوهن والضـعف تلك الولايات التي عاشت في سلام وحسن جوار إلى حد ما, كما استجابت للإجراءات المركزية التي تهدف إلى

---

(٢٢٧)هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص٢٤١-٢٤٢.

(٢٢٨) هيربرت .أ. جايلز , **تاريخ الأدب الصيني** , ص١٠٩.

(٢٢٩) المضدر نفسه , ص ١١٠.

(٢٣٠) مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ترجمة نانسي محمد , شركة العربي للنشر , القاهرة – ٢٠١٨ , ص ١٢٢.

الحفاظ على الاستقرار السياسي, ولكن مع الانتعاش والتطور الاقتصادي في أنحاء البلاد شهد حكم الإمبراطور ون ظهور التناقض بين السلطة الإمبراطورية والولايات المحلية رويدا رويدا. لذلك, اصبح تدعيم وتعزيز السلطة السياسية المركزية الموحدة القائمة على أساس الاقتصاد الإقطاعي مطلباً موضوعياً لتحقيق التطور الاجتماعي والاقتصادي في أوائل أسرة هان, وجسّدت أفكار (جيا ايي) هذا المطلب الموضوعي تجسيداً بارزاً[٢٣١].

وكان الإنجاز الرئيس لعهد الإمبراطور ون هو المضي قدماً في تقليل عدد ونطاق الولايات الإقطاعية, على الرغم من أنَّ جميع تلك الولايات كان يحكمها أفراد من العائلة الملكية باستثناء واحدة إلا ان الإمبراطور ادرك انَّهُ مع مرور الوقت, كان من المحتم ان يتراجع الإحساس بالارتباط العائلي, وبالتالي تكون تلك الولايات مصدر تهديد للحكومة المركزية على الأمد الطويل[٢٣٢].

نتيجة لذلك, أعادت أسرة هان في عهد الإمبراطور ون التوازن السياسي المطلوب, بحيث أخذت بعين الاعتبار مصالح الأسر الأرستقراطية والملكية التي استهدفتها أسرة تشين, في الوقت الذي عملت فيه على تقليص نفوذها وامتيازاتها مع الزمن, كما أعادت شرعنة نفسها في كونفوشيوسية متشربة ببعض المنطلقات القانونية والطاوية غير المعترف بها. ولهذا, كانت الدولة في عهده مستقرة, لأنها قامت على تسويات وحلول وسط[٢٣٣].

لذلك, تمحور الفكر السياسي الرئيسي في عهد الإمبراطور ون على عدم قيام الحكام بأثارة الشعب وإرهاقه كثيراً من اجل الحفاظ على الوضع السياسي المستقر نسبياً, ومنح الشعب فرصة لتحقيق الازدهار واستعادة قوته, فضلاً عن تحقيق الانتعاش الاقتصادي وتوطيد أركان السلطة الإمبراطورية لهذه الأسرة[٢٣٤].

وعلى مدى ٢٢ عامًا من حكمه، اتسم الإمبراطور ون بالتواضع والاقتصاد. ففي إحدى المرات، رغب في بناء شرفة في القصر، لكنه تراجع عن الفكرة عندما أدرك أن تكلفتها ستبلغ

---

[٢٣١] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ترجمة: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة – ٢٠٠٤)، ص ٢٧١.

[٢٣٢] Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 9.

[٢٣٣] فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي (من عصور ما قبل الإنسان إلى الثورة الفرنسية)** ، ص ٢٠٢.

[٢٣٤] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**،ص ٢٤١.

مائة قطعة ذهبية. وبما أن تركيزه كان منصبًا على التعليم بدلاً من العقاب، أصبح العديد من المسؤولين أكثر تساهلًا في أحكامهم، ما ساهم في تخفيف قمع الشعب. ولم يتم التخلي عن النظام القانوني الذي أسسته بدايات أسرة هان، إلا أنه يُذكر أنه طُبّق على بضع مئات من الحالات فقط، بما يتماشى مع توجهه الكونفوشيوسي الذي يرتكز على حياة مثالية خالية من العقاب. وقد تباين حكمه بشكل حاد مع الفترة الدموية في نهاية عهد أسرة تشين، حين كان نصف السكان إما سجناء أو يعملون في السخرة[٢٣٥] .

وعلى الرغم من أن الإطار السياسي والتنفيذي للإمبراطورية ظل قائماً على أساس قانوني، فإن سمعة أسرة تشين بوصفها حقبة استبدادية جعلت من المستحيل الإعلان عن القواعد القانونية للسلالة الجديدة بشكل رسمي. وبدلاً من ذلك، شرع قادة حكومة هان في دراسة الفلسفات المختلفة التي ازدهرت في أواخر عهد تشو، بحثًا عن فلسفة يمكن أن تستوعب واقع سياسة هان القائمة على مبدأ "حكومة صغيرة وشعب كبير"[٢٣٦].

وأثناء العام الأول من حكم الإمبراطور ون- أي عام ١٧٩ ق.م - اصدر أعلاناً يشكك في أخلاقيات القوانين المتبعة في الإمبراطورية والتي تعاقب عائلة بأكملها على جريرة يرتكبها فرداً واحداً, اذ قال: "**تشكل القوانين الوسيلة المستقيمة للحكم فهي تكبح جماح الأشخاص العنيفين وتوجه نحو الخير. ولكن, الأن عند الحكم على فرداً واحداً فأن والديه وزوجته وأطفاله وأفراد أخرين من عائلته على الرغم من عدم إدانتهم بأي جريمة يتقاسمون عقوبة الذنب, بل ويجبرون على ان يصبحوا مدانين دون أي ذنب لهم, وانا ارفض تماما تبني مثل هذه الممارسات القانونية البشعة**"[٢٣٧].

وفي عام ١٧٦ ق.م كتب المستشار جيا إيي خطاباً إلى الإمبراطور ون يدعو فيه إلى إلغاء العقوبات المشوهة والمهينة المتمثلة بقطع الأيادي والأرجل والألسن, والحجة الرئيسة لـ (جيا ايي) هي ان التخلص من هذه العقوبات سيخلق نوعاً من الاحترام الخاص في شخص الإمبراطور, ويرى ان إعفاء الأشخاص المذنبين من تنفيذ هذه العقوبات بمثابة هدية يُخلق

---

[٢٣٥] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص ١٢١.

[٢٣٦] احمد محمد الربيعي , **قصة تاريخ الصين , منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الحادي والعشرين** , ص.٤٢

[٢٣٧] Sima Qian , **Shiji** , 10 . P 418 .

منها قوة, وهو ما وصفه ديفيد نيفسيون على نحو مناسب بـــــ "الامتنان الانتمائي" فيهم تجاه شخص الإمبراطور, مما سيشعر الاتباع بالامتنان للحاكم(٢٣٨).

يحيلنا هذا الإجراء لرسالة وجهتها ابنة احد المدانين الذي يدعى (تشو نيو يي) من مدينة تشـــي وكان طبيبًا ماهراً وأميناً لمخازن الحبوب في المدينة, وتصـــادف ان ادين بجريمة ما, وحكم عليه بعقوبة بتر الأطراف وكانت رســالة الابنة تينغ تحمل معاني متعددة اذ جاء فيها " **والدي ضابط وطبيب والجميع في تشي يشهد استقامته وعدالته, وهو الآن, مدان بموجب القانون وحكم عليه بالعقوبة وسيق إلى العاصمة لتنفيذها, وإنني حزينة, فلا يمكنني من إعادة ميت للحياة, ولا تفادي عقوبته بأي (فدية كانت), رغم إنني أود ان اعرض نفسي في ان اصبح جارية في القصر تخدم سيدها الإمبراطور مقابل اطلاق سراح أبي والسماح له في بدء حياته من جديد**"(٢٣٩).

عند قراءة تلك الرسالة، يتضح أنها تشير إلى نقطتين رئيسيتين. الأولى: أن العقوبة لا يمكن إلغاؤها، فهي حتى وإن لم تكن مميتة، فإنها سلبت الحياة بطريقة أو بأخرى، فلا يمكن لشخص مبتور الأطراف أن يعود كفرد سوي في المجتمع. ومن ثم، فإن العقوبة لا تستطيع تصحيح الخطأ السابق بقدر ما هي متأصلة في قسوتها بذاتها، وهي بذلك تشكل أساس مناشدة الإمبراطور (٢٤٠).

والنقطة الأخرى: أن تلك الرســـالة أثارت شـــفقة الإمبراطور، وأدت إلى تأثيرين مهمين؛ الأول إطلاق سراح والد تينغ، والثاني إدخال بعض التغييرات الأساسية في الأحكام القضائية بالإمبراطورية. ومن ثم، تمثل هذه المرحلة مدة تصحيح للممارسات القانونية التي كانت قاسية على الشعب الصيني، وكانت تلك التطورات في النظام القانوني نقطة تحول هامة في التاريخ الصيني نحو توجه أوسع للإصلاح. وعلى الرغم من أن الابنة تينغ لم تطالب بشكل مباشر بتحولات سياسية واسعة، كما قد يتوقع المرء من ابنة رجل معرض لعقوبة قاسية، فإن طلبها كان أساسه مناشدة الرحمة في حالة محددة، نظرًا لسلوك والدها الصالح سابقًا. ومع ذلك، فقد

---

(٢٣٨) Stuart V. Aque, "**The Hanshu Biography Of Jia Yi And Other Writings**," M.A. Thesis (University Of Washington, 1989), P 89. David S. Nivison, "**The Paradox Of 'Virtue,**'" In Idem, The Ways Of Confucianism: P 20-37.

(٢٣٩) Charles Sanft , **Six Of One, Two Dozen Of The Other ...**, P 82.

(٢٤٠) Ibid , P 83.

ساهمت شجاعتها في عرض القضية في دفع الإمبراطور ون نحو توسيع نطاق الإصلاحات القانونية في الإمبراطورية[٢٤١].

وكما هو الحال مع أي تطور كبير, فمن المؤكد ان القرار الذي اتخذه الإمبراطور ون كان اكثر من مجرد حادثة واحدة, بل هو استمرار للعملية الإصلاحية التي جاء من أجلها للحكم, فضلاً عن ارتباطه الوثيق بالنظريات السياسية التي يشار اليها باسم "هوانغ لاو"[٢٤٢], والتي كانت بمثابة عقيدة جديدة نشأت من مزج الأفكار الطاوية والقانونية, وأصبحت بمرور الوقت ايدلوجية حكومية غير رسمية, وشددت على قيمة القانون, ونوع من عمليات المكافأة ولكنها روجت أيضا لفكرة التدخل الحكومي المحدود, وحثت على معاملة الناس بطريقة تجعل حياتهم سهله[٢٤٣].

وأثناء ذلك ابدى الإمبراطور ون بدفع من عقيلته الإمبراطورة داو, إعجاباً شديداً بالطاوية والتي دون أدنى شك جاء بها رئيس الوزراء تساو الذي خلف شياو خه في المنصب بعد وفاته, ومضى قدماً في تنفيذ سياسته الطاوية, وقد نُسَبتْ اليه مقولة "**إنَّ الشعب يتمتع بالاستقرار والسلام بفضل سياسة "التهدئة والخمود"**, وذكر سيما تشان: "أنَّه بعد ان تخلص الشعب من وحشية وقسوة حكم تشين, جلب تساو الهدوء والخمود ولذا قدَّره العالم تقديراً عالياً"[٢٤٤].

---

[٢٤١] Gao Heng , **Qin Lü Zhong** '**Li Chen Qie**' **Wenti De Tantao** , WW 7 press , (1972), P. 46. Nivison, "**Royal** '**Virtue**' **In Shang Oracle Inscriptions**," *EC* 4 press ,(1978–79), Pp. 52–55.

[٢٤٢] تشير كلمة هوانغ إلى شخص الإمبراطور الأصفر الذي يعد اشهر أباطرة الصين الأسطوريين وكلمة لاو إلى لاوتسي مؤسس المدرسة الطاوية في الصين في عصر تشو الشرقية في القرن السادس قبل الميلاد, وبالتالي تكون مدرسة هوانغ لاو هي مزيج بين تعاليم الإمبراطور الأصفر المورثة في كتب كونفوشيوس والطاوية وأول من اتخذ هذا النموذج في الحكم كانت الإمبراطورة لو ثم تبعها الإمبراطور ون والإمبراطور جينغ ينظر:

Xi And He Gun, **The Legendary Emperors**, Indiana University, History G380 – Class Text Readings – Spring 2010 –, P.P 2–3.

[٢٤٣] احمد محمد الربيعي , **قصة تاريخ الصين , منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الحادي والعشرين** , ص٤٢.

[٢٤٤] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص ٢٤١.

ان المستشار (جيا ايي) الذي كان كونفوشيوسياً في الأساس, تأثر بالأفكار الطاوية تأثرا جليا وعدّ الطاوية أساس الدين والسياسة, وشجع الحكام على اتباع أفكار الطاوية المتمثلة في "الخمود" الذي يعني تخفيف الأعباء عن الشـــعب, وعلى هذه النحو أصـــبحت الأيدولوجية الطاوية التيار الفكري الرئيس في هذه المدّة, والتي تتوافق مع الاحتياجات الســياســية للطبقة الحاكمة في أســـرة هان, واضـــطلعت بدور إيجابي وفعال في انتعاش وتطوير الاقتصـــاد الإقطاعي, وتوطيد دعائم حكم البلاط الإمبراطوري لهذه الأسرة(٢٤٥).

وفقًا لمبادئه النبيلة في الحكم، وصل الإمبراطور إلى حد أنه اقترح على البلاط ألا يتولى ابنه عرشه، بل أن يُختار أفضل شخص في الإمبراطورية ليكون وارثًا له. ومع ذلك، نصحه مســـتشـــاروه بأن هذه الخطوة قد لا تفيد الإمبراطورية، بل قد تعرضـــها للخطر. وقد عاش الإمبراطور حياة مقتصدة، وطلب عند وفاته أن يكون العزاء محدودًا وبأضيق الحدود، حتى لا يُثقل كاهل الشعب(٢٤٦) .

وطالت سياسات التقشف التي اتبعها الإمبراطور ون حتى أسلوب معيشته الخاص اذ كان يرتدي اردیه حريرية خشـــنة, وحدد الأنماط التي يرتديها رفاقه, وقد رفض جميع المقترحات لتحسين أو توسيع القصر الإمبراطوري, وقلل من حجم الحاشية الإمبراطورية واعفى الناس من الديون الضريبية في أوقات الحاجة(٢٤٧).

وتفاجأ بحدوث كســوفين متتالين للشــمس في عهده مما يعد نذير شــؤمٌ, فأصــدر خطاباً للشعب عام ١٦٣ ق.م تحدث فيه قائلاً: "**وأيما وصل هذا الأمر فليتأمل الجميع في أخطائي, ولينظروا في ما قصــر فهمي ورؤيتي وفكري ...., أتوســل اليكم ان توصــوني في الحكماء والصالحين الذين يصرحون لي عن هفواتي ويعينوني على تدارك عيوبي**"(٢٤٨).

حقيقةً، لم يكن ذلك رياءً، إذ مثل الإمبراطور ون نموذجًا متكاملًا للفضيلة الكونفوشيوسية والهدوء الطاوي، وكان واحدًا من أعظم الملوك المحبين للخير في التاريخ. ومع ذلك، ومع

---

(٢٤٥) المصدر نفسه, ص٢٤٢ -٢٤٣.

(٢٤٦) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص ٢٤٢.

(٢٤٧) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 11.

(٢٤٨) Sima Qian , **Shiji** , 10 . P 422 .

اقتراب نهاية حكمه، أصبح شديد الإيمان بالخرافات، واستمر المغامرون الذين يدعون امتلاك قوى سحرية في استغلال ذلك لإيهامه وتحايلهم عليه(٢٤٩).

وشهدت البلاد أوضاعًا داخلية مستقرة طوال مدة حكم الإمبراطور ون التي امتدت لاثنين وعشرين عامًا. وقد وصف المؤرخ سيما تشان هذه المدة بأفضل صورة، قائلاً "إن الإمبراطورية كانت تنعم بالسلام، ولم تشهد لمدد طويلة فيضانات أو جفافًا، وقد بدا ذلك كفصل من فصول الرخاء, وكانت خزائن الحكومة ممتلئة بالعملات، متكدسة في أكوام لا تُعد ولا تُحصى، بينما تراكمت مخزونات الحنطة في المستودعات عامًا بعد عام إلى درجة العفونة، ومع ذلك بقيت مكدسة ومخزنة, كما كانت الشوارع مزدحمة بالأحصنة المملوكة لأهلها، وتمتع سكان القرى باللحم والخمر"، مما يعكس وفرة الغذاء والرفاهية العامة في تلك الحقبة(٢٥٠).

وعلى الرغم من الاستقرار الداخلي الذي امتدحه سيما تشان في حولياته، فإن الإمبراطورية ورثت أوضاعًا غير مستقرة على الحدود الشمالية والجنوبية. ففي الجنوب، أعلن حاكم يو الجنوبية عصيانًا ضد أسرة هان، وتعرضت مدينته للحصار خلال عهد الإمبراطورة لو، لكنها فشلت في قمع التمرد, وعند تولي الإمبراطور ون الحكم، أدرك أن الحل الأمثل لإنهاء هذا العصيان يكمن في الدبلوماسية، فنجح من خلال المفاوضات في إعادة حاكم يو إلى طاعة أسرة هان، وبهذا أنهى جميع الصراعات على الجبهة الجنوبية, ومن خلال هذه الخطوة، امتد نفوذ أسرة هان حتى بحر الصين الجنوبي(٢٥١).

وعلى الجبهة الشمالية، واصلت قبائل شيونغنو تهديداتها للحدود والمناطق الزراعية، حتى وصل بهم الأمر إلى توغل سلاح الفرسان إلى مسافة مائة ميل من العاصمة تشانغان. وعلى الرغم من انسحابهم دون اشتباك مباشر مع القوات الصينية، إلا أن هذه الغارة شكلت تهديدًا حقيقيًا للإمبراطورية الهانية، وكشفت عن نقاط ضعفها العسكرية، مما استدعى إعادة النظر في الاستراتيجيات الدفاعية على الحدود الشمالية(٢٥٢).

وتفادياً للحرب مع شيونغنو, وَجَّهَ الإمبراطور ون رسالة لبقة إلى زعيم الهون يدعوه فيها بالقائد, ويشكو اليه ما كان من خرق لما تقتضيه علاقات الود والسلام, "**أننا نثق – عن تقدير**

---

(٢٤٩) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص٢٤٢.

(٢٥٠) هيربرت .أ. جايلز , **تاريخ الأدب الصيني** , ص١١٧.

(٢٥١) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 10.

(٢٥٢) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 10.

واحترام – في ان القائد العظيم حســـن النية , وقد تســـلمنا بكل تقدير واحترام – الجوادين الذين أرسلهما القائد العظيم الينا"[٢٥٣].

وقد تم تبني سـياسـة الإرضـاء وكل ما يقع شـمال السـور الطويل وما به من أمم القوس والســـهم يخضـــع للقائد العظيم, وكل ما يقع داخل حدود الســـور الطويل وأعنى بذلك القبعة والنطاق يخضع لآل هان, "إننا– نحن وانتم– لأولئك الناس بمنزلة الأب والأم ويجب إلا نقطع علاقات الود والأخوة لأتفه الأسباب كخطأ ارتكبه احد المبعوثين, وكما يقال فالسماء لا تخص أحدا بالغطاء والأرض هي مقر البشر جميعاً فدعونا الآن ننسى مشكلات الماضـي في رغبة صادقة لتوطيد عرى صداقة دائمة يعيش شعبنا كأبناء أمة واحدة"[٢٥٤].

وعلى الرغم من الرســـائل والهدايا المتبادلة بين الهان والهون, إلا انه في عام ١٥٨ ق.م تأثر زعيم الهون بإشـــاعة عن نية الهان غزو أراضـــي الهون رغم اســـتحالتها حينذاك, لكنها كانت سبباً في إعلان الحرب ضد الإمبراطورية واحتل جنوده مناطق واسعة من أراضـي الهان في شانغجون ويونجونغ وحصلت أعمال نهب وقتل وأحراق فيها, وسارع الإمبراطور إلى تنظيم قواته العسـكرية والتصـدي لغزو الهون ونجحت القوات الصـينية في دحر الهون ودفعها نحو مناطقها واشـتهر القائد (تشـو يافو) ببراعته ومهارته العسكرية أثناء الحرب, وتمت ترقيته قائداً عاماً لكتبيه الحراسة الخاصة بالعاصمة وهو منصبٌ رفيع في الإمبراطورية[٢٥٥].

وعلى شـاكلة والده الراحل الإمبراطور كاو تسـو ، فإنَّ الإمبراطور ون أنجز عمله حاكماً قديراً بعد أن أكمل مهامه بنجاح، وشـــجع على نمو الزراعة والتجارة والصـــناعة، وكان في السـنوات الأخيرة من عمره يشـغل كل وقته لتنظيم توازن النفوذ بين الممالك الإقطاعية ضـمن إمبراطوريته, وكانت كل مبادراته تلقى استحسان الجميع، وفي عام ١٥٧ ق.م رحل الإمبراطور بسـلام بعد أن بلغ قمة المجد، وليس على غرار نهاية الإمبراطورة لو، فقد تبعه ليو تشـي ابنه بالحكم دون حوادث تذكر في هان.

ثالثا – حكم الإمبراطور جينغ - 帝景(١٥٦-١٤١ ق.م)

تقلد الإمبراطور جينغ(١٥٦-١٤١ ق.م) الحكم إمبراطوراً خامســـاً لأســـرة هان, بعدما توفى أبيه الإمبراطور ون عام ١٥٧ ق.م. وقد واصـل إلى حد كبير سـياسـة والده الراحل في

---

[٢٥٣] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٩١.

[٢٥٤] المصدر نفسه , ص ٩١.

[٢٥٥] نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 55 , ص ٢٢٣-٢٢٤.

الحكم, باتباع المذهب الطاوي, واصـــدر مرســـوماً في العام الثاني من حكمه قال فيه: "**إن الزراعة هي أساس البلاد, فمن الضروري إنشاء نظام يقوم فيه الإمبراطور بنفسه بحراثة الحقول, ويقود الناس شخصيا في الزراعة**"[٢٥٦].

واهتم رئيس وزراءه تشـــاو تســـو بالإنتاج الزراعي اهتماماً بالغاً, وعدّ تطور هذا الإنتاج بمثابة أداء مهمة لتوطيد وحدة الإمبراطورية, وذكر: "أنَّ توفير الغلال يمثل الوظيفة الأساسية للحاكم والاهتمام الرئيس للسـياسـة". من هنا, انبعثت أفكاره الاقتصـادية من نظرية "الاهتمام بالغلال" انطلاقاً من اعتقاده بأن هذه النظرية ســـتؤدي إلى ازدهار الإمبراطورية, وتخفف من وطأة الإيجارات والضرائب الباهظة عن كاهل الفلاحين[٢٥٧].

ولدعم تلك السياسة, أصدر الإمبراطور مرسوماً آخرأ قال فيه: "**لا يمكن أنْ يحل الذهب والبيشـــب والمجوهرات رغم غلائها وندرتها محل الغلال والكتان والحرير, فينبغي على الموظفين المحليين ان يحثوا الناس على زيادة دود القز واستصلاح الأراضي البور**" وبالطبع فان الهدف الجوهري من ذلك, هو تنمية اقتصاد الطبقة الشاغلة للأرض ورفع إيراداتها[٢٥٨].

ومنحت هذه الإصلاحات الفرصة للناس لتحقيق الازدهار والانتعاش الاقتصادي وتطوير الاقتصاد الإقطاعي وتخفيف الأعباء الملقاة على عاتق الشعب, وتخفيف وتيرة الاستغلال. لكن يبدو أنَّ ظلال الأزمات تحوم وراء أيام الرخاء, إذ منح الإمبراطور جينغ سراً حق صك العملة لكبار اللوردات والسادة الإقطاعيين وملّاك الأراضي, وكان لهذا القرار الأثر السيئ على قوة العملة, اذ انخفضت قيمتها الشرائية, وتسبب هذا الانخفاض في قيمة العملة إلى ارتفاع أسعار السلع, وعرقلة تبادلها الطبيعي. ومن ناحية أخرى, صار الأغنياء وحكام الولايات المحلية اكثر ثراءً ونفوذاً من الإمبراطور وهددوا قوة الحكومة المركزية[٢٥٩].

وقد عبر عن هذا الوضع سيما تشان في سجلاته التاريخية إذ قال: "**تدريجياً بدأت العملة تتدهور والنقود الخفيفة يتم تداولها وعند ذلك تبعتها قضية أخرى كانت كل قطعة معلمة بـ**

---

[٢٥٦] احمد محمد الربيعي , **قصة تاريخ الصين , منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الحادي والعشرين** , ص٤٢.

[٢٥٧] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص ٢٧٤.

[٢٥٨] نخبة من المؤلفين، **تاريخ الصين**، ج ١، ص ٣٩.

[٢٥٩] احمد محمد الربيعي , **قصة تاريخ الصين , منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الحادي والعشرين** , ص٤٢.

(نصف اونس) لكن قاد نظام القضايا الخاصة إلى سوء استغلال ونتج عنه أول شيء كميات كبيرة جداً من المال تجمعت في أيدي الأفراد"(٢٦٠).

ولتفادي هذا الوضع الخطير, وجه رئيس وزراء البلاط تساو تشو, بأن تقوم حكومة الإمبراطورية باحتكار سك العملة, لأنه يحقق فوائد جمة ويساعد على عودة الفلاحين الذين هجروا أراضيهم الزراعية واشتغلوا في استخراج النحاس لسك العملة, مما يسهم في زيادة الإنتاج الزراعي, ووضع حد للعملات المزيفة وتحقيق استقرار في قيمة العملة والأسعار, وزيادة دخل الدولة وتدعيم قوتها العسكرية(٢٦١).

ولم تنتهِ إجراءاته عند احتكار سك العملة فحسب, وإنما امتدت لتقليل القاعدة المالية لحكام الولايات المحلية بدلاً من انتظار التقسيم البطيء الذي كان يستخدمه الإمبراطور الراحل ون ومستشاره جيا ايي, فسار في نهج عدواني ضد هؤلاء اللوردات من خلال البحث في أخطاءهم بغية معاقبتهم في مصادرة أجزاء كبيرة من أراضيهم بشكل شرعي لصالح الإمبراطورية (٢٦٢).

وفي عام ١٥٤ ق.م أدت الإجراءات الحكومية تلك بقيادة تشاو تسو إلى امتعاض حكام الولايات المحلية لأنها قلصت نفوذهم السياسي والاقتصادي وقللت من سيطرتهم على الأراضي مما دفعتهم في النهاية للتمرد ضد السلطة الإمبراطورية(٢٦٣).

رابعا: تمرد الدويلات السبعة عام (١٥٤ ق.م)

حكم بعد الإمبراطور كاو تسو أباطرة أقوياء على شبكة موحدة من الإرث الوراثي تحت وصاية السماء، واستمرت قوة السلطة المركزية المسيطرة على كل الإقطاعيات والممالك المتنوعة طوال الخمسون عاماً, وكانت تستمد قوتها في تلك المدَّة على أساس شخصية الإمبراطور التي تتوقف عليه استمرارية السلطة المركزية أو ضياعها(٢٦٤).

---

(٢٦٠) هيربرت .أ. جايلز , **تاريخ الأدب الصيني** , ص١١٧.

(٢٦١) خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص ٢٧٣.

(٢٦٢) المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

(٢٦٣) Homer H. Dubs, **The History Of The Former Han Dynasty By Pan Ku. Translation,** Volume One , (Baltimore: Waverly Press, 1938), P 248.

(٢٦٤) Wolfram Eberhard, **A History Of Chin**a), P.37.

خلال عهد حكم الإمبراطور ون، والد الإمبراطور جينغ، ورغم التحديات التي واجهت سلطة أسرة هان المركزية، لم تتفاقم أزمة انشقاق السلطة السياسية. وقد اتبع الإمبراطور ون نهجًا حكيمًا ومدروسًا لمعالجة هذا التناقض، مسترشدًا بنصائح المستشار جيا يي. تركزت هذه الحلول على إضعاف نفوذ الأمراء المحليين عن طريق زيادة عدد الإقطاعيات، مما أدى إلى تقسيم سلطاتهم وتفتيت قوتهم [٢٦٥].

لكن تفاقمت حدة الأزمة في ضل حكم الملك لوبي أمير "مملكة وو" التي شهدت عصياناً محلياً ضد سلطة الإمبراطور, ونتيجة لذلك الغى الإمبراطور ملكية الأمراء المحليين للأراضي الموروثة, وجردهم من سلطاتهم من خلال إرسال مسؤولين من البلاط, يتولون مسؤولية إدارة الولايات المحلية. وعلى هذا النحو, تقلصت مكانة تلك الولايات, وأصبحت أقاليم تابعة للإمبراطورية, فضلاً عن تضائل وضعف قوة الأمراء السياسية, فأصبحوا مجرد ملاك لا يحكمون, رغم أنهم من العائلة الملكية[٢٦٦].

بعد وفاة الإمبراطور ون في عام ١٥٧ قبل الميلاد، شهدت الإمبراطورية تراجعًا في قوتها المركزية, يُعزى هذا الضعف في المقام الأول إلى موقف الإمبراطور جينغ المتساهل في بداية حكمه أمام نفوذ زعماء الإقطاعيات، الذين كانوا في غالبيتهم أفرادًا من عشيرته الحاكمة، "عشيرة ليو.". وقد استغل هؤلاء الأمراء المحليون هذا التهاون لتبني سياسة توسعية، اذ ضموا القرى والمناطق المجاورة إلى نفوذهم على حساب السلطة المركزية, وتفاقمت الأوضاع بإعادة الإمبراطور جينغ منحهم صلاحيات سياسية واسعة، مدفوعًا في ذلك بمحسوبية القرابة، وتأثرًا بفلسفته الطاوية المستوحاة من والدته، والتي كانت تدعو إلى عدم التدخل في شؤون الممالك المحلية. أدت هذه العوامل مجتمعة إلى إضعاف قبضة الإمبراطورية على أقاليمها، مما مهد لتحديات مستقبلية للسلطة المركزية [٢٦٧].

ولم يكن العمل الذي واجهه الإمبراطور جينغ بالعمل السهل، ولم تكن مشكلته نقصًا في الأراضي التي يحكمها، لكنها كانت نقصاً في الأساليب التي يحكم بها, والوسيلة الوحيدة التي بقيت له، ترك الحرية لهؤلاء الحكام الإقطاعيين في حكم أراضيهم المحلية كيفما شاؤوا، ما

---

[٢٦٥] Meiyu Hsieh , **Viewing The Han Empire From The Edge** , A History Of Stanford University (2011) , P 79.

[٢٦٦] Ibid , P 80.

[٢٦٧] آن شنغ، **تاريخ الفكر الصيني**، ترجمة: محمد محمود، مراجعة: الدكتور جمال حشيد، المنظمة العربية للترجمة والنشر، (بيروت – ٢٠١٢)، ص ٦٢.

داموا يبقون على السلام، ويدفعون الأموال المطلوبة للإمبراطور، ويقودوا جنودهم ليساعدوه حينما يكون في حاجة إليهم(٢٦٨).

بدأت الجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تتجه نحو الانهيار التدريجي، إذ إنَّ اللوردات لم يظلوا على الوتيرة نفسها من التعاون، والخضوع للسلطة المركزية، فنشبت بينهم الصراعات المتكررة، وأخذت أقوى المقاطعات في ابتلاع جيرانها الضعفاء(٢٦٩).

ونتيجة لهذا النزاع, تفاقمت الأوضاع الداخلية للبلاد في عهد الإمبراطور جينغ, وازداد وضع الشعب سوءًا، وشنَّ الإمبراطور الحرب ضد الإقطاعيات الصغيرة بتوجيه من تشاو تسو، فزادت تبعًا لذلك أعباء الشعب، وكانت عاقبة هذا التطور، تمرداً مسلحاً قامت بها الدويلات السبع عام ١٥٤ ق.م في البلاد، وقد اقتحمت جيوش الولايات العاصمة بأسلحتها(٢٧٠).

وقد أسهم عدم الاستقرار داخل العائلة المالكة، الناتج عن تدخل والدة الإمبراطور جينغ في شؤون الحكم، أي الإمبراطورة داو، التي امتلكت نفوذًا واسعًا في صناعة القرار، في تفاقم تلك الاضطرابات. وقد انعكس هذا التدخل في بروز اتجاهين أيديولوجيين متعارضين داخل البلاط الإمبراطوري؛ تمثل الأول بالإمبراطور ورئيس وزرائه تشاو تشو، في حين تمثل الثاني بالإمبراطورة داو وعدد من الوزراء والمستشارين المؤيدين لها، والمعارضين لصعود تشاو تسو, وأسهم هذا الانقسام السياسي الخطير في تصدع وحدة القرار الإمبراطوري وإضعافه، الأمر الذي أفضى في نهاية المطاف إلى تدخل لوردات الإقطاعيات البعيدة في شؤون الحكومة المركزية (٢٧١).

ويُلاحظ في تلك المرحلة أن أسرة هان، بوصفها سلالة حاكمة، لم تكن قوية بأي حال من الأحوال؛ إذ لم تتجاوز في أصلها كونها قبيلة صغيرة، استندت في نفوذها إلى القبائل المساندة التي مُنحت إقطاعيات واسعة، وعاشت في أقاليم بعيدة عن مركز حكم هان, وقد امتنعت تلك القبائل عن دفع الجزية، وأحجمت عن إرسال الجنود للدفاع عن السلطة المركزية

---

(٢٦٨) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**....، ص ٣٥.

(٢٦٩) هالة أبو الفتوح أحمد، **فلسفة الأخلاق والسياسية...**، ص ٢٢.

(٢٧٠) نخبة من المؤلفين، **تاريخ الصين**، ج ١، ص ١٦.

(٢٧١) Robert Eno, **The Historical Background...**,P.16.

(٢٧٢). وهكذا, قد انتهت مركزية السلطة على أيدي الإقطاعيات الفردية، ونمت سلطاتها واستقلالها بسرعة على حساب السلطة المركزية، وهذه الإقطاعيات خلقت نوعًا من المؤسسات الحكومية العادية(٢٧٣). وكما أدى توسيع وظائف تلك الإقطاعيات، ومشاريع الري، والتشييد الواسع النطاق فيها، وجمع وتخزين الحبوب، وتشييد المدن المُسورة، وتنظيم القوات المسلحة وإدامتها، إلى بناء هياكل إدارية متماسكة، وصارت مستقلة ومكتفية ذاتيًا. كل هذه التطورات أدت إلى القضاء على رقابة سلطة الدولة المركزية، وأمست سيطرة هان على تلك الإقطاعيات اسمية(٢٧٤).

إنَّ عظمة دولة هان في القرن الثاني قبل الميلاد كانت واضحة على طوال الوقت، بحكم قوة شخصية ملوكها، لكنَّ الآليات الهيكلية التي يعتقد أنّها خلقت دولة عظيمة لم تكن كذلك في هذا العهد، فيبدو أنَّ الموارد التي تعود إلى المركز قد توقفت تمامًا، نتيجة ضعف وتساهل الإمبراطور جينغ وتصاعد قوة اللوردات الإقطاعيين(٢٧٥) الذين هم نتاج توسع الدولة السريع، وعدم كفاية مواردها، ووسائلها التي تضبط حكم "الوحدة الجيوسياسية الجديد"(٢٧٦).

وبالتالي تُركت الصين بدون حكومة مركزية فعالة، وازدادت الحروب بين جماعات السادة الإقطاعيين اندلاعًا وشراسة، ولم تقم القبائل البربرية على الحدود بغزو الصين فحسب، بل كان الصينيون يستدعونها أحيانًا لتكون حليفة لهم ضد الصينيين الآخرين، حتى إنَّ الإمبراطور جينغ نفسه وقع ضحية لهذا الأمر (٢٧٧).

---

(٢٧٢) Wolfram Eberhard, **A History Of China**..., P.41.

(٢٧٣) Korhan Yazgan, **Change In International System: A Comparative Study Of Hierarchic And Anarchic Systems**, Thesis Requirement For The Degree Of Master Of Arts, Waterloo, Ontario, Canada, 2005, P.47.

(٢٧٤) Korhan Yazgan, **Change In International System: A Comparative Study Of Hierarchic And Anarchic Systems**, P.47.

(٢٧٥) Li Feng, **Landscape And Power In Early China: The Crisis And Fall Of The Western Zhou (1045-771 Bc)**, Cambridge University Press, (London – 2006) P.284.

(٢٧٦) Ibid, P.284.

(٢٧٧) Meiyu Hsieh , **Viewing The Han Empire From The Edge** P.80.

ولمواجهة هذا التطور الخطير, عمد رئيس الوزراء في البلاط الإمبراطوري تشاو تشو إلى إلغاء سلطة الأمراء المحليين, وتقليص دورهم السياسي, وتمسك بسياسته القائلة "بأن الإمبراطور لا يمكن أنْ يكون الرجل الأعلى والاسمى إطلاقاً بوجود الأمراء الأخرين, ولا يمكن ان ينعم الحكم الإمبراطوري بالاستقرار أبداً طالما بقيت سلطة الأمراء"(٢٧٨).

يحيلنا هذا الأجراء إلى محاورة والد تشاو تسو وابنه بشأن مخاوفه من هذه الخطوة اذ قال له: **لم يمض وقت طويل على وصول الإمبراطور جينغ إلى الحكم, ولك منصب رفيع في القصر, فكيف اقترحت على الإمبراطور استرجاع مناطق نفوذ الأمراء, الأمر الذي قد يؤثر في طبيعة العلاقة بين الإمبراطور والأمراء** (الذين هم أصلا من عائلته) **وما سبب هذا؟"**(٢٧٩),

إنَّ إجابة تشاو تسو لوالده تعكس مدى إصراره وتمسكه في رأيه رغم مخاوف والده؛ فقد كان يرى من المناسب عمل هكذا أجراء لضمان استقرار العرش وديمومة حكم عائلة ليو, لكن جواب والده كان نابعاً من مخاوفه الحقيقة على مصير ولده اذ قال له: "نعم سيكون حكم عائلة ليو مستقراً, ولكن عائلتنا على الأرجح ستقسط في النهاية, وجئتك الآن مودعاً فلا طاقة لي في تحمل رؤيتك على أعواد المشانق"(٢٨٠).

كان والد تشاو تسو محقاً في مخاوفه, إذ بعد عشرة أيام من هذا اللقاء, تمردت الدويلات السبعة (وو , تشو , تشاو , جيادونغ , جياوشي , زوتشان , تشي) بزعامة حاكم وو الملك ليو بي, الذي استغل هذه الأزمة أيضاً لأخذ الثأر عما مضى في مقتل ابنه على يد الإمبراطور جينغ حينما كان وليا للعهد إبان عهد والده الإمبراطور ون عام ١٦٤ ق.م, وامتدت الأراضي التي سيطرت عليها قوات التحالف من الجنوب الشرقي لحوض اليانغتسي ونهر الأصفر إلى مدينة تشاو في الشمال, وأخرج مؤقتاً اقصى الشرق الصيني من سيطرة القوات الحكومية(٢٨١).

وفي مرحلة لاحقة, استطاعت قوات التحالف من بلوغ العاصمة تشانغان, وطلب قائد الحملة الملك ليو بي من الإمبراطور جينغ إعدام تشاو تشو مقابل إنهاء التمرد, وكان الإمبراطور قلقاً جداً, واستدعى الحكومة لمناقشة هذا الأمر, وكان بعضهم معادياً لتشاو تسو

---

(٢٧٨) خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص ٢٧٣.

(٢٧٩) نخبة من العلماء, **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 55 , ص٢٢٧-٢٢٨.

(٢٨٠) نخبة من العلماء, **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 55 , ص ٢٢٩.

(٢٨١) Robert Eno , **THE Reigns Of The Early Han Emperors** , P 14.

فالقوا باللائمة عليه؛ لتمرد الدويلات السبع, وانه المسبب الأساسي في هذه الأزمة الخطيرة نتيجة إجراءاته القاسية ضد حكام الولايات المحلية المتمردة وان إعدامه سيعجل في إنهاء الصراع(٢٨٢).

إنّ تشاو تسو، الذي كرّس حياته بأكملها لخدمة أسرة هان بإخلاصٍ تام، لم يكن على علمٍ بمصيره المحتوم. فقد جرى، على نحوٍ عاجل، استدعاؤه إلى البلاط الإمبراطوري تحت حراسةٍ مشددة، حيث أُعلن أمامه مرسوم الإمبراطور جينغ القاضي بالقبض عليه وتنفيذ حكم الإعدام بحقه. وقد جاء هذا المصير مطابقًا لما توقّعه والده قبل عشرة أيام، حين سارع إلى لقائه محاولًا إقناعه بالعدول عن مواقفه وتحذيره من العواقب الوخيمة، إلا أنّ محاولته باءت بالفشل, فعاد الوالد إلى بلدته مثقلًا بالحسرة، ليُقدم على الانتحار قبل أن يشهد المصير المحتوم لابنه (٢٨٣).

إنّ القرار الخاطئ الذي اتخذه الإمبراطور جينغ بإعدام تشاو تسو لم يُفضِ إلى تحقيق الغاية المرجوة منه والمتمثلة في انسحاب قوات التمرد؛ بل على العكس، لم يكن شعار «إعدام تشاو تسو» سوى ذريعةٍ وحجةٍ سياسية لتبرير التمرد على السلطة الإمبراطورية, كما أن ليو بي لم تكن لديه أي نية حقيقية للانسحاب ما دام يحتل موقع القوة ويُحقق بعض النجاحات العسكرية في مواجهته مع القوات الحكومية(٢٨٤) .

إنّ الجنرال تشو يافو، الذي حقق إنجازات عسكرية بارزة في مواجهة قوات الهون على الحدود الشمالية خلال الحرب الأخيرة ضد شيونغنو عام ١٥٧ ق.م، ورغم توتر علاقته بالإمبراطور جينغ، استجاب لهذه التطورات العسكرية الخطيرة وتولى قيادة القوات الحكومية في مواجهة قوات التمرد. وبفضل كفاءته وبراعته العسكرية، تجنّب الدخول في مواجهة مباشرة معها، واعتمد بدلًا من ذلك استراتيجية الالتفاف من الخلف لقطع خطوط الإمداد. كما تمكن من تفتيت قوات التمرد عبر فتح جبهتين متباعدتين؛ إحداهما من جهة العاصمة، والأخرى من خلف مواقع تلك القوات. وقد أتاح له هذا الانتشار الاستراتيجي شن هجمات مركزة وعلى أكثر من محور، انتهت بدحر قوات التمرد بالكامل، ومقتل الملك ليو بي، حاكم دولة وو (٢٨٥) .

---

(٢٨٢) نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الأول , 55 , ص٢٢٩.

(٢٨٣) المصدر نفسه , المجلد الأول , 55, ص٢٣٠.

(٢٨٤) Meiyu Hsieh , **Viewing The Han Empire From The Edge** P.77.

(٢٨٥) A. F. P. Hulsewé, **Remnants Of Han Law** (Leiden: E. J. Brill, 1955), P 162.

وهكذا، وفي غضون مدة قصيرة لم تتجاوز ثلاثة أشهر، جرى القضاء على هذا التمرد الخطير، لترسخ في نهايته أركان الحكم الإمبراطوري المركزي الموحّد. وقد استفاد الإمبراطور جينغ من إخفاقات تلك المرحلة، فبادر إلى سنّ تشريعات حدّت بشكل كبير من صلاحيات الأمراء، وقصرت مهامهم على جباية الضرائب في أقاليمهم وتحويلها إلى الحكومة المركزية، دون أن يكون لهم أي حق في التدخل في الشؤون السياسية. ومنذ ذلك الحين، تعززت مبادئ ترسيخ الحكم المركزي لأسرة هان في عهد الإمبراطور جينغ، وذلك بعد مرور أكثر من خمسين عامًا على تأسيسها(٢٨٦).

وإذا كانت الانتصارات الباهرة كثيرًا ما تبتلع صانعيها، فإنّ قائد هذه الحملة لم يخرج عن هذه القاعدة؛ فعلى الرغم من عودته المظفّرة وما لقيه من مظاهر الاحتفاء في العاصمة تشانغآن، تعرّض القائد العسكري البارز تشو يافو لاحقًا لنكران الجميل والجحود. إذ سرعان ما انقلبت تلك الحفاوة إلى معاملة قاسية، حيث واجهه الإمبراطور جينغ بسوء المعاملة خلال فترة حكمه، في مفارقة تعكس طبيعة العلاقة المتوترة بين السلطة السياسية والقيادات العسكرية الناجحة(٢٨٧).

في النهاية, يُعزى الانتصار الحاسم الذي حققه الإمبراطور جينغ ضد قوات التمرد إلى عاملين رئيسين، يعكسان تخطيطًا استراتيجيًا وعواقب سياسات سابقة:

العامل الاول – **فعالية سياسات تشاو تشو في إضعاف الإقطاعيات:** اضطلعت الإجراءات التي نفذها المستشار تشاو تشو، والذي أُعدم لاحقًا بأمرٍ من الإمبراطور جينغ، بدورٍ محوري في تهيئة الظروف المؤدية إلى تحقيق النصر. إذ أسهمت سياساته في تقليص المساحات الإقطاعية والحد من مواردها الاقتصادية والعسكرية، الأمر الذي أضعف قدرة الأمراء المحليين على التعبئة وحشد الإمكانات، وقلّص بالتالي فرص استجابتهم لأي مساعٍ تعاونية في سياق تطورات عسكرية كبرى. وقد تفاقم هذا الضعف نتيجة انقسام الولاءات داخل الأسر الإقطاعية نفسها، حيث مُنح الإخوة والأبناء إقطاعيات مستقلة، ما حال دون توحيد الجهود والموارد تحت قيادة مركزية واحدة..

العامل الثاني– **تفتيت السلطة المحلية وخلق الانقسام:** ان توسيع نطاق المشاركة في إدارة الولايات المحلية، وهي السياسة التي انتهجها تشاو تشو قبل إعدامه، من خلال تقسيم الولاية

---

(٢٨٦) Meiyu Hsieh , **Viewing The Han Empire From The Edge** P.82.

(٢٨٧) Wolfram Eberhard, **A History Of Chin**a, P.40.

الواحدة إلى عدة إقطاعيات أصـــغر. وقد جرى توزيع هذه الإقطاعيات بين الإخوة والأبناء لتولي إدارتها، مع إشراك موظفين حكوميين تابعين للسلطة المركزية في شؤون الحكم المحلي. وأسهم هذا الترتيب الإداري في إضعاف وحدة القرار لدى حكام الولايات بشأن الانضمام إلى قوات التمرد، إذ أوجد حالة من الانقسام السياسي والإداري حالت دون تنسيق المواقف. ونتيجة لذلك، عجزت هذه القوى المحلية عن تحقيق تعبئة جماعية فعّالة، وفشلت في حشد مواردها البشرية والمادية بصورة موحّدة في مواجهة السلطة المركزية.

استغل الإمبراطور جينغ هذا الوضع ببراعة، اذ عمل على توسيع دائرة الصراع لتشمل أفراد عائلته وأقاربه الذين كانوا جزءًا من حكام تلك الإقطاعيات. أضعف هذا التكتيك بشكل كبير إمكانية توحيد الجهود في مجابهة قوات المركز من قبل قوات الولايات المحلية. بعبارة أخرى، نجحت جهود تشتيت هذه القوات عبر خلق ولاءات مختلفة نتيجة الانقسام الذي أحدثته سياسات تشاو تشو. هذا الضعف الممنهج للقوات المحلية متعددة الولاءات مهد الطريق للقوات الحكومية بقيادة الجنرال تشو بافو للقضاء عليها وتدميرها الواحدة تلو الأخرى.

بعد القضـــاء على التمرد، توطدت أركان الحكم الإمبراطوري المركزي في الصـــين لأول مرة منذ ســـقوط إمبراطورية تشـــين عام ٢٠٦ قبل الميلاد, هذا الاســـتقرار الداخلي مكن إمبراطورية هان من التوجه نحو التوسع الخارجي، والسيطرة على مساحات شاسعة من شرق آســـيا, وبذلك، أصـــبحت إمبراطورية هان أقوى إمبراطورية في الشـــرق، لتضـــاهي بقوتها الإمبراطورية الرومانية في الغرب.

الفصل الثاني – التنظيم السياسي الداخلي والتوسع الخارجي (١٤١ ق.م–٩ م)

المبحث الأول- الشأن الداخلي وبناء الدولة في عهد الإمبراطور وو ١٤١-٨٧ ق.م

أولا- النظم السياسية والأطر المركزية

في أعقاب القضاء على تمردات الدويلات السبعة عام ١٥٤ ق.م, شرع الإمبراطور جينغ (١٥٦-١٤١ ق.م) في عملية تقليص واسعة النطاق للعديد من المناصب الرسمية رفيعة المستوى في الولايات المحلية التابعة للإمبراطورية, وخَفّضَ عدد المسؤولين الأقل رتبة, وأُعيد قدر كبير من السلطة الإدارية إلى الحكومة المركزية, ولم يُعدّ يُسمح للولايات المحلية بامتلاك جيوش خاصة. ساعدت تلك التدابير إلى حد ما في حل المشاكل الناجمة عن النظام الإقطاعي الذي اتبع في العهد الأول لأسرة هان, ووضعت أسساً متينة لحكم ولي العهد الإمبراطور "وو" في قيادة الدولة في الصين [٢٨٨].

في عام ١٤١ ق.م، وبعد الوفاة المفاجئة للإمبراطور جينغ، اعتلى العرش الصيني الإمبراطور وو دي (١٤١-٨٧ ق.م)، وهو في الخامسة عشر من عمره, وتميز حكمه الذي استمر لثلاثة وخمسين عامًا بالقوة والحزم, ولُقب الإمبراطور وو دي بـ"الإمبراطور الشجاع" نظرًا لسماته القيادية التي غالبًا ما قورنت بشجاعة الإسكندر الكبير وتفانيه في تحقيق أهدافه. لم يكن وو دي قائدًا عسكريًا بارزًا فحسب، بل كان أيضًا إداريًا محنكًا، اتسم بذكاء عالٍ مكنه من إحاطة نفسه بنخبة من المستشارين ذوي الحكمة والوعي، والذين استفاد من نصائحهم بشكل كبير في إدارة شؤون الدولة[٢٨٩] .

إن طموحات الإمبراطور الشاب وشخصيته القوية اصطدمت بتحديات جسيمة في مستهل حكمه، إذ كان عليه مواجهة إرث جده الراحل، الإمبراطور ون، في الأوساط الشعبية الصينية، ذلك الحاكم الذي كان يُنظر إليه قديسًا وربما يُعدّ من أكثر الحكام إخلاصًا للإنسانية في تاريخ الصين. إلى جانب ذلك، ظهرت عقبة أخرى تمثلت في ضعف والده، الإمبراطور جينغ، الذي قضى سنوات حكمه تحت نفوذ والدته، الإمبراطورة داو، التي كانت عمليًا تملك مقاليد السلطة في أسرة هان. وكانت هذه الإمبراطورة امرأة ذات إرادة قوية، استطاعت أن تكسب ولاء أبرز وزراء البلاط الهاني، مما عزز موقعها وتأثيرها في صنع القرار السياسي [٢٩٠] .

---

[٢٨٨] Meiyu Hsieh , **Viewing The Han Empire From The Edge** P.82.

[٢٨٩] اسامه الجوهري , **تاريخ الدول والإمبراطوريات الصينية** , دار الكتب للطباعة والنشر , (القاهرة – ٢٠٢٠) , ص ٤٢.

[٢٩٠] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 5.

ومع ذلك, شهدت السياسة الإمبراطورية الهانية الصينية تحولاً كبيراً حينما وصل وو إلى السلطة إذ كان يتسم بالطموح والحماسة رغم صغر سنه, فضلاً عن ثقته الكبيرة في الكنفوشيوسيين الذين اعتلوا المناصب الحكومية داخل إدارته, وعلى الرغم من الاضطرابات السياسية والتحديات الداخلية التي شهدتها بداية حكمه, والناجمة عن الأزمات السياسية الداخلية مع جدته الإمبراطورة داو, إلا أنَّه تمكن من تخطي تلك الأزمات ببراعة, مما مهد الطريق لتعزيز قوة الصين والوصول بها إلى مصاف الدول الكبرى في الشرق الأقصى القديم [٢٩١].

استخدم الإمبراطور وو القوة والحزم في إدارة الدولة رغم صغر سنه, ولم يكن ضعيفاً مثل والده, بل كان طموحاً, يتطلع إلى حكم مثير مثل حكم الإمبراطور الأول لأسرة تشين, وابدى انفتاحه على المقترحات السياسية الجديدة لتعزيز سلطة الدولة من جميع المسؤولين [٢٩٢].

وأثناء إشارته إلى طموحه في الحكم على هذا النحو، أمر كبار وزرائه بالتحضير لأداء التضحيات العظيمة على جبل تاي، وهو احتفال لم يُقم منذ عهد الإمبراطور الأول تشين شي هوانغ، مؤسس أسرة تشين [٢٩٣] .

وبما ان البلاط الهاني حينذاك يتحيم فيه وزراء كنفوشيوسيون معينون, وكانت دراسة الحاكم الصيني تميل تجاه الكونفوشيوسية, فلم يجد هؤلاء الوزراء صعوبة في إرغامه على توقيع مرسوم يحرم الوظائف على من يدرسون أعمال مشرعين معينين بما في ذلك أعمال « شانغ يانغ وهان في تزو», وأوضح ان هذا المرسوم لم يلغ قط من الوجه الشكلية. لكن, كانت حماسة الإمبراطور الصغير الحقيقية للكونفوشيوسية قصيرة الأمد, اذ كانت جدته الإمبراطورة داو طاوية متحمسة, تحكم البلاد خلف الستار, ولم تكن في نيتها التخلي عن السلطة, وسرعان ما كبحت جماح نفوذ مستشاريه الكنفوشيوسيين [٢٩٤].

---

[٢٩١] عفاف مسعد العبد , **دراسات في تاريخ الشرق الاقصى** , المعرفة الجامعية للنشر , القاهرة , ص١٨-١٩. وينظر:

Yukun Zhao, Martin Seligman, Kaiping Peng, Leyang Ye, Cheng Liang, Huicong Wang & Haibo Gao , **Agency in ancient China ,** Published online: 25 Aug 2021, P.p 11-13.

[٢٩٢] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 5.

[٢٩٣] Ibid , p 5.

[٢٩٤] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص ٢٤٥ – ٢٤٦.

ولم تتوقف الإمبراطورة داو عند هذا الحد، بل شرعت في مكاتبة حفيدها، الإمبراطور وو، موجهة إليه اتهامات بحق الوزراء الذين كانوا يخططون لإقامة التضـــحيات على جبل تاي، متهمة إياهم بارتكاب جرائم متعددة. وبأمرٍ منها، تمّ القبض على هؤلاء الوزراء جميعًا، وأُجبروا على الانتحار داخل الســجن عقابًا لهم. وبهذه الإجراءات، وجد الإمبراطور الشــاب نفســه في بداية حكمه معزولًا تمامًا، محاطًا بوزراء أكثر ولاءً لجدته من ولائه له، مما عزز تأثيرها في توجيه السياسة الداخلية للدولة [٢٩٥] .

ولم تكد الإمبراطورة داو تخطو خطوةً واحدةً في إدارة شـــؤون الدولة حتى أدركت خطورة الإمبراطور الصغير على سلطتها، طالما ظلّ يستمع إلى مستشاريه الكونفوشيوسيين؛ لذلك دعته إلى اتباع المذهب السـياسـي لمدرسـة «هوانغ لاو », المتمثلة "**بحكومة صـغيره وشـعب كبير**", والتي تتركز على سياسـة "عدم التدخل" في شـأن الناس وفقاً للعقيدة الطاوية من "الخمود" الذي يعني تخفيف الأعباء عن الشعب. فربما كانت تعتقد دون ادنى شك أنها تتوافق مع الاحتياجات الســـياســـية للإمبراطورية, ما يُمكنها من توطيد دعائم الحكم لهذه الأسرة, والحفاظ على مكانتها إمبراطورةً وصية على العرش, وكبح جماح الإمبراطور الشاب الذي بدأ نشيطاً في الحكم[٢٩٦].

وبعد ان توالت الردود على دعوة الإمبراطور الشـاب لتقديم المقترحات السـياسـية في الوصـول إلى تحسين نظام الدولة, إلا انه لم يكن في وضـع يسمح له بتنفيذ أي منها بسبب سـطوة الإمبراطورة داو في البلاط الهاني. ومع ذلك, فأن مقترحات احد المسؤولين الصـغار الذي يدعى « دونغ تشو شو» للتجديد الكامل للأيدولوجية السياسية الحكومية باتباع عقيدة جديدة, لاقت اســتحســان الإمبراطور الشــاب, مؤجلاً تنفيذها ريثما يحين غياب جدته عن المشهد السياسي, وماهي إلا بضع سنوات حتى شهد عام ١٣٥ ق.م وفاة السيدة الإمبراطورة داو, ليتخطى الإمبراطور وو ذلك التحدي الكبير الذي كان يعيقه, لينطلق في تنفيذ برنامجه السياسي الجديد في الصين[٢٩٧].

---

[٢٩٥] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 6.

[٢٩٦] Li Teshan, **A Brief Analysis of Political Thought in the Early Western Han Dynasty**, Tishengdao University – History Section, p. 128.

[٢٩٧] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 6.

وعلى هذا النحو, قد ورث الإمبراطور وو عام ١٣٥ ق.م بعد وفاة جدته, دولة غنية وفقاً لسجلات المؤرخ سيما تشان الذي كان يعاصره[٢٩٨]. فعاش الناس في رخاء وكانت البلاد مستقرة, وقد أتاح هذا الأساس المتين للإمبراطور الشاب الموهوب البدء في إجراء الإصلاحات, وبناء هيكل سياسي غير مسبوق, ويُعدّ حكم الإمبراطور وو لدى عديد من المؤرخين واحداً من أعظم العهود في التاريخ الإمبراطوري الصيني [٢٩٩].

ولم يسمح الإمبراطور وو بأن تُترك إدارة شؤون الدولة في أيدي وزرائه كما جرت العادة في أسرة هان، بل تولى بنفسه زمام السلطة في الحكومة. ويبدو أنّه كان كفؤًا بما يكفي ليُبقي على تركيز السلطة بيديه، دون أن يسند أي صلاحيات فعّالة لأي من وزرائه أو مستشاريه، محافظًا بذلك على التحكم المباشر في صنع القرار السياسي [٣٠٠] .

وفي أعقاب توليه السلطة بعد وفاة جدته داو, سعى إلى معالجة التحدي الأكثر الحاحاً في العصر الهاني, الآ وهو تفاقم الأزمة الإقطاعية, والصراع المتأصل بين الإقطاعيين المحليين والسلطة المركزية.

أولا – القضاء على الأزمة الإقطاعية

إنَّ أول أزمة قابلت الإمبراطور وو في الدولة عقب تقلده العرش, كانت في كيفية تعزيز مركزية سلطة الدولة, وتحقيقاً لهذه الغاية – كان عليه– أنْ ينظر مرة أخرى إلى

---

[٢٩٨] سبق وان عرفنا شخصية المؤرخ الكبير سيما تشان (١٤٥–٨٦ ق.م) في مستهل هذه الدراسة, ووددنا هنا ان نذكر ملاحظة في غاية الأهمية هي ان المؤرخ الكبير كان واحدا من موظفي الإمبراطور وو دي وقد رافقه في كثير من أسفاره, اذ راح يدون ملاحظاته بشأن جغرافية وعادات وتاريخ الأماكن المختلفة وزار الشيوخ والعلماء المحليين, كما أتاح منصبه استخدام المكتبة الإمبراطورية التي كانت تضم كتب الخيزران وعكف على كتابة التاريخ الكامل للصين واستغرق تدوين رائعته "سجلات المؤرخ العظيم" (شي جي) عشرة أعوام وهو عمل مفعم بالحياة يشع بنور العلم والمعرفة ويضم كثيرا من الشهادات التاريخية المأخوذة من مصادرها الأصلية عن هذه الحقيبة ينظر: نخبة من العلماء , **تاريخ الصين** , ج ١ , ص٤٣. وكذلك ينظر:

Jiayi Zhang , **A Study On Sima Qians View Of Life And Death And The Principle And Influence Of His Writing** , p 126.

[٢٩٩] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين– منذ عصر الاساطير القديمة وحتى عهد الهيمنة على العالم** , دار دون للطباعة والنشر , (القاهرة – ٢٠٢٤) , ص ٨٤.

[٣٠٠] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص ٢٤٥.

المشـكلة الشـائكة المتمثلة في الولايات المحلية أو كما يعرف بالمقاطعات الإقطاعية؛ ففي عهد والده الراحل الإمبراطور جينغ سحبت الحكومة المركزية حقوق الأمراء والأميرات لتعيين المسؤولين. لكنهم, ما زالوا يشكلون تهديداً كبيراً على الدولة لسيطرتهم على مساحات شاسعة من الأراضـي, ومن أجل إضـعافهم أكثر, مدّ الإمبراطور وو, عام ١٣٥ ق.م حقوق الميراث لجميع أبنائهم بدلاً من مجرد توريث الابن الأكبر, مما سـمح لهم جميعاً بالحصـول على الأراضي, وإقامة ولاياتهم الخاصة التابعة للامبراطورية[٣٠١].

يبدو للوهلة الأولى, أن هذا الأجراء قد يوفر امتيازاً خاصـة لأبناء الأمراء, لكنه في الواقع كان يقسـم الإدارات و الولاءات, فقد وقعت كل منطقة جديدة مباشـرة تحت سـيطرة الحكومة المركزية وأُضْـعَفتْ قوة الأمراء المحليين, وقرر الإمبراطور أنْ يكون المسؤولين في الولايات المحلية أقل رتبة من نظرائهم في الحكومة المركزية, ولم يسـمح لهم بتولي أي منصب في البلاط المركزي [٣٠٢].

كان الغرض من ذلك, ضـمان عدم تجميع مصـادر القوة في الدولة على يد احد الأبناء والذي من الممكن في تلك الحالة, أنْ يعمل على الانفصـال عن سلطة الإمبراطورية, معتمداً على قوته الذاتية, ثم العمل بعد ذلك على اسـتخدام تلك القوة في الاسـتحواذ على السـلطة في كل أنحاء البلاد, وذلك كما حدث في التمرد الأخير لعام ١٥٤ ق.م في عهد والده الإمبراطور جينغ, إذ كاد ذلك التمرد أنْ يقضي على الدولة الهانية لولا براعة القائد تشو يافو في إنقاذها من السقوط [٣٠٣].

وكذلك, استند الإمبراطور الشاب إلى أساليب حكم غير مباشرة, ولكن شديدة الوطأة للقضاء على النبلاء رويدا رويدا, والاستعاضة عنهم برجال قانون ينتمي معظمهم إلى عامة الشـعب, وقد ثَبَّتَ بهم سـلطة الحكم المركزي في الإمبراطورية, واتبع سـياسـة الحكم المطلق في إدارة الدولة الهانية [٣٠٤].

---

[٣٠١] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص ١٢٣.

Christian de Pee, **Urban Life and Intellectual Crisis in Middle-Period China, 800-1100 CE,** Amsterdam University Press , (Amsterdam- 1965) , p 167.

[٣٠٢] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص ١٢٣.

[٣٠٣] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , مكتبة النافذة للطباعة والنشر , (القاهرة – ٢٠١١) , ص ٢٣٠.

[٣٠٤] اسامه الجوهري , **تاريخ الدول والإمبراطوريات الصينية** , ص ٤٢. ولمزيد من المعلومات ينظر:

وبالتالي أصـــبحت العديد من الإقطاعيات في مناطق النهر الأصـــفر وحوض نهر اليانغتســـي تحت ســـيطرة الإمبراطورية الهانية, وتديرها بيروقراطية مدنية مع بقاء بعض الممالك الصـــغيرة التي يحكمها اخوه الإمبراطور وو وأقاربه. لكن, مقارنة مع حجم الدولة الهانية, فلا توجد إقطاعية باقية على شاكلة دويلة تشي و دويلة وو السابقتين. علاوة على ذلك, قد تضـــاعفت المراقبة الإمبراطورية بشـــكل كبير في عهد الإمبراطور وو, واســـتحوذ البلاط الهاني بالكامل على سلطة تعيين بيروقراطيين مدنيين يديرون تلك الإقطاعيات [٣٠٥].

وعقب تســـوية الأزمة الإقطاعية وحل مشـــكلة التوازن بين الســـلطة المركزية وأمراء الإقطاعيات تخلى الإمبراطور وو عن مفهوم عدم التدخل في مســـار الأشـــياء الذي اتُّبِعَ في عهد هان الأول, وغيّر فكرة "**الحكومة الصـــغيرة والمجتمع الكبير**" إلى "**الحكومة الكبيرة والمجتمع الصغير**" وقد اختار الأكفاء في إدارة حكومته بطريقة غير تقليدية[٣٠٦], اذ صُدَّرَتْ الأوامر الحكومية تطالب كبار الموظفين في الدولة بترشيح عدد ثابت من الشباب المميزين للخدمة, وطُلب من الموظفين في عهده تزكية مرشحين يشهدون بنزاهتهم وإحساسهم العالي بالمسؤولية تجاه الدولة, ومنذ عام ١٣٠ ق.م تم إرسال الشباب المرشحين من المحافظات إلى الأكاديمية الإمبراطورية في العاصمة تشانغان لأجراء الاختبارات الضرورية [٣٠٧].

كان لهؤلاء الموظفين الأثر البالغ في تسير عجلة التطور في الدولة الهانية, والقضاء على سلطة اللوردات الإقطاعية, وما عاد للأمراء أي سلطة فعلية في تعيين الموظفين, ولا في إدارة إقطاعاتهم المحلية, ولم يكْتَفِ الإمبراطور وو بهذه الإجراءات فحســـب, بل تعمد بعدها في مصـــادرة جميع الإقطاعيات التي لا يوجد فيها ورثة للأمراء بعد موتهم. وعلى الرغم من تلك الإجراءات المشددة, حصل تمرد صغير عام ١٢٣ ق.م من قبل أميران هما:

Jiandong CHEN, **Local Authority in the Han Dynasty: Focus on the Sanlao** , School of International Studies Faculty of Arts and Social Sciences University of Technology Sydney Sydney, (Australia ,2018) , p 141-145.

[٣٠٥] Meiyu Hsish , **viewing the han empire from the edge** , 2011 , p 84.

[٣٠٦] Wolfram Eberhard , **A History Of China** ,p 80.

[٣٠٧] سامي شريف , **مختصر تاريخ الصين** , ص٨٤.؛ فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي...**، ص ١٩٨.

هواينان و هنغشـــان, واســتطاع الإمبراطور وو قمع هذا التمرد ســريعاً نتيجة فقدان الأمراء قدرتهم على حشد التعبئة العسكرية ضد سلطة الدولة القوية[٣٠٨].

وبعد حادثة التمرد الأخيرة, اتخذ الإمبراطور قراراً يقتضي بحرمان أكثر من (١٠٦) من النبلاء من ألقابهم بحجة أنَّ الذهب الذي قدموه كخراج ليس ذا جودة عالية بما فيه الكفاية, وكانت النتيجة ان السلطة المركزية أصبحت حينذاك مطلقة تقريباً في الإمبراطورية [٣٠٩].

من خلال دراسة واقعة التمرد في سنة ١٢٣ ق.م ونتائجها، يمكن قراءة المناخ السياسي للإمبراطورية والعلاقة بينها وبين الولايات المحلية، إذ يتضـح أنّ الأمراء واللوردات أصـبحوا أضـــعف من أن يشـــكلوا تهديدًا حقيقيًا للدولة الهانية. كما أســـهم البيروقراطيون الموالون للسلطة المركزية في الحد من نفوذ حكام الأقاليم، مما أدى إلى إضعاف الإقطاعيات ومنعها من استخدام إمكاناتها المادية لمواجهة المركز.

علاوة على ذلك، اكتسـبت الإمبراطورية قوة سـياسـية وعسـكرية بالغة الأهمية نتيجة إصـــلاحات اقتصـــادية هيكلية مكنت الحكومة من تطوير مواردها لتلبية احتياجاتها كافة، سواء في النفقات العسكرية أو المدنية. وبذلك، سعت الحكومة إلى تحقيق أهداف استراتيجية متعددة من خلال مسـارين متكاملين: الأول يتمثل في إحياء الفكر الكونفوشـيوسـي وتسـخيره لشـــرعنة النظام الســـياســـي وتعزيز الوحدة الوطنية، والثاني يركز على تنفيذ إصـــلاحات اقتصادية هيكلية لتلبية متطلبات التنمية المستدامة وتوسيع علاقاتها الدولية.

ثانيا– إحياء الكونفوشيوسية في البلاط الهاني

[٣٠٨] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ترجمة فواد حسن , الدار العربية للعلوم الناشرون , (بيروت – ٢٠٢١), ص١٢٣.

[٣٠٩] المصدر نفسه , ص ١٢٣.

كانت الصياغات الأولى للفكر الصيني استجابة لوضع مأزوم، تمثل في زوال نظام تشين القديم وقيام نظام هان الجديد، إذ شكّل هذا التحول السياسي والاجتماعي بيئة فكرية ومعطيات جديدة أثرت في وعي الناس آنذاك, وبرز خطاب فكري يسعى إلى البحث عن مصادر تساؤلاته الخاصة، ليصبح نموذجًا للتبرير النظري، ويميل إلى تطوير ذاته كأداة للعقلانية. وفي هذه المرحلة، ظهرت رهانات فكرية توجهت إليها التيارات المختلفة، أحيانًا بشكل صريح وغالبًا بطريقة ضمنية، بهدف صياغة فكر فلسفي يُستثمر كأداة لدعم النظام المركزي في أسرة هان.

طوال سنوات الحكم الأولى لأسرة هان، وبينما أُرسيت مؤسسات وتقاليد سياسية لعبت دورًا محوريًا في استقرار النظام الإمبراطوري الصيني على مدى ألفي عام، تشكّل وعي بهوية صينية خاصة قائمة على مجموعة من المفاهيم الجوهرية المشتركة، وعلى فكر مؤسَّس ومقنَّن, وقد تجاوزت هذه النظرة إلى العالم حدود مدة حكم الهان، لتشمل إلى حد كبير الإطار التاريخي للسلالة التي أعطت اسمها للأثنية المسيطرة واللغة, ومن تلك المرحلة، بدأ الصينيون يرون أنفسهم مساهمين في حضارة واحدة، متماسكين ثقافيًا وفكريًا، ومُدرِكين لدورهم ضمن النظام المركزي والإمبراطوري [٣١٠] .

وبعد مضي اكثر من ستين عاماً على تأسيس أسرة هان, أصبحت الدولة موحدة ومزدهرة نسبياً وآمنة ضمن حدود راسخة, وحُكِمتْ البلاد وفقا للشريعة القانونية والطاوية معاً على مبدأ "عدم التدخل", وكان كبار القادة والوزراء وضباط السلك العسكري في مناطق مختلفة من الصين عموماً من اتباع مدرسة هوانغ لاو, وعلى الرغم من ان البعض ما زال لا يُخفي إعجابه بالقانونية الخالصة لأسرة تشين السابقة [٣١١].

وتعد ايدلوجية حكم أسرة هان في الأصل تلخيصاً أو إجمالاً وتطويراً لجميع المدراس الفكرية في أخريات عصر الممالك المتحاربة (٤٥٣-٢٢١ ق.م), ومع ظهور الوضع السياسي للتوحيد الأكبر لأسرة هان. قامت تلك المدارس برسم السياسات وتقديم الاقتراحات واستيعاب وجهات نظر المفكرين الآخرين, وتعديل وتغيير أفكارها من أجل تأسيس وشرعنة السلطة المركزية الموحدة [٣١٢].

---

[٣١٠] ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ص٣٦٤.

[٣١١] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 4.

[٣١٢] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص٢٤٦.

وعلى الرغم من أنَّه في الوقت الذي أسس فيه ليو بانغ السلالة لأول مرة, تم الحفاظ على الأنظمة الإدارية الأساسية (القانونية) التي كانت في دولة تشين, وانجرفت ايدلوجية الدولة في البداية في هان بشكل اعمق واعمق إلى التوليف القانوني الطاوي, لكن طرأ تطورٌ مهمٌ بعد عام ١٣٥ ق.م حينما أعلن الإمبراطور وو الكونفوشيوسية ايدلوجية رسمية للدولة, وطالب جميع قادة هان التدرب على التعاليم الكونفوشيوسية واستخدامها في إدارة الدولة [٣١٣] .

وقد بدأ حكمة في الإمبراطورية بشهرة أنَّه نصير للكونفوشيوسية, وكان حريصاً على أنْ لا يفقدها, وكان يشير دائماً إلى الدراسات الكونفوشيوسية القديمة في قراراته, ومنح مناصب رفيعة – بدون أي سلطة– لحفيدين اثنين من حفدة كونفوشيوس [٣١٤].

وكان لدى الإمبراطور وو الذي تميز حكمه بإحكام قبضته على السلطة المركزية, الفكرة الذكية للجمع بين مشيئة السماء وضمانة كونفوشيوس, مما أتاح له, وفي الحركة نفسها. الخلاص من زمرة الإمبراطورة الهرمة المغرقة ب هوانغ لاو, والفوز بركيزة جديدة من ركائز المشروعية, وتجلت عبقريته السياسية بمعرفته أهمية الدور الذي يمكن أنَّ يلعبه الأدباء الكنفوشيوسيين في إقامة ايدلوجيا جديدة تهدف إلى دعم النظام الإمبراطوري لأسرة هان. وبادر هو شخصياً إلى دعوتهم إلى تقديم نصائحهم حول حسن سير العمل الحكومي على شاكلة مذكرات, وقد لفت انتباهه على ما يبدو ما كتبه دونغ شونغ شو[٣١٥].

وإذا أردنا قراءة سياسة الإمبراطور وو المتمثلة في تعظيم الكونفوشيوسية مع حظر جميع المدراس الفكرية الأخرى, نجد أنها كانت محل إشادة وانتقاد. لكن, اعتماد تلك الاستراتيجية كان له خلفية خاصة وأهميه إيجابية في ذلك الوقت, فقد اتبعت السنوات الأولى من عهد هان الأول تعاليم مدرسة هوانغ لاو ايدلوجية سياسية موجهة, ونفذت سياسة الحكم من خلال عدم التدخل, وقد أدى ذلك دوراً إيجابياً في تسيير الانتعاش الاجتماعي والاقتصادي في الإمبراطورية [٣١٦].

وقد وصلت التنمية الاجتماعية والاقتصادية إلى مرحلة جديدة بعد مرور ستين عامًا على قيام الإمبراطورية، فلم يعد مبدأ الطاوية القائم على الحكم بعدم التدخل قادرًا على تلبية

---

[٣١٣] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٧٧.

[٣١٤] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٢-٢٤٣.

[٣١٥] ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ص٣٦٤.

[٣١٦] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٥.

متطلبات الدولة الحديثة, علاوة على ذلك، استمرت آثار تنافس المدارس الفكرية المتعددة، مما أدى إلى حالة من الارتباك الإيديولوجي، وأظهر خطورة إمكانية استغلال تلك الخلافات من قبل القوى الانفصالية المحلية. ومع نمو السلطة المركزية، أصبحت الوحدة الإيديولوجية ضرورة ملحة, وفي عام ١٣٥ ق.م، استجاب الإمبراطور وو لتوصية العالم الكونفوشيوسي دونغ تشونغ شو، فحظر جميع المدارس الفكرية الأخرى، وروّج للكونفوشيوسية فلسفة عليا، مع تجنيد عدد كبير من العلماء الكونفوشيوسيين لتنفيذ إصلاح إيديولوجي جذري في البلاد . (٣١٧).

وانطلاقاً من الحقائق التاريخية الواردة الينا آنفا, نرى بوجه عام, ان الإمبراطور وو كان مخلصاً للكونفوشيوسية, وربما كان مُضللاً في ذلك, وكانت الكونفوشيوسية ذات اثر بالغ في بلاطه, وقد انتصرت الكونفوشيوسية في عهده بعد ان تخلى الإمبراطور عن الطاوية تدريجياً, وأيد اقتراح دونغ تشونغ شو في فرض الحظر على المدراس الفكرية الأخرى وتعزيز الهيمنة الكونفوشيوسية (٣١٨).

وعلى الرغم من اعتماد الكونفوشيوسية مفهوماً لحكم البلاد. لكنها, لم تكن كونفوشيوسية عصر كونفوشيوس ومنشيوس بل كانت كونفوشيوسية جديدة تتناسب مع إدارة شؤون إمبراطورية وو الشاسعة المعقدة (٣١٩).

وفي ضوء تلك الأوضاع, تكوّن المذهب الكونفوشيوسي الجديد بريادة دونغ تشونغ شو الذي خضع للتغيير والتطوير حتى يتوافق مع المتطلبات السياسية للطبقة الحاكمة, إذ مزج هذا المذهب الأفكار الأيدولوجية للكونفوشيوسية مع أفكار المدرسة القانونية بغية رفع مكانة الإمبراطور ليكون بمقام ابن السماء, جاعلاً منه ممثلاً عن الآلهة بشكل حقيقي على الأرض, وشدد على أن تحدي الإمبراطور بمثابة عدم احترام السماء (٣٢٠).

---

(٣١٧) مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٥. وينظر ايضا:

Rafe de Crespigny , **Scholars And Rulers Imperial Patronage Under The Later Han Dynasty** , The Australian National University , p.2.

(٣١٨) هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص٢٤٣, وينظر:

Hayden Windrow , **A Short History of Law, Norms, and Social Control in Imperial China** , New York University Law School (2005) , p 270.

(٣١٩) تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٣١.

(٣٢٠) خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص٢٤٦.

أنَّ قراءة المعنى الفكري للكونفوشيوسية السابقة ما قبل هان. كانت دون ادنى شك, عقيدة مُغرقة في رجعيتها، تُجذر الشرعية في مجموعة ممارسات قديمة، وقد جمع كونفوشيوس مآثره الكلاسيكية في نهاية عصر الربيع والخريف(٧٧١-٤٥٣ق.م)، وهو ينظر بحنين نوستالجي إلى النظام الاجتماعي الميراثي في حقبة عالم سلالة تشو الذي كان يتدهور بسرعة مطردة نتيجة حروب الصين المتواصلة(٣٢١).

وعلى النقيض من ذلك, كان القانونيون تقدميين في رؤيتهم، ونظروا إلى الكونفوشيوسية وتعظيمها شأن الفضيلة على أنَّه حجر عثرة أمام تعزيز السلطة السياسية، ولم يرَ القانونيون فائدة تذكر في الأوامر الأخلاقية، والواجبات الدقيقة التي فرضتها الكونفوشيوسية تجاه الدولة، فسعوا إلى استبدالها بفرض مجموعة من عقوبات ومكافآت مباشرة، خصوصًا العقوبات لفرض الطاعة على الرعية، وصاغت المدرسة القانونية أفكارها على أساس أنَّ طبيعة الإنسان شريرة، وأنَّه يتعين التقيد بالقوانين الاجتماعية الفعالة، وأوصت بالحاجة إلى دولة مركزية قوية ذات سيادة ورقابة مطلقتين، وأيدت سياسات القمع، وآمنت بأنَّ الحكام الوراثيين مُكرسين لخلق دولة قوية عسكرية تنعم بالرخاء (٣٢٢).

"إنَّ الطريقة الوحيدة التي يستطيع من خلالها الحكام الحكماء البقاء طويلًا على عروشهم والقبض على زمام السلطة الإمبراطورية، والتمتع الحصري بمزاياها هي الحكم بطريقة استبدادية متعمدة، وتطبيق سياسة قمع ورقابة عبر فرض عقوبات صارمة دون استثناء"(٣٢٣).

من تلك النصوص الواردة من مؤلفات فلاسفة المدرسة القانونية, نجد أنَّ القانونية تعارض المدرسة الكونفوشيوسية، إذ إنَّ المدرسة الكونفوشيوسية قد أكدت على أن الأخلاق والخير فوق القوانين والعقاب، بوصفها وسائل لتطوير السعادة الإنسانية، بينما دعا مفكرو

---

(٣٢١) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي...**، ص ١٧٧. وينظر:

Chi Yun, **Confucianism A modern interpretation**, translated to English by Orient Lee, World Scientific and Zhejiang university press, (China – 2012), p.461.

(٣٢٢) Xinzhong Yao , **An introduction to Confucianism** , Cambridge University press , (New York – 2000), p.p 22-23. Yongjin Zhang , **System, empire and state in Chinese international relations** , Review of International Studies (2001), Vol 27, p.p 43-63.

(٣٢٣) فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي...**، ص ١٧٩.

المدرسة القانونية إلى القانون والسلطة. لكن التأثير طويل المدى للتأكيد القانوني, وهو إضافة البعد القانوني للأخلاق، الأمر الذي جعل القانون وسيلة للأخلاق, وعلى هذا النحو, فإنَّ المدرسة القانونية أضافت درجة كبيرة من القوة إلى سلطة الدولة[٣٢٤].

وبينما كان الإمبراطور وو يُظهر التزاما كونفوشيوسيا, كان في الوقت نفسه, يُشدد القوانين ويُضاعفها, ويجعل العقوبات اكثر صرامة واكد في ذلك: "**ان ما اهدف اليه هو ان أقلل من العقوبات حتى يقل الشر**" وان خططه القائمة على شدة تطبيق القانون, كان الباعث عليها دوافع معقولة من اخلص الدوافع لعمل الخير [٣٢٥].

إنَّ نجاح القانونيين في جعل فلسفتهم منهجًا متبعًا في أقوى دول الصين، مثل دولة تشين، يجعل من غير المستغرب أن يعتمد الإمبراطور وو مبادئهم في إدارته للشؤون السياسية للدولة، وإن كان ذلك تحت غطاء مختلف. فوفق القانونيين، فإن التأكيد الكونفوشيوسي على الفضيلة والتعلم من شأنه أن يجعل الدولة ضعيفة وهشة أمام هجمات الدول الأخرى. وكان الإمبراطور وو مدركًا لهذه الحقيقة، وقد عبّر عن استيائه منهم ذات مرة، معتبرًا أنهم غير عمليين على الإطلاق، إذ لم يعارضوه فحسب أثناء الحرب، بل جادلوا ضد أي استعداد منطقي لمواجهة هجمات القبائل المتوحشة، مثل شيونغنو، بادعائهم: "لو قابل الإمبراطور هؤلاء بالفضيلة، لخضعوا له من تلقاء أنفسهم" [٣٢٦].

ولم تتصور الكونفوشيوسية أي ضوابط مؤسسية تحد من سلطة الإمبراطور، بل سعت إلى تربية الأمير وتعليمه وتلطيف أهوائه، وجعله يشعر بالمسؤولية تجاه شعبه، والحكومة الصالحة التي يمكن تحقيقها بتهذيب الأمير وتعليمه عبر الفضيلة وحدها، وربما استخدم الإمبراطور وو "الأخلاقية الكونفوشيوسية" ببساطة لشرعنة حكمه القائم على المصلحة الذاتية، لكن القانونيين نزعوا حتى التظاهر بأخلاقية الحكومة، وجاهروا بالقول: "**إن المحكومين وُجدوا أصلًا من أجل الحاكم وليس العكس**"[٣٢٧].

---

[٣٢٤] Yongjin Zhang, **The idea of order in ancient Chinese**, p. 182.

[٣٢٥] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٧.

[326] Ernest Caldwell, **Social chang and Written low in early chinese legal thought** , p.27.

[٣٢٧] فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي...**، ص ص ١٧٩-١٨٠.

وهكذا أثّر فكر المدرسة القانونية في تلك المرحلة على الفكر السياسي، وعلى الممارسة السياسية للحكام بشكل كبير، ولا سِيَّما وأنَّ مفكري تلك المدرسة ممن شغلوا المناصب الإدارية العليا في الدولة، كانت لديهم الخبرة الواسعة في شؤون الحكم، مما كوَّن لديهم فكرًا سياسيًا عمليًا توجه ناحية حل المشكلات التي تُعيق الإدارة في تحقيق غاياتها. لذلك, غلب على فكر المشرعين القانونيين الاهتمام بالواقع العملي، ولا سِيَّما بعمل الإدارة في الدولة، والابتعاد عن التأمل الذهني الذي لا علاقة له مباشرة بواقع الحياة العملية[٣٢٨].

وبعبارات روادها: "**في اتخاذها الحكيم – الملك مثالًا، يمكن توصيف الفلسفة الكونفوشيوسية على أنَّها حكم مطلق متشرب بالقيم الأخلاقية، في حين يمكن توصيف المدرسة القانونية على النقيض من ذلك بوصفها حُكمًا مُطلقًا محضًا ينكر صلة الأخلاق بالحكومة الإنسانية**"[٣٢٩]. وبالتالي, وجد دونغ تشونغ شو نفسه عند مفترق طرق, وادرك تماماً انه سيكون من الصعب للغاية الحكم وفقاً للكونفوشيوسية التي كانت في عصر ما قبل هان, فكان لابد من أجراء تعديلات لتلبية احتياجات العصر, اذ شدد على الوحدة الوطنية الكبيرة وركز بشكل خاص على سيادة القانون[٣٣٠]. لذلك, كانت أفكار دونغ تشونغ شو لا تتصف بالخصائص الأصلية للمذهب الكونفوشيوسي في مرحلة ما قبل تشين, بل تعَّد مذهباً جديداً خضع للتغيير والتطوير حتى يتوافق مع المتطلبات السياسية للطبقة الحاكمة في أسرة هان, اذ مزجت الأفكار الكونفوشيوسية مع الأفكار القانونية التي تدعو إلى المركزية الإمبراطورية, وأسست مذهباً سياسياً استبدادياً يستند على فكرة الاتصال بين السماء والأرض

---

[٣٢٨] عمر عبد الحي، **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**، ص ٢٨٤-٢٨٥.؛ وينظر:

Sam Crane, **Life, Liberty and the pursuit of Dao**, wiley Blackwell, (USA-2013), p.13.

[329] Kund- Chuan Hsiao, **Legalism and Autocracy in traditional Chine,** Tsing – Hsueh, No.2, (1964), p.16 . Leon Vandermeersch, **la formation du legisme recherché sur la constitution dune phillophie politique caracteristique de la china ancienne**, (paris Ecole francaise d Extreme –orient – 1965), pp-20-30.

[٣٣٠] مايكل دلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٥.

وإرادة السماء للمدرسة الكونفوشيوسية قبل تشين, وفكرة السلطة المركزية للمدرسة القانونية, وللتفاعلات والتغيرات بين القوة (الفضائل الخمس) [٣٣١].

وربط هذا الفكر بين فعالية شرعية النظام وبين نظام كوني أوسع، إذ كان دونغ تشونغ شو يرى أن «التاو تأصلت من السماء وأن الطبيعة البشرية تخضع لقضاء السماء», وبناءً على ذلك، كانت شرعية حكم الأسرة الإمبراطورية مرتبطة بمدى فهم الحاكم للقدر والتزامه بما يقتضيه, فقد صرح قائلًا: «لن يتوافق مع قضاء السماء سوى الحكماء، ولن تستقيم طبيعة البشر إلا بالعلم، ولن تصح شهوات البشر إلا بتقييد القانون». ومن ثم، "على الحاكم الالتزام بقضاء السماء لتوجيه القدر، وتعليم الشعب لتصويب طبيعتهم، وصيانة القوانين لتنظيم النظام وضبط شهوات الشعب, وإذا تمكن الحاكم من تحقيق هذه الثلاثة، فإن أساس حكمه سيصبح راسخًا ومتينًا"[٣٣٢].

لذلك تكمن عبقرية دونغ شونغ شو وأيدولوجية الهان بشكل عام في انهم نقلوا النظام الاجتماعي السياسي المنظم إلى التنظيم الطبيعي للكون, ومنذ ذلك الحين, لم تعد أسس السلطة السياسية ذات طبيعة شكلية أو قانونية وإنما كونية. وهكذا أوجدت منظومة تبعية العلاقات الخمس البشرية المشهورة (اب- ابن , حاكم - وزير , زوج - زوجة , اخ اكبر - اخ اصغر , صديق - صديق) وجدت أساس طبيعتها في المنظومة الدائرية (المراحل الخمسة) التي تجسد رهانها السياسي في المناظرات التي تناولت المرحلة التي يجب على السلالة اعتمادها [٣٣٣].

ولم يدخر دونغ وسعاً في تدعيم نظرية التوحيد الأكبر المذكورة في كتاب الربيع والخريف موكداً أهمية تحقيق الانسجام والتألف مع الأفكار, وابلغ الإمبراطور وو, "**ان التوحيد الإقطاعي الأكبر يتفق مع مبادئ السماء والأرض, ويعد قانوناً سماوياً يجب الامتثال له**". ولهذا, كان يرى من الضروري دمج فكرتي التوحيد الأكبر والسلطة المركزية

---

[٣٣١] Sen Qi & Xinyi Wang , **An Analysis of the Reasons Why Confucianism Became an Orthodox Thought in the Han Dynasty** , Advances in Social Science, Education and Humanities Research, volume 638 , Proceedings of the 2021 International Conference on Public Art and Human Development (2021) , p705.

[٣٣٢] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٣٢. وكذلك ينظر:

Hayden Windrow , **A Short History of Law, Norms, and Social Control in Imperial China**, p 282.

[٣٣٣] ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ص٣٦٧.

معاً, واقتدى بإمبراطور أسـرة تشـين الأول الذي وحد الأفكار مع ايدلوجيا الحكم, معتقداً ان ذلك يعد السـبيل الوحيد لتوحيد إجراءات الحكم الفعالة وإقامة العدالة الحكومية بكل شـفافية ووضوح [٣٣٤].

واقترح على الإمبراطور وو فرض الحضـــر الشـــامل على كل ما لا يمت بصـــلة للكلاسيكيات الكونفوشيوسية وعدم السماح بتطويره, وذلك في محاولته الرامية إلى الاعتماد على القسر السياسي بهدف تمجيد المدرسة الكونفوشيوسية الجديدة, وتحريم سائر المدارس الأخرى, وتنســيق خطى الطبقة الحاكمة وتعزيز أيدولوجية حكم الشـــعب من خلال توحيد البلاد قاطبة تحت قيادة الإمبراطور ابن الســماء وحرمان الولايات المحلية الإقطاعية التمتع بنظام الأنساب وتوارث الأراضـي, وقدم ذلك أساسـاً نظرياً لتوحيد أركان الحكم الاستبدادي الإقطاعي المركزي للإمبراطور وو [٣٣٥].

ومثل دونغ دوراً حاســماً في عملية التصـــحيح الأيديولوجي التي أعقبت قيام مركزية الإمبراطورية وذلك بتقديمه للنظام الجديد ركائز كوزمولوجية مســتفادة من مرحلة الممالك المتحاربة قبل تشـــين. يقوم مجمل فكره على فرضـــية ينظر فيها إلى العالم على ان كل عضوي تحكمه السماء, وبهذه الصفة تكون المصدر المباشر والطبيعي للسلطة وللشرعية السلالية [٣٣٦].

كما اكد دونغ على نظرية الحقوق الإلهية للأباطرة من تحقيق التفاعل بين الســماء والأنسان, وورث وطور نظرية إرادة السماء للمدرسة الكونفوشيوسية, واستوعب القوة الغامضة لمذهب العناصـر الخمسـة, ومدرسـة الين واليانغ, واعتقد ان السماء هي الاله الأعلى الذي يتصـــف بالإرادة, وهي الخالق الأعظم للعالم, والمســيطر الأكبر في هذا الكون, وان إرادة السـماء هي التي تحدد تطورات العالم الدنيوي, وازدهار وانحلال المجتمع البشـري, واعرب عن اعتقاده, بأن الإمبراطور هو ابن السـماء يتلقى أوامره وتعليماته منها, ويجسـد السـلطة السياسية للسماء, لذا تتسم سلطة الحكام بالقداسة ولا يجوز المساس بها [٣٣٧].

"إليك أيها الصانع العظيم (اله السماء) يتجه فكري...،

---

[٣٣٤] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص247.

[٣٣٥] Sen Qi & Xinyi Wang , **An Analysis of the Reasons Why Confucianism Became an Orthodox Thought in the Han Dynasty** , p 705.

[٣٣٦] ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ص٣٦٥.

[٣٣٧] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٧.

وأنا خادمك لست إلا قصبة مرضوضة، ونبتة هزيلة، وقلبي قلب نملة صغيرة...

ومع ذلك فقد نلت لديك شرفًا وحظوة، إذ جعلتني حاكمًا لهذه الإمبراطورية،

وعن بعد أتطلع إلى مقامك السماوي... فتعال في مركبتك الفاخرة إلى هذا المذبح،

وها أنا خادمك أعفر وجهي في التراب، متوقعًا جزيل نعمتك...

لترضى بأن تتقبل تقدماتنا..."[٣٣٨].

ويفسر من هذا النص وغيره من النصوص الواردة في الكتب الكلاسيكية الصينية القديمة ان مذهب دونغ يعد الأركان الثلاثة والمكارم الأزلية الخمس الأكثر ذيوعا وانتشارا من بين أطروحاته النظرية وتشمل الأركان الثلاثة سلطة الملك على الرعية وهذه السلطة تعد سلطة السماء على الأرض بتفويض الملك في تطبيقها, وسلطة الأب على الابن, وسلطة الزوج على الزوجة. أما المكارم الأزلية الخمس فتضم البر والاستقامة والأدب والحكمة والإخلاص, وتعد المبدأ الأساسي لحماية وتنسيق الأركان الثلاثة, كما عدَّ تلك الأركان تمثل إرادة السماء, وجعل تقديس نظام الحكم بمثابة القانون الرئيس للكون. وعلى هذا النحو, أسس السلطات الأربعة التي تقوم بحماية النظام الإمبراطوري المركزي بصورة كاملة, وتشمل السلطة الدينية, والسلطة السياسية, والسلطة العشائرية وسلطة الرجل على الزوجة [٣٣٩].

وعن السماء يصدر النظام الطبيعي كما الأخلاقي والسياسي, ولها يخضع كل شيء بدءاً من الإمبراطور ابن السماء, والذي عليه ان يتصرف وفقا لصورتها. "**في الربيع تلد السماء وبالحس الإنساني يحب حاكم الناس شعبه, في الصيف تعمل السماء على النماء وعن طريق الفضيلة يغذي الحاكم شعبه, وبالجليد تقضي السماء على النباتات وبالعقوبات يقتص الحاكم. من وجهة النظر تلك, فأن العلاقة الظاهرة بين السماء والأنسان هي التاو الذي يربط بين الماضي والحاضر**" [٣٤٠].

---

[٣٣٨] حبيب سعيد، **أديان العالم**، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، (القاهرة – ب. ت)، ص ١١٨.

[٣٣٩] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٩-٢٥٠.؛ وينظر :

Xinzhong Yao , **An introduction to Confucianism** , p 33 . Heng-fu Zou, **Notes on the Nature of Chinese Ancient Political Economy** , July 13, 2024 , p 16.

[٣٤٠] ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ص٣٦٦.

وهكذا صـــور دونغ, الإمبراطور هو مركز الكون والفاعل فيه, من خلال تنفيذ إرادة السماء على الأرض. وبالتالي, نجح دونغ في كسب تأييد الكنفوشيوسيين من جهة في إعادة الكونفوشيوسية إلى الواجهة, وكسب ود الإمبراطور وو من جهة أخرى, بوصفه قد رفع من مكانته السياسية, وعدَّه ممثل الاله وابنها, لكنه حمّله أيضاً تفسير أي شذوذ كوني جراء أي خطأ إمبراطوري. وبالتالي مثلما, أراد الإمبراطور وو ان تكون كونفوشـيوسـية دونغ مسـوغاً لسلطته الاستبدادية, اكتشف بعد فوات الأوان, ان جعل من الكونفوشيوسية سيدة الاستبداد في الصين[٣٤١].

ومثلما وجه دونغ الرؤية السياسية الكونفوشيوسية نحو طريق جديد, يرى ان الإمبراطور مسؤول أمام السماء ونتيجة لكونه ممثلا للسماء, لا يمكنه ان يحكم بطريقة عشوائية خالصة, وإنما عليه الامتثال لنمط الزامي, لاسيما وانه سماوي [٣٤٢].

ولا يُعرف بالضبط, فيما اذا كان الإمبراطور وو قد اعجب بهذه الحجج. لكنها مع ذلك, كانت تتناســب مع طموحه في إزاحة الوزراء والموظفين الذين يدينون بالولاء لجدته الطاوية قبل وفاتها. لذلك ان قبوله مقترح دونغ في إنشــاء أكاديمية مركزية لتعليم الكونفوشــيوســية, كان في اعتقاده ان هذا المقترح كفيل في صناعة طبقة جديدة من الإداريين والموظفين على الصــعيد الوطني تحل محل أولئك الذين كانوا من اتباع مدرســة هوانغ لاو. وبالتالي, تحقق مـا كـان متوقعـاً. ونجح الإمبراطور في طرد جميع الوزراء والموظفين القدامى من البلاط الهاني بعد وفاة جدته داو [٣٤٣].

ومع ذلك، إذا نظرنا بإمعان إلى الحقائق التاريخية في عهد الإمبراطور وو، يصـــعب تجاهل أن العديد من المعطيات تشير إلى أن الإمبراطور، حين تولى العرش لأول مرة، كان يُنظر إليه على أنه كونفوشيوسي، وهو في الخامسة عشرة من عمره ويخوض صراعًا وجوديًا ضـــد جدته الطاوية، الإمبراطورة داو. ومع ذلك، ســـرعان ما تجاوز هذه المرحلة بعد وفاة جدته، واسـتعاد زمام المبادرة في إدارة السـلطة. وعندما بلغ سـن الرشـد، أصـبح من دعاة الفلسفة القانونية، وإن بدا في الظاهر حريصًا على إظهار نفسه كونفوشيوسيًا، ربما لأسباب سـياسـية, ومن اللافت أن مسـتشـاريه، الذين حملوا العبء الحقيقي في صـياغة سـياسـات حكومته، كانوا في الواقع مشــرعين قانونيين معارضــين للكونفوشــيوســية, ولم يكن أولئك

---

[٣٤١] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p7.

[٣٤٢] ان شنغ , **تاريخ الفكر الصيني** , ص٣٦٦-٣٦٧.

[٣٤٣] Xinzhong Yao , **An introduction to Confucianism** , p 33.

الموظفون الذين حملوا صفة كونفوشيوسيين وشغلوا مناصب رفيعة في بلاطه، في الواقع، كونفوشيوسيين صالحين, ولم يُعر الإمبراطور وو أبدًا أدنى اهتمام لنصائحهم في الأمور ذات الأهمية الحقيقية [٣٤٤] .

وأخيرا اذا وافقنا على ان الكونفوشيوسية قد انتصرت في عهد الإمبراطور وو. فهذا, لا يمكن ان يكون ألا في أضيق الحدود, والحقيقة ان الكونفوشيوسية قد ضلت طريقها وحرفت بأسلوب ربما افزع كونفوشيوس ومنشيوس كما افزع في الحقيقة الكنفوشيوسيين الحقيقين في عهد الإمبراطور وو نفسه [٣٤٥] .

وإذا كان دونغ تشونغ شو، بصفته مستشارًا ومرشدًا سياسيًا، قد أسهم بفكره العبقري في صياغة الأيديولوجيا التي دعمت حكم الإمبراطور وو، فإنه ذاته كان مسؤولًا عن النتائج التي أعقبت ذلك. فقد أعاد تشكيل الكونفوشيوسية عبر بوابة نظرية الفضائل الخمسة، ليخلق أيديولوجية تتمحور حول شخصية الإمبراطور المستبد، وهو ما شكّل عامل جذب قوي للإمبراطور وو. ومع ذلك، كان هذا إعادة تفسير تمثل تشويهًا كبيرًا لرسالة كونفوشيوس الأصلية، التي ربطت الحكم الفعال بالتنمية الأخلاقية للفرد نفسه، بدلاً من الاقتصار على الالتزام بالطقوس والنظر إلى الكون باعتباره انعكاسًا لعظمة الحاكم [٣٤٦].

ولم يكتفِ الإمبراطور وو بأفكار دونغ تشونغ شو التي مهدت الطريق لاستبداده في الحكم، بل استقدم سجانًا يُدعى كونغ سون هونغ، وسلّمه رئاسة الحكومة. وعلى الرغم من أنه بدا كونفوشيوسيًا في المظهر، إلا أنه كان في الجوهر قانونيًا واضحًا، وقد صرح قائلاً: «على الإمبراطور أن ينشط في إعلان القوانين وأن يستخدم الشو»، أي الأساليب الإدارية المعمول بها في دولة تشين، وهي عبارة تُستخدم عادة لدى المشرعين من المدرسة القانونية، أمثال هان في تزو, فضلا عن ذلك، يجب على الإمبراطور أن يحتكر العوامل التي تتحكم في الحياة والموت، وأن يظل على رأس رقابة شخصية صارمة على شؤون الحكومة[٣٤٧] .

وقد تم تنفيذ أجندة الإمبراطور وو بواسطة رئيس وزرائه، كونغ سون هونغ، بالتعاون مع مسؤولين تلقوا تدريبهم في الأكاديمية الكونفوشيوسية. ومع ذلك، كان هؤلاء المسؤولون يميلون في الجوهر إلى الفلسفة القانونية، وكان رئيس الوزراء، كما يصفه البعض، يمثل

---

[٣٤٤] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٣.

[٣٤٥] المصدر نفسه، ص٢٤٣.

[٣٤٦] Robert Eno , **The Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p11.

[٣٤٧] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٨.

شخصية مزدوجة: فبينما ظهر بمظهر كونفوشيوسي ملائم، كان في الواقع يعمل كواجهة مناسبة لتنفيذ السياسات القانونية والتشريعية للحكومة، مما مكن الإمبراطور من تطبيق أجندته المركزية بفعالية [٣٤٨] .

ولم يتصرف الإمبراطور وو كمشرع قانوني فحسب، بل جعل من القانونيين أكثر مستشاريه نفوذًا. ومن المعقول الافتراض أنه اقتفى عن قصد أثر الإمبراطور الأول لتشين، شي هوانغ دي، في سياساته، إذ كان يقتبس في قراراته من حين لآخر من مؤلفات المشرعين، بما في ذلك كتاب "هان في تزو"، لإظهار اطلاعه عليها، رغم حرصه الشديد على عدم الإفصاح عن مصادره. ومن هذا المنطلق، كان من اللافت أن يشتهر الإمبراطور وو، ربما بشكل متعمد للتضليل، بأنه نصير للكونفوشيوسية، وهو ما يشكل مثالًا طريفًا على التناقض بين المظهر العام ونهجه القانوني الفعلي.

ثالثا – الإصلاحات الاقتصادية

سعى الإمبراطور وو إلى معالجة الاختلالات الاقتصادية التي كانت تعانيها البلاد، ولا سيما الفوضى التي سادت نظام العملات نتيجة منح حق سكّ النقود لمُلّاك الأراضي وقادة الدويلات المحلية والإقطاعيات الفردية، الأمر الذي أفضى إلى انخفاض قيمة العملة وارتفاع حاد في الأسعار, ولمواجهة هذه الإشكالات، عمل على اعتبار موارد الثروة الطبيعية ملكًا عامًا، بهدف الحدّ من هيمنة الطبقات الثرية على مصادر الثروة واستغلالها لأغلبية السكان. وفي هذا السياق، قصر الإمبراطور وو حق سكّ العملة على الحكومة المركزية، وفرض الاحتكار الحكومي على صناعات الملح والحديد والمصانع، إضافة إلى الشاي، كما أنشأ نظامًا للنقل والتبادل التجاري يخضع لإشراف الدولة [٣٤٩] .

وأنشأت الدولة في عهده جهازًا حكوميًا للتحكم في توزيع الإنتاج، كما تولّى الحرفيون الحكوميون صناعة العربات، وأحكمت الدولة، عبر موظفيها، سيطرتها على الأراضي الزراعية كافة. وقد أسهمت هذه الإجراءات في رفد الخزانة الحكومية برسوم مالية، وساعدت

---

[٣٤٨] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص٢٤٩.

[٣٤٩] Li Huarui , **The Song Dynasty's Fiscal and Economic Policy and Its Social Economy**, Social Sciences in China , 2023 , p 101.

على الحدّ من التذبذبات الحادة في الأسعار، من خلال الإفراج المفاجئ عن السلع والبضائع وطرحها في الأسواق [٣٥٠] .

وكان من بين الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لتثبيت الأسعار ما عُرف بـــ«نظام المساواة»، إذ كانت تقوم بشراء كميات كبيرة من الغلال عندما تكون متوافرة ورخيصة الثمن، ثم تطرحها للبيع في الفترات التي تشــحّ فيها المؤن البديلة وترتفع أســعارها, وقد أســهم هذا النظام في الحفاظ على مخزونات كافية في المســتودعات الحكومية، بما يضــمن تلبية احتياجات الشعب والجيش [٣٥١] .

وكان الملح ضرورةً يومية، وأصبحت الأدوات الحديدية سلعةً رئيسية في البلاد، الأمر الذي وفّر لهذه القطاعات أرباحًا كبيرة للدولة, وبما أنّ خامات الملح والحديد كانت تتركّز غالبًا في المناطق الجبلية والساحلية، وقد أسهمت هذه الأنشطة في توفير فرص عمل لمئات الآلاف من الأشــخاص، فإن ســوء إدارتها كان من الممكن أن يتحوّل إلى عامل اجتماعي مُزعزع للاستقرار. ولهذا دفع ذلك الإمبراطور وو إلى احتكار هذه القطاعات ووضعها تحت سيطرة الدولة [٣٥٢] .

إنّ القرارات التي اتخذها الإمبراطور وو، والمتمثّلة بتملّك الدولة لعدد من الصــناعات الاســتراتيجية في ذلك الوقت، جاءت بهدف ضــمان الســيطرة على تلك المنتجات. ونتيجةً لذلك، أُنشــئ جهازٌ حكوميٌّ لنقل البضــائع، أصــبح من ضــمن مهامه نقلُ المياه الصــالحة للشــرب، وهي مهمة أخرى أســهمت في إحكام الســيطرة على مصــادر المياه العذبة، منعًا لاستغلالها من قبل بعض الفئات [٣٥٣] .

---

[٣٥٠] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٢٣. جوزيف نيدهام , **موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين** , الهيئة المصرية العامة للكتاب للنشر , (القاهرة – ٢٠١٠) , ص ٧٣-٧٤.

[٣٥١] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٢٩.

[٣٥٢] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٦.؛ ف دياكوف , س كوفاليف , **الحضارات القديمة** , ص ٣٩ .؛

Li Teshan, **A Brief Analysis of Political Thought in the Early Western Han Dynasty**, p 128.

[٣٥٣] Ruikern Wang , Carola Hein , **from natural environment to artificial system : chang an and its water system in western han dynasty** , research in frontiers of architectural, 2022, p. 4-5.

وبطبيعة الحال، أسهمت هذه المشاريع الحكومية في ضخّ أموالٍ كبيرة في خزينة الدولة، مما ساعد على انتعاشها وتعزيز مواردها, ومن ثمّ، أتاح ذلك الحفاظ على قيمة العملة، وكان لهذا الإجراء أثرٌ واضح في الحدّ من التذبذب الحاد في أسعار المنتجات والبضائع، سواء ارتفاعًا أم انخفاضًا [٣٥٤] .

شهد الاقتصاد في عهد الإمبراطور وو تحسّنًا تدريجيًا نتيجة استقرار الحكومة المركزية وازدهار طبقة التجّار ومُلّاك الأراضي. غير أنّ هذا التطور أفضى في الوقت نفسه إلى تركز ملكية الأراضي في أيدي فئات معيّنة من النخب الحكومية، التي راكمت ثرواتٍ طائلة من خلال صناعة الحديد وإنتاج الملح، إذ كان يعمل لدى بعض العائلات التجارية ما يقارب ألفي شخص. وعلى الرغم من ذلك، أسهم هؤلاء في تنمية الاقتصاد الوطني عبر الضرائب المفروضة عليهم، والتي كانت تُورَّد إلى خزينة الدولة[٣٥٥].

وقد ظهر الازدهار في مختلف قطاعات الإنتاج؛ إذ شهدت صناعة النسيج قفزةً ملحوظة وتطورت بسرعة، ولا سيّما صناعة الحرير. كما انتشر استخدام الخيول والأبقار في أعمال الحراثة على نطاق واسع، امتدّ من بحر بوهاي إلى ممرّات خِشي في مقاطعة قانسو، ومن السور العظيم إلى نهر اليانغتسي. وتطورت الأدوات الإنتاجية، فحلّت الأدوات الحديدية محلّ الأدوات البدائية، إلى جانب إنشاء مشاريع ريّ في مختلف أنحاء البلاد، كان من أبرزها قناة تشنغ قوه وقناة باي تشيوي، التي بلغ طولها نحو ١٠٠ كيلومتر. ونتيجةً لذلك، دخلت البلاد مرحلة ازدهار اقتصادي غير مسبوق [٣٥٦] .

وكانت مصانع الحديد في العاصمة تشانغآن وفي سائر المحافظات مشاريعَ حكومية، وكذلك مناجم الذهب والفضة في سيتشوان، ومعامل النسيج في تشانغآن التي خضعت لإدارة الدولة. وقد أسهم تطور الصناعات اليدوية في تعزيز النشاط التجاري، فغدت العاصمة تشانغآن مركزًا رئيسًا للتجارة في الصين، إلى جانب مدن لويانغ وتشنغدو وهاندان ولينتسي ونانيانغ، التي برزت بوصفها مدنًا تجارية مزدهرة [٣٥٧] .

---

[٣٥٤] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٢٨.

[٣٥٥] جان يوه تسان وأخرون , **موجز تاريخ الصين** , دار النشر باللغات الأجنبية , (بكين – ١٩٨٥) , ص٢٠-٢١.

[٣٥٦] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين** , ص ٨٤.

[٣٥٧] جان يوه تسان وأخرون , **موجز تاريخ الصين** , ص ٢١.

وفي الوقت ذاته، أرسل الإمبراطور مسؤولين حكوميين لنقل البضائع والخراج إلى العاصمة، ليتم بيعها وفق أسعار منظمة، وهو ما حال دون تلاعب التجار بالأسعار أو سيطرتهم على السوق. كما منع التجار من استخدام ثرواتهم لضمّ الأراضي الزراعية، محافظًا بذلك على مصالح المزارعين الصغار وحمايتهم من جشع التجار والأثرياء [٣٥٨] .

وصاحب النمو الاقتصادي توسّع في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية بين مختلف القوميات في البلاد, وخلال حكم الإمبراطور وو، أُنشئت محافظات في منطقتي قوانغدونغ وفوجيان في الجنوب والجنوب الشرقي، بهدف تشديد السيطرة الحكومية على هذه المناطق وتوطيد نفوذ الدولة فيها [٣٥٩] .

وفي عام ١٣٠ ق.م, عين الإمبراطور مجموعة من الوزراء كان من أهمهم الوزير سانغ هونغ يانغ الذي تولى وزارة الزراعة, وسيطر بدوره على الإدارة المالية لأكثر من عشرين عاماً, واستخدم كل الوسائل لجمع الثروات, اذ سيطر على جميع السلع في البلاد يبيعها عندما يرتفع سعرها ويشتريها عندما ينخفض سعرها, الأمر الذي حول الحكومة إلى اكبر تاجر في البلاد, وقلت فرص التجار الآخرين إلى حد كبير [٣٦٠].

واضطلعت الإجراءات المالية التي اتخذها سانغ بدور بالغ الأهمية في توطيد وتدعيم الشؤون المالية الإقطاعية وتوطيد السلطة السياسية بشكل أكبر, فضلاً عن توفير النفقات اللازمة للأنشطة السياسية والعسكرية للإمبراطور وو وقد أشاد المؤرخان سيما تشان وبان جو بإنجازاته المالية [٣٦١].

وتمحورت سياسة سانغ الاقتصادية على تطوير الاقتصاد الشامل، محطمًا في المقام الأول النظرة الضيقة التي كانت تدعو إلى «الاهتمام بالزراعة وكبح جماح التجارة»، انطلاقًا من اعتقاده بأن الطريق إلى إقامة دولة غنية وشعب مزدهر لا يقتصر على الإنتاج الزراعي وحده، بل يجب الاهتمام بالصناعة والتجارة ودورهما الحيوي في الاقتصاد القومي [٣٦٢] .

وعمد الإمبراطور إلى صكّ العملات تحت إشراف الحكومة، وأجرى أول تجربة في العالم لاستخدام النقود الورقية، مستعينًا بجلد الغزال الأبيض، وهو نوع نادر من الغزلان لا

---

[٣٥٨] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٦.

[٣٥٩] جان يوه تسان وأخرون , **موجز تاريخ الصين** , ص ٢١.

[٣٦٠] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٢٣.

[٣٦١] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص٢٧٧.

[٣٦٢] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص٢٧٧-٢٧٨.

يتوافر إلا في أراضي الصيد الخاصة بالإمبراطور, وقد تم تداول هذه العملة المصنوعة من جلد الغزال بين الأرستقراطيين، إذ كانت العملة الواحدة تساوي قيمتها ٤٠٠ ألف وحدة من العملة النحاسية. واستغل النبلاء ظهور هذه العملة، فبدأوا بشرائها كوسيلة للتعبير عن ولائهم وطاعتهم للإمبراطور [٣٦٣] .

ويرجع سبب إصدار الإمبراطور أوامره باستخدام عملات جلد الغزال مرتفعة القيمة إلى حاجة خزانة الدولة إلى الأموال لتمويل أعمال شقّ الترع وبناء السدود. وكانت هذه العملة وسيلة لسحب الأموال المحتفظ بها لدى النبلاء عن طريق استبدالها بالعملات الأخرى, ولاحقًا، أنشأت الحكومة دار المسكوكات الوطنية عام ١١٩ ق.م، وأصبحت عملة «وو تشو» العملة القانونية الوحيدة في البلاد [٣٦٤] .

وتم تطبيق سياستي «سوان مين» و«قاو مين» في عام ١١٩ ق.م، بأمر من الوزير سانغ، لفرض الضرائب بشكل صارم، مما ساعد على تحويل الأموال المحتفظ بها لدى رجال الأعمال إلى الخزانة الوطنية. وكانت «سوان مين» نوعًا من ضريبة الأملاك التي تفرضها الدولة على التجار، بينما «قاو مين» تمثل عقوبة على رجال الأعمال الذين يخفيون أصولهم أو يتهربون من دفع الضرائب. وفي غضون ثلاث سنوات فقط، أدت هذه السياسات المالية إلى إفلاس العديد من رجال الأعمال، كما بلغت مساحة الأراضي التي صادرتها الحكومة آلاف الهكتارات في المدن الكبيرة والصغيرة. ونتيجة لذلك، نجح الإمبراطور وو في التغلب على الأزمة الاقتصادية للدولة، غير أنّ التكلفة الاجتماعية لهذه السياسات كانت كبيرة للغاية [٣٦٥] .

وكانت هذه الإجراءات الاقتصادية كافية لتلبية احتياجات الحكومة من النفقات العسكرية، كما وفرت الأموال اللازمة في وقت الحاجة، وعضدت الحكومة في العديد من المجالات الأخرى. وقد حققت هذه الموارد المالية أهداف الإمبراطور وو السياسية، من خلال كبح جماح سلطة الولايات والنبلاء، وترسيخ أركان الحكم الإمبراطوري المركزي. وقد أكّد

---

[٣٦٣] جوزيف نيدهام , **موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين** , ص ٧٤.

[٣٦٤] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٢٩.

Zheng Xueyi , Yaguang Zhang, John Whalley , **Monetary Theory From A Chinese Historical Perspective** , National Bureau Of Economic Research 1050 Massachusetts Avenue Cambridge, Ma 02138 June 2010, No. 20, P 8.

[٣٦٥] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٢٣.

الوزير سانغ على ذلك، قائلاً: "إن احتكار الحكومة لصناعة الحديد والملح لم يسهم في تدعيم الدخل الحكومي فحسب، بل عمل أيضًا على تعزيز جذور السلطة السياسية المركزية، وأحكام القبضة على الولايات المحلية، وتصفيّة الأحزاب السياسية، ومنع البذخ والإسراف، وضم الأراضي من قبل فئات معينة" [٣٦٦].

وأدت الزيادة في الإيرادات الحكومية بلا شك إلى التخفيف من حدة الصعوبات الاقتصادية الناجمة عن الحروب، مما ساهم في تعزيز قوة طبقة ملاك الأراضي. ومع ذلك، كان ازدهار الأسر البيروقراطية يثير عددًا كبيرًا من المشكلات السياسية، كما أن الحروب المتواصلة وما رافقها من الخدمة العسكرية والعمل الإجباري أفرزت ظروفًا معيشية قاسية على عامة الشعب، وقد أدى كل هذا إلى اغتيال الوزير سانغ سنة ١١٠ ق.م على يد معارضيه. بيد أن أفكاره الاقتصادية، التي صاغت العديد من السياسات الاقتصادية والمالية، ظلت تُطبق حتى نهاية حكم الإمبراطور وو عام ٨٧ ق.م [٣٦٧] .

أهمية الإصلاحات ونتائجها

كانت الإصلاحات الاقتصادية في عهد حكم الإمبراطور وو حاسمة في تشكيل الأسس التي قامت عليها إمبراطورية هان في القرن الأول قبل الميلاد. وكان الإمبراطور وو يتطلع إلى تعزيز قوة الإمبراطورية وحماية حدودها، مما استلزم اتخاذ إجراءات اقتصادية جذرية لتمويل الحملات العسكرية الضخمة التي شنها ضد قبائل الشيونغنو ودول أخرى في آسيا الوسطى[٣٦٨]..

ومن أجل تمويل الحملات العسكرية التي استمرت لعدة سنوات، كان على الإمبراطور وو اتخاذ تدابير اقتصادية قوية, واحدة من أبرز السياسات التي اتخذها كانت تأميم بعض الصناعات الحيوية, شملت هذه الصناعات الملح، الحديد، والنقود ، وهي من المصادر الأساسية للإيرادات في الصين القديمة ويمكن تلخيصها بالنقاط الآتية:

- **الملح:** كان الملح يعد من السلع الاستراتيجية التي تستخدم في حفظ الطعام، ولذلك كان مصدرًا أساسيًا للإيرادات بالنسبة للحكومة. قرر الإمبراطور وو السيطرة على إنتاجه

---

[٣٦٦] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص٢٧٧.

[٣٦٧] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٦.

[٣٦٨] Zheng Xueyi, Yaguang Zhang, John Whalley , **Monetary Theory From A Chinese Historical Perspective** , p.p 8-9.

وتوزيعه، مما سمح للدولة بتحقيق إيرادات ثابتة يمكن استخدامها في تمويل الجيش والإنفاق على التوسع العسكري[٣٦٩].

- **الحديد:** كانت صناعة الحديد أيضًا من القطاعات الحيوية التي يعتمد عليها الجيش الصيني في تصنيع الأسلحة والدروع, من خلال تأميم صناعة الحديد، وقد تمكّن الإمبراطور من تأمين إمدادات الحديد اللازمة لصناعة الأسلحة بكميات كبيرة، وهو ما كان ضروريًا لدعم حملاته العسكري [٣٧٠].
- **النقود:** نظراً لاحتياج الإمبراطورية المستمر للتمويل، تم فرض رقابة حكومية على صناعة النقود, فرضت الحكومة سيطرتها على سك العملة وتحديد قيمتها، مما ساعد على تثبيت قيمة العملة ومنع التضخم، في الوقت نفسه الذي ضمنت فيه الحكومة استقرار اقتصادها في ظل الحروب المستمرة [٣٧١].

الآثار الاقتصادية لهذه الإصلاحات:

كانت هذه الإصلاحات تهدف إلى توفير تمويل مستدام للمشروعات العسكرية دون الحاجة إلى تحميل الطبقات الفقيرة أعباء مالية ثقيلة. كما أن السيطرة على الصناعات الأساسية ساعدت في ضمان تدفق الموارد العسكرية والاستراتيجية المطلوبة لدعم توسعات الإمبراطورية, ومع ذلك، كان لهذه السياسات تأثيرات مختلطة على الاقتصاد الداخلي, وعلى الرغم من أن الإمبراطور وو تمكن من تأمين الموارد المالية والاقتصادية الضرورية لمواجهة التحديات العسكرية، إلا أن هذه السياسات قد أثرت سلبًا على حرية السوق والاقتصاد المحلي، اذ تم تحديد الأسعار والإنتاج وفقًا لاحتياجات الدولة بدلاً من قانون العرض والطلب. هذا

---

[٣٦٩] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٦.

[٣٧٠] Li Huarui , **The Song Dynasty's Fiscal and Economic Policy and Its Social Economy**, p 101.

[٣٧١] Zheng Xueyi, Yaguang Zhang, John Whalley , **Monetary Theory From A Chinese Historical Perspective** , , p 8.

التدخل الحكومي في الاقتصـــاد أثر على العديد من الصـــناعات الأخرى وعلى أصـــحاب الأعمال الصغيرة، مما ولَّد شعور عدم الرضا بين بعض فئات المجتمع [٣٧٢].

ومع مرور الوقت، وارتفاع تكاليف الحروب، بدأ فصيل سياسي جديد صعد في الحكومة في إعادة تقييم تلك السياسات الاقتصادية. كان هذا الفصيل يتألف من الوزراء والبيروقراطيين الذين بدأوا في الضغط من أجل تقليص التدخل الحكومي في الاقتصاد وتخفيف الأعباء على المواطنين[٣٧٣]. وبالفعل، في مرحلة لاحقة من حكم الإمبراطور وو، بدأت سياسات التمويل الحكومي تتغير، إذ تم التخلي عن تأميم بعض الصـــناعات الحيوية مثل الحديد والملح. وبدلاً من ذلك، أُتيح للقطاع الخاص إعادة تشـغيل هذه الصـناعات، مما أسـهم في تخفيف الضغط على الاقتصاد الوطني [٣٧٤] .

من الناحية الاجتماعية، سعى الإمبراطور وو إلى تعزيز الاستقرار الاجتماعي من خلال تعزيز قوانين الحكم العادل والعدالة. ورغم أن معظم الإصـلاحات كانت اقتصـادية، لكن كان للقرارات الاقتصادية تأثير كبير على الطبقات الاجتماعية المختلفة.

وعلى الرغم من ان طبقة الفقراء في عهد الإمبراطور وو قد عانت من وطأة اقتصـــادية شـديدة, اذ كانت الضـرائب المرتفعة تشـكل عبئًا هائلاً عليهم, هذه الضـرائب لم تكن مجرد نفقات عادية للدولة، بل كانت تُفرض بشـكل خاص لتمويل الحملات العسـكرية التوسـعية للإمبراطورية. فعلى سبيل المثال، كانت الحروب المستمرة ضد قبائل شيونغنو تتطلب موارد مالية هائلة، وكانت الدولة تلجأ إلى فرض ضـــرائب باهظة على المنتجات الزراعية والحرفية وحتى على الأشخاص أنفسهم. هذا يعني أن الفلاحين والحرفيين، الذين كانوا يشكلون غالبية الطبقات الفقيرة، كانوا يُجبرون على تسـليم جزء كبير من دخلهم الشـحيح للدولة، مما تركهم بالكاد يملكون ما يكفيهم للعيش[٣٧٥] لكن من جهة أخرى، اسـتفادت النخبة الحاكمة والجيش

---

[٣٧٢] Fong, Wen, **The Great Age of Chinese Art**, Foreign Languages Press, (Beijing – 2004), p 70.

[٣٧٣] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين** , ص٨٩.

[٣٧٤] المصدر نفسه , ص٨٩.

[٣٧٥] Franklin, Hugh , **The Emperor's Handbook: A New Translation of The Meditations**, New York , (1990), p.p 60-80.

من هذه الإصلاحات الاقتصادية, اذ تمكّن الجيش من الحصول على دعم أكبر في شكل الأسلحة والموارد، بينما سُمح للنخبة بتوسيع سلطتهم واحتكار بعض الأنشطة الاقتصادية[٣٧٦].

أخيرًا، أدت السياسات الاقتصادية التي اتبعها الإمبراطور وو إلى زيادة الإنتاجية في مختلف القطاعات، بما في ذلك الزراعة والصناعة والتجارة، مما ساهم بشكل مباشر في توفير الغذاء والسلع الأساسية للسكان وتحسين مستوى معيشتهم. وقد أتاح هذا الازدهار الاقتصادي توفير فائض من الموارد يمكن استخدامه لتلبية احتياجات الدولة الحيوية دون إحداث ضغوط على عامة الشعب، مما عزز شعور السكان بالرضا والدعم للحكومة. كما ساهمت هذه السياسات في تقوية الاقتصاد الوطني بشكل عام، فزاد من قدرة الإمبراطورية على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية، سواء من حيث الدفاع عن الحدود أو التعامل مع الصراعات الإقليمية.

وانعكس تحسن الأوضاع الاقتصادية أيضًا في زيادة الدعم الشعبي للإمبراطور وحكومته، مما أسهم في استقرار الحكم الداخلي لفترة طويلة دامت خمسين عامًا تقريبًا، وأتاح للحكومة التركيز على بناء الدولة وتطويرها دون الانشغال بالأزمات المالية أو الاضطرابات الاجتماعية. بالإضافة إلى ذلك، وفرت الإيرادات المتزايدة من الاقتصاد المزدهر الأموال اللازمة لتمويل التوسع العسكري، بما في ذلك تجهيز الجيش وبناء البنى التحتية اللوجستية مثل الطرق والقنوات والموانئ، مما مكّن الإمبراطورية من التوسع نحو الخارج وفرض سيطرتها على مناطق جديدة. كما أن التحكم في الموارد الحيوية، مثل الحديد والملح، والسيطرة على الأسواق والضرائب، ضمنت قدرة الدولة على توجيه هذه الموارد بشكل يخدم أهدافها الاستراتيجية، سواء في العمليات العسكرية أو تعزيز النفوذ السياسي، ما جعل النمو الاقتصادي أداة فعّالة لتعزيز القوة العسكرية والسيطرة الإقليمية.

---

[٣٧٦] Yunxin Li ، **Elites' Social Networks And Politics In The Han Empire (202 B.C.E.–220 C.E)** , Research Paper ,(Usa -2023) , p 7-8.

المبحث الثاني- العلاقات الخارجية لأسرة هان في عهد وو(١٤١-٨٧ ق.م)

تُعد العلاقات الخارجية لإمبراطورية هان الغربية من المواضيع المحورية التي تسلط الضوء على استراتيجيات التوسع والنفوذ التي اتبعتها الإمبراطورية لتحقيق الاستقرار والنمو على الصعيدين الداخلي والخارجي. فقد عملت أسرة هان على تطوير شبكة معقدة من التحالفات الدبلوماسية وتوسيع تجارتها تحت قيادة إمبراطورها وو، مما جعلها واحدة من أعظم الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ في ذلك العصر, ولم تقتصر تلك العلاقات على البعد التجاري فحسب بل شملت أيضًا التعاون العسكري والسياسي، مما أدى إلى بروز الصين بوصفها قوة عالمية مؤثرة على الساحة الدولية.

تكمن أهمية دراسة العلاقات الخارجية لإمبراطورية هان الغربية في أنها لم تسهم فقط في تحقيق أهداف التوسع والسيطرة الإقليمية، بل أدت إلى تحسين وضعها الاقتصادي والسياسي بشكل ملموس. من خلال طريق الحرير الذي ربط الصين بالغرب، وأسهمت تلك العلاقات في توسيع شبكة التجارة العالمية ونقل الابتكارات الثقافية والتكنولوجية بين الشرق والغرب، مما أدى إلى تعزيز الثراء والنفوذ الصيني. كما أن التبادل الثقافي والتجاري أسهم في نشر المعرفة والابتكارات، مثل اختراع الورق، مما كان له الأثر الكبير في تطور المجتمع الصيني.

لقد تميزت سياسة إمبراطورية هان الخارجية بحنكتها وديناميتها، وبقدرتها على توطيد التحالفات مع الممالك المجاورة مثل فرثيا، واستخدام شخصيات بارزة مثل (تشانغ تشيان) لتوثيق العلاقات الدبلوماسية وإرساء أسس التجارة المستدامة. في الوقت ذاته، لم تَخْلُ هذه السياسة من تحديات جسيمة مثل الصراعات مع قبائل الهون، التي فرضت على الإمبراطورية تبني استراتيجيات عسكرية وإدارية متطورة لتحقيق التفوق.

أولا- الصراع مع الهون والقضاء عليهم

إنَّ الصراع بين أسرة هان الغربية وقبائل الهون (Xiongnu) يُعد من أبرز الأحداث التي شكّلت التاريخ الصيني القديم. نشأ هذا الصراع نتيجة التوسع الإقليمي للطرفين، اذ كانت قبائل الهون البدوية تبحث عن الموارد والفرص في الجنوب، بينما سعت أسرة هان إلى تأمين حدودها الشمالية ضد التهديدات المستمرة. وأظهرت السجلات الصينية أن الهون، بقوتهم العسكرية وتنظيمهم القبلي، شكلوا تهديدًا مباشرًا للاستقرار السياسي والاجتماعي للإمبراطورية,

اذ امتدت مناطق نفوذ الهون إلى السهول الشمالية، وكانت هجماتهم على القرى الحدودية لهان تثير القلق داخل البلاط الإمبراطوري [٣٧٧].

ويُعدّ الموقع الجغرافي للصين أحد العوامل الرئيسة التي أسهمت في اندلاع الصراع، إذ جعلها عرضةً بشكل دائم لغزوات القبائل البدوية القادمة من الشمال. وقد تمتعت قبائل الهون بتفوّق عسكري واضح على الجيوش التقليدية، بفضل مهاراتهم العالية في الفروسية وإتقانهم استخدام الأقواس، الأمر الذي شكّل تهديدًا مستمرًا للأمن الصيني, ودفع هذا الواقع حكّام أسرة هان إلى تبنّي جملة من التدابير الدفاعية الهادفة إلى حماية السكان والحفاظ على وحدة الأراضي الإمبراطورية, فضلًا عن ذلك، فإن غنى المناطق الحدودية الشمالية بالموارد الطبيعية جعلها عامل جذبٍ أساسي للهون، مما أسهم في تصاعد حدّة النزاعات واستمرارها . [٣٧٨]

في البداية، حاولت أسرة هان الحفاظ على السلام من خلال وسائل دبلوماسية، مثل إرسال الهدايا ودفع الجزية لقبائل الهون. كان الهدف من هذه الاستراتيجية هو كسب الوقت لتقوية الإمبراطورية داخليًا، لكنها لم تكن حلاً دائمًا. استمر الهون في مهاجمة القرى الحدودية وسلب الثروات، مما جعل السلام الهش غير مستدام. زادت الضغوط على البلاط الإمبراطوري لإيجاد حل أكثر حزمًا لوقف التهديدات المستمرة من الشمال [٣٧٩].

مع اعتلاء الإمبراطور وو العرش في عام ١٤١ ق.م، تغيّرت سياسة أسرة هان تجاه الهون بشكل جذري. كان الإمبراطور وو معروفًا بطموحه وتطلعه لتوسيع نفوذ الإمبراطورية وتأمين حدودها. تحت قيادته، وبدأت أسرة هان في اتخاذ خطوات هجومية بدلاً من الاكتفاء

---

[٣٧٧] Samuel Adrian Miles .Adshead, , **China in World History**, London: Macmillan, (2000) , p 171.

Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty**, p 712.

[٣٧٨] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص ٢٥٠.

[٣٧٩] Hirakawa Akira , **A History of Indian Buddhism**: From Sakya Mani to Early Mahayana, translated by Paul Gruner, New Delhi: Jainendra Prakash Jain in Shri Jainendra Press, (1998), p.274 . Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty**, p.p 712-714.

بالدفاع السلبي, اذ تمثلت استراتيجيته في الجمع بين القوة العسكرية والدبلوماسية الذكية، مما اسهم في تحويل موازين القوى تدريجيًا لصالح أسرة هان [٣٨٠].

ووثّقت السجلات التاريخية، ولا سيّما كتاب شيجي (Shiji)، تفاصيل وافرة عن طبيعة الصراع خلال تلك المرحلة، إذ تُظهر بوضوح أن الإمبراطورية كانت تنظر إلى الهون بوصفهم تهديدًا دائمًا لمسار تقدمها واستقرارها الداخلي. وتشير هذه المصادر إلى أن الإمبراطور وو كان يولي عناية كبيرة لدراسة أساليب الحرب البدوية قبل الإقدام على أي قرار عسكري، وهو ما يعكس مستوى الجدية والتخطيط الاستراتيجي الذي ميّز تعامله مع هذا الصراع [٣٨١] .

وخلّف هذا الصراع آثارًا اجتماعية واقتصادية عميقة في بنية الإمبراطورية، إذ عانى سكان المناطق الحدودية من حالة مستمرة من انعدام الأمن نتيجة الهجمات المتكررة، الأمر الذي انعكس سلبًا على النشاطين الزراعي والتجاري في تلك الأقاليم, كما أُجبر عدد كبير من السكان على الهجرة نحو المناطق الداخلية، مما شكّل عبئًا إضافيًا على الإدارة المركزية وأجهزتها, وفي المقابل، أسهمت الضرورة الملحّة لمواجهة تهديد الهون في تسريع عملية تطوير القدرات العسكرية وتعزيز التقنيات الدفاعية لدى أسرة هان، بما يعكس التفاعل الوثيق بين التحديات الخارجية والتحولات الداخلية في الدولة الإمبراطورية [٣٨٢] .

ولم يكن الصراع مع الهون مجرد نزاعٍ حدودي عابر، بل مثّل معركة وجودية بالنسبة للإمبراطورية؛ إذ أدركت أسرة هان أن القضاء على تهديد الهون يُعدّ شرطًا أساسيًا ليس فقط

---

[٣٨٠] H. W Bailey, **Indo-Sigthic Studies: Khotanese Texts**, Volume VII, Cambridge University Press, (1985) , p 4-21. Ma Yong and Sun Yutang , **The Western Regions Under The Hsiung-Nu And The Han** , P.P 221-222.

[٣٨١] Jiayu Ann, "**When Glass Bottles Were Precious in China**," in Giuliano, Annette L.; Lerner, Judith A. (eds.), Silk Road Studies: Nomads, Merchants, and Holy Men on the Chinese Silk Road, Turnhout: Brebuls Publishing, (2002), No. 11, pp. 79-94.

Ming Sun **, The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty**, P 714-715.

[٣٨٢] John, Balchin, **100 Scientists Who Changed the World,** New York: Enchanted Lion Books, (2003), P. 201 . Christoph Baumer "**The History Of Central Asia – The Age Of The Silk Roads** ,PART I: Early Empires And Kingdoms In East Central Asia- The Xiongnu, The First Steppe Nomad Empire, (Volume 2) , P.337-350.

لضمان الاستقرار الداخلي، وإنما أيضًا لترسيخ مكانتها بوصفها قوة إقليمية فاعلة. وقد أسهم هذا الإدراك في إحداث تحولات استراتيجية عميقة في أساليب تعامل الدولة مع التهديدات القادمة من الشمال، الأمر الذي جعل الإمبراطورية أكثر جاهزية وقدرة على مواجهة التحديات المستقبلية [٣٨٣] .

في ختام هذه المرحلة الأولى من الصراع، يمكن القول إن التوترات بين أسرة هان والهون كانت نتيجة حتمية لتضارب المصالح بين قوة حضرية مزدهرة وقبائل بدوية تعتمد على الغزو والنهب, وشكلت هذه المرحلة بدايةً لتحول جذري في سياسات الإمبراطورية، اذ انتقلت من الدفاع إلى الهجوم، وهو ما سنناقشه بالتفصيل.

استراتيجيات المواجهة بين أسرة هان الغربية والهون

اتسمت سياسة الإمبراطور وو في مواجهة الهون برؤية استراتيجية واضحة، إذ وظّف مزيجًا من الأدوات العسكرية والدبلوماسية لضمان نجاح حملاته ضدهم, وقد تجلّت هذه الرؤية في سلسلة من المبادرات التي أسهمت تدريجيًا في إضعاف قوة الهون. وكان من أبرز هذه الاستراتيجيات اعتماد التحالفات الدبلوماسية مع قبائل أخرى على أطراف الحدود، في إطار سياسة «فرّق تسد» الهادفة إلى الحد من نفوذ الهون. فقد عقد الإمبراطور تحالفات مع قبائل منافسة لهم، مثل قبائل يويشي(Yuezhi) ، التي كانت تتنازع معهم السيطرة على مناطق النفوذ، الأمر الذي أسهم في زعزعة استقرار الهون وتقويض تماسكهم السياسي والعسكري [٣٨٤].

وكانت الدبلوماسية جزءًا أساسيًا من الاستراتيجية الهانية، إذ أرسلت الإمبراطورية مبعوثين إلى القبائل المجاورة لإقناعهم بالانضمام إلى التحالفات أو على الأقل بالامتناع عن دعم الهون, هذا التوجه سمح لأسرة هان بتوسيع دائرة الدعم، مما خلق شبكة من الحلفاء الذين

---

[٣٨٣] Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P 714-715.

[٣٨٤] Warwick Ball, **Rome in the East**: The Transformation of an Empire, London and New York: Routledge, (2016) , p 120-128.

ساعدوها في صد الهجمات وتعزيز الأمان على الحدود, وعلى الرغم من أن هذه التحالفات لم تضمن حماية كاملة، إلا أنها ساعدت على إضعاف القبائل المتحالفة مع الهون [٣٨٥].

لم تقتصر استراتيجيات الإمبراطور وو على الجانب الدبلوماسي فحسب، بل شملت أيضًا حملات عسكرية واسعة النطاق, كانت هذه الحملات جزءًا من خطة طويلة الأمد للقضاء على الهون بشكل نهائي. فقامت أسرة هان بتنظيم جيوش ضخمة وقامت بتزويدها بأحدث الأسلحة والتكتيكات العسكرية، مما مكّنها من مواجهة تحديات الهون بشكل فعّال. حملات مثل تلك التي قادها الجنرال هان شين (Hanxen) كانت علامة فارقة على التقدم العسكري الذي حققته الإمبراطورية, وكانت هذه الحملات تهدف إلى تدمير قواعد الهون الأساسية وإجبارهم على التراجع بعيدًا عن الحدود الهانية [٣٨٦].

اعتمدت الحملات العسكرية على جملة من التكتيكات المرنة، من أبرزها أسلوب الكرّ والفرّ، إذ كانت القوات تُرسل في عمليات مباغتة تستهدف إضعاف الروح المعنوية للهون وتهديد مراكزهم الحيوية. وبهذه الكيفية، غدت الهجمات المتكررة على القبائل البدوية عنصرًا أساسيًا في الاستراتيجية الإمبراطورية الرامية إلى تقويض القوة العسكرية للهون. ولم تقتصر هذه العمليات على المواجهات المباشرة، بل شملت كذلك حملات الإغارة والاستنزاف، التي أسهمت في إنهاك موارد الهون وإضعاف قدرتهم على الصمود والمقاومة على المدى البعيد [٣٨٧].

إلى جانب الحملات العسكرية، عمل الإمبراطور وو على تعزيز الجبهة الداخلية من خلال تطوير المنظومة الدفاعية على الحدود الشمالية، إذ جرى تشييد وتحسين سلسلة من الحصون والقلاع المخصّصة لمراقبة تحركات الهون والحد من محاولاتهم لاختراق الأراضي الهانية. وقد شكّلت هذه التحصينات عائقًا عسكريًا مهمًا أمام الهون، ولا سيّما أنهم لم يكونوا

---

[٣٨٥] اسامة الجوهري , **تاريخ الدول والامبراطوريات الصينية** , ص ٦٥.

[٣٨٦] Maurice Cotterell, , **The Terracotta Warriors**: The Secret Codes of the Emperor's Army, Rochester: Bear & Company, (2004), p. 9.

[٣٨٧] Chun-Shu Chang, **The Rise of the Chinese Empire**: Volume II: Frontiers, Migration, and Empire in Han China, 130 BCE–AD 157, Ann Arbor: University of Michigan Press, (2007) , p.120-127.

معتادين على مواجهة منشـآت دفاعية ثابتة ومنظّمة بهذا المسـتوى، الأمر الذي أسـهم في تقليص فعالية هجماتهم وزيادة قدرة الإمبراطورية على ضبط حدودها [٣٨٨] .

وإلى جانب التحصـينات والحملات العسـكرية، اتخذت الإمبراطورية خطوة اسـتراتيجية تمثّلت في إعادة تنظيم الجيوش وتطويرها، من خلال إدخال تعديلات جوهرية على أسـاليب التدريب والتكتيك بما يضـمن رفع كفاءة الجنود في مواجهة العدو. فقد اسـتثمرت الدولة في تدريب القوات على أنماط قتال أكثر مرونة، مثل تكتيكات المناورة السريعة، إلى جانب اعتماد أسلحة أكثر تطورًا، وفي مقدمتها الأقواس المركبة. وأسهمت هذه الإصلاحات العسكرية في تعزيز الجاهزية القتالية للجيوش الهانية، ومنحتها ميزة استراتيجية واضحة في صراعها مع الهون [٣٨٩] .

وشكّل توظيف الإمبراطورية للتكنولوجيا العسكرية عاملًا إضافيًا في تحقيق تفوقها، إذ اعتمدت على تطوير الأسـلحة وتزويد الجيش بتقنيات متقدمة أسـهمت في تعزيز قدرته على الصـمود والاسـتمرار في ميادين القتال, وقد جاءت هذه الخطوة في إطار الرؤية الاسـتراتيجية للإمبراطور وو، الرامية إلى تقوية مقدرات الدولة الدفاعية والهجومية في آنٍ واحد، بما يمكّن الصـين من مواجهة هجمات الهون بفاعلية أكبر وترسـيخ سـيطرتها على المجال الإقليمي المحيط بها [٣٩٠] .

إلى جانب الاستراتيجيات العسكرية، برز بُعدٌ اجتماعي مهم ارتبط بالحملات ضد الهون، إذ عملت الدولة على تنظيم سكان المناطق الحدودية وتعزيز قدرتهم على الصمود في مواجهة التهديدات المتكررة. فقد شُـجِّع السـكان المحليون على إنشـاء قرى محصّـنة، والاسـتمرار في النشـاط الزراعي، إلى جانب تنظيم حراسـات محلية لحماية الممتلكات من الهجمات, وأسـهمت

---

[٣٨٨] Mansvelt Beck, "**The Fall of the Han**," in Toetschit, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 BC–AD 220, Cambridge University Press, (1986), pp. 317–376.

[٣٨٩] Mark Csikszentmihalyi, **Readings in Han Chinese Thought,** Indianapolis and Cambridge: Hackett Publishing Company, (2006),p 20–40.

[٣٩٠] Joe Cribb, "**Chinese lead ingots with barbarous Greek inscriptions**", Coin Hoards, archived from the original on 16 August 2021, retrieved 13 July 2017 vol 4, p 76–78,

هذه التدابير في الحد من الآثار السلبية للهجمات الخارجية، ودعمت الاستقرار الداخلي للإمبراطورية من خلال إشراك المجتمع المحلي في منظومة الدفاع [٣٩١] .

ختامًا، تميّزت استراتيجيات الإمبراطور وو بالشمولية والتعقيد، إذ جمعت بين الحزم العسكري والدبلوماسية المتأنية، إلى جانب تطوير القدرات التكنولوجية والعسكرية، بما أسهم تدريجيًا في إضعاف قوة الهون وتمهيد الطريق لتحقيق النصر النهائي. ولم تقتصر هذه السياسات على دفع الهون نحو الشمال فحسب، بل ساعدت أيضًا في تعزيز قدرة الإمبراطورية على صون أمنها الداخلي، وضمان استقرار الحدود، فضلا عن تمكينها من التوسع في المناطق المجاورة، مما يعكس رؤية استراتيجية بعيدة المدى للإمبراطورية ومساعيها في ترسيخ هيمنة الصين الإقليمية.

القضاء على الهون

من خلال استراتيجياته المتكاملة، نجح الإمبراطور وو في تحقيق انتصارات ملحوظة على الهون. وقد تحقق ذلك بفضل الحملات العسكرية المستمرة التي قادها أبرز قادة الجيش، مثل هان شين وآن شنغ، والتي شكّلت تصعيدًا منظمًا في الصراع العسكري. اعتمدت هذه الحملات على قوة منظمة وتكتيكات متقدمة، بما في ذلك المناورة السريعة والكمائن والتسلل، ما أضعف قدرات الهون العسكرية تدريجيًا. وتظهر السجلات التاريخية أن المواجهات كانت شديدة العنف، فقد تمكن الجيش الهاني في إحدى المعارك من القضاء على مجموعة من الحاميات الهونية الرئيسية، ما أجبر الهون على التراجع نحو المناطق الشمالية البعيدة. وأسهمت هذه الانتصارات في تقليص نفوذ الهون على الأراضي التي كانوا يسيطرون عليها سابقًا، وحافظت على استقرار المناطق الإمبراطورية الحدودية ومنعت الهجمات المستمرة. كما كان للحملات العسكرية أثر اجتماعي وسياسي، إذ عززت الوحدة الوطنية وثقة الشعب الصيني في القيادة الإمبراطورية، ورفعت من معنوياتهم، ما ساهم في تعزيز سلطة الإمبراطور وو وإتاحة المجال لتنفيذ المزيد من مشاريع التوسع الداخلي والخارجي. ومن بين هذه الحملات، برزت تلك التي استهدفت حصون الهون على طول السهول الشمالية، اذ استخدمت

---

[٣٩١] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص ٢٥٩-٢٦٠ . وكذلك لمزيد من المعلمات ينظر:

Ursula Brosseder, Bryan K. Miller, **Xiongnu Archaeology**- Multidisciplinary Perspectives of the First Steppe Empire in Inner Asia , Bonn Contributions to Asian Archaeology , Volume 5 , 2011, p.p 49-77.

الجيوش الهانية تكتيكات التسلل والكمائن بفعالية، ما أدى إلى انهيار كبير في القوة العسكرية للهون وتدمير قوافلهم التجارية، مؤكدًا النجاح الاستراتيجي للإمبراطور وو على المستويين العسكري والسياسي[٣٩٢] .

مع مرور الوقت، بدأت الهجمات الهونية تفقد شدتها، وأصبح من الصعب على الهون تنظيم هجمات منسقة ضد الجيوش الهانية. وقد مكّن هذا التراجع في القوة العسكرية للهون الإمبراطورية من الاستفادة من انخفاض مستوى التهديدات على حدودها، مما أتاح لها التركيز بشكل أكبر على استراتيجيات التنمية الداخلية والتوسع في مناطق أخرى. واستمر الإمبراطور وو في العمل على القضاء الكامل على قبائل الهون، ليس فقط من خلال العمليات العسكرية المباشرة، بل عبر سلسلة من الخطط التكتيكية التي ضمنت الإضعاف المستمر للعدو. ومع توالي الحملات، تقلصت قوة الهون بشكل ملحوظ، مما أجبرهم على الانسحاب نحو المناطق الشمالية البعيدة عن الحدود الهانية. وأسفرت هذه الحملات عن تحقيق انتصارات استراتيجية قوية، إذ تراجع الهون إلى الأراضي الواقعة شمال الصين، ما ساهم بشكل كبير في تقليل التهديد الذي شكّلته هذه القبائل على الأمن القومي للإمبراطورية [٣٩٣] .

كانت معركة موبي عام ١١٩ ق.م واحدة من أبرز المعارك التي ساهمت في تحقيق النصر على الهون، إذ قاد القائد وي تشينغ حملة قوية ألحق خلالها بالعدو هزيمة ساحقة. وعلى الرغم من استخدام الهون لتكتيكات متقدمة، مثل الهجوم السريع والمفاجئ، فإن التنظيم العسكري والهجومي للجيوش الهانية كان أكثر فعالية، ما أسفر عن تدمير كبير في قوات الهون. وقد أجبرت هذه الهزائم المتتالية زعماء الهون على اتخاذ قرارات صعبة، شملت محاولة التفاوض مع البلاط الهاني لتجنب المزيد من الخسائر, ولم يكن القضاء التام على الهون ممكنًا لولا التنسيق الدقيق بين الجيوش الهانية والإمبراطورية من جهة، والتحالفات مع القبائل المنافسة مثل قبائل يويشي من جهة أخرى, فقد ساعدت هذه التحالفات في شن

---

[٣٩٢] Chi-Yun Chen, "**Confucian Thought, Legalism and Daoism in the Late Han**," in Toichtschitt, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 B.C.–A.D. 220, Cambridge University Press, (1986), pp. 766–806.

[٣٩٣] Wang Mang, "**The Restoration of the Han Dynasty and the Later Han**," in Toichtschitt, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 BC–AD 220, Cambridge: Cambridge University Press, pp. 223–290.

هجمات من زوايا متعددة، ما جعل الهون عاجزين عن الدفاع على جبهات متعددة في آن واحد. وأسهمت هذه الاستراتيجية في زعزعة تماسك الهون وإضعاف قدراتهم العسكرية بشكل ملحوظ، مؤكدًا أهمية الجمع بين القوة العسكرية المباشرة والتحالفات الدبلوماسية في تحقيق النصر النهائي(٣٩٤) .

فضلا عن ذلك، عملت الحكومة الهانية على تعزيز التحصينات والقلع الدفاعية على طول الحدود الشمالية، لضمان عدم عودة الهون للهجوم بعد تراجعهم, وقد أصبحت هذه المنشآت نقاطًا استراتيجية حيوية لمراقبة تحركات الهون وصد أي هجوم محتمل, كما تم تطوير شبكة من الجواسيس والاستخبارات العسكرية لإبلاغ الإمبراطورية بأي تحركات أو نوايا جديدة للعدو، ما ساهم في منع عودة سريعة للتهديدات. ولم يكن القضاء على الهون مسألة عسكرية فحسب؛ فقد كان له آثار سياسية واقتصادية هامة. فمن الناحية السياسية، عزز النصر شعور الوطنية والانتماء لدى المجتمع الهاني، ما ساعد في ترسيخ الاستقرار وتعزيز سلطة الإمبراطور وو. أما على الصعيد الاقتصادي، فقد فتح القضاء على الهون الطريق أمام المزيد من التوسع الإقليمي، إذ أصبحت المناطق التي كانت تخضع لتهديداتهم قابلة للاستثمار الزراعي والتجاري والتنمية، مما أسهم في تقوية الإمبراطورية داخليًا وخارجيًا(٣٩٥) .

من الناحية الاقتصادية، اسهم النصر على الهون في تأمين طرق التجارة التي كانت تتعرض لهجمات مستمرة، ما أدى إلى انتعاش النشاط الاقتصادي الداخلي وتوسيع حركة التجارة بين المدن الكبرى والأقاليم الصينية. كما أسهمت نتائج هذه الحملات العسكرية في تأمين **طريق الحرير**، الذي أصبح أكثر أمانًا بفضل الحماية التي وفّرها الجيش الهاني، مما عزز التجارة مع مناطق آسيا الوسطى والهند. ومع حلول القرن الثاني قبل الميلاد، وجد الهون أنفسهم في موقف دفاعي مستمر، بعيدين عن الأراضي الصينية، ما أدى إلى انحسار قوتهم العسكرية بشكل كبير, وقد تدهورت قدرتهم على شن هجمات منسقة، مما أتاح للإمبراطورية الهانية التركيز على تنمية قوتها الداخلية وتعزيز حدودها بشكل مستدام. وساهم هذا التراجع

---

(٣٩٤) A .Bowling, "**Landscape Representation in the Western Han Period**," Artibos Asiae, (1962),vol 25, no(4): pp. 293-317.

(٣٩٥) Tung-tzu hi, Doll, Jack L. , **China in the Han Period,** p. 188. Joseph Dragovich ,

A Comparison of Republican Roman and Han Chinese Barbarian Relations , Melissa press , p 34.

الكبير في قوة الهون في تحقيق استقرار داخلي للإمبراطورية وتمكينها من التوسع في أراضٍ جديدة بأمان، مؤكدًا الدور الحاسم للحملات العسكرية والسياسات الدفاعية في صياغة الاستراتيجية الشاملة للإمبراطور وو [٣٩٦] .

النجاح في القضاء على الهون كان إنجازًا كبيرًا للإمبراطورية الهانية، اذ مهد الطريق لعصر من الاستقرار والازدهار الذي استمر حتى نهاية أسرة هان الغربية. بفضل هذه السياسات العسكرية والاستراتيجية، تمكنت أسرة هان من الحفاظ على حدودها وتأمين مصالحها، مما ساعدها على الازدهار والنمو في ظل بيئة سياسية واقتصادية أكثر أمانًا.

ثانيا – التوسع الخارجي للإمبراطورية هان

أهداف التوسع

شهدت الإمبراطورية الهانية، تحت حكم الإمبراطور وو حقبة من التوسع العسكري الكبير الذي لم يكن يهدف فقط إلى زيادة المساحة الجغرافية للإمبراطورية، بل كان مدفوعًا بأهداف اقتصادية واستراتيجية دقيقة. كان أحد أبرز الأهداف هو تعزيز الموارد الاقتصادية، إذ سعت أسرة هان إلى السيطرة على المناطق الغنية بالموارد الطبيعية مثل المعادن والمواد الغذائية والأراضي الزراعية الخصبة من خلال السيطرة على تلك المناطق، وكانت الإمبراطورية قادرة على تأمين احتياجاتها من المواد الأساسية وتعزيز اقتصادها، مما سمح لها بتطوير البنية التحتية، وتوسيع المشاريع العسكرية، وتمويل الأنشطة الثقافية والفنية [٣٩٧].

وكان تأمين الحدود هدفًا أساسيًا آخر في عمليات التوسع, في ظل الهجمات المتكررة من قبل قبائل الهون وغيرها من القبائل البدوية، كانت الحدود الشمالية والغربية للإمبراطورية تهدد بشكل دائم من قبل القوى الخارجية. من خلال التوسع، تمكنت أسرة هان من إنشاء مناطق عازلة حول الحدود تقلل من خطر الهجمات، ما أعطى الإمبراطورية قدرًا أكبر من الأمان الداخلي واستقرار الوضع السياسي, ذلك التوسع ساعد أيضًا في تقليل الضغط على

---

[٣٩٦] Ming Sun , **The Han Dynasty–Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P714.

[٣٩٧] Robert Joe Cutter , **The Brush and the Spur: Chinese Culture and the Cockfight,** Hong Kong: The Chinese University of Hong Kong(1989) , p 87.

الجيش الهاني، اذ أصبحت العمليات العسكرية الدفاعية أقل تكرارًا مقارنةً بالحقب السابقة [٣٩٨] .

كان بناء النفوذ الإقليمي من الأهداف البارزة للتوسع الهاني أيضًا, وأرادت أسرة هان أن تكون قوة مهيمنة في المنطقة، وليس مجرد قوة محلية. من خلال استعراض قوتها العسكرية والسيطرة على الأراضي المجاورة، استطاعت أسرة هان أن تبني شبكة من التحالفات السياسية والاقتصادية مع الدول المجاورة، مما منحها تأثيرًا كبيرًا في السياسة الإقليمية. ذلك التوسع ساعد في نشر الثقافة الهانية وتعزيز التجارة بين الصين وجيرانها، مما كان له الأثر الإيجابي على الاقتصاد [٣٩٩] .

إلى جانب تلك الأهداف العسكرية والاقتصادية، كان التوسع في بعض الأحيان مدفوعًا بالرغبة في تحقيق الاستقرار الاجتماعي والسياسي داخل الإمبراطورية, فقد أدى التوسع إلى جذب موجات من المهاجرين الصينيين إلى الأراضي الجديدة، مما ساعد على توطيد النفوذ الثقافي والهوياتي للصين, بفضل هذه الموجات، تمت إعادة بناء المدن وتطوير الأساليب الزراعية، مما أسهم في تحقيق الاكتفاء الذاتي والتقليل من مشاكل المجاعة والاحتياجات الأساسية [٤٠٠].

وكان التوسع الهاني أيضًا بمثابة رد على التحديات السياسية الداخلية. من خلال استخدام الحملات العسكرية لتوسيع الحدود، تمكنت أسرة هان من إشغال القوى المحلية المعارِضة لها، مما ساعد على تقوية سلطة الإمبراطور في الداخل. ذلك النهج ساعد على استعادة النظام بعد أزمات سياسية، مثل التمردات والاضطرابات في المناطق المختلفة, وهو ما يوضح كيف أن التوسع لم يكن مجرد عمل عسكري، بل جزءًا من استراتيجية متعددة الأبعاد لتعزيز الاستقرار [٤٠١].

---

[٣٩٨] Joseph W.Dauben, "Chinese Mathematics", in Katz, Victor J. (ed.), **The Mathematics of Egypt, Mesopotamia, China, India, and Islam**: A Sourcebook, Princeton: Princeton University Press, (2007) , pp. 187-384.

[٣٩٩] Paul K.Davis, **100 Decisive Battles: From Ancient Times to the Present,** Oxford: Oxford University Press, (2001) , p 45-46.

[٤٠٠] Tung-tzu hi, Jack L. Doll, **China in the Han Period,** p. 188.

[٤٠١] Stephen M Duguid, "**The Role of Confucianism in Han Society**", in Adams, Peter (ed.), Confucianism and Social Order, Albany: (2001), p 78.

لم تقتصر أهداف التوسع على الجوانب العسكرية أو الاقتصادية، بل امتدت أيضًا إلى الجوانب الثقافية, ففتح المناطق الجديدة ساعد في نشر الثقافة الهانية ومبادئها، مثل النظام الإداري والقوانين، مما اسهم في تعزيز الهوية الثقافية للإمبراطورية, وكان ذلك التوسع أداة لتطبيق السياسات الصينية وتوحيد الممارسات الثقافية، مما ساعد في توسيع تأثير الصين في آسيا, ومن خلال إدخال البنية التحتية الحديثة، مثل الطرق والجسور، أسهمت أسرة هان في تطوير الشبكة التجارية وتحسين القدرة على النقل(٤٠٢).

فضلًا عمّا سبق، عكس التوسع الهاني أيضًا رغبة واضحة في تحقيق التفوق العسكري؛ إذ إن الاستيلاء على أراضٍ جديدة كان وسيلة لإظهار قوة الإمبراطورية أمام الأعداء والمنافسين المحليين، بما يرسّخ مكانتها ويبعث على الاحترام والرهبة في آنٍ واحد, وقد أسهم هذا التوسع في تعزيز هيبة الإمبراطورية وجعلها لاعبًا رئيسيًا في المشهد الإقليمي، فضلًا عن تحويلها إلى مركز جذب للتفاعلات الثقافية والتجارية مع محيطها (٤٠٣) .

وفي النهاية، يمكن القول إن أهداف التوسع الهاني لم تكن مقتصرة على تحقيق الامتداد الجغرافي فحسب، بل كانت منبثقة عن رؤية شاملة هدفت إلى زيادة موارد الإمبراطورية، وتأمين حدودها، وبناء نفوذها الإقليمي, وقد جاءت هذه الأهداف مترابطة فيما بينها؛ إذ إن تحقيق أيٍّ منها كان يعزز الأهداف الأخرى، ويسهم في ضمان استدامة قوة الإمبراطورية وترسيخ نفوذها على المدى الطويل.

المناطق التي شملها التوسع

شرعت الإمبراطورية الهانية في تنفيذ خططها التوسعية عبر شنّ حملات عسكرية باتجاه مناطق متعدّدة، شملت آسيا الوسطى وكوريا وفيتنام, وقد هدفت هذه الحملات إلى إحكام السيطرة على الطرق التجارية الحيوية، وفي مقدّمتها طريق الحرير، الذي مثّل الشريان التجاري الأساسي الرابط بين الصين وبقية أنحاء العالم. ولم يقتصر فتح هذه المناطق على

(٤٠٢) Mark Elvin, **The Pattern of the Chinese Past**: A Social and Economic Interpretation, Stanford: Stanford University Press, (2000), p 123.

(٤٠٣) Patricia Buckley Ebrey, "**The Legacy of Han Dynasty**", in The Cambridge History of China, Volume 1: **The Ch'in and Han Empires, 221 BC–220 AD**, Cambridge: Cambridge University Press, (2003), pp. 78-90.

تعزيز الهيمنة العسكرية فحسب، بل أسهم أيضًا في تنشيط الاقتصاد وتوسيع نطاق التبادل الثقافي، بما عزّز مكانة الإمبراطورية الهانية على الصعيدين الإقليمي والدولي [٤٠٤] .

ومن المناطق التي شملها التوسع الهاني إقليم سيتشوان ومناطق غربيّ الصين، التي اتسمت بوفرة مواردها الزراعية والمعدنية. وقد أسهم الاستيلاء على هذه الأقاليم في زيادة الإنتاج الزراعي وتوفير المواد الخام اللازمة للصناعة المحلية، مما أدى إلى انتعاش ملحوظ في الاقتصاد الهاني, كما اكتسبت هذه المناطق أهمية استراتيجية كبيرة، إذ شكّلت حاجزًا طبيعيًا في مواجهة الهجمات القادمة من القبائل البدوية الشمالية، إلى جانب توفيرها موطئ قدم للإمبراطورية في عمق آسيا، بما عزّز قدرتها على التوسع والسيطرة الإقليمية [٤٠٥] .

وفي آسيا الوسطى، نجحت الإمبراطورية الهانية في بسط سيطرتها على المناطق الواقعة على امتداد طريق الحرير، وهي مناطق حيوية للتجارة الإمبراطورية، إذ مثّلت بوابة رئيسية لتبادل السلع مع شعوب وممالك أخرى، مثل الهند وبلاد فارس, ولم تقتصر السيطرة على طريق الحرير على تحقيق مكاسب اقتصادية وزيادة عائدات التجارة فحسب، بل أسهمت أيضًا في نشر الثقافة الصينية وفنونها، فضلًا عن استيعاب تقنيات ومعارف جديدة، وتوسيع آفاق المعرفة العلمية في مجالات مثل الفلك والطب [٤٠٦] ..

التوسع في كوريا كان خطوة استراتيجية أخرى لإمبراطورية هان، اذ أن تلك المنطقة كانت تشكل نقطة تقاطع مهمة بين الصين واليابان. من خلال السيطرة على كوريا، كانت هان قادرة على توسيع دائرة نفوذها في شرق آسيا، ما أعطى الإمبراطورية اليد العليا في السيطرة على المناطق البحرية المجاورة. وتلك السيطرة لم تعزز التجارة فحسب، بل ساعدت في نشر البنية التحتية الصينية، مثل نظام الطرق والإدارة، إلى خارج حدود الصين [٤٠٧].

---

[٤٠٤] John King Fairbank, , **China: A New History**, Cambridge, MA: Harvard University Press, (1992), p 12.

[٤٠٥] Wen Fong, **The Great Age of Chinese Art**, Beijing: Foreign Languages Press, (2004), ,p 215.

[٤٠٦] Hugh Franklin, **The Emperor's Handbook**: A New Translation of The Meditations, New York: Modern Library, (1990), p.p 147-157.

[٤٠٧] Jacques Gernet, **A History of Chinese Civilization,** Cambridge: Cambridge University Press, (1996), p.p 195-199.

أمّا فيما يخص فيتنام، فقد جاءت السيطرة عليها ضمن استراتيجية أسرة هان الرامية إلى فرض هيمنة أوسع في جنوب شرق آسيا. وقد عُدّت هذه المنطقة ذات أهمية استراتيجية في تأمين الحدود الجنوبية للإمبراطورية، إذ أسهم التوسع فيها في الحد من تهديدات القبائل والأنشطة العسكرية المعادية. فضلًا عن ذلك، ساعد بسط النفوذ الهاني على فيتنام في تعزيز التبادل الثقافي والتجاري بين الصين وسواحل المحيط الهادئ، مما وسّع نطاق التأثير الاقتصادي والحضاري للإمبراطورية [٤٠٨] .

ومن أبرز تداعيات هذا التوسع اتساع شبكة النقل والاتصال بين الأقاليم المختلفة، الأمر الذي أسهم في تنشيط حركة التجارة وانتقال المنتجات الثقافية. وقد اضطلعت الأساطيل الهانية بدور مهم في تأمين الطرق البحرية في المحيط الهادئ، مما سهّل تبادل السلع، مثل الحرير والتوابل والمعادن النفيسة. وأسهمت هذه السياسات في تحسين العلاقات بين الصين والشعوب المجاورة، وفتحت آفاقًا جديدة للتفاعل الثقافي والتجاري، بما عزّز مكانة الإمبراطورية الهانية بوصفها محورًا للتبادل الإقليمي والدولي [٤٠٩] .

ولم تكن السيطرة على تلك المناطق خالية من التحديات، إذ واجهت الإمبراطورية مقاومة من بعض الشعوب المحلية، ما استدعى تنظيم قوات خاصة للتعامل مع هذه الأوضاع. وقد لجأ القادة الهانيون إلى اتباع تكتيكات متعددة، من بينها التفاوض مع الزعماء المحليين، وإقامة تحالفات مع بعض الجماعات، بهدف تهدئة الأقاليم الجديدة وإحكام السيطرة عليها دون الحاجة إلى تدخل عسكري دائم [٤١٠] .

وفي بعض الحالات، كان التوسع الهاني يتضمن إعادة بناء المدن وتحديثها وفقًا للنمط الصيني، مع إدخال الإدارة المركزية والنظم المالية التي تضمن ولاء السكان. تلك الخطوات أسهمت في بناء هويات مشتركة بين الصين والمناطق التي تم ضمها اليها، مما ساعد على استقرار الإمبراطورية بشكل كبير.

---

[٤٠٨] William Glover, "**The Rise and Fall of the Han Dynasty**", in The Origins of Ancient China, Toronto: University of Toronto Press, (2003), p 120-136.

[٤٠٩] John Gosling, **The Scientific Revolution in China**, Beijing: Beijing University Press, (2001), p 85-90.

[٤١٠] David Greene , "**China's Cultural Revolution: The Economy and Politics**", Asian Studies Review, (1995), Vol-15, No (4), p.p 213-234.

إجمالًا، كان التوسع الهاني في تلك المناطق جزءًا من استراتيجية متعددة الأبعاد تهدف إلى حماية المصالح الاقتصادية والسياسية للإمبراطورية، وزيادة تأثيرها في منطقة آسيا الكبرى. ان التوسع في تلك المناطق أسهم بشكل كبير في تطور الإمبراطورية الهانية، ما جعلها واحدة من القوى العظمى في تلك الحقبة من التاريخ.

الأثر العسكري والإداري

ساهم التوسع الذي حققته الإمبراطورية الهانية في تعزيز هيمنتها السياسية وازدهارها الاقتصادي بشكل ملحوظ. ومن الناحية العسكرية، استلزمت هذه الحملات تطوير الجيوش وتنظيمها بشكل متقدم، بما يضمن قدرتها على مواجهة التهديدات المتعددة, وأسهمت الانتصارات المتتالية في تكوين جيش قوي وموحّد، مدرّب تدريبًا عالي المستوى ومجهّز بأساليب قتالية متطورة، ما عزّز القدرات الدفاعية والاستراتيجية للإمبراطورية. وقد مكّن هذا التأهيل العسكري الإمبراطورية الهانية من مواجهة أي تحديات جديدة على حدودها أو في الأراضي التي ضمّتها، بما ضمن استدامة نفوذها وسيادتها الإقليمية [٤١١] .

وكان الأثر الإداري للتوسع الهاني واضحًا، إذ استلزمت السيطرة على الأراضي الجديدة تطوير نظام إداري فعّال لإدارة هذه المناطق. وقد اعتمدت أسرة هان على نظام مركزي، حيث كان يتم إرسال المسؤولين الرسميين للإشراف على شؤون الأقاليم الجديدة، مع تطبيق قوانين الإمبراطورية وتنظيم المؤسسات الحكومية وفقًا للمعايير المركزية. وأسهم هذا النظام الإداري في تحقيق استقرار المناطق الخاضعة للسيطرة، ما عزّز الهيمنة الهانية وساهم في دمج هذه الأراضي ضمن البنية الإدارية للإمبراطورية بشكل فعّال ومستدام [٤١٢] .

وأسهم إدخال التقنيات الإدارية الصينية إلى المناطق المحتلة في تحسين مستوى المعيشة، مما سهّل على الإمبراطورية فرض سلطتها وبسط هيمنتها على هذه الأقاليم, وشمل النظام الإداري والعسكري إقامة الحصون، وبناء الطرق والجسور لتسهيل حركة التنقل،

---

[٤١١] John Hill, "**The Political Economy of Ancient China**", Journal of Asian Studies, (2000),Vol – 57, No (3), p.p 780-803.

[٤١٢] Robert Hymes, "**The Cultural Evolution of China**: From the Han to the Tang", in The Han Dynasty: China's Imperial Age, Chicago: University of Chicago Press, (2006), p.p202-230.

بالإضـــافة إلى إنشـــاء مراكز تجارية لتعزيز النشـــاط الاقتصـــادي، بما انعكس إيجابًا على الاستقرار الداخلي وزيادة اندماج هذه المناطق ضمن الإمبراطورية الهانية [٤١٣] .

أسهم النجاح في العمليات العسكرية والتوسع في الأراضي الجديدة أيضًا في رفع مستوى دخل الإمبراطورية، مما زاد من قدرتها على تمويل مشـــاريعها المختلفة، مثل بناء القلاع، وتطوير شبكات الاتصال، وتمويل الحملات العسكرية المستقبلية, كما استُخدمت هذه الموارد لدعم الطبقات الحاكمة وتوفير الرواتب للعاملين في القطاعين العسـكري والمدني، بما سـاهم في تحسين الوضع الاجتماعي داخل الإمبراطورية وتعزيز استقرارها الداخلي [٤١٤] .

مع كل عملية توسـع، قامت أسـرة هان بتطبيق سـياسـات لاسـتيعاب الثقافات المختلفة والدمج بينها وبين الثقافة الهانية, وهذا التوسـع الإداري لم يكن فقط سـياسـيًا، بل شـمل أيضـا تعزيز الهيبة الثقافية من خلال نشر التعليم ونقل العلوم والفنون [٤١٥].

ان الأثر العسـكري والإداري لم يقتصـر على الداخل، بل أثر أيضًـا على القوة السـياسـية التي كانت تتمتع بها الإمبراطورية في السـاحة الدولية. توثقت العلاقات مع الحلفاء، كما أن الهيبة العسكرية التي اكتسبتها الصين جلبت إليها الاحترام من القوى الكبرى الأخرى في تلك المدة، مثل بلاد فارس والهند[٤١٦].

من جهة أخرى، أسـهمت هذه العمليات العسـكرية والإدارية في تعزيز قدرة الإمبراطورية على فرض سيطرتها السياسية على المناطق المجاورة، مما جعلها تتحكم في شبكة من الحلفاء والشركاء.

---

[٤١٣] Jiayan Lyu, "**The Han Empire: Social Organization and Development**", in The Encyclopedia of Chinese History, Beijing: Zhonghua Book Company, (2001), p 88.

[٤١٤] M Lewis, "**Ancient China**", Oxford: Oxford University Press, (2006), p 212.

[٤١٥] Yongjin Zhang, **System, empire and state in Chinese international relations**, Review of International Studies (2001), 27, 43–63, p .55.

[٤١٦] Xinru Liu, "**Ancient China: Land of Silk and Spice**", in The History of China: A Global Overview, Toronto: University of Toronto Press, (2010), p 24.

ثالثا – طريق الحرير- نشأته وأهميته:

طريق الحرير كان شبكة من المسارات التجارية التي تربط الصين ببلاد الغرب، وتمتد عبر مسافات شاسعة مرورًا بآسيا الوسطى ومنطقة الشرق الأوسط وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط, على الرغم من أن فكرة طريق الحرير بدأت قبل أسرة هان، فإن تلك الأسرة قد لعبت دورًا محوريًا في تطويره وتوسيع نطاقه، مما جعله محورًا رئيسيًا للتجارة الدولية والاتصال بين الثقافات. أسس الإمبراطور وو تحت حكمه شبكات التجارة هذه بشكل مباشر، من خلال الحملات العسكرية والسياسية التي ساعدت في تأمين الطرق التجارية [٤١٧].

أسرة هان عملت على تعزيز روابطها مع الشعوب المجاورة، مثل قبائل الكوشان في آسيا الوسطى، مما أسهم في إنشاء مسارات تجارية آمنة ومنظمة. بفضل استقرار الإمبراطورية ونفوذها، كان التجار من جميع أنحاء آسيا وأوروبا يسافرون على طول هذه الطرق، مما أدى إلى ازدهار التجارة والنشاط الاقتصادي. الحكومة الهانية أنشأت العديد من المحطات التجارية على طول الطريق، مع قوافل من التجار والمبعوثين، اذ كانت البضائع تُنقل عبر القوافل من منطقة إلى أخرى، مما يعزز التواصل بين الصين ودول الشرق الأوسط القديم وأوروبا [٤١٨].

توسعت شبكة الطرق بفضل تكنولوجيا النقل مثل العربات ذات العجلات والجمال، التي ساعدت في نقل البضائع عبر المناطق الوعرة, مع هذه التطورات، تم تأمين الطريق ضد اللصوص، مما ساعد على تسهيل التجارة بشكل أفضل, وكانت التجارة عبر طريق الحرير بمثابة شريان الحياة للاقتصادات المحلية على طول الطريق، اذ زودت الصين بمنتجات نادرة مثل الذهب والفضة والخيول، في حين أن الدول الأخرى استوردت منها الحرير والتوابل والخزف والورق، وهي منتجات كانت تُعد في تلك المدة من بين أثمن السلع في العالم [٤١٩].

طريق الحرير لم يكن مجرد طريق تجاري، بل كان عنصرًا محوريًا في استراتيجية أسرة هان لتعزيز مكانتها السياسية والاقتصادية. فالتوسع في طرق التجارة سهل الوصول إلى

---

[٤١٧] James Millward, "**Central Asia and the Silk Road**: The Han and the West", in The Cambridge History of Central Asia, Cambridge: Cambridge University Press, (2008), p 112.

[٤١٨] Eva Roloff , **The Cultural Identity of China,** New York: Routledge, (2002), p.p187-190.

[٤١٩] Maria NICOARĂ , **The Han Empire At The Origine Of Modern Chinese Diplomacy** , Research and Science Today No. 1(5)/2013 , p 33.

أسواق جديدة، وساعد الإمبراطورية في تحقيق فائض في الاقتصاد من خلال التصدير، مما جعلها تتفوق على منافسيها. هذه الاستراتيجية الاقتصادية أسهمت في تمويل الجيش وتطوير مشاريع بنية تحتية واسعة النطاق داخل الإمبراطورية [٤٢٠].

وكان طريق الحرير شريانًا حيويًا للتجارة الدولية، إذ لم يكن يقتصر دوره على نقل السلع الصينية إلى الغرب، بل كان أيضًا قناة لتدفق المنتجات والأسواق الجديدة إلى الصين, ومن أبرز السلع التي كانت تتداول عبر هذا الطريق الحرير: الحرير الصيني الذي كان يُعد من بين أرقى وأغلى المواد، والتوابل التي كانت تُستخدم لتحسين طعم الطعام، والمنتجات الكمالية مثل الخزف والفخار الصيني المعروف بجودته العالية [٤٢١].

بفضل طريق الحرير، زادت الصادرات الصينية بشكل كبير، مما ساعد في تعزيز الاقتصاد الهاني, وكان الحرير من أكثر المنتجات التي لاقت رواجا في الأسواق العالمية، لما يتمتع به من جودة عالية ومتانة, إذ كان التجار يحملون معهم القطع القماشية الفاخرة إلى الغرب، والتي تُعد رمزًا للثروة والأناقة في الإمبراطورية الرومانية والبيزنطية، وفي مناطق أخرى من أوروبا [٤٢٢]

التوابل كانت من السلع الأخرى ذات القيمة الكبيرة التي تداولها التجار على طول طريق الحرير, وكانت تُستعمل في الطهي والأدوية، وعُرفت بقدرتها على الحفاظ على الطعام وإعطائه نكهة مميزة, مثل الفلفل الأسود، والقرفة، والزنجبيل إذ تُعد سلعًا فاخرة مرتفعة الثمن، وتمثل حجر الزاوية في التجارة بين الصين ومناطق الشرق الأوسط وأوروبا [٤٢٣].

المنتجات الصينية الأخرى مثل الورق والخزف كانت أيضًا من بين السلع المتداولة على هذا الطريق, فالورق الصيني، على سبيل المثال، كان يُعد اكتشافًا ثوريًا ساعد في تحسين

---

[٤٢٠] Lila Abu-Lughod , **Writing Women's Worlds: Bedouin Stories**, University of California Press, (1993), p 47.

C . Barker, **Cultural Studies: Theory and Practice**, SAGE Publications, (2011), p 99.

[٤٢١]

[٤٢٢] David DeWitt, **The Cross and the Crescent: Christianity and Islam,** University of Chicago Press, (1981), p 156. Maria NICOARĂ , **The Han Empire At The Origine Of Modern Chinese Diplomacy** , p34.

[٤٢٣] Mark Elvin, **The Pattern of the Chinese Past: A Social and Economic Interpretation**, p.120.

أســـاليب الكتابة والتوثيق في المجتمعات الأخرى, أما الخزف الصـــيني، فقد عُرف بجودته العالية وتفاصيله الدقيقة، مما جعله مرغوبًا بشدة في الأسواق الغربية [٤٢٤].

كانت التجارة عبر طريق الحرير تتسم بالديناميكية، اذ كانت السلع تتنقل عبر مسافات شاسعة، تحملها قوافل ضخمة من التجار، ومن ثم يتم تبادلها في أسواق متعددة، مثل تلك الموجودة في سمرقند وشيشان وأصفهان, كل منطقة كانت تضيف قيمة إلى السلع، مما جعلها تجذب التجار من جميع أنحاء العالم، ويرتفع الطلب عليها [٤٢٥].

هذا الطريق لم يكن مجرد وسيلة للتبادل التجاري، بل كان محفزًا للتعاون الاقتصـادي بين الصـــين والممالك المجاورة. وأســـهمت التجارة عبر طريق الحرير في إدخال الابتكارات التقنية والتجارية بين الشرق والغرب، مثل الأساليب الزراعية المتقدمة، مما ساعد على تحسين الإنتاجية الزراعية في الصين ودول أخرى على طول الطريق [٤٢٦].

لم يقتصـر أثر طريق الحرير على تبادل السـلع فقط، بل سـاعد في اسـتقرار وتنمية الاقتصـاد في مناطق مختلفة من آسـيا، فقد كانت المدن الرئيسـية على طول الطريق تزدهر وتصبح مراكز تجارية واقتصادية وثقافية، مثل مدينة سمرقند في أوزبكستان.

رابعا – العلاقات الخارجية وأثرها في الإمبراطورية

التحالفات الدبلوماسية

التحالفات الدبلوماسية التي أبرمتها إمبراطورية هان الغربية كانت من العوامل الأساسية التي ساعدت على تعزيز قوتها واستقرارها الداخلي والإقليمي, وشكلت هذه التحالفات جزءاً من السـياسـة الخارجية التي تبنتها أسـرة هان منذ بداية عهد الإمبراطور وو (١٤١-٨٧ ق.م)، الذي كان له دور بارز في تحديد استراتيجية العلاقات الخارجية، خاصـة مع القبائل المجاورة والدول التي كانت تشكل تهديدات أو فرصًا للتعاون [٤٢٧].

---

[٤٢٤] Wen Fong, **The Great Age of Chinese Art,** , p 215.

[٤٢٥] M . Lewis, **Ancient China**, Oxford University Press, (2006), p 221.

[٤٢٦] Samuel Adrian Miles Adshead, **China in World History**, p. 173.

[٤٢٧] Hirakawa kira, **A History of Indian Buddhism**: From Sakya Mani to Early Mahayana, , p 120-134.

في البداية، كان هناك تحالف مع قبائل الهون، اذ كانت هذه القبائل تشكل تهديدًا رئيساً للأمن الصيني. فعلى الرغم من أن العلاقات مع الهون لم تكن سلمية، إلا أن الهان سعت إلى استخدام الدبلوماسية لتحييد هذه التهديدات، بدءًا من إرسال بعثات دبلوماسية تهدف إلى إقامة اتفاقيات تجارية ومعاهدات تحالف. أحد الأمثلة البارزة على هذه السياسة إرسال الرسول شانغ تشيان في عام ١٣٩ ق.م، الذي ذهب في رحلة استكشافية إلى الغرب لتوثيق العلاقات مع الممالك التي كانت تحت هيمنة الهون، وعلى رأسها مملكة دايونغ. ولم تقتصر هذه الرحلة على اكتشاف الأراضي بل أسست لعلاقات تجارية بين الصين والدول الغربية [٤٢٨].

تمكنت الإمبراطورية هان من بناء تحالفات قوية مع بعض الممالك المجاورة مثل مملكة دايونغ وفرثيا، وذلك من خلال تقديم الهدايا وتبادل السفراء، مما أسفر عن تعزيز الروابط الاقتصادية والسياسية. فعلى سبيل المثال، كانت العلاقات مع فرثيا بمثابة خطوة استراتيجية لفتح طرق التجارة في طريق الحرير، ما ساعد في تسهيل التجارة بين الصين وإمبراطورية روما، وتدفق السلع والموارد الثمينة مثل الحرير والذهب, ومنحت هذه التحالفات هان ميزة اقتصادية، وأسهمت في تثبيت هيبتها السياسية في المنطقة [٤٢٩].

كانت التحالفات مع الممالك الكورية جزءًا آخر من سياسة هان الخارجية, فقد حاولت أسرة هان ضمان الاستقرار على الحدود الشرقية من خلال علاقات مع الممالك الكورية، التي كانت تشكل جسرًا بين الصين والدول المجاورة, وفي بعض الأحيان، العلاقات تتضمن اتفاقيات ومعاهدات، إذ قدمت هان الدعم العسكري للممالك الكورية لمساعدتهم في صد الهجمات، وهو ما يضمن لها تأثيرًا كبيرًا في المنطقة [٤٣٠].

وكانت العلاقات مع الهند أيضًا جزءًا من سياسة هان الخارجية، إذ مثلت تلك العلاقات فرصة لتبادل الثقافة والمعرفة, عبر طريق الحرير، وتم كذلك تبادل الأفكار الدينية والثقافية، مما اسهم في نشر "**الديانة البوذية**" في الصين, وكان هذا التبادل نتيجة مباشرة للتحالفات

---

[٤٢٨] Maria NICOARĂ , **The Han Empire At The Origine Of Modern Chinese Diplomacy** , p. 36.

[٤٢٩] Jiayu ann, "**When Glass Bottles Were Precious in China**," pp. 79–94.

[٤٣٠] John Balchin, Science: **100 Scientists Who Changed the World**, p 201.

الدبلوماسية التي ساعدت على تسهيل حركة السفراء والتجار والمبشرين بين المناطق المختلفة [٤٣١].

إلى جانب تلك العلاقات مع الدول المجاورة، كانت هناك محاولات للتعاون مع الممالك البدوية في شمال الصين، مثل قبائل الواي والشيونغنو، وهي علاقات كانت تتضمن أحيانًا تقديم الأموال أو الهدايا للمساهمة في ضمان السلام. هذه التحالفات لم تقتصر على المعاهدات التجارية، بل تضمنت أيضًا عقودًا لتبادل الأسرى والصلح بين القبائل المتنازعة، وهو ما ساعد على تخفيف حدة النزاعات وتأمين الحدود الشمالية [٤٣٢].

ومن الأمثلة البارزة على استخدام الدبلوماسية الماكرة لإقامة التحالفات قيام الإمبراطور وو بإرسال مبعوثين إلى فرثيا لعرض تحالفات تجارية، وفي ذات الوقت تعزيز العلاقات مع المملكة الساسانية في إيران الحديثة, وكانت هذه التحركات خطوة استراتيجية لزيادة تأثير الصين في منطقة الشرق الأوسط. فقد كان التواصل مع فرثيا مفيدًا للغاية في فتح الأسواق الجديدة للمنتجات الصينية، مثل الحرير، والخزف، والأدوية، ما اسهم في تقوية الاقتصاد الصيني [٤٣٣].

كما لعبت الحملات العسكرية دورًا مكملًا للتحالفات الدبلوماسية, فعندما كانت الصين تهاجم القبائل الهونية أو تستعرض قوتها في شمال الصين، كانت هذه الحركات العسكرية تُظهر القوة والنفوذ الإمبراطوري، مما يجعل الدول المجاورة تفضل الدخول في تحالفات لتجنب أي تهديدات محتملة, ان هذه السياسة أسهمت في خلق بيئة مستقرة نسبياً على حدود الإمبراطورية [٤٣٤].

وقد ساعدت الدبلوماسية الثقافية أيضًا في تعزيز العلاقات، إذ قامت الصين بإرسال بعثات ثقافية وفنية إلى الدول المجاورة, وشملت هذه المبادرات تقديم هدايا ثمينة وفنونًا

---

[٤٣١] Warwick Ball, **Rome in the East**: The Transformation of an Empire, p 120-128.

[٤٣٢] Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** , P 714.

[٤٣٣] Maurice Cotterell, **The Terracotta Warriors: The Secret Codes of the Emperor's Army** , p 220.

[٤٣٤] Chun-Shu Chang, **The Rise of the Chinese Empire**: p 370.

وصناعات صينية مثل الخزف والمخطوطات، مما اسهم في خلق علاقات جيدة ودائمة مع الدول المتلقية[٤٣٥].

كذلك، كانت هناك علاقات مع الإمبراطورية الرومانية، على الرغم من أنها لم تكن متطورة إلى حد كبير في تلك المدة. وقد أبدت الصين اهتمامًا بالاتصال مع روما لتوسيع نطاق التجارة وزيادة تبادل السلع, وتشير بعض الوثائق التاريخية إلى أن إمبراطورية هان كانت تعرف من خلال تجارها ومبعوثيها عن الوضع السياسي في الغرب، مما جعلها توجه تحركاتها بناءً على تلك المعلومات [٤٣٦].

من الجدير بالذكر أن هذه التحالفات لم تكن خالية من التحديات. كانت تتطلب السياسة الخارجية من أسرة هان مزيدًا من الجهود في إدارة العلاقات مع الدول المختلفة من حيث الدبلوماسية، الاقتصاد، والقدرات العسكرية, إلا أن النجاح في إدارة هذه العلاقات كان عاملاً محوريًا في تعزيز مكانة هان على الساحة العالمية.

دور الشخصيات البارزة في توطيد العلاقات التجارية والدبلوماسية

كان للمبعوثين _ مثل شانع تشيان_ دور بارز في تشكيل سياسة العلاقات الخارجية لإمبراطورية هان، اذ أسهموا بشكل كبير في توطيد العلاقات التجارية والدبلوماسية بين الصين والدول المجاورة. يعد تشانغ تشيان واحداً من أهم الشخصيات في هذا السياق، وكان بمثابة الرائد الذي فتح الأبواب أمام شبكة واسعة من العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الصين والعالم الخارجي, وقد أرسله الإمبراطور وو في مهمة استكشافية عام ١٣٩ ق.م لاستكشاف المناطق الغربية, وعقد تحالفات مع الممالك الواقعة على طول طريق الحرير [٤٣٧].

وكانت المهمة الرئيسية لـ شانغ تشيان هي استكشاف الأراضي الواقعة غرب الصين، وتحديد العلاقات الممكنة مع الممالك الواقعة في تلك المناطق, فعلى الرغم من أنه واجه صعوبات شديدة خلال رحلته، مثل الأسر والاضطرار إلى البقاء بين قبائل الهون لمدة طويلة، إلا أنه أثبت ما لديه من عزيمة في سبيل تحقيق أهدافه, وبعد أن تم تحريره، عاد إلى الصين

---

[٤٣٥] Maria NICOARĂ , **The Han Empire At The Origine Of Modern Chinese Diplomacy** , p. 36.

[٤٣٦] Mansvelt Beck , "**The Fall of the Han**," pp. 317–376.

[٤٣٧] Mark Csikszentmihalyi, **Readings in Han Chinese Thought,** , p 20–40.

محملاً بتفاصيل هامة عن ممالك دايونغ وفرثيا وأراضي أخرى، مما ساعد في تحديد السياسة الخارجية الصينية وتوجيهها نحو تعزيز العلاقات مع هذه الممالك(٤٣٨).

لقد أسهمت البعثة التي قادها شانغ تشيان في نشر فكرة توسيع نطاق التجارة بين الصين والدول المجاورة، اذ فتح الطريق أمام تبادل المنتجات مثل الحرير الصيني، التوابل، والمعادن الثمينة. على سبيل المثال، نقل تشانغ تشيان معلومات تفصيلية عن جودة الخيول التي كانت تُنتج في مملكة دايونغ، ما دفع الإمبراطورية هان إلى بدء استيراد هذه الخيول لتحسين جيشها وتوسيع قدراتها العسكرية. هذه التجارة لم تقتصر على السلع بل شملت أيضًا الثقافات والديانات، اذ ساعدت رحلاته في تسهيل نقل الديانة البوذية إلى الصين، مما أحدث تحولًا دينيًا هامًا في المجتمع الصيني(٤٣٩).

كانت المعلومات التي جمعها شانغ تشيان ذات أهمية استراتيجية، ساعدت الحكومة الصينية في بناء شبكة من التحالفات الدبلوماسية مع الدول المجاورة. بفضل تقريره، استطاعت امبراطورية هان أن توطد علاقاتها مع مملكة فرثيا، التي كانت بمثابة نقطة وصل هامة بين الصين وإمبراطورية روما. من خلال هذه العلاقات زادت الصين من حجم تجارتها وازدادت قدرتها على التأثير في السياسة الإقليمية (٤٤٠).

لم تقتصر جهود شانغ تشيان على العلاقات الاقتصادية فقط، بل تضمنت أيضًا توطيد العلاقات العسكرية, ففي رحلته الأولى، واجه صعوبات كبيرة بسبب تدخل قبائل الهون، إلا أنه عمل على إقناع العديد من الممالك بضرورة إقامة تحالفات مع الصين لمواجهة الهون. وقد أدى ذلك إلى تشكيل جبهة موحدة ضد القبائل التي كانت تشكل تهديدًا للأمن الصيني، مما ساعد في توسيع حدود الإمبراطورية وتعزيز أمنها (٤٤١).

كانت بعثات شانغ تشيان وسيلة فعالة للربط بين الصين وبين الممالك والبلدان التي تقع على أطراف طريق الحرير. كان ذلك الطريق، الذي يربط الصين بأوروبا، بمثابة شريان

---

(٤٣٨) Joe Cribb , "**Chinese lead ingots with barbarous Greek inscriptions**", p.p 76–78.

(٤٣٩) Tzu Chi Tung–, Jack L. Doll, (ed.), **China in the Han Period**, p 103.

(٤٤٠) Chi–Yun Chen, "**Confucian Thought, Legalism and Daoism in the Late Han**", pp. 766–806.

(٤٤١) Wang Mang, "**The Restoration of the Han Dynasty and the Later Han**,", pp. 223–290.

اقتصادي ونقل للثقافات، ونجح شانغ تشيان في توجيه الإمبراطورية إلى المشاركة بشكل فعال في هذه الشـبكة التجارية العالمية. كان لزياراته تأثير كبير في تعزيز العلاقات، مما أدى إلى دخول الصين في حقبة من الازدهار التجاري والاقتصادي [٤٤٢].

علاوة على ذلك، كان تشـانغ تشـيان يُعدَّ بمثابة مبعوث للسـلام، اذ عمل على تخفيف التوترات بين الصـين وبين القبائل المختلفة في المنطقة, وكانت هذه الجهود ضـرورية في تلك المدة، لأن الاستقرار الداخلي كان له أهمية كبيرة في استمرار التوسع والنمو في الإمبراطورية. وعندما عاد إلى الصـين في المرة الثانية، كان معه تقرير مليء بالتفاصـيل عن حالة العلاقات السـياسـية في المنطقة وأثرها على الصـين، مما سـاعد الإمبراطور **وو** على اتخاذ قرارات استراتيجية لتوسيع الإمبراطورية [٤٤٣].

إن إنجازات شـانغ تشـيان كانت محورية في تحويل الصـين من مجرد قوة إقليمية إلى لاعب مؤثر على السـاحة الدولية. بفضـل جهوده، أصـبحت الصـين قادرة على الاسـتفادة من الموارد الثقافية والاقتصـادية التي كانت تأتي من الهند والشرق الأوسط، مما أسـهم في تحقيق ازدهار كبير في الفن، والعلم، والتجارة الصـينية. هذه العلاقات الدبلوماسـية كانت بمثابة الأرضـية التي سـاعدت الصـين على دخول عصـر من التطور والازدهار لم تشـهده من قبل [٤٤٤].

إجمالًا، يُعد شـانغ تشيان رمزًا للسياسـة الخارجية الناجحة التي اتبعتها إمبراطورية هان الغربية. إن دوره لم يقتصـر على كونه مبعوثًا، بل كان بمثابة رائداً في بناء الجسـور الثقافية والتجارية بين الصـين والغرب, لقد وضـع الأسس لعلاقات دبلوماسية وتجارية استمرت لعقود طويلة وأثرت بشكل كبير في مستقبل الصين، ما جعلها تصبح قوة مؤثرة في العالم القديم [٤٤٥] .

---

[٤٤٢] Christoper Cullen , **Astronomy and Mathematics in Ancient China**: The Zhou Bi Suan Jing, Cambridge: Cambridge University Press, (2006), p-88.

[٤٤٣] A. Bowling, "**Landscape Representation in the Western Han Period,**", p 293-317.

[٤٤٤] Hans Beilinstein, **Bureaucracy in the Han Period**, Cambridge: Cambridge University Press , (1980), p111.

[٤٤٥] Robert Joe Cutter, **The Brush and the Spur: Chinese Culture and the Cockfight**, p 123

وفي الوقت الذي كانت تتزايد فيه التجارة وتزداد العلاقات الدبلوماسية، كانت السياسة العسكرية تلعب دورًا حاسمًا في تحديد نتائج هذه العلاقات. كانت إمبراطورية هان تُجري عمليات عسكرية ضد بعض الممالك المجاورة لتوسيع أراضيها وضمان السيطرة على الطرق التجارية. على سبيل المثال، كان الإمبراطور **وو** قد قاد حملات عسكرية ضد القبائل الهونية من أجل طردهم من الأراضي الحدودية. هذه الحملات كانت تهدف إلى توسيع منطقة النفوذ الصيني وتعزيز القوة العسكرية عبر فرض الهيمنة على القبائل الرُحّل الذين كانوا يشكلون تهديدًا متزايدًا على الإمبراطورية. بعد هزيمة الهون في معركة منغولين عام ١٢١ ق.م، أصبح بإمكان هان توسيع دائرة علاقاتها مع الدول التي كانت في السابق تحت تهديد تلك القبائل [٤٤٦].

وهناك جانب آخر لا يقل أهمية في العلاقات الخارجية كان التجارة عبر طريق الحرير. إن طريق الحرير لم يكن مجرد طريق تجاري، بل كان شريانًا ثقافيًا يعبر بين الشرق والغرب. من خلال هذا الطريق، كانت الصين تصدر منتجاتها الشهيرة مثل الحرير والخزف إلى الفرس، روما، والهند، بينما كانت تستورد التوابل، العطور، والمعادن الثمينة. هذه التجارة كان لها أثر عميق في تعزيز الاقتصاد الصيني، مما جعل الصين تصبح أحد أبرز مراكز التجارة العالمية. كما أن التواصل مع الإمبراطوريات في المناطق الغربية كان يشكل فرصة لنقل الأفكار والابتكارات, وكان الورق على سبيل المثال، من أبرز الاختراعات الصينية التي تم تداولها عبر طريق الحرير، مما أثر بشكل كبير على تطور الكتابة والطباعة في العديد من الثقافات [٤٤٧].

العلاقات الصينية مع الهند كانت أيضًا محورية، حيث كانت الهند تمتلك تأثيرًا كبيرًا في الفلسفة والدين في المنطقة. على سبيل المثال، انتشرت البوذية في الصين عن طريق التجار والدبلوماسيين الذين سافروا عبر طريق الحرير. كما أن **الفرس** كان لهم دور مهم في تعزيز العلاقات التجارية، وكانوا بمثابة وسطاء بين الصين والمناطق الغربية مثل الإمبراطورية الرومانية .على الرغم من المسافات البعيدة، إلا أن العلاقات التجارية كانت تسهم في تنمية

---

[٤٤٦] Chi-Yun Chen, "**Confucian Thought, Legalism and Daoism in the Late Han**," pp. 766-806.

[٤٤٧] Paul K.Davis, **100 Decisive Battles: From Ancient Times to the Present,** p45-46.

التبادل الثقافي، حيث وصلت الكثير من الابتكارات العلمية والفكرية إلى الصين من خلال هذه الروابط (٤٤٨).

وفي السياق نفسه، أسهمت التحالفات العسكرية مع الدول المجاورة في تعزيز قوة الصين ومكانتها على المستوى الإقليمي. على سبيل المثال في الحروب ضد الهون، كانت مملكة دايونغ قد قدمت دعمًا حاسمًا للإمبراطورية هان، مما ساعدها على تحقيق انتصارات حاسمة. بعد هذه الانتصارات، استطاعت الصين فرض سيطرتها على طريق الحرير، وضمان تدفق التجارة عبره بشكل آمن. كما كان التحالف مع الممالك الشرقية مثل كوريه عاملاً في تحقيق الاستقرار في تلك المناطق وتأمين حدودها (٤٤٩).

أسهمت هذه التحالفات والمبادرات الخارجية في تعزيز القوة الاقتصادية للإمبراطورية هان. حيث أدى الاستثمار في التجارة إلى زيادة الإيرادات الحكومية، كما وفرت هذه العلاقات أسواقًا جديدة للمنتجات الصينية، من بينها المنتجات الزراعية مثل الأرز والقمح، بالإضافة إلى المنتجات الصناعية مثل الحرير والخزف. وفي ذات الوقت، ساعدت هذه التجارة على تحقيق الاستقرار الداخلي للإمبراطورية من خلال تحسين مستوى المعيشة لشعبها وخلق فرص اقتصادية جديدة (٤٥٠).

الجانب العسكري في العلاقات الخارجية لأسرة هان كان ذو تأثير عميق على السياسة الصينية. فالإمبراطورية هان استغلت قوتها العسكرية لتعزيز نفوذها عبر الأراضي الحدودية، سواء من خلال فرض السيطرة أو تكوين تحالفات مع ممالك مثل فرثيا، التي كانت تشكل حاجزًا مهمًا ضد الهون في المناطق الغربية. ومن الأمثلة المهمة على هذه التحالفات كانت معركة كوسينغ عام ٥٣ ق.م، التي كانت لها تداعيات كبيرة على الهيمنة الصينية في تلك المنطقة (٤٥١).

إجمالًا، يمكن القول إن العلاقات الخارجية لأسرة هان كانت متكاملة وتشمل العديد من الأبعاد التي ساعدت في تعزيز المكانة الدولية للإمبراطورية. فقد ساعدت التحالفات العسكرية،

---

(٤٤٨) David DeWitt , **The Cross and the Crescent: Christianity and Islam,** p.p 157-160.

(٤٤٩) Jacques Gernet, **A History of Chinese Civilization**, Cambridge: Cambridge University Press, (1996), p.p 195-199.

(٤٥٠) John Gosling , **The Scientific Revolution in China**, , p 85-90.

(٤٥١) John Hill, "**The Political Economy of Ancient China**", p.p 780-803.

الرحلات الدبلوماسية، والتجارة عبر طريق الحرير في تحقيق العديد من الإنجازات السياسية والاقتصادية التي أسهمت في استقرار الإمبراطورية، وزيادة قوتها على الساحة العالمية.

الأثر الاقتصادي والسياسي

كان للأثر الاقتصادي والسياسي للعلاقات الخارجية لإمبراطورية هان تأثير كبير على تطورها ونموها، فقد ساعدت هذه العلاقات في تحقيق أهداف الإمبراطورية من حيث توسيع حدودها وتأمين مواردها وتعزيز قوتها على الصعيدين الإقليمي والدولي. منذ بداية حكم الإمبراطور **وو** (١٤٠-٨٧ ق.م)، بدأت السياسة الخارجية لإمبراطورية هان تأخذ منحى جديدًا يتمثل في التوسع والتمدد نحو الغرب، مما أدى إلى تعزيز الاقتصاد الصيني ورفع مكانته على الساحة العالمية ولعبت هذه السياسة دورًا محوريًا في ترسيخ استقرار الإمبراطورية ونفوذها، إذ استندت إلى شبكة معقدة من التحالفات الدبلوماسية والتجارة الدولية [٤٥٢].

تجلى الأثر الاقتصادي للعلاقات الخارجية لإمبراطورية هان في تعزيز التجارة مع البلدان المجاورة، إذ أسهم طريق الحرير في تبادل المنتجات والموارد بين الصين وبلدان آسيا الوسطى والهند والشرق الأوسط. هذا الطريق لم يكن مجرد مسار تجاري، بل كان شريانًا اقتصاديًا نقل السلع مثل الحرير الصيني، الذي أصبح رمزًا من رموز الرفاهية في الغرب، والمنتجات الفاخرة مثل التوابل والأحجار الكريمة. من خلال هذه التجارة، تمكنت الصين من تحقيق فائض تجاري، مما عزز من دخلها الوطني وحفز نمو الاقتصاد المحلي [٤٥٣].

كانت العلاقات مع الممالك المجاورة مثل فرثيا ودايونغ حيوية للغاية في دعم هذا النمو الاقتصادي، اذ أسهمت هذه الممالك في توسيع نطاق التجارة وتأمين المواد الخام اللازمة للصناعات الصينية. على سبيل المثال، كانت الخيول الفارسية من بين السلع التي استوردتها الصين من الممالك الغربية، ما أسهم في تحسين قدراتها العسكرية. هذه الخيول لم تكن مجرد

---

[٤٥٢] Robert Hymes, "**The Cultural Evolution of China**:, p.p202-230.

[٤٥٣] Jiayan Lyu , "**The Han Empire: Social Organization and Development**", in The Encyclopedia of Chinese History, Beijing: Zhonghua Book Company, (2001), p80-120.

وسيلة نقل بل كانت عنصرًا أساسيًا في القوات العسكرية، مما ساعد على حماية الحدود وزيادة قوة الإمبراطورية [٤٥٤].

أسهمت العلاقات الاقتصادية أيضًا في تطوير أساليب الإنتاج في الصين، حيث جلبت التأثيرات الثقافية والتكنولوجية من البلدان الأخرى. فعلى سبيل المثال، أسهمت التبادلات الثقافية عبر طريق الحرير في نقل الابتكارات التكنولوجية مثل اختراع الورق، الذي كان له تأثير بالغ على الاقتصاد الصيني، حيث أسهم في تطوير صناعة الكتب والتعليم، مما زاد من كفاءة الإدارة ورفع مستوى الثقافة العامة. هذه الابتكارات ساعدت على تحسين بيئة الأعمال وزيادة الإنتاجية في مختلف القطاعات الاقتصادية [٤٥٥].

أما على الصعيد السياسي، فقد أسهمت العلاقات الخارجية في تحقيق الاستقرار الداخلي للإمبراطورية من خلال تشكيل تحالفات استراتيجية مع الممالك المجاورة. على سبيل المثال، عمل الإمبراطور وو على توطيد العلاقات مع ممالك مثل دايونغ لتكوين جبهة موحدة ضد القبائل المهاجمة مثل الهون .هذه التحالفات لم تكن تقتصر على تبادل السلع فقط، بل شملت التعاون العسكري وتبادل الخبرات، ما ساهم في تعزيز الأمان الإقليمي وتأمين الحدود [٤٥٦].

من خلال هذه السياسات، أصبحت إمبراطورية هان قوة مؤثرة في السياسة الدولية. كانت الصين تحت حكم هان من بين القوى العظمى التي تتفاوض مع الدول الكبرى مثل الإمبراطورية الرومانية، والتي كانت تسعى بدورها إلى فتح قنوات تجارية مع الصين. على الرغم من عدم وجود علاقات دبلوماسية رسمية مباشرة مع روما، فإن الأدلة التاريخية تشير إلى أن الصين كانت تعرف عن الإمبراطورية الرومانية من خلال التجارة عبر وسط آسيا. هذه المعرفة ساعدت في إبراز دور الصين كقوة كبرى في العالم القديم [٤٥٧].

كان للعلاقات الخارجية أيضًا تأثير عميق في السياسة الداخلية، حيث ساعدت في تعزيز السلطة المركزية للإمبراطورية. من خلال تأمين موارد مثل المعادن الثمينة والمواد الخام

---

[٤٥٤] David Greene, "**China's Cultural Revolution**: The Economy and Politics", Asian Studies Review, (1995), 15(4): p.p 213-234.

[٤٥٥] Hugh Franklin, **The Emperor's Handbook**: A New Translation of The Meditations, p.p147-157.

[٤٥٦] John King Fairbank , **China: A New History**, , p 72-87.

[٤٥٧] Chris Wing , **Ancient Chinese Philosophies and Modern Applications**, Oxford: Oxford University Press, (2000), p.90.

من المناطق المجاورة، تمكنت حكومة هان من تعزيز اقتصادها وخلق قاعدة مالية قوية لدعم سياساتها الداخلية، مما سهل تنفيذ مشاريع كبيرة مثل بناء الجسور والطرق وتطوير الدفاعات العسكرية. هذه المشاريع أسهمت في تحسين النقل والاتصال بين مناطق الإمبراطورية المختلفة، مما أدى إلى تعزيز التماسك السياسي والاجتماعي(٤٥٨).

على الرغم من هذه الإنجازات، فإن العلاقات الخارجية لإمبراطورية هان لم تخل من التحديات. فالتجارة مع الممالك الغربية لم تكن دائمًا سلسة، حيث تعرضت القوافل الصينية للسرقة والهجوم من قبل القبائل البدوية مثل الهون. وقد دفع هذا الوضع الإمبراطور وو إلى تعزيز النظام الدفاعي، مثل بناء الحصون والجدران لتعزيز الحدود، فضلاً إلى دعم الحملات العسكرية التي أدت إلى القضاء على بعض هذه القبائل أو دفعها بعيدًا عن حدود الإمبراطورية (٤٥٩)

أسهمت العلاقات الخارجية أيضًا في تطوير السياسة الخارجية المستدامة، حيث بدأت الصين في بناء شبكة من الدول الصديقة التي تدين بالولاء للإمبراطورية، مما أسهم في تشكيل توازن إقليمي لصالح الصين. هذه السياسة أدت إلى تعزيز النفوذ الصيني وتوسيع مناطق التأثير، كما أسهمت في تحقيق استقرار طويل الأمد على الصعيد الإقليمي (٤٦٠).

تجلى الأثر الاقتصادي والسياسي للعلاقات الخارجية أيضًا في دعم المشاريع الكبيرة التي ساعدت في رفع مستوى الحياة في الصين. على سبيل المثال، أدى تدفق الثروات من التجارة إلى تحسين الظروف المعيشية للكثير من المواطنين، مما زاد من الولاء للإمبراطورية ودعم سياسات الحكم المركزي. كما أن الإمبراطورية استخدمت جزءًا من هذه العائدات لتطوير البنية التحتية، مثل بناء القنوات المائية التي ساعدت على تسهيل النقل وزيادة كفاءة الإنتاج الزراعي (٤٦١).

(٤٥٨) Xinru Liu , "**Ancient China: Land of Silk and Spice**", p25-27.

(٤٥٩) M. Lewis, "**Ancient China**", p212-230.

(٤٦٠) William Glover, "**The Rise and Fall of the Han Dynasty**", p 120-136.

(٤٦١) James Millward , "**Central Asia and the Silk Road: The Han and the West,** p.p102-130.

ختاما- العلاقات الخارجية للإمبراطورية الهانية كانت حجر الزاوية في نجاحها الاقتصـــادي والسياسي. لقد مهدت هذه العلاقات الطريق لتطور مستدام يضمن النمو والتوسع، مما جعل الصين تتبوأ مركز القوة في العالم القديم.

وأسهمت العلاقات الخارجية لعصر أسرة هان الغربية في توسيع الإمبراطورية الصينية على المستوى الإقليمي والدولي. لقد استطاعت أسرة هان أن تستفيد من استراتيجيات مختلفة، تجمع بين القوة العسكرية والدبلوماسية، لتعزيز مكانتها في العالم القديم. كما أن إنشاء طريق الحرير كان خطوة حاسمة في تعزيز التبادل التجاري والثقافي بين الشرق والغرب، ما فتح آفاقًا جديدة للصين من خلال استيراد وتصدير السلع والفنون والمعرفة, وعلى الرغم من التحديات والصـراعات العسـكرية التي شـهدتها حقبة هان الغربية، إلا أن هذه المدة تمثل نموذجًا مهمًا لفهم السياسة الخارجية للصين القديمة ودورها البارز في تاريخ العالم.

المبحث الثالث- الانقسام ونهاية هان الغربية (٨٧ قبل الميلاد-٩ ميلادية)

تُعدّ مدَّة حكم الإمبراطور وو (١٤١-٨٧ ق.م) من أسرة هان الغربية إحدى الحقب الأكثر أهميةً وتأثيرًا في تاريخ الصين القديم، إذ شهدت توسعًا إمبراطوريًا غير مسبوق وإصلاحات جذرية في الهياكل السياسية والاقتصادية والثقافية. ومع ذلك، فإن العقدين الأخيرين من ذلك الحكم الطويل، وتحديدًا من حوالي عام ١٠٠ ق.م ولحين وفاة الإمبراطور عام ٨٧ ق.م، يمثلان مرحلة حرجة ومثيرة للجدل، تميزت بتحولات عميقة وتحديات متزايدة. فبينما رسَّخ الإمبراطور وو خلالها دعائم إمبراطورتيه العظيمة، بدأت تظهر في الأفق بوادر الإرهاق الاقتصادي والاجتماعي، وتزايدت حدة الصراعات الداخلية، وبرزت قضايا خلافة العرش كتهديد لاستقرار الدولة.

أولا – العهد الأخير لحكم الإمبراطور وو

اســتطاعت الإمبراطورية الهانية في بداية عهدها الذي كان محفوفاً بالعديد من المخاطر الداخلية والخارجية من أنْ تحافظ على ســـلامة بنيانها الداخلي, وان تحمي البلاد من الدخول

في مستنقع الأزمات الداخلية. ويعود ذلك إلى أنها, وأن لم تتمكن من وضع حد نهائي لنفوذ الأرستقراطية القديمة, فإنها امتلكت من المقومات ما مكنها من الصمود في مواجهة عوامل التراجع والضعف, وقد أسهمت شخصية الإمبراطور وو بما امتلكه من قدرة على التوسع الجغرافي خارج الحدود الأصلية لأراضي الدولة, في توجيه معظم مجهوده نحو التخلص من الرعب والذعر الذي كانت قبائل الهون تسببه للدولة الصينية(٤٦٢).

وعلى الرغم من تمكن الإمبراطور وو من تحقيق نجاحات كبيرة في مجال التوسع الخارجي على حساب الأراضي المجاورة. لكن نتيجة لذلك, لم تستطع حالة الرخاء التي كانت الصين تبدو أنها مُقدمةً عليها بفضل توسعات وفتوحات الإمبراطور وو, أنْ تسد العجز الاقتصادي الذي ارهقه كثرة الحملات العسكرية التي خرجت من اجل تأمين حدود الصين من هجمات الهون (٤٦٣).

ولم تسهم زيادة الإيرادات الحكومية المفروضة في الداخل الصيني إلى التخفيف من حدة الصعوبات الاقتصادية الناجمة عن الحروب والإسراف, بل فاقمت مشاكل أخرى, تمثلت في تعزيز قوة طبقة ملاكي الأراضي الجدد على حساب الفلاحين, فضلاً عن ازدهار الأسر البيروقراطية الإقطاعية الذي كان يثير عدداً كبيراً من المشكلات الاجتماعية, وأدت الحروب المتواصلة وما يصبحها من الخدمة العسكرية والعمل والإجباري, إلى جعل الحياة لا تطاق بالنسبة للمزارعين, كما أدى ذلك إلى انخفاض الإنتاج الزراعي في أراضي الإمبراطورية (٤٦٤).

ولم يظهر الصينيون أداءً جيداً كما كان يفترض في الأراضي المحتلة, إذ أنَّ الحروب التي خاضها الإمبراطور وو كانت مدمرة, وأنَّ الاحتفاظ بجيوش في المناطق الجديدة يستنزف خزينة الدولة, فضلاً عن التحاق الفلاحيين إلى الخدمة العسكرية قد ترك مساحات كبيرة من الأراضي الوطنية دون زراعة(٤٦٥).

إنَّ التكلفة التي تحملتها الدولة لتلك المغامرات العسكرية كانت هائلة, إذ قام الإمبراطور وو بمحاكاة إنجازات الإمبراطور (شي هوانغ دي) إمبراطور تشين في نجاح فتوحاته؛ فقد كرر

---

(٤٦٢) ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٦٢؛ ينظر:

Duguid, Stephen M, "**The Role of Confucianism in Han Society**", p 78.

(٤٦٣) ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٦١.

(٤٦٤) مايكل دبلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص ١٢٧.

(٤٦٥) Wolfram Eberhard , **A History Of China** , p 74.

النهج ذاته الذي استنزفت به إمبراطورية تشين الناس, ولم يتمكن في النهاية من تامين إيرادات كافية للحفاظ على خزينة الدولة [٤٦٦].

وعلى الرغم من تضاعف الإمبراطورية الهانية الصينية بمقدار ثلاثة أضعاف, فلم يتسن للرخاء الناهض الذي مكن حكام هان الأولين من تخفيف الإجراءات الأكثر صـــرامة, التي كانت تفرضـــها إمبراطورية تشـــين أنَّ يدوم ويتواصـــل أمام متطلبات عهد وو, إذ اســـتنزفت الحروب الطويلة لاسـيما ضـد الهون خزانة الإمبراطورية, وتركت مخازن الغلال خاوية, وكان الفلاحون يجبرون على الانضـــمام للجيش بأعداد هائلة, فكانت النتيجة خراباً في أراضـــي الإمبراطورية وجوعاً بين شـعوبها, وتسـجل أغاني ذلك العصـر بؤس وشـقاء أولئك الذين كانوا يحملون من قراهم للقتال في الشمال [٤٦٧].

"كانوا يموتون جنوب المتاريس, ويموتون شمال السور,

كانوا يموتون في المستنقعات ولا يدفنون, وكانت لحومهم طعاماً للغربان,

إنني أذكركم أيها الجنود الأوفياء, وأعمالكم لن يطويها النسيان,

لأنكم خرجتم للقتال في الصباح, ولن تعودوا في المساء [٤٦٨].

من شـكوى الجنود تلك، يتضـح أن هناك تطوراً مهمًا قد طرأ في نهاية عهد وو, ودون أدنى شك أدى إلى حدوث سلسلة من الأحداث والأحداث المضادة، فانهمك الإمبراطور وو في حروبه التوسـعية، وتفاقم شـغفه بالقصـور، ووسـائل البذخ، وقد لجئ في سـبيل ذلك إلى مضاعفة استغلال الفلاحين والعبيد والعامة، واعتصار المزيد من جهودهم[٤٦٩].

وفي مطلع القرن الأول قبل الميلاد كان عدد الفلاحين الذين استولى أصحاب الأراضي على أراضـيهم قد ارتفع بشـدة, وكانت قطع الأراضـي المملوكة للأفراد صـغيرة للغاية بحيث تعذر عليهم إنتاج ما يكفي للوفاء باحتياجاتهم والأذخار لأوقات الكوارث الطبيعية [٤٧٠].

---

[٤٦٦] Robert Eno , **The Qin Dynasty** , p 12 . Rexroth, Kenneth , **Love and the Turning Year: One Hundred More Poems from the Chinese**, New York: New Directions, (1970), p. 133.

[٤٦٧] هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ٩٩.

[٤٦٨] المصدر نفسه، ص ٩٩.

[٤٦٩] نخبة من المؤلفين، **تاريخ الصين**، ج ١، ص ١٨.

[٤٧٠] Robert Eno , **The Han Dynasty** , p 12.

وفي الوقت الذي أصبح فيه حال الفلاح في عهد هان لا يطاق اكثر فأكثر, أصبحت حياة أصحاب الامتيازات عبء على المجتمع بشكل سافر, وقد وصف "تشونج تشانغ تونج" مثل تلك الحياة في سيرته الذاتية. "فليكن المكان الذي يعيش فيه المرء حقول خصبة ومنزل كبير يقوم فوق التل ويشرف على احد الأنهار وتحيط به القنوات وأحواض الخيزران ويمتد أمامه البيدر وحديقة الخضروات وخلفه يزرع بستان من أشجار الفاكهة وهنالك ما يكفي من العربات والمراكب التي تجنب المرء عناء المشي أو التجوال وهناك ما يكفي من الخدم حتى لا يتجشم المرء عناء القيام بالأعمال الحقيرة وهناك ما لذ وطاب من الطعام كي يطعم المرء أسرته والزوجة والأولاد ليسوا في حاجة إلى حمل عبء القيام بأي عمل شاق" (٤٧١).

وفي سنواته الأخيرة أصبح الإمبراطور وو مؤمناً بالخرافات على نحو متزايد, إذ كان يشتبه أنَّ ولي عهده يحاول الحاق الأذى به بواسطة السحر, واجبره في النهاية على الانتحار بعد أحداث متوترة سببت الأف الإعدامات, واصبح طول العمر هاجساً له, فزار جميع الخيمائيين من جميع أنحاء البلاد سعياً وراء الخلود, وانغمس الإمبراطور في الأضاحي والاحتفالات الغريبة, أرسل أعداد كبيرة من الناس إلى جزيرة (بنج لاي) للبحث عن الخالدين, وكان ضعيفاً أمام النساء إذ يقول: "**استطيع أنْ أعيش دون طعام لثلاث أيام, ولكن لن أعيش ليوم واحد بدون امرأه**", وتكوّن الحرم الإمبراطوري من عشرات الألاف من المحظيات, وكان لذلك الأمر بالطبع تبعاته السياسية, اذ حصل ثلاثة من كبار جنرالاته على مناصبهم بحكم كونهم من أقارب نسائه المفضلات (٤٧٢) .

ولخص سيما تشان ما كان يجري في ذلك العصر, "**لا شيء في الواقع سوى الحروب وشائعات الحروب من يوم لآخر**", وفي ظل قوانين الضرائب بدء الأثرياء في استخدام ثرواتهم للأغراض الدنيئة من ازدراء الضعفاء والتعالي عليهم واضطهادهم, وتلقى أفراد الأسرة الإمبراطورية المنح من الأراضي, في حين كان الناس على اختلاف طبقاتهم ينافسون كل واحد منهم جارة في انفاق المال بغير حساب على البيوت والأثاث والكساء بما لا يتناسب مع موارده المالية على الأطلاق (٤٧٣).

---

(٤٧١) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ١٠٠.

(٤٧٢) مايكل دبلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص ١٢٧ ينظر :

Zhang Hanmo , **Witchcraft and Witch-hunting in the Later Years of Emperor Wu's Reign: A Reappraisa** , School of Chinese Classics, Renmin University of China ,2021 , p 146.

(٤٧٣) هيلدا هوخام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، ص ١٠٠.

وأعقب ذلك حسب ما سجله المؤرخ سيما تشان, "استعدادات عسكرية واسعة النطاق في أنحاء الإمبراطورية, وتم شـــق الطرق خلال الجبال لمســـافة عدة أميال لغرض إقامة طريق تجاري مع برابرة الجنوب الغربي, وكان الهدف من ذلك, إتاحة موارد تلك المناطق النائية. لكن, النتيجة كانت إغراق الســكان في دمار وخراب لا خلاص منه. وبعد ذلك, جاء اخضـــع مجدداً وجعلها تابعة للإمبراطورية, وكانت هنالك قلاقل أخرى اقرب إلى الوطن, وخرق الهون المعاهدة, وانقضـوا على الحدود الشمالية, والحقوا ضـرراً عظيماً بالإمبراطورية, ولم يكن هنالك شيء في الواقع سوى الحرب وشائعات الحرب من يوم لآخر" [٤٧٤].

مع اقتراب نهاية عهد الإمبراطور وو، أفسح التوسع المجال للتقشف, وشهد ما تبقى من حكمه حالة من التردد السياسي، مع مدد من التخبط داخل البلاط, ولوحظ بقلق اتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء، وتزايد الضـــغط على الفلاحين الذين وجدوا أنفســـهم عاجزين عن دفع ضـرائبهم مقابل كل تعبهم. وتركزت نقاشـات تلك المدة على المشـاكل السـياسـية والأخلاقية، ودعت إلى الاقتصـــاد والادخار في البلاط الملكي لتحفيز الإصـــلاح الأخلاقي من الأعلى، بالإضـافة إلى اتباع أسـاليب عملية شـاملة لتعزيز التقنيات الزراعية الأفضـل. وفي ظل تدهور الاقتصاد، تقلصت الصناعات الحكومية وتراجعت الاحتكارات [٤٧٥].

ونتيجة لذلك, اندلع عدد من انتفاضـات الفلاحين مما أدى إلى تدهور الحالة السـياسـية غير المســـتقرة في الأصـــل, وفي مواجهة تلك الأزمات أفاق الإمبراطور وو وادرك أخطاءه, واصدر في عام ٨٩ ق.م مرسوماً إمبراطورياً استباقياً, اعرب فيه عن استعداده لوقف الحروب العدوانية وتحويل الأولوية إلى الإنتاج, وببذله جهداً شـــرســـاً لتحويل المد, لتجنب الزوال المأساوي الذي لحق بأسرة تشين, مما وضع الصين مرة أخرى على طريق الازدهار [٤٧٦].

---

[٤٧٤] المصدر نفسه , ص١٠٠ ؛ وكذلك ينظر :

Creel, Herrlee Glessner , **Chinese Thought from Confucius to Mao Tse-tung**, University of Chicago Press, (1953), pp. 166-171.

[475] **Nanny Kim , The last 3000 years in China. Chapter 3: The Formation Of Empire: The Qin And Han Dynasties (221 BC – 220 AD) , Research · April 2015 , p.15.**

[٤٧٦] مايكل دبلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص ١٢٧.

وقد اكتسب فصيل سياسي جديد عرف باسم (الإصلاحيين) نفوذاً أكبر في الساحة السياسية الصينية, وعارض هؤلاء الإصلاحيون الجدد بوضوح الإجراءات التي قام بها الإمبراطور وو, ودفعه إلى إلغاء الاحتكارات التجارية السابقة [٤٧٧].

ومع وصول الإمبراطور وو إلى نهاية حكمه، بدأ الفصيل الجديد أو ما يسمى بـــــ (الإصلاحيون الجدد) الذين تولى السلطة في إعادة النظر في سياساته الاقتصادية. كان لهذا التغيير تأثير بالغ على التوجهات الاقتصادية في الإمبراطورية[٤٧٨].

- **تقليص التدخل الحكومي:** بدأ حكام الإمبراطورية الجدد في التقليل من حجم التدخل الحكومي في الاقتصاد، وفتح الباب أمام مزيد من الحرية الاقتصادية للمواطنين. تم تخفيف الرقابة على الصناعات الحيوية مثل الملح والحديد، مما سمح للقطاع الخاص بالعودة إلى لعب دور أكبر في إدارة هذه الصناعات.
- **التخلي عن تأميم الصناعات:** تم السماح بإلغاء التأميم الحكومي للعديد من الصناعات الحيوية، بما في ذلك الملح والحديد. أصبحت هذه الصناعات تعمل بموجب قوانين السوق وتنافسية أكثر، وهو ما اسهم في تعزيز الاقتصاد الحر وتقليل الأعباء على المواطنين.
- **زيادة الإصلاحات الاجتماعية:** في ظل هذه التغيرات الاقتصادية، اذ بدأ التركيز ينصب على الإصلاحات الاجتماعية التي تستهدف تحسين مستوى حياة المواطنين، خاصة الفئات الفقيرة، وتحسين توزيع الثروات والموارد بشكل أكثر عدلاً.

وعلى الرغم من حكم الإمبراطور وو الطويل فأنه لم يترك وريثاً بالغاً للعهد, اذ تم إعدام ولي العهد مع عديد من قادة آخرين نتيجة محاولة الاغتيال المزعومة التي اتهم بها لتنحية والده الإمبراطور عن عرشه, ومن الصعب تحديد ما يفسر تلك القضية, ربما كان صراعاً بين فئتين من طبقة النبلاء راح ضحيتها ولي العهد [٤٧٩].

وبعد الصحوة الأخيرة للإمبراطورية توفي الإمبراطور وو سنة ٨٧ ق.م فانزلقت الإمبراطورية إلى الركود والانحدار التدريجي خاصة من الناحية الاقتصادية لعدة أسباب منها,

---

[٤٧٧] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين** , ص ٨٩.

[٤٧٨] Gernet, Jacques , **A History of Chinese Civilization**, Cambridge: Cambridge University Press, (1996), p.p 110-115.

[٤٧٩] Wolfram Eberhard , **A History Of China** , p 74 . ZHANG Hanmo , **Witchcraft and Witch-hunting in the Later Years of Emperor Wu's Reign: A Reappraisa** , p.146.

وصول خزانة الدولة للضغط بسبب الحملات والمشاريع المفرطة التي قام بها الإمبراطور وو, فضلاً عن تكلفة الحملات العسكرية الباهظة وتوسعه الاستعماري [٤٨٠].

رحل الإمبراطور وو سنة ٨٧ ق.م تاركاً العديد من القصص والإنجازات العظيمة, ومظهراً لعديد من أوجه القصور, وفيما يتعلق بتقييمه, فلدى مختلف الأشخاص أراء مختلفة, فيعتقد القوميون أنَّه رجل عظيم وإمبراطور حكيم يتملك الطموحات والرؤية الثاقبة, ويعتقد الليبراليون أنَّه إمبراطور استبدادي متعجرف ومغرم بالمجد, وكان شديداً قليل الرحمة, حتى علماء التاريخ في الصين القدامى من الصعب توحيد تقييماتهم حوله. فقال بان جو في كتابه (هان شو) "**إنه رجل عبقري نادر المثال بارز في كتابة المقالات والشعر, يمكنه أن يماثل ثلاثة أجيال من الأباطرة**" اذا لم يغير الأسلوب البسيط في الحياة مثل ما فعله الإمبراطور ون والإمبراطور جينغ. فالمدح الوارد في شعر (شو) لن يكفي للثناء عليه. فقدَّر بان جو الإمبراطور وو تقديراً عالياً للغاية. لكن سيما تشان انتقده بشده وقال عنه بأنه "**مسرف ومترف للغاية, فرض ضرائب شديدة على الشعب, ووضع عقوبات قاسية, عاش بترف داخل قصره, وشن حروبا عديدة حول البلاد, وهو على إيمان بالإلهة والأرواح ويكثر الجولات التفقدية حتى ارهق الشعب الذي ثار عليه, انه نسخه أخرى من الإمبراطور شي هوانغ دي**" [٤٨١].

في النهاية يمكن القول ان الإمبراطور وو مَثَّل جميع المزايا والعيوب للنظام الإمبراطوري تقريباً, يمكن للناس رؤية السلطة الأبوية لزعيم بلد كبير, والإحساس بالقسوة وقلة الرحمة لإمبراطور استبدادي. يمكن للناس رؤية حكمة الإمبراطور والإحساس بجشعة وطموحاته من منظور معين. يمكن عَدْ الإمبراطور وو عينة ممتازة تكمن فيها رموز وراثية خفية معمقة للبشرية.

ثانيا – حقبة خلفاء الامبراطور وو واندثار الإمبراطورية

بعد نهاية عهد الإمبراطور وو أتاحت سياسات اقتصادية وعسكرية اكثر اعتدالاً, انعاشاً للوضع المالي الحكومي وتهدئة مؤقتة للحرب, إلا أنَّ الأسرة الهانية لم تتمكن من استعادة قوتها التي اكتسبتها خلال السنوات الأولى من حكم الإمبراطور وو الطويل. إذ بدأت تظهر توترات علنية عميقة بين القادة الكنفوشيوسيين الذين تخرجوا من الأكاديمية الحكومية التي

---

[٤٨٠] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين** , ص٨٩.

[٤٨١] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٢٩.

أسسها وو وبين كبار وزراء الحكومة الأكثر التزاماً بأهداف الدولة القانونية, وازدادت وضوحاً تناقضات تبني دولة قانونية براغماتية لأيديولوجية أخلاقية كونفوشيوسية, مما أدى ذلك إلى صراع وجودي داخل الإدارة الحاكمة انعكس على أداءها [٤٨٢].

توفي الإمبراطور وو سنة ٨٧ ق.م بعد أن تحول إلى شخصية مثيرة للجدل, وقد وضعه عقله المضطرب في سنواته الأخيرة إمبراطورتيه على حافة الهاوية, واختار خليفته تشاو ابن السيدة جوي (٨٧ – ٧٤ ق.م), ولمنع تكرار مأساة الإمبراطورة الأرملة لو, اختلق عذرا لإعدام السيدة جوي لمنع تدخلها في حكم ابنها الشاب, وعين ثلاثة مستشارين هما: (هو جوانغ وشانجوان جي و شانغ هونغ يانغ) كمساعدين له في إدارة حكم البلاد [٤٨٣].

وعند وفاة رجل سياسي قوي, فإن تأثيره في المجتمع لا يزول مباشرة, بل يخلّف وراءه رصيداً سياسياً كبيراً يتلقاه من بعده. وفي بعض الأحيان يكون هذا الرصيد مصدر قوة, لكنه قد يتحول في أحيان أخرى إلى عبء ثقيل, إذ قد يضع الأجيال اللاحقة في موقف حرج, جامعاً بين الأمل والخوف, والقلق والسعادة العملية التاريخية لأسرة هان الغربية واجهتها مثل هذه الحالة, وهذا كان في عهد خلفاء وو, اذ ان الإمبراطور تشاو عالج الفوضى التي تركها الإمبراطور وو لكن بقيت أثارها لما بعده [٤٨٤].

إنَّ الإمبراطور الشاب شاو قد تميز بالبراعة وعلى مدى تسع سنوات عزز الاقتصاد وخفض استغلال الشعب ووضع الإمبراطورية على سكة النجاحات, لكن الإمبراطور الشاب البالغ من العمر ٢١ عاما توفي فجأة دون أن ينجب وريثا عام ٧٤ ق.م ووقع الاختيار على ليو شون وهو حفيد آخر للإمبراطور وو وأصبح يعرف بالإمبراطور شيوان [٤٨٥]

بعد أنْ وصلت السلطة إلى يد الإمبراطور شيوان(٧٤- ٤٩ ق.م) التزم هو الآخر بالحكم الرشيد وتابع في تنفيذ سياسة وطنية لتخفيف ضغط الأقوام الشمالية, وتطوير الاقتصاد الوطني, وتخفيض السخرة والضرائب, وتنفيذ سياسة البر الكونفوشيوسي تجاه الشعب, وأزال مشكلة استغلال القوة العاملة والنفايات المفرطة خلال النقل النهري, إذ خفض بشكل حاسم

---

[٤٨٢] Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 14.

[٤٨٣] ما يكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٧.

[٤٨٤] المصدر نفسه , ص١٣٤.

[٤٨٥] المصدر نفسه, ص١٢٨؛ لمزيد من المعلومات ينظر :

Hans van Ess , **Ban Gu's View On The "Second Victory" Of "Confucianism" And The Fall Of The Former Han** , Early China (2022) Vol 45, pp 15–49.

عدد جنود النقل النهري للنصف, مما وفر عدد كبيرا لخادميه, بالنسبة للمناطق المتضررة من الكوارث الطبيعية خفف الإمبراطور شيوان او اعفى مبلغ الاستئجار ونتيجة لهذه الإجراءات كسب مستوى معيشة الشعب ضماناً محدوداً في الإمبراطورية [٤٨٦].

نستطيع القول إنَّ عهد شيوان كأنه نطاق واسع من التصحيح لجميع أنواع الأدوار السياسية وأيضا يمكن ان نعتبره توهج السراج قبيل انطفاه في مدة انتهاء أسرة هان الغربية من ازدهارها في مجال الزمان والمكان الأوسع, لان أسرة هان شرعت في طريق الهبوط منذ ذلك الحين, وتتضمن مدة الانهيار لأسرة هان الغربية أربعة عهود بما فيها الإمبراطور يوان والإمبراطور تشنغ والإمبراطور أي والإمبراطور بينغ . تحديدا من عام ٤٩ ق.م قبل الميلاد حتى تلاشي أسرة هان الغربية سنة ٩.م[٤٨٧].

وفي عهد الإمبراطور شيوان نمت قوة المستشار هو كوانغ في إدارة الدولة, وقد نمت شهوة السلطة لديه تدريجيا, كما ارتفعت مكانة أسرته أيضا إلى الحد ان حكم الإمبراطور شوان صار غير مستقر, خاصة عندما تعرضت زوجته الأولى (شو) إلى الاغتيال من قبل زوجة المستشار (هو) مما دفع الإمبراطور شوان إلى الانتقام منه ومن أسرته بداعي التمرد واعدم الأسرة بأكملها, وعلى الرغم من ذلك, واصل تنفيذ سياسات المستشار هو الحكيمة, لذلك ازدهرت أسرة هان الغربية لعدة عقود فيما عرف في التاريخ الصيني "ازدهار عصري تشاو وشوان" [٤٨٨].

وبينما قام الإمبراطور شوان بتصفية عائلة (هو) عين عددا من الناس من أسرة شو وشي أقارب والدته وزوجته والخصيان لمناصب رسمية رئيسية, وأصبحت هذه الزمر منذ ذلك الوقت, هي المسيطرة على دفة الحكم, اذ دخلت العوائل في تحالفات مشكلة زمرا كبيرة واصبح الأباطرة محاطين بهذه الزمر, وقد شهد نصف القرن التالي لحكم الأباطرة المتأخرين من تفكك سلالة هان, فقد ساد الفساد البلاط الإمبراطوري واصبح أصهار العائلة الإمبراطورية والوزراء

---

[٤٨٦] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص135.

[٤٨٧] Hans van Ess , **Ban Gu's View On The "Second Victory Of Confucianism" And The Fall Of The Former Han** , p 24.

[٤٨٨] ما يكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٢٨.

المقربون من الأباطرة شخصيات سياسية هامة, وحازوا الثروات الطائلة عن طريق الاختلاس والابتزاز والسرقة وقبول الرشوة وإساءة استعمال الامتيازات [٤٨٩].

وبعد وفاة الإمبراطور شوان سنة ٤٩ ق.م خلفه على العرش ولي عهده ليو شي وعرف باسم الإمبراطور يوان(٤٨ -٣٣ ق.م) وكان يفضل الرحمة والعطف والكونفوشيوسية وانغمس في الملذات وكانت لديه كثير من المحظيات الذي ضاع وقته في استدعائِهِنَّ واحدة تلو الأخرى, وهو غير حاسم في قراراته؛ لذلك خضعت شؤون الدولة للخصيان مثل هونغ قونغ وشي شيان [٤٩٠].

وقد شهدت الصين في الثلاثين السنة الأخيرة من عمر إمبراطورية هان الغربية نموا مطردا في عدد المزارع الكبرى التي سيطرت عليها الأسر الأرستقراطية المتحكمة بالمناصب العليا في الدولة سواء في الحكومة المركزية في (تشانغ يان) او في اذرعها في المقاطعات, وادى ذلك إلى ازدياد التفاوت في الثروة وتركيزها بأيدي فئة صغيرة من الأسر النبيلة التي تستخدم علاقاتها السياسية وصلاتها بأصحاب النفوذ للسيطرة على الدولة واستغلال سلطتها لإغناء نفسها [٤٩١].

أضف إلى ذلك إنَّ الأباطرة المتأخرين من هان لم تكن شخصياتهم قوية أو خبراتهم كافية ليستطيع أيٌّ منهم فرض سيطرته غلى تلك الدولة التي أصبحت مترامية الأطراف, مع ملاحظة أنَّ هذا التمدد الجغرافي والنفوذ السياسي صاحبه العديد من المشاكل التي كانت تحتاج إلى حل حاسم, مع الأخذ بنظر الحسبان أنّ تلك الصورة البراقة التي وصلت إليها الدولة دفع عديد من كبار الموظفين ممن شارك بشكل مؤثر وفعال في الدولة إذ عدّوا أنفسهم فوق المحاسبة, لذلك أدت كل هذه العوامل مجتمعة في ظل الظروف التي كانت تجتازها البلاد لتعبر عن نفسها بوصفها القوى الكبرى في محيطها لذلك اتخذ الامبراطور مبدأ غض

---

[٤٨٩] جان يوه تسان وأخرون , **موجز تاريخ الصين** , ص ٢٢ .؛ وينظر:

Hans van Ess , **Ban Gu's View On The "Second Victory Of Confucianism" And The Fall Of The Former Han** , p 32.

[٤٩٠] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٣٧.؛ وينظر :

Minzi Shu, **The collapse of the Han empire due to the influence of the Latvians**, Shanghai Society for Social Sciences, College of Education Magazine, Volume 12, 2023, p. 273.

[٤٩١] فرانسيس فوكو ياما، **أصول النظام السياسي...**، ص ٢٠٦.

عن بعض الأخطاء التي تقع من الوزراء وكبار الموظفين وقادة الجيش, إلى قلة الخبرة للإمبراطور, مع ضعف الشخصية, ندرك – من أنه – لابد من أن تمر البلاد بحالة انتكاسة[٤٩٢].

ومنذ عام ٣٠ ق.م نزلت الكوارث الطبيعية الكثيفة على مناطق واسعة في الريف مما أدى إلى نشوب انتفاضات الفلاحين والصناع اليدويين ومع ان هذه الانتفاضات قُمِعَتْ إلا أَنَّ الأزمة الاجتماعية بقيت على حالها, فعلى سبيل المثال في إحدى سنوات المجاعة القاسية جرت مقايضة نصف كيلو من الذهب ببضع كيلو غرامات من الفاصوليا ودفعت المجاعة الناس إلى حافة اليأس [٤٩٣].

ولاشك أَنَّ عدم كفاءة الحكام قد أدى إلى العديد من المشاكل الاجتماعية في السنوات الأخيرة من عهد الأسرة فشهدت زيادة سريعة في ضم الأراضي وانتشار الفقر والمجاعات التي طال أمدها وتاق الناس إلى التغيير, فأصبحت الصراعات الطبقية حادة وشاعت الانتفاضات وكانت الظروف سانحة للطموحين للإستيلاء على السلطة, وكان الرجل التي انتهز تلك الفرصة هو وانغ مانغ [٤٩٤].

وأخيرا شهدت إمبراطورية الهان الغربية، التي امتدت من عام ٢٠٦ قبل الميلاد إلى عام ٩ بعد الميلاد، تدهورًا تدريجيًا أدى في النهاية إلى سقوطها, ويمكن تفسير هذا السقوط من خلال مجموعة متداخلة من العوامل الداخلية والخارجية التي عملت معًا لتقويض استقرار النظام الإمبراطوري.

---

[٤٩٢] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٦٢.

[٤٩٣]جان يوه تسان وأخرون , **موجز تاريخ الصين** , ص ٢٣.

[٤٩٤] ان وانغ مانغ كان مسؤولاً في أسرة هان وكان وصيا على ابن أخته الإمبراطور(أي) اخر أباطرة هان الغربية اغتصب العرش منه وحاول تأسيس أسرة جديدة. كانت هذه المحاولة غير ناجحة في النهاية، وقد اعتبر المؤرخون الصينيون وانغ مانغ بشكل عام مغتصبا أطاح بشكل غير شرعي بالبيت الحاكم لعائلة هان. ومع ذلك، لايزال وانغ مانغ يلوح في الأفق باعتباره الشخصية المهيمنة والأكثر إثارة للجدل في تلك المدة. معظم المعلومات حوله خلال حياته مستمدة من كتاب هان شو للمؤرخ بان جو الذي عاش في اؤخر هان الغربية سبق وان تحدثنا عنه في هذه الدراسة لمزيد من المعلومات ينظر:

Brian May and Takako Tomoda , **Medical events in the time of Wang Mang ca. 26 BC – AD 23** , May, B & Tomoda, T 2002, `Medical events in the time of Wang Mang, circa 26 BC – AD 23', Pacific journal of Oriental Medicine, vol. 14, pp. 45 – 56.

اولا – العوامل الداخلية:

– التدهور المؤسسي: عانت الإمبراطورية من تآكل تدريجي في مؤسساتها. فشهد البلاط الإمبراطوري انتشار الفساد وتزايد الصراعات بين الفصائل المتنافسة، مما أدى إلى ضعف السلطة المركزية وتراجع الكفاءة الإدارية.

– التفاوت الاجتماعي والاقتصادي: أدت السياسات الاقتصادية التي فضلت النبلاء وأصحاب الأراضي الكبار إلى زيادة التفاوت الاجتماعي وتنامي السخط الشعبي. وقد تجلى هذا التوتر في سلسلة من الثورات التي هزت أركان الإمبراطورية.

– الكوارث الطبيعية: تكبدت الإمبراطورية خسائر فادحة بسبب تكرار الكوارث الطبيعية مثل الفيضانات والجفاف, وقد أدت هذه الكوارث إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وزعزعت شرعية النظام الحاكم.

ثانيا – العوامل الخارجية:

– الضغوط العسكرية: أدت سياسة التوسع الإقليمي إلى استنزاف موارد الإمبراطورية واستنزاف جيشها. كما فرضت التهديدات المستمرة من القبائل البدوية، مثل شيونغنو، ضغوطًا إضافية على النظام الدفاعي.

إجمالا كان سقوط إمبراطورية الهان الغربية نتيجة تفاعل معقد بين هذه العوامل المتعددة. فقد أدى التدهور المؤسسي إلى ضعف قدرة الإمبراطورية على الاستجابة للتحديات الخارجية والداخلية. كما أدى التفاوت الاجتماعي إلى تقويض الالتزام الشعبي بالنظام الإمبراطوري وسهل اندلاع الثورات, وفي الوقت نفسه، أسهمت الكوارث الطبيعية في تفاقم هذه المشاكل وزعزعت استقرار النظام, ويمكن القول إنَّ سقوط إمبراطورية الهان الغربية كان نتيجة لفشل النظام الإمبراطوري في التكيف مع التحديات المتزايدة التي واجهته, وقد أدى التراكم التدريجي للمشاكل الداخلية والخارجية إلى زعزعة استقرار النظام وفتح الباب أمام صعود قوى جديدة.

الفصل الثالث – الانقسام وصعود هان الشرقية (٢٥–٢٢١ م)

المبحث الأول – استيلاء وانغ مانغ على السلطة(٩- ٢٣ م)

شـــهد البلاط الإمبراطوري في أواخر عهد أســـرة هان الغربية التدهور والانحلال بعد الازدهار, إذ تفشـت ظاهرة ضـم الأراضـي وإفلاس الفلاحين وهجرتهم البلاد, كما شـهد حكم الإمبراطور تشـنغ المجاعة التي دهمت وشـردت عامة الشـعب والأمراض التي حصـدت أرواحهم, كما في عهد الإمبراطور (أي) شـــهد تدهور الأحوال الحياتية للفلاحين والعبيد بصورة مزرية ومأساوية للغاية, فضلاً عن الممارسات الوحشية للبيروقراطيين وملاك الأراضي والتجار الأثرياء من اسـتغلال وانتهاك الحقوق. تلك العوامل دفعت الشـعب إلى الاحتكام إلى المقاومة المسـلحة, واسـتمرت انتفاضـات الفلاحين والعبيد بصـورة مطردة, وعلى الرغم من تعرض تلك الانتفاضات للقمع الوحشي من جانب السلطة السياسية, لكنها زلزلت أركان الطبقة الحاكمة بصـورة عنيفة. وفي ضـوء أوضـاع تفاقم حدة التناقض الطبقي ظهر على المسـرح السـياسـي وانغ مانغ الذي اغتصـب العرش معلناً تأسـيس أسـرة شـين وأنهاء أسـرة هان الغربية[٤٩٥].

ويُعّد حكم وانغ مانغ من أكثر الحقب اضـطرابًا في تاريخ الصـين القديمة، إذ شـهدت تأسـيس أسـرة شـين[٤٩٦]، وهي حقبة اتسـمت بإصـلاحات جذرية رافقتها فوضـى اقتصـادية، وحروب أهلية، ومجاعات مدمّرة. وفي هذا السـياق، تسـعى هذه الدراسـة إلى تحليل أبرز الأحداث والظروف التي رافقت حكم وانغ مانغ، وبيان الأسباب التي أدّت إلى الانهيار السريع لحكمه

تأسيس أسرة شين :

بعد مدَّة من الوصـايات الإمبراطورية في عهد أسـرة هان الغربية، تمكن وانغ مانغ، الذي كان يشغل منصب وصـي الإمبراطور على العرش، من الاستيلاء على السلطة وإعلان نفسه إمبراطورًا في عام ٩ ميلادي، مؤسسًا أسرة جديدة أطلق عليها اسم شين. ادعى وانغ مانغ أنه

---

[٤٩٥] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٦٢.

[٤٩٦] على الرغم من ان شين تعني حرفيا في اللغة الصينية بـ (جديد) الا انها ورثت سلطة سلالة هان بشكل سلمي وقد قبل جميع المسؤولين الحكوميين على مختلف المستويات سلطة وانغ مانغ, ومن فيهم أعضاء من العائلة المالكة لسلالة هان وكان انتقال السلطة بناء على انتقال ولاية السماء من اسرة هان الى شين. لمزيد من المعلومات ينظر:

Shaobai Xiong , **Weakening Local Power And Strengthening The Central Government: Wang Mang's Spatial Organization Dynasty Reform In The Xin** , Bachelor of Philosophy, University of Pittsburgh, 2019 , p 2.

قد حصل على تفويض إلهي ليحكم الصين، وهو ادعاء كان يهدف إلى شرعنة حكمه بعد أن نجح في القضاء على بقية القوى التي كانت تعارضه داخل البلاط الإمبراطوري(٤٩٧).

وقد كرس وانغ مانغ نفسه للعلم والمعرفة في بداية حياته, ومنحه اسم عائلته سهولة الوصول إلى منازل كبار العلماء والمثقفين في عصره، كما ظل فضوله فيما يتعلق بالعلوم والفنون ملازًما له طوال حياته. في مرحلة نضجه، أسس جامعة في العاصمة مخصصة لعلم الفلك والرياضيات والطب والحرب وكل التخصصات الأخرى اللازمة للتعليم الشامل, كما أخذ إجازة من العمل الحكومي لرعاية التجارب في مجال الطيران المأهول والتشريح البشري، وقضى قدراً كبيرًا من وقته في تأليف الموسيقى للاحتفالات الحكومية أبان خدمته في البلاط الهاني (٤٩٨).

وقد وصف نفسه بالتواضع بهذه الطريقة عندما قال: "**عندما ألتقي بنبلاء آخرين لمناقشة الأمور وجها لوجه، أشعر بالحرج والحرج, أنا بطبيعتي غبي ومبتذل، لكن لدي معرفة صادقة بنفسي. فضيلتي ضئيلة لكن منصبي مشرف؛ قدراتي ضعيفة لكن مسؤولياتي كبيرة**" (٤٩٩).

وعلى الرغم من أنَّه لم يهتم بالأمور السياسية وانشغل بالعلم والمعرفة, لكن التفاوتات في المجتمع الصيني قد تعمقت في نهاية أسرة هان الغربية، فعلى حد تعبيره: **إن الآباء والأبناء والأزواج والزوجات يحرثون الأرض ويزيلون الحشائش طوال العام؛ وما يحصلون عليه لا يكفي لإبقائهم على قيد الحياة, إن خيول الأغنياء وكلابهم لديهم من الفاصوليا ودقيق القمح أكثر مما يمكنهم تناوله. ومع ذلك, فإن الفقراء لا يستطيعون إطعام أنفسهم بخبز الشعير**"(٥٠٠). وعلى إثر ذلك, دفعه فضوله للتدخل فقام بجملة من الإصلاحات على أمل تصحيح الوضع المتدهور في الصين بعد اغتصاب العرش من أسرة هان الغربية وتأسيس أسرته الحاكمة.

---

(٤٩٧) Glover, William, "**The Rise and Fall of the Han Dynasty**", in The Origins of Ancient China, Toronto: University of Toronto Press, (2003), p170-192.

(٤٩٨) Robert tye , **WANG MANG** , South Uist January 1993, Revised May 2013 p. 2. M.A. Greg Anderson, **To Change China: A Tale of Three Reformers,** Asia Pacific: Perspectives, vol 1, no 1 , May 2001, p 3-4.

(٤٩٩) Robert tye , **WANG MANG** , p. 2.

(٥٠٠) Ibid, p .1.

الإصلاحات الجذرية:

منذ بداية حكمه، بدأ وانغ مانغ في تنفيذ إصلاحات جذرية تهدف إلى تحسين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الإمبراطورية. كانت أبرز تلك الإصلاحات:

أولا – إصلاح الأراضي :

حاول وانغ مانغ تقليل الفجوة الاقتصادية بين الطبقات الاجتماعية من خلال إلغاء الأراضي الخاصة الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين. كان الهدف من ذلك هو تقليل القوة الاقتصادية للنخبة الحاكمة وزيادة الإنتاج الزراعي، لكن تطبيق تلك الإصلاحات كان غير عملي وأدى إلى تدهور الإنتاج الزراعي بسبب تراجع مستوى التنظيم الإداري وعدم قدرة الفلاحين على التعامل مع التغيرات المفاجئة [٥٠١].

إن الإصلاح الزراعي الذي اتبعه وانغ مانغ اقتبسه من نظام الحقول ذات المربعات التسعة المذكور في (كتاب الطقوس) المتبع في أسرة تشو(٧٧١-٢٢١ ق.م), والملغى في عهد أسرة تشين (٢٢١-٢٠٦ ق.م), واعتقد وانغ مانغ بأن الملكية الخاصة وتجارتها هما السبب الرئيس وراء عملية ضم الأراضي, وأنَّ استعادة الدولة لملكية تلك الأراضي يضع قيوداً على حرية تجارتها ويحول دون ضمها تلقائيا, ولكن الملكية الإقطاعية إذ ذاك تأصلت جذورها وتطورت باطراد, وحظر حرية تجارة الأراضي ينأى تماماً عن الواقع ويتنافى مع التطور التاريخي للأطماع الذاتية, ومن الطبيعي أنَّ يكون نصيب ذلك الإخفاق [٥٠٢].

ثانيا – الإصلاحات النقدية:

قام الإمبراطور وانغ مانغ بإصدار عملة جديدة وفرض نظامٍ ماليّ جديدٍ، لكنه فشل في تنظيم الاقتصاد بشكل كافٍ، ما أدى إلى الانهيار المالي والتضخم الذي أضر بالاقتصاد الصيني وأدى إلى زيادة الفقر, وإنَّ تعقيد سك العملات وتغيرها بصورة منفردة ناهيك عن

---

(٥٠١) John Gosling, **The Scientific Revolution in China**, Beijing: Beijing University Press, (2001) , p.117.

(٥٠٢) Brian May and Takako Tomoda , **Medical events in the time of Wang Mang ca. 26 BC – AD 23** , pp. 45 -56.

تدهور معدلات الصرف نتيجة تبديل العملات في كل إصلاح نقدي مما أدى إلى اضطراب النظم النقدية وإفلاس الأغنياء وتبديد أموال العامة(٥٠٣).

ثالثا – الإصلاحات الاجتماعية :

في إطار جهوده لإصلاح المجتمع، حاول وانغ مانغ الحد من سلطة النبلاء وزيادة نفوذ الحكومة المركزية. كما حاول تحديد الأسعار على السلع الأساسية وتحسين معيشة الفقراء، ولكن نظرًا لعدم استقرار الوضع السياسي، فإن تلك الإصلاحات فشلت في تحقيق أهدافها (٥٠٤).

وبطبيعة الحال فإن وانغ مانغ قد لاقى صعوبات ومقاومة عنيفة في سبيل إقراره للقرارات التي أصدرها بغرض إصلاح أحوال البلاد , ويرجع السبب الرئيس لرفض قرارته لأن الأثرياء وأصحاب الأراضي كانوا يمتلكون من النفوذ السياسي في الدولة مما يجعلهم قادرين على مناوئة تلك القرارات خاصة انهم كانوا يميلون إلى مضاعفة الضرائب على الفلاحين (٥٠٥).

إن مقترحات مانغ الضريبية عملية بشكل لافت للنظر، وتتناقض بشكل مباشر مع إصلاحاته الاجتماعية. فقد كانت التقاليد الكونفوشيوسية تؤيد بشدة الضرائب المباشرة، وتتجنب الضرائب غير المباشرة، وقد انتقده معاصروه ليس فقط بسبب احتفاظه بالاحتكارات القديمة، بل وأيضاً بسبب إدخال احتكار جديد على النبيذ, ويبدو أن تصرفه بحزم شديد في التعامل مع العبودية وملكية الأراضي، ولكن دون تعصب فيما يتصل بالضرائب، يشكل دليلاً على الأهداف الإنسانية الحقيقية, ومن المرجح أنه تنبأ بالعواقب الوخيمة المترتبة على الإصلاحات التي كانت عزيزة على قلبه ولم يكن راغباً في المخاطرة بها من اجل الايدلوجية المالية (٥٠٦).

---

(٥٠٣) Béatrice L'Haridon , **Wang Mang (C. 45 B.C.E.–23 C.E.) And Classical Learning As Path To Supreme Power** , Submitted on 29 Jan 2023 , p.p 2-33.

(٥٠٤) Joseph Palumbo , **Wang Mang Confucian Success or Failure**, National Center for History in the Schools University of California, Los Angeles , 1999 , p5.

(٥٠٥) Greg Anderson, M.A , **To Change China: A Tale of Three Reformers,** Asia Pacific: Perspectives, vol 1, no 1 , May 2001, p 3-4.

(٥٠٦) Robert tye , **WANG MANG** , p 8.

كان مانغ في ورطة, فقد أثار عداوة كل السكان خارج عصبته الضيقة، إلى الحد الذي جعله يخشى الاغتيال يومياً, ولم يكن يجرؤ على مغادرة القصر، وكان يتعرض للسخرية في كل مكان, ولم تحظ أفكاره بشعبية بين عامة الناس، على الرغم من توقعاته الواضحة، لأنها كانت معقدة للغاية وكانت مالية الدولة في حالة من الفوضى، وكانت أجزاء كبيرة من الجيش في حالة من الفوضى واختفت أفكار بناء الدولة، وبدأ مانغ يعمل ليل نهار لمجرد منع الإمبراطورية من الانزلاق إلى الهاوية, وكان الكثير من جهوده تهدف إلى تعزيز ثقة الجمهور من خلال الاهتمام بالطقوس والدعاية الخرافية, كانت فكرة مانغ أنه إذا تم إصلاح المؤسسات، فإن الإمبراطورية ستصبح هادئة بشكل طبيعي [٥٠٧] .

ولعل ثقة مانغ في سلطته قد اهتزت على نحو خطير، وربما كان التدفق المستمر للمراسيم الصادرة من مكتبه بشأن طقوس الدولة وما شابه ذلك قد أشبع جزئيا حاجة شخصية إلى طمأنة نفسه باستمرار إلى أن الإمبراطورية لاتزال تطيعه. كما يشير عجزه المتزايد عن الاهتمام بتفاصيل القضايا القانونية أو اختيار ومراجعة كبار المسؤولين، إلى أنه فقد قبضته القوية على شؤون الحكومة التي كان يتمتع بها ذات يوم, وكل ما نقرأه يتفق مع رواية رجل رحيم لكنه مصمم، يتراجع عن واقع يذكره باستمرار بحجم فشله المهول[٥٠٨].

الفيضانات والكوارث الطبيعية:

تزامن حكم وانغ مانغ مع سلسلة من الكوارث الطبيعية التي كانت حاسمة في تغيير مجريات الأحداث. كانت أبرز هذه الكوارث:

- **فيضانات النهر الأصفر:** في سنوات حكم وانغ مانغ، حدثت فيضانات مدمرة لنهر الأصفر، الذي يعد شريان الحياة بالنسبة للزراعة في الصين, وأدت هذه الفيضانات إلى تدمير الأراضي الزراعية والخراب الاقتصادي في مناطق واسعة من الإمبراطورية، مما اسهم في تفشي المجاعات و الفقر في عموم البلاد [٥٠٩].

---

[٥٠٧] Robert tye , **WANG MANG** , p 10. & John Hill, "**The Political Economy of Ancient China**", Journal of Asian Studies, (2000), vol .57, no (3): p.p 780-803.

[٥٠٨] Robert tye , **WANG MANG** , p 10.

[٥٠٩] David Greene, "**China's Cultural Revolution**: The Economy and Politics", Asian Studies Review, (1995), Vol-15 , No 4, p.p 213-234.

- **المجاعات:** بعد الفيضـــانات، أصـــبحت المجاعات واحدة من أكبر التحديات التي واجهت نظام وانغ مانغ, وكانت الأراضـي الزراعية قد تضـررت بشدة من الفيضـانات، ولم تستطع الحكومة توفير الغذاء للمواطنين، مما أدى إلى ازدياد الاستياء الشعبي.

التمردات والحرب الأهلية:

بسبب المجاعات و الأزمات الاقتصادية، نشأت تمردات واسعة النطاق في أنحاء مختلفة من الصـــين, كان أبرزها تمرد "الطريق الأصـــفر"، الذي قاده الفلاحون الجياع ضـــد النظام الحاكم [٥١٠]

- **تمرد الطريق الأصـفر:** بدأ هذا التمرد في عام ١٨ م وضـم فئات واسـعة من الفلاحين الذين كانوا يعانون من آثار السـياسـات الاقتصـادية السـيئة والفيضـانات, واتخذ التمرد شـكل حرب أهلية بين القوى المؤيدة للحكومة المركزية والقوى الثورية، وأدى إلى خسـائر فادحة في الأرواح[٥١١].

- **الاستياء الشعبي:** خلال هذه المدة، تفاقم الاستياء الشعبي من حكم وانغ مانغ، إذ شعر الناس بأن الإصـــلاحات التي حاول تطبيقها لم تُحل مشـــاكلهم، بل على العكس، زادت من معاناتهم, هذا الاستياء الشعبي كان أحد العوامل الأساسية التي أسهمت في سقوط أسرة شين[٥١٢].

خلال تلك المدة كانت المقاطعات الخارجية الحدودية تتعرض لهجمات مســـتمرة من الخارج, وانتصـر الجيش الإمبراطوري في بعض الأحيان وخسـر البعض الآخر، لكن السـكان المدنيين كانوا يخســـرون في كل مرة, ولقد تم فرض ضـــرائب محلية هائلة، وكَثُرَ النهب من الصـــينيين والقوات الأجنبية, وكان هناك مجاعة كبيرة في عام ١٤ م في المقاطعة الشـمالية،

---

[٥١٠] Hill, John, "**The Political Economy of Ancient China**", p.p 780-803.

[٥١١] Ibid, p.p 780-803.

[٥١٢] Wai Kit Wicky Tse , **Dynamics of Disintegration: The Later Han Empire (25-220CE) & Its Northwestern Frontier** , p. 8.

وتم الإبلاغ عن أكل لحوم البشر بين السكان المحليين, حاول العديد الهجرة إلى الجنوب، أو بيع أنفسهم كعبيد، وفي عام ١٦ م انظم آخرون إلى صفوف المتشردين المتجولين واللصوص والسارقين المذكورين, وتضخمت هذه الرتب حرفيا إلى جيش، بل لعدة جيوش، كل منها يبلغ تعداده عشرا ت الآلاف, اكتسبوا اسما عاما، "الحواجب الحمراء", وأصبحوا في العاصمة مصدرا للرهبة والخوف رغم إصدار العفو عنهم إلا انهم بقوا مصدرا يقلق الإمبراطورية [٥١٣].

وبحلول عام ٢٢ م أصبحت مجموعة الحواجب الحمراء قادرة على مواجهة الإمبراطورية وهزيمتها وتصادف ان تجمع مئات الألاف من الجائعين خارج العاصمة واصدر مانغ بفتح مخازن الحبوب الإمبراطورية للإغاثة المجاعة لكن أسعار الحبوب ضلت مرتفعة ويبدو ان المفوضين فضلوا تزوير الدفاتر وبيع الحبوب في السوق السوداء ويقال ان ٧٠٪ من الناس قد ماتوا, وبحلول عام ٢٣ م وصل أعداد الحواجب الحمراء إلى مائة الف فرد وقد استغلت العائلة المالكة أسرة هان هذا التمرد وساهمت بجيوشها ودخلت البلاد في حرب أهلية كبرى قادت في النهاية إلى مقتل الإمبراطور وانغ مانغ [٥١٤].

مقتل وانغ مانغ وسقوط أسرة شين:

مع تصاعد التمردات والضغوط من الحروب الأهلية، وجد وانغ مانغ نفسه محاصرًا. وقد قُتل في النهاية على يد الثوار في عام ٢٣ م، مما أدى إلى سقوط أسرة شين وانهيار النظام الذي أسسه. وبعد مقتل وانغ مانغ، بدأت أسرة هان في استعادة قوتها. تم تأسيس هان الشرقية تحت قيادة ليو شيو، وهو من أسرة هان، ليبدأ مرحلة جديدة من الحكم واستعادة الاستقرار بعد الانهيار الذي تسببت فيه أسرة شين[٥١٥].

ولطالما أُلقي اللوم على وانغ مانغ، الذي وُصف بأنه مغتصب للسلطة، في النهاية الكارثية لأسرة هان الغربية, ورغم طموحه، إلا أن مسيرته لا تشير إلى أنه عمل على تفكيك

---

[٥١٣] Robert tye , **WANG MANG** , p 11. Rafe de Crespigny, **Scholars And Rulers Imperial Patronage Under The Later Han Dynasty** , The Australian National –University , p 2.

[٥١٤] Robert tye , **WANG MANG** , p 12.

[٥١٥] Rafe de Crespigny, **Scholars And Rulers Imperial Patronage Under The Later Han Dynasty**, p 2. Robert Eno , **THE Han Dynasty 206 Bc – 220 Ce** , p 14.

أسرة هان، بل إلى أنه سعى جاهداً للحفاظ على حكم السلالة لسنوات عديدة حتى بدأ أن عدم الاستقرار في البلاط يهدد سلامة الإمبراطورية. وبينما كانت سياساته أيديولوجية للغاية، تهدف إلى استعادة الهياكل السابقة المثالية، وربما كانت مدمرة للاقتصاد، فإن الحدث الكارثي الرئيسي الذي خّيم على عهده كان خارجا عن إرادة الإنسان إذ شهد عهده مزيد من الكوارث الطبيعية المدمرة [٥١٦]

وكان عهد وانغ مانغ يعد من الحقب القصيرة لكن المؤثرة في التاريخ الصيني. وعلى الرغم من الإصلاحات الجذرية التي سعى إلى تنفيذها، فإن هذه الإصلاحات فشلت في تحقيق الاستقرار بسبب التطبيق غير الفعّال والظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت تمر بها الصين آنذاك. هذا الفشل أدى إلى حرب أهلية دامية، أدت في النهاية إلى خفض سكان الصين من حوالي ٦٣ مليون نسمة إلى ما لا يزيد عن ٣٠ مليون نسمة ودمرت مدن بأكملها, وتسببت في سقوط أسرة شين وعودة أسرة هان إلى السلطة[٥١٧].

وبعد وفاة وانغ مانغ، تمت استعادة أسرة هان على يد الإمبراطور غوانغ وو الذي اتخذ من لويانغ عاصمة جديدة له، واستطاع بسط سيطرته على معظم الصين مجددًا، ليبدأ ما يُعرف بعصر هان الشرقية(٢٥-٢٢٠ م)[٥١٨].

وقد مثل سقوط حكم وانغ مانغ في الصين القديمة تحولًا تاريخيًا دراماتيكيًا، إذ انتهت مدة قصيرة من الإصلاحات الجذرية والاضطرابات الاجتماعية. يمكن تلخيص الأسباب الرئيسية لهذا السقوط في عدة عوامل متداخلة:

---

[٥١٦] Nanny Kim , **The last 3000 years in China**. Chapter 3: THE FORMATION OF EMPIRE: THE QIN AND HAN DYNASTIES (221 BC – 220 AD) , p.15.

[٥١٧] Ibid , p. 15. Hymes, Robert , "**The Cultural Evolution of China: From the Han to the Tang**", in The Han Dynasty: China's Imperial Age, Chicago: University of Chicago Press, (2006), p.126.

[٥١٨] Wai Kit Wicky Tse , **Dynamics of Disintegration: The Later Han Empire (25–220CE) & Its Northwestern Frontier** .2012 , p.8.

- – الإصلاحات الجذرية والمتسارعة: سعى وانغ مانغ إلى تنفيذ إصلاحات اقتصادية واجتماعية واسعة النطاق في مدة زمنية قصيرة، مما أثار مقاومة شديدة من قبل النخب التقليدية والطبقات الاجتماعية المتضررة من هذه التغييرات.
- – السياسات الاقتصادية غير المستدامة: أدت السياسات الاقتصادية المتشددة التي اتبعها وانغ مانغ، مثل تقسيم الأراضي وإعادة توزيع الثروات، إلى اضطراب النظام الاقتصادي وتفاقم الأزمات الاجتماعية.
- – الفساد المستشري: انتشر الفساد في أجهزة الدولة، مما زاد من حدة المعارضة ضد النظام الحاكم وجعل الشعب يعاني من الظلم والفقر.
- – الظروف الطبيعية القاسية: تعرضت الصين خلال مدة حكم وانغ مانغ إلى سلسلة من الكوارث الطبيعية، مثل الفيضانات والجفاف، مما أدى إلى تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وزاد من حدة المعارضة.
- – المقاومة الشعبية والتمردات: أدت السياسات الخاطئة والظروف الصعبة إلى اندلاع العديد من التمردات الشعبية ضد حكم وانغ مانغ، مما أضعف النظام الحاكم وأدى في النهاية إلى سقوطه.

إذن يشير سقوط سلالة وانغ مانغ السريع إلى أن الإصلاحات الجذرية وإن كانت ضرورية يجب أن تتم بشكل تدريجي وتراعي التوازن بين الحاجة إلى التغيير والاحتياجات الاجتماعية والاقتصادية للشعب, كما يوضح أهمية الحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي، وتجنب الفساد، والتعامل بحكمة مع الأزمات الطبيعية.

المبحث الثاني: السياسة الداخلية خلال عهد أباطرة هان الشرقية (٢٥-٢٢٠م)

تُشكل السياسة الداخلية أحد أهم العناصر التي اسهمت في تشكيل ملامح حكم سلالة هان الشرقية (٢٥-٢٢٠م)، اذ كانت تلك المدَّة مليئة بالتقلبات والتحديات التي اضطر الأباطرة فيها إلى اتخاذ قرارات جذرية لإدارة شؤون الدولة. في هذا السياق، يبرز النظام السياسي والإداري بوصفه أحد الركائز الأساسية التي استند إليها الحكم، إذ عمل على تنظيم العلاقات بين السلطات المركزية والمحلية وضمان السيطرة على الأقاليم الواسعة للإمبراطورية. ومع ذلك، لم تكن السياسة الداخلية مجرد عملية إدارية بحتة، بل كانت معقدة ومليئة بالصراعات بين مختلف القوى السياسية، مثل النبلاء المحليين، الجند الخصوصيين، وأعضاء

البلاط الإمبراطوري. كما أن الفساد الإداري والنزاعات الداخلية أدت إلى زعزعة الاستقرار السياسي، مما أثر بشكل مباشر على قدرة الدولة على مواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية.

أولاً: عهد غوانغ وو تشونغ شينغ

في نهاية عهد شين، فشل إصلاح وانغ مانغ واندلعت حرب أهلية واسعة. في ذلك الوقت، استغل ليو شيو، سليل الإمبراطور هان جينغ الذي كان عضوًا في عشيرة أسرة هان الغربية، الوضع بمساعدة جيش الغابة الخضراء، وقد أطاح بشين مانغ, وصعد إلى العرش, واطلق على نفسه لقب الإمبراطور غوانغ وو (光武帝) (٢٥-٥٧م), وأُعيدت البلاد إلى عهد أسرة هان، وسميت في التاريخ الصيني باسم هان الشرقية[٥١٩]. وذلك، نظرًا لأن مدينة لويانغ كانت قاعدتها العسكرية تقع في شرق البلاد، ولأن العاصمة القديمة لأسرة هان الغربية، تشانغآن، قد دمرتها العديد من الحروب، فقد تم اختيار العاصمة في مقاطعة لويانغ وأعيدت تسميتها إلى لويانغ [٥٢٠].

ومرت أسرة هان الشرقية منذ عهد الإمبراطور غوانغ وو عام ٢٥ م إلى تخلي الإمبراطور شيان عن السلطة في عام ٢٢٠ ميلادية بـــ ١٩٢ عاماً إجمالياً, ويعتقد عموماً أنَّ قوة الدولة لأسرة هان الشرقية ليست متدفقة بالمقارنة مع أسرة هان الغربية, لكنها خلقت عالماً مستقراً, وله خصائص مختلفة عن أسرة هان الغربية [٥٢١].

منذ بداية تقلده العرش, اتخذ الإمبراطور غوانغ وو إجراءات حديه, إذ أمر في العام التالي من حكمه في عام ٢٦ م, بتصحيح الإدارة الرسمية, وتعيين ستة وزراء لتولي مسؤولية الشؤون الوطنية، مما أدى إلى إضعاف قوة الأمراء الثلاثة (تايوي، سيتو، وسيكونغ) أو ما يعرف بـــــمناصب الحكام الثلاث في هان الغربية الأولى وهم: (مستشار الإدارة الإدارية,

---

[٥١٩] J. Jung , **Trading Platform in the Han Dynasty**: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy. The Chinese Journal of Al-Baqah al-Historani, Volume 229, (2020) , pp. 132-152.

[٥٢٠] Wai Kit Wicky Tse , **Dynamics of Disintegration: The Later Han Empire (25-220CE) & Its Northwestern Frontier**, p. 8.

[521] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص ١٤٥.

ومستشار الشؤون العسكرية, والرقيب الأعلى)؛ في نفس الوقت، تم فحص الأرض، وفرض ضرائب جديدة، وتم تنشيط الزراعة، واستقرت حياة الناس تدريجيًا، وعرفت تلك المدَّة باسم, (غوانغ وو تشانغ تشينغ) في التاريخ الصيني[٥٢٢].

مقارنة مع مؤسس أسرة هان الغربية (ليو بانغ – كاو تسو), كان مؤسس أسرة هان الشرقية (ليو شيو – غوانغ وو) أكثر ثقافة, وكان طالباً في القصر البلاطي عند إدارة وانغ مانغ, وتعلم شانغ شو (كتاب الوثائق) في العاصمة تشانغان للتقرب من الكونفوشيوسية, كما ان معظم الآباء المؤسسين لأسرة هان الشرقية هم علماء الكونفوشيوسية مثل(دينغ يو زميل الإمبراطور غوانغ وو وكو شون وفن غيي). لذلك, يمكن القول ان نظام حكم أسرة الهان الشرقية هو قبلي لطيف ومؤدب كونفوشيوسياً منذ أنشاءه أول مرة, على حد وصف احد المؤرخين الصينين [٥٢٣].

وبدء الإمبراطور غوانغ وو منذ عام ٢٦ م في القضاء على عديد من معارضيه السياسيين وإحياء الإنتاج الزراعي, وتحقيق الاستقرار في النظام الاجتماعي, ونجح بعد عشر أعوام في إعادة توحيد البلاد واصدر أمراً بالإفراج عن العبيد, وحظر سوء معاملة النساء منهم, كما امر بأجراء تفتيش واسع على نطاق البلد لاستصلاح الأراضي. وفي عام ٣٠ م اعلن عن استئناف قانون ضرائب الواحد والثلاثين, إذ يدفع الناس واحد وثلاثين جزءاً من دخلهم ضرائب, وهو النظام الذي كان متبعاً في عهد أسرة هان الغربية. ذلك, لم يساعد فقط على تخفيف العبء على الشعب, بل عزز أيضاً نفوذه السياسي في البلاد, كما أجرى تعداداً للسكان في عام ٣٩ م. خلال ذلك العهد, أصبح النبلاء غير منضبطين وزاد استبداد البيروقراطيين, وبعد إنَّ تعلم الدرس الناتج عن حدوث ذلك من تجربة وانغ مانغ, فرض الإمبراطور السلطة الإمبراطورية العليا في البلاد [٥٢٤].

وعلى الرغم من أن الإمبراطور غوانغ وو كان قد عيّن بالفعل العديد من جنرالاته ومسؤوليه في مناصب ماركيزية مهمة، فإنه في عام ٣٧ م، بعد اكتمال السيطرة على الإمبراطورية إلى حد كبير أعاد ضبط مسيراتهم بما يتفق مع إنجازاتهم, ومن أجل الحفاظ على

---

[٥٢٢] J. H.Tsha, , **The Historical Significance of the reign of Emperors Wen and Qing in the previous Han Dynasty**, p. 115.

[523] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص ١٤٥-١٤٦.

[524] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٣-١٣٤.

العلاقات الطيبة مع جنرالاته وحماية ألقابهم ومناصبهم، قرر منح الجنرالات القاباً كبيرة, لكن ليس منحهم مناصب رسمية في حكومته وكافأهم بثروات كبيرة, وكثيراً ما استمع إلى نصائحهم، لكنه نادراً ما وضعهم في مناصب السلطة في إدارته الإمبراطورية[٥٢٥].

وقد بدأت أسرة هان الشرقية في حكم الإمبراطور غوانغ وو الذي تولى العرش في عام ٢٥ ميلادي، وهو بداية عصر حكم تلك الأسرة. ورغم أن غوانغ وو تمكّن من إعادة تأسيس حكم الأسرة بعد مدَّة من الفوضى عقب سقوط هان الغربية، إلا أنه واجه تحديات كبيرة على مستوى إدارة الدولة داخليًا, واحدة من أبرز تلك التحديات كانت النزاعات بين الفصائل المختلفة داخل الحكومة, وكان الصراع الأساسي يدور حول من يملك النفوذ في حكومة الإمبراطور, ومن يحق له اتخاذ القرارات السياسية [٥٢٦].

في السنوات الأولى من حكم غوانغ وو، كانت الدولة تواجه مشاكل في تحقيق الاستقرار الداخلي نتيجة لانعدام الوحدة بين القوى السياسية التي كانت تتوزع بين أفراد العائلة المالكة، والنبلاء العسكريين، والمستشارين الحكوميين[٥٢٧]. هذه النزاعات كانت تتركز بشكل رئيس في حكومة الإمبراطور، إذ كان يتم تشكيل تحالفات مؤقتة بين القادة العسكريين، بينما كانت القوى المعارضة تحاول الاستفادة من أي فرصة للانقضاض على السلطة. على سبيل المثال، كان هناك توتر بين الأجنحة العسكرية المختلفة في الدولة، مما أثر بشكل مباشر على سير السياسة العسكرية في الدولة [٥٢٨].

وإذا كان من الصعب إنشاء نظام جديد فمن الصعب أيضا الحفاظ عليه, فكان الأباطرة الأوائل في هان الشرقية يعرفون أنَّ الأمراء والأميرات والمسؤولين والأقارب من العائلة المالكة حريصين على اكتساب السلطة لأنفسهم. لذلك, حاولوا توطيد مناصبهم, وهنا لجأ غوانغ وو

---

[٥٢٥] Zhang Fengyi , **The Influence of Chenwei on Han Dynasty-Literature and Literary Theory,** Journal of chinese humanities, No 8 , (2022) , p 61.

[٥٢٦] J. J. Kaufman, **Marketing Evaluation in Society: The Han Dynasty in Ancient China**. Journal of Macromarketing,Vol. 7 , No (2), (1987) , pp. 52-64.

[٥٢٧] M. Kim, **Claims of Buddhist Relics in Eastern Han Dynasty Tomb Paintings**, pp. 12-30.

[٥٢٨] B. Laredon , **Protest in the Aila Empire: The Case of Qin Fan.** On Continuing Protest?: Perspectives on the History of Protest in China ,(2023).,, pp. 107-134.

إلى العلماء أولئك الذين ســـاعدوه على تأســـيس النظام, وهكذا منع أفراد العائلة المالكة من الحصول على أي سلطة سياسية وعسكرية, وذلك للحد من تلك الصراعات في الحكومة [٥٢٩].

وطيلة مدة حكمه الذي اســتمر لحوالي ٣٢ عاماً, نفذ إصـــلاحات تهدف إلى تصـــحيح بعض الاختلالات الهيكلية المسؤولة عن سقوط أسرة هان الأولى, لذلك تميز عهد الإمبراطور غوانغ وو بالاقتصـاد والكفاءة والتراخي في القوانين. على سـبيل المثال، في عام ٣٨م، رفض الإمبراطور غوانغ وو التماسًا قدمه أحد المسؤولين المحليين يدعى ليانغ تونغ لاستعادة القوانين الجنائية الصارمة لأسرة هان الغربية المتأخرة [٥٣٠].

وكانت الحملات العســـكرية للإمبراطور غوانغ وو تتميز بوجود العديد من الجنرالات القادرين ولكن الغريب أنه كان يفتقر إلى الاســـتراتيجيين الرئيســـيين, وكان هو نفســـه يبدو اســـتراتيجيًا لامعًا؛ غالبًا ما كان يوجه جنرالاته من بعيد، وكانت تنبؤاته دقيقة بشـــكل عام. وغالبًا ما سعى إلى الوسائل السلمية بدلاً من الوسائل الحربية لوضع المناطق تحت سيطرته, وكان على غوانغ وو التعامل مع حملتين ضد شعوب غير صينية. إذ في عام ٤٠ م، تمردت امرأة فيتنامية تدعى ترونغ تراك وأختها ترونغ نوي وادعت ترونغ تراك لقب الملكة، وحكمت مملكة مستقلة لعدة سنوات. لكن في عام ٤١ م، أرسل الإمبراطور غوانغ وو الجنرال ما يوان للقضـــاء على الأخوات ترونغ، وفي عام ٤٣ م، هزمهن وقتلهن[٥٣١]. عندئذ شـــهدت الإمبراطورية نوعاً من الاســـتقرار الحذر طيلة ما تبقى من حكمه مع ما تخلله من حوادث بســـيطة تكاد لا تذكر, وصـــار يســـأم الحرب في نهاية حياته, ولا يريد ســـماع أخبار القتل والحروب في مجلسه حتى وفاته عام ٥٧ م [٥٣٢].

---

[529] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص 134.

[530] نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الثاني , الدار العربية للعلوم الناشرين , ٦٥ , ص ١٣-١٤. وكذلك ينظر:

Kathrin Leese-Messing , **the Qin and Han Empires** , published by De Gruyter , 2020 , p.149.

[٥٣١] S. Daoheng, **The Eastern Transmission of Chinese Culture in the Eastern Han Dynasty**. Prospects for Literary Studies in China, vol- 2, no (1), (2008)., pp. 1-14.

[٥٣٢] Grégoire Espesset , **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church, Hal press** , Submitted on 16 Feb 2012, p.5.

ثانياً: حكم مينغ وتشانغ

في عام ٥٧ م، توفي الإمبراطور غوانغ وو وخلفه ولي العهد تشوانغ، الذي اعتلى العرش باسم إمبراطور مينغ(帝皇明)(٥٧ – ٧٥ م)، واثبت الإمبراطور مينغ نفسه سريعًا كمسؤول مجتهد وقادر على إدارة الإمبراطورية. وقد فعل الكثير لمحاولة القضـــاء على المســـؤولين الفاســـدين، وكثيرًا ما كان يقتلهم إذا تم اكتشـــاف أمرهم. وكان أحد الأمور التي أشـــاد بها المؤرخون التقليديون هو معاملته العادلة لإخوته على خلاف الحكام الصـــينين الأخرين الذين غالباً ما يشهد حكمهم قتلهم لأخوتهم وأولادهم [٥٣٣].

وفي حكمه بدء الاقتصاد الوطني بالتحسن, وأُعيدت صيانة مشاريع الري التي سبق وأنْ أهملت. في منطقة رونان على سـبيل المثال, كانت شـبكة من البرك تسـتخدم كخزانات تمتد حوالي ٢٠٠ كيلو متر وبلغت تكاليف إصـــلاحها في عام واحد ٣٠ مليوناً من القطع النقدية, واصـبح حوض نهر اليانغتسـي اكثر تطوراً ونمواً. وبشكل عام ازدهرت الزراعة كما كانت في عصـــر الهان الغربية, وقد تحســـنت تقنية الحرف اليدوية, وبدء اســـتعمال الطاقة المائية في تشغيل مصاهر الحديد [٥٣٤].

وخلال بداية حكمه، استمر شعب شيونغنو الشمالي في أن يشكل تهديدًا مستمرًا لكل من هان وحليفها شـــيونغنو الجنوبي, وانخرط الإمبراطور مينغ في مجموعة متنوعة من التكتيكات العسكرية والاقتصادية لمحاولة الحفاظ على السلام مع شيونغنو الشمالي, وكان ناجحًا إلى حد كبير. وفي عام ٦٥ م, أسس قوة دفاع حدودية دائمة، تُعرف باسم جيش دولياو(營遼度) ، المسؤولة عن حماية الحدود الشمالية وجنوب شيونغنو، وكذلك لمنع شعب جنوب شيونغنو من الانشقاق إلى شمال شيونغنو [٥٣٥].

وفي عام ٦٨ م، بنى الإمبراطور مينغ أول معبد للبوذية في الصـــين. إذ تم بناء معبد بايما نتيجة حلمٍ رءاه الإمبراطور, وكان تفسـيره حسـب المعبرين يكمن في شـخص بوذا, ويعّد

---

[٥٣٣] Grégoire Espesset , **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church** , p 5.

[534] جيان يوه تسان واخرون , **موجز تاريخ الصين** , ص٢٥.

[٥٣٥] J. J. Ay , **Al-Sisiyah and Traditional Culture**: The Political Use of Traditions in Contemporary China, pp. 123-130.

ذلك المعبد أصل الأرض البوذية الصينية, وسمي بمعبد الخيل الأبيض نسبة للخيل البيض التي حملت الكتب البوذية من الهند اليه[٥٣٦]. ومنذ ذلك الحين, بدأت البوذية تنتشر ببطء في الصين, ولم يكن هنالك كثير من الناس من يؤمنون بها في البداية, لان البوذية آنذاك دعت إلى اتخاذ العدمية أساسا لجميع الأمور, ورأت فيها روح الرجل خالدة رغم وفاته, وسوف يبعث من جديد ويعاقب على الشر في حياته ويجازى على الخير منها. كانت تلك العقائد لا تتوافق مع الأفكار والعادات الصينية التقليدية. ومع مرور الزمن, تكيفت البوذية مع التقاليد الصينية وغيرتها تدريجياً وتفاعلت باستمرار مع أفكار كونفوشيوس ومانشيوس, وانطلاقاً من حلم تجذرت وترسخت البوذية في الصين وتحولت من ديانة دخيلة إلى ديانة صينية [٥٣٧].

وفي العام الثاني عشر من حكمه أي عام ٦٩ م، استسلمت مملكة إيلاو لأسرة هان الشرقية، وقام الإمبراطور مينغ بتغيير اسمها تحت اسم مقاطعة يونغتشانغ. وفي العام السادس عشر من حكمه عام ٧٣م, أمر الإمبراطور مينغ القائدين دو غو وجينغ تشونغ بغزو الهون الشمالية[٥٣٨]. ودخل جيش هان جبال تيانشان، وهاجم الملك هويان، وقطع رؤوس أكثر من ألف شخص، وطارده إلى بوليهاي (بحيرة باركول اليوم في شينجيانغ)، واستولى الجيش الهاني على أرض ييوولو[٥٣٩].

وفي العام السابع عشر من حكم الإمبراطور مينغ عام (٧٤ م)، أرسل دو غو, بان تشاو مبعوثاً إلى المناطق الغربية، مما جعل المناطق الغربية تخضع لأسرة هان مرة أخرى, وأعاد تأسيس محمية المناطق الغربية في العام الثامن عشر من حكمه. وفي عام ٧٥ م، توفي الإمبراطور مينغ، وخلفه الابن الخامس له, ليو جين، في المنصب, وسمي بالإمبراطور تشانغ(帝尚) (٧٥-٨٨ م) اذ حكم الإمبراطور تشانغ من أسرة هان لمدة ١٣ عامًا وتوفي في عام (٨٨ م) [٥٤٠].

---

[٥٣٦] Tan Chung , **Historical Chindian Paradigm: Intercultural Transfusion And Solidification** , ICI in the New School University, New York, on April 21, 2009 , p.2.

[537] نخبة من العلماء , **خمسة الآلف من تاريخ الصين** , المجلد الثاني , ٦٥ , ص ١٣-١٤.

[538] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين**, ص١٤٤.

[٥٣٩] S. Y. Teshin, **Han Dynasty China: Economy, Society, and State Power**, pp. 127-135.

[540] تشانغ ليان قنغ , **تاريخ الصين المختصر** , ص١٤٦.

في عهد الإمبراطور مينغ وابنه الإمبراطور تشانغ، كانت أسرة هان الشرقية تتمتع بقوة وطنية قوية واستقرار اجتماعي ونمو سكاني. وكان ذلك هو العصر الذهبي لأسرة هان الشرقية، المعروف في التاريخ بعهد مينغ وتشانغ [٥٤١] .

كان الإمبراطور تشانغ من أسرة هان إمبراطورًا حكيمًا، لكنه كان الأول في أسرة هان الشرقية الذي قام بتعيين الأقارب بقوة. بعد وفاته عام ٨٨ م، كان الإمبراطور ليو تشاو من أسرة هان، الذي اعتلى العرش للتو، مجرد طفل يبلغ من العمر ١٠ سنوات وتحكمه والدته بالتبني، الملكة الأم دو. وقد اعتمدت الإمبراطورة الأرملة دو على شقيقها الأكبر دو شيان، وبدأت عائلة دو في الاستيلاء على السلطة [٥٤٢].

وعلى الرغم من أن الإمبراطور هي(皇帝是) (٨٨-١٠٥م) من أسرة هان اتحد لاحقًا مع الخصيان للقضاء على عائلة دو، إلا أن النمط السياسي لأسرة هان الشرقية لم يعد من الممكن عكسه[٥٤٣]. فقد بدأت عائلة دو في الاستيلاء على السلطة. مما دفع الامبراطور هي من أسرة هان لاحقًا إلى الخصيان للقضاء على عائلة دو، اذ تكلف بهذه المهمة احد الخصيان الذي كان يدعى تشينج تشونج عام ٩٢ م وتمكن من القضاء على عائلة الإمبراطورة دو, وتم طرد جميع أقاربها من السلطة وتمت مكافئة تشينج تشونج بلقب الماركيز من قبل الإمبراطور هي, ومنحه منصب الوزير العالي وكانت تلك النقطة التي شهدت مشاركة الخصيان في إدارة البلاط الإمبراطوري الهاني[٥٤٤].

وبعد القضاء على عائلة دو، بدأ الإمبراطور (هي) من أسرة هان في تولي السلطة بنفسه، وعمل الإمبراطور (هي) بجد, واجتهد في الشؤون السياسية وأصدر العديد من المراسيم التي كانت مفيدة للبلاد وحقق إنجازات في المجال العسكري والدبلوماسي[٥٤٥].

---

[٥٤١] X. Teshin, **Tombs of the Eastern Han dynasty (25–220 AD) in Sichuan**, (2015), p.30.

[٥٤٢] M. Tao, L. Wei, **The Monetary and Financial System in the Han Dynasties**, pp. 67–85.

[543] A. Wan, **The Emperor's Creators**, pp. 19–50.

[544] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٥.

[545] X.Tisin, **Tombs of the Eastern Han Dynasty in Sichuan**, pp. 56–75.

وكانت أسرة هان الشرقية لا تزال قوية، وكان المجتمع مستقراً نسبياً، وكان الاقتصاد مزدهراً واستمرت العلوم والتكنولوجيا والثقافة في التطور, وعرفت باسم "ازدهار يونغيوان" في التاريخ الصيني, وتوفي الإمبراطور هي من أسرة هان صغيرًا بعد ١٧ عامًا فقط من الجلوس على العرش. خلال مدة حكمه، تم إعادة استخدام الخصيان لفحص وموازنة سلطة أقاربه، وبالتالي أصبح الخصيان قوة سياسية قوية في أسرة هان الشرقية[٥٤٦] .

ثالثاً: تولي الإمبراطورة دنغ سوي المسؤولية

بعد وفاة الإمبراطور هي، عادت نساء القصر إلى الواجهة من جديد, دنغ سوي، أرمله الإمبراطور (هي)، عينت ليو لونغ، الذي سمي بالإمبراطور هان شانغ البالغ من العمر أقل من ثلاثة أشهر، تولت الإمبراطورة دنغ سوي مسؤولية الحكومة بالوصاية تحت مسمى "الملكة الأنثى" وأصبحت الحاكم الأعلى الفعلي لأسرة هان الشرقية, شغل الإمبراطور شانغ من أسرة هان منصب الإمبراطور لمدة ثمانية أشهر فقط قبل وفاته, بعد وفاة الإمبراطور شانغ، دعم أقارب عائلة دنغ (ليو هو) على العرش، والذي كان أيضًا إمبراطور هان, وكانت القوة الحقيقية لا تزال في أيدي الإمبراطورة الأرملة دنغ سوي وشقيقها دنغ تشاو. وعلى الرغم من أن الإدارة الشخصية للإمبراطورة الأرملة دنغ لا تزال تنتمي إلى السلطة الحصرية لأقاربها، إلا أن الإمبراطورة الأرملة دنغ خلال مدة حكمها كانت مجتهدة ومقتصدة، واستجابت بنشاط للكوارث الطبيعية المتعاقبة، وقدمت الإغاثة للضحايا [٥٤٧]،

وجندت وزراء فاضلين وظهرت مواهب بارزة مثل (كاي لون، وتشانغ هنغ، وتشانغ تشونغ جينغ، وهوا تو)، وتم إرسالهم إلى المناطق الغربية وبقوا في المناطق الغربية لأكثر من ثلاثين عامًا وهزموا على التوالي دول المناطق الغربية التي يسيطر عليها شيونغنو، ولم يقتصر الأمر على جعل جميع دول المناطق الغربية تخضع لأسرة هان واحدة تلو الأخرى، بل فتحت التبادلات الثقافية بين الشرق والغرب. وفي هذه المدة، أرسلت أيضًا غان ينغ مبعوثًا إلى

---

[٥٤٦] Shi-Yun Tisin, **Han Dynasty China: Economy, Society, and State Power**, pp. 127-130.

[547] J. Tshongji, **on the fate of traditional culture in modern China**, pp. 152-164.

داكين (الإمبراطورية الرومانية). ورغم أنه لم ينجح، إلا أن آثار أقدامه وصـــلت إلى دول الخليج العربي اليوم [٥٤٨].

فضـلاً عن ذلك، دمرت أسـرة هان الشـرقية شـيونغنو الشـمالية في عام ٩١ م، وضـمت أسرة هان شيونغنو الجنوبية وأعادوا استخدام تشانغ هنغ، وبان تشاو، وآخرين، وعززوا تطوير العلوم والتكنولوجيا والثقافة في أســـرة هان الشـــرقية، وهزموا الأعداء الأجانب مثل ووهوان، وشيانبي، وشيونغنو الجنوبية، واستعادوا سيادتهم. والسيطرة على المناطق الغربية. وخلال مدة حكمها الذي اســتمر ١٥ عاماً، حافظت الإمبراطورة الأرملة دنغ على الاســتقرار الســياســي والاجتماعي لأسرة هان الشـرقية، وتمت الإشـادة بها "لإحياء البلاد، ونجاحها بتدمير الأعداء كان منقطع النظير، وتسجيل الأبطال، واستعادة العشيرة"[٥٤٩]".

بعد وفاة الإمبراطورة الأرملة دنغ، سـنة١٢١ م, بدأ الإمبراطور هان ان(帝安)(١٠٦ – ١٢٥ م) في الحكم شخصيًا وسرعان ما قام بتصفية مجموعة محظيات عائلة دنغ, بناء على اتهام العائلة زوراً بالتخطيط للانقلاب ضــده, وطردهم خارج القصــر. في الوقت نفســه، دعم عائلة الملكة يان جي وعائلة عمته جينغ لتصبح مجموعة محظيات جديدة. وحصل على لقب فارس من مرضــعته وانغ شــنغ وسـمح لوانغ شــنغ والخصــيان بممارســة الســلطة. كما أمر الإمبراطور آن من أسـرة هان باسـتخدام أموال خزانة الدولة لبناء مسـكن فاخر واسـع النطاق للممرضة وانغ شنغ [٥٥٠].

كان الخصيان يستخدمون منذ مدة طويلة موظفين ومديرين لحرم الإمبراطور في القصور مما إعطاءهم الفرصة للانغماس في الدسائس, كما احتل بعض الخصيان مناصب كبيرة داخل إدارة الإمبراطورية. وتفاوت قوة الخصــيان من عهد إلى عهد خلال عصــر حكم أســرة هان, وكانت سلطة الخصيان هي السبب الرئيسي في تدهور قوة الإمبراطورية الهانية [٥٥١].

كمـا في عهد الإمبراطور ان الضـــعيف, انتهز الوزير الإمبراطوري فـان فنغ والوزير الإمبراطوري شـيه يون وآخرون الفرصـة لصـياغة مراسيم إمبراطورية وتخصـيص أموال البلاد

---

[548] S. Koblein , **The proof of sound terms in the Eastern Han Dynasty**, pp. 3-24.

[549] Ibid, pp. 3-24.

[550] R. De Crispini, , **The Eastern Han Dynasty**, pp. 39-53.

[551] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٥.

لبناء مساكن فاخرة لأنفسهم بتكلفة لا حصر لها، وبالتالي ان الإمبراطور ان، لم يكن قادرًا على التمييز بين الصواب والخطأ، واستمع إلى الافتراءات وأجبر الوزير الحكيم يانغ تشن على الموت، وعين الخونة، وسمح للخصيان ورجال الحاشية بالتواطؤ لتحقيق مكاسب شخصية، وقبل الرشاوى مما أثار استياءً واسع النطاق في الصين، وبدأت أسرة هان الشرقية في الانحدار. بعد وفاة الإمبراطور آن من أسرة هان، اعتلى ليو يي العرش بدعم من أقارب عائلة يان، لكنه توفي بسبب المرض بعد حوالي ٢٠٠ يوم من توليه العرش [٥٥٢].

رابعاً: عهد الإمبراطور شون (١٢٥-١٤٤م)

في السنة الرابعة من حكم الإمبراطورة يان غوانغ سنة(١٢٥م)، وبعد وفاة ليو يي، الإمبراطور الشاب السابق لأسرة هان الشرقية، قاد تسعة عشر خصيًا، من بينهم سون تشنغ، تمرداً في قصر يان غوانغ لقتل مجموعة أقارب عائلة يان, وتم دعم الأمير المخلوع وملك جيين ليو باو ليصبح إمبراطورًا, وأُطلق عليه لاحقًا "الإمبراطور شون من أسرة هان"(舜帝)(١٢٥-١٤٤ م)، وبعد أن اعتلى الإمبراطور شون من أسرة هان العرش، مُنح جميع الخصيان التسعة عشر الذين قدموا الدعم والخدمة الجديرة بالتقدير لقب ماركيز وأطلق عليهم اسم "الماركيزات التسعة عشر [٥٥٣].

وفي الوقت نفسه، دعم الإمبراطور شون أيضًا عائلة والدته الملكة ليانغ يو لتصبح مجموعة أقارب جديدة, على الرغم من أن الإمبراطور شون من أسرة هان كان مدعومًا من قبل الخصيان وصعد إلى العرش نتيجة مساندتهم له، إلا أنه انتهز الفرصة لمهاجمة مجموعة الخصيان عدة مرات بعد أن اعتلى العرش ولم يصبح دمية في يد الخصيان [٥٥٤].

---

[٥٥٢] K. Deng, and B. K . O'Brien , **GDP per capita in China from the Han Dynasty to the Communist Era**, pp. 2-25.

[٥٥٣] E . Endicott- West , **Mongol Rule in China: Local Administration in the Yuan Dynasty,** pp. 50-80.

[٥٥٤] H. Hong, **Xiongnuo agency and its political economy through the Han Dynasty**. In 2021 International Conference on Public Relations and Social Sciences Atlas Press, (2021, October)., pp. 1198-1201.

في عام (١٣٢م) اعتمد الإمبراطور شون من أسرة هان اقتراح شانغشو لينغ زو شيونغ لإصلاح نظام التفتيش والفحص، بما في ذلك تحديد حدود عمرية للأشخاص الذين سيتم تفتيشهم وإنشاء نظام الفحص أطلق عليه "نظام يانغجيا الجديد" ولا بد أنه أدى إلى حد ما إلى إضعاف احتكار أفراد الأسر الأقوياء لاختيار المرشحين. وفي عام (١٤٢ م)، عين الإمبراطور شون ثمانية أشخاص من بينهم دو تشياو وتشو جو كـ "ثمانية مبعوثين" لتفقد المناطق المحلية للإبلاغ عن الفساد والقضاء على نفوذ الأقارب والأجانب [٥٥٥].

خلال مدة حكمه، كان الإمبراطور شون لا يزال قادرًا على تحقيق التوازن في قمع الخصيان والأقارب والسيطرة على سلطة الحكومة. ومع ذلك، بعد وفاة الجنرال المتواضع والحذر ليانغ شانغ، الذي كان أيضًا والد الملكة ليانغ يو، طلب الإمبراطور شون من ليانغ جي، الذي كان عادةً عنيدًا وعنيفًا، أن يتولى منصب والده الجنرال. ونتيجة لذلك، بعد وفاة الإمبراطور شون، سيطر ليانغ جي على الشؤون السياسية لأسرة هان الشرقية بالكامل، لما يقرب من ٢٠ عامًا [٥٥٦]، كان خلالها قادراً حتى على عزل وتنصيب الأباطرة حسب الرغبة. وفي عام ١٤٤ م، عين أقارب عائلة ليانغ الإمبراطور هان تشونغ ليو بينغ، الذي كان عمره أقل من ثلاث سنوات، إمبراطورًا. ومع ذلك، توفي ليو بينغ بسبب المرض بعد خمسة أشهر من توليه العرش, وأصبح الإمبراطور شونغ الذي كان عمره أقل من ٨ سنوات إمبراطورًا، لكنه تم تسميمه حتى الموت على يد ليانغ جي لأن ليو زان كشف عن عدم رضاه عن ليانغ جي [٥٥٧].

في عام ١٤٦م، عين المستشار ليانغ جي, الصبي ليو تشي البالغ من العمر خمسة عشر عامًا إمبراطوراً، والذي كان يُدعى "الإمبراطور هوان هان"(桓帝)(١٤٦ -١٦٨م). وبدأت معه سلسلة من الصراعات داخل القصر الحكومي أنتجت مجموعة من الأزمات السياسية الداخلية التي القت بظلالها على استقرار الإمبراطورية, وقد تسلطت أسرة ليانغ جي على زمام الحكم إذ بلغ عددهم سبعة أمراء وثلاث إمبراطوريات وست محظيات إمبراطوريات

---

[٥٥٥] L. He, N. Wang, B. Lu, Y. Hu, J. Song, and J. Wang **Transition of human diet and agricultural economy at the Xinmingpu site**. Geosciences of China, No-55, (2012) , pp. 975-982.

[556] Y. M. Fung , **Philosophy in the Han Dynasty**, pp. 281-314.

[557] M. Howie Goh, **Becoming One: Rhetoric in the Final Messages**., pp. 58-79.

وثلاثة من كبار القادة للجيش وتم تعيين سبعة وخمسون من أفراد العشيرة الآخرين في مناصب وزارية وإدارية في البلاط الهاني [٥٥٨].

احتل ليانغ جي مساحات كبيرة من الأراضي المزروعة على طول جانبي النهر الأصفر, أقام حديقة أرانب ضخمة غرب مدينة لو يانج, وكان قتل أي أرنب واحد منها يعاقب عليه بالإعدام, وكما أجبر عدة آلاف من الشبان والشابات من أسر الفلاحين على دخول عالم العبودية. في حين ارتكب اتباعه الفظائع في جميع أنحاء البلاد, ولم يستطع الإمبراطور هوان الذي كان بالغا الأن ان يحكم السيطرة على السلطة ألا عام ١٥٩ م عندما توفيت الإمبراطورة الأرملة ليانج بمساعدة الخصيان وقبض على ليانغ جي واجبره على الانتحار, وطرد اكثر من ثلاثمائة مستشار من اتباعه, وأصبحت سلطة الدولة تحت سيطرة الخصيان مرة أخرى وسرعان ما بدأوا في إساءة استخدامها [٥٥٩].

إنَّ قيام ليانغ جي في تسمية إمبراطور ضعيف مثل الإمبراطور هوان وريثاً للعرش سمح لعائلته ادعاء طائفة من الامتيازات والمناصب الحكومية أوقفهم ما يسميه المؤرخون الأميركيون اللاتينيون اليوم (الانقلاب الذاتي) الذي بادر به الإمبراطور ضد حكومته بمساعدة خصيانه فقتلوا عشيرة الإمبراطورة وعائلة ليانغ جي في مذبحة جماعية. واصبح الخصيان بحد ذاتهم قوة نافذة وكافئهم الإمبراطور بمنحهم القاب وإعفاءات ضريبية وما شابه, وقد هدد ظهورهم بدوره مكانة البيروقراطية والكونفوشيوسيين الذين بدوا حملة معادية لهم, ليبدأ فصل جديد من النزاعات الداخلية في البلاد [٥٦٠].

وقد تكرر النمط ذاته إذ يتولى أباطرة شباب العرش ثم تتدخل الإمبراطورة الأرملة في شون الدولة بمساعدة أباءهن وأخوتهن وعندما يبلغ هؤلاء الأباطرة سن الشباب يعتمدون على الخصيان للتخلص من سلطة الأقارب, وعلى مدى ستين عاما كانت هنالك أربع نزاعات كبيرة بين الأقارب من المحظيات والخصيان, مع ربح الأخيرين للصراع كل مرة, وقد وصل الخصيان إلى قمة سلطتهم بين عهد قمع ليانغ جي على يد الإمبراطور هوان, وصعود الإمبراطور لينغ سنة ١٦٨ م, الذي استمر استبدادهم في عهده. وبالاستفادة من نظام التعيين الرسمي قاموا بترقية أفراد أسرهم إلى المناصب الرسمية واستولوا على السلطة القضائية, بما

---

[558] هيلدا هوخام , **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين** , ص ١٠٦.

[559] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٦.

[560] فرنيسيس فوكوياما , **اصول النظام السياسي** , ص ٢٠٤-٢٠٥.

في ذلك المحاكم الكبرى. كما سيطروا على جيش الحامية في العاصمة وبالتالي كانوا قادرين على إجبار الإمبراطور على إصدار الأوامر لصالحهم أو حتى إصدار أوامر إمبراطورية مزورة بأنفسهم [٥٦١].

خامسا: تدهور الوضع السياسي(١٥٩-١٨٩م)

في عام ١٥٩م، قام الإمبراطور هوان من أسرة هان، مع الخصيان، بقتل عائلة ليانغ جي. ومنح الإمبراطور هوان لقب الماركيز على الخصيان الثلاثة عشر الذين تآمروا معه، وعرفوا باسم "وو هوى" وبدأ الخصيان في أن يصبحوا القوة المهيمنة في أسرة هان الشرقية. المشكلة هي أن الخصيان اصبحوا أكثر فساداً من العائلة الحاكمة [٥٦٢]. وقد تسبب هذا في استياء العديد من العلماء البيروقراطيين، الذين انضموا إلى العائلة الحاكمة لمحاربة الخصيان. وبالطبع لم يكن الخصيان على استعداد للتخلي عن قوتهم، وكان الصراع بين الجانبين شرسًا. وفي النهاية، أدى ذلك إلى كارثتين، اذ قام الخصيان بفصل وطرد موظفي الخدمة باعتبارهم " أعضاء في الحزب المعارض" ومنعوهم من التعيين مرة أخرى مدى الحياة عرفت هذه الحادثة في التاريخ الصيني بكارثة دانغ قو الشهيرة [٥٦٣].

وبعد اعتلاء الإمبراطور لينغ(帝凌) (١٦٨ -١٨٩ م) من أسرة هان العرش، كان متوسط المستوى ومهووسًا بالنساء طوال اليوم, وكان الإمبراطور لينغ يثق في الخصيان أكثر من الإمبراطور هوان. وأشار ذات مرة إلى اثنين من الخصيان سيئي السمعة وقال: "زانغ رانج هو والدي وتشاو تشونغ هي والدتي"، مما أدى إلى تفاقم الوضع السياسي سوءا [٥٦٤].

وشهد الأساس السياسي والاجتماعي لسلالة هان الشرقية تحولاً جذرياً, فقد أصبح عدد قليل من السلالات الأرستقراطية هي المسيطرة على السياسة وتشكل الوحدات الاجتماعية, ولجأ العديد من الفلاحين، الذين كانوا سابقاً رعايا مباشرين للدولة، إلى مستأجرين غير أحرار لدى ملاك الأراضي الأقوياء. وبالتالي، تمكن هؤلاء الأرستقراطيون من توسيع ملكياتهم إلى

---

[561] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٦.

[562] A. J. Boling , **The Tomb of Hulinghu**, pp. 79-82.

[٥٦٣] J. H. Cha, **The historical importance of the reign of Emperor Wen**, Ph.D. Dissertation, University of Chicago, (1973) , pp. 100-115.

S. Y. Chen , **China of the Han Dynasty**, Tongbao press, (1984), pp. 127-135.

[564]

إقطاعيات شاسعة, وبفضل حجمهم وقوتهم الاقتصادية، أمكن استخدام تقنيات زراعية جديدة وأكثر كفاءة، مثل المحاريث الكبيرة التي تجرها الثيران، والتي لم يكن بمقدور صغار الملاك تحمل تكلفتها, وهذا بدوره زاد الضغط على صغار الفلاحين للانخراط في العبودية [٥٦٥].

وفي الوقت نفسه، انخرط العديد من الأرستقراطيين من مالكي الأراضي في التصنيع والتجارة على نطاق واسع، مما أدى إلى طمس الفوارق التي كانت قائمة في السابق بين النخبة المتعلمة والبيروقراطية والأرستقراطية والتجار ورجال الأعمال الأثرياء والمحرومين اجتماعيا, وعلى مدار قرنين من حكم سلالة هان الشرقية، هيمنت السلالات الأرستقراطية العظيمة على سياسات البلاط من خلال تبدل الفصائل، وعلى الإدارة من خلال نظام تزكية أشبه بالاستقطاب, ونتيجة لذلك، شهدت الإمبراطورية انتعاشا اقتصاديًا ملحوظا، بينما ضعف النظام السياسي. وكانت الانتفاضات الكبرى منذ أوائل القرن الثاني فصاعدا بمثابة مؤشرات على تصاعد التوترات وتراجع الوجود الإداري[٥٦٦].

وفي السنة الثالثة من حكم الإمبراطور لينغ عانى السكان من معاناة شديدة نتيجة لمجموعة من الكوارث الطبيعة والفيضانات التي حصلت في البلاد, وأصبحت المجاعات حادة لدرجة ان البعض لجأوا لأكل لحوم البشر. وبالنظر إلى ان الاستغلال كان منتشرا اكثر من أي وقت مضى, بدأت نذر العاصفة السياسية تتجمع. ففي الشهر الثاني من عام ١٨٤ م بدأ تشانج جو وهو زعيم طائفة السلام العظمى الطاوية دعوة سرية للثورة واستجاب مئات الألاف من الفلاحين الغاضبين, ولقبوا انفسهم بجيش الحواجب الصفراء تبعا للون أغطية رؤوسهم [٥٦٧].

توحدت صرخات الفلاحين في المزارع والحقول, فهبت الانتفاضة في وادي يانغتسي الأسفل والأوسط وشبة جزيرة شاندوغ ضد حكومة الهان وزلزلت أصواتهم الأرض بأنشودة ثورية تقول:

"ينبت الشعر بعد قصة مثل الكراث,

ويستمر الرأس ليصيح بعد ان انقطع مثل الديك,

---

[٥٦٥] Nanny Kim , **The last 3000 years in China** , p.16.

[566] Nanny Kim , **The last 3000 years in China**, p.16.

[567] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٩.

فلا تخف من المسؤولين ولا تستهين بقوة الشعب" [٥٦٨].

وكالعادة فإن وقود تلك الثورة كانوا من الفلاحين الذين تزعمهم زعيم طاوي, وفي التوقيت نفسه قامت ثورة أخرى أطلق أصحابها على انفسهم (خمسة مكاييل من الأرز), وعندما حاول الإمبراطور أنْ يقمع هذه الثورات عن طريق الجيش خذله قادة الجيش, إذ استغلوا القوات التي يقودوها في توطيد وتعزيز مكانتهم [٥٦٩].

وبغضون أشهر قليلة انتشرت الثورات في الصين وكان أبرزها تمرد الحواجب الصفراء, ومن أجل قمع التمرد، قبل الإمبراطور لينغ اقتراح ليو يان المستشار في البلاط وفوض السلطة إلى الحكومات المحلية، مما سمح لها بدعم قواتها لقمع قطاع الطرق والقضاء على الثورة. وبذل هؤلاء الأمراء المحليين وملاك الأراضي قصارى جهدهم لتعبئة قواتهم المحلية, من اجل التعامل مع جيش الفلاحين الغازي. ونتيجة لذلك، تم القضاء تماما عليهم بحلول الشهر العاشر من العام ذاته بسبب عدم تنظيمهم وتناحرهم وان القضاء على تمرد الحواجب الصفراء اظهر انفصالية أمراء الحرب. كما انهارت مركزية السلطة في البلاد [٥٧٠].

سادسا – الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية

في إطار سعي الدول عبر التاريخ لمواجهة الأزمات الاقتصادية، شكّلت الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية أحد أبرز الأدوات التي جرى تبنّيها لتحسين الأوضاع المالية والاجتماعية خلال مدة الاضطراب. وفي حالة الصين إبّان حكم سلالة هان الشرقية (٢٥–٢٢٠م)، واجهت الدولة سلسلة من الأزمات المالية التي انعكست آثارها على مختلف شرائح المجتمع، الأمر الذي دفع السلطة الإمبراطورية إلى اعتماد سياسات إصلاحية هدفت إلى معالجة تلك الأزمات والسعي نحو تحقيق قدر من الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي [٥٧١] .

---

[568] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين**, ص٩٨.

[569] ساهر رافع , **تاريخ وحضارة الصين** , ص٢٦٧.

[٥٧٠] X. Chen , **Tombs of the Han Dynasty**, PhD thesis, University of Oxford, UK(2014), pp. 30–55.

[571] Y. M. Fung, **Philosophy in the Han Dynasty**, pp. 281–314.

واحدة من أهم الأزمات الاقتصادية التي واجهتها سلالة هان الشرقية كانت تتعلق بتدهور الحالة المالية نتيجة لسوء إدارة الموارد ونفقات الحروب الداخلية والخارجية. في بداية القرن الثاني الميلادي، بدأ تأثير هذه الأزمات على الوضع المالي في الدولة يظهر بشكل واضح، إذ كانت الدولة تُعاني من عجز في الميزانية، وارتفاع كبير في الديون الحكومية، فضلاً عن تأثيرات الحرب المستمرة التي أنهكت الخزينة (٥٧٢).

إحدى السياسات التي اعتمدها الأباطرة في هذه المدة لمواجهة الأزمات المالية كانت تتعلق بمحاولات توسيع قاعدة الضرائب. حاول الإمبراطور هوانغ الذي تولى العرش في عام ٨٨ ميلادي، إعادة هيكلة النظام الضريبي لزيادة الإيرادات الحكومية، اذ فرض ضرائب على الأراضي والموارد الطبيعية, وكما قام بتطوير النظام المالي من خلال زيادة عدد المفتشين الماليين للتأكد من تحصيل الضرائب بشكل صحيح، مما سمح بتوفير المزيد من الأموال للخزينة, هذه الخطوة جاءت نتيجة للأزمات المالية التي كانت تعاني منها الحكومة بسبب الحروب الداخلية والانقسامات السياسية(٥٧٣).

إلى جانب هذه السياسات، كانت الحكومة الصينية تسعى لتنويع مصادر الدخل, وفي بداية حكم الإمبراطور ليو تشي (الإمبراطور وو من هان الغربية) الذي حكم من ١٤٠ إلى ٨٧ قبل الميلاد، تم تبني إصلاحات اقتصادية هامة، إذ أطلق مشروع تحسين نظم الري، وهو مشروع كان يهدف إلى زيادة الإنتاج الزراعي وتقليل الأعباء المالية على المزارعين, كما عمل ليو تشي على تعزيز التجارة الداخلية والخارجية، خاصةً من خلال تطوير الطرق التجارية واستخدام سياسة تشجيع الاستثمارات في القطاع الزراعي, إلا أن هذه السياسات لم تكن كافية في ظل الأزمات المستمرة (٥٧٤).

أما بالنسبة للتغيرات الاجتماعية التي حدثت في تلك المدة، فقد كانت هناك تأثيرات كبيرة على البناء السياسي للدولة, وكان النمو السكاني والتوسع في المدن أحد العوامل التي ساعدت في تغيير البنية الاجتماعية، وهو ما انعكس بدوره على السياسة الداخلية, في هذه المدة، بدأت الطبقات المختلفة تتسلم أدوارًا جديدة في بناء الدولة. كانت الطبقة العسكرية، على سبيل المثال، تلعب دورًا بارزًا في السياسة الداخلية، إذ نشأت تحالفات بين الجنرالات والسياسيين,

---

(572) H. Hong, **Xiongnuo Agency**, pp. 1198-1201.

(573) L. He, **Diet Transition**, pp. 975-982.

(٥٧٤) M. Hui Guo , **Becoming Wen: Rhetoric in the "Final Dispatches" of Emperor Wen of Han**. Early Medieval China, 2013, No- (19), pp. 58-79.

وكان لهذا التأثير دور كبير في تغيير الهيكل السياسي للدولة، إذ أصبحت السلطة في يد العسكريين في بعض الأحيان، مما اسهم في تفكيك السلطة الإمبراطورية المركزية [٥٧٥].

وشهدت تلك المدة أيضًا تزايدًا في قوة الطبقات النبيلة ورجال الدين، وهو ما جعل السياسة أكثر تعقيدًا, وفي عهد الإمبراطور شي (帝皇史) الذي حكم من ١٨٩ إلى ٢٢٠ ميلادي، كان هناك تغيرات في البناء الاجتماعي نتيجة لتزايد قوة النبلاء العسكريين داخل الدولة. هؤلاء النبلاء بدأوا في تشكيل تحالفات فيما بينهم، وكان لهم تأثير كبير على القرارات السياسية. هذا التغيير في البناء الاجتماعي انعكس على النظام السياسي في الصين، إذ أصبحت الفصائل العسكرية والنبلاء يلعبون دورًا مؤثرًا في تحديد ملامح السياسة الداخلية [٥٧٦] .

كان هذا التحول في البناء الاجتماعي له تأثيرات بعيدة المدى على السياسة والاقتصاد, فقد بدأت الطبقات المختلفة تشعر بأنها جزء من عملية اتخاذ القرار، وهو ما جعلهم يتفاعلون مع السياسات الإصلاحية بشكل مختلف. ردود فعل الطبقات المختلفة تجاه هذه السياسات الإصلاحية كانت متنوعة ومتباينة [٥٧٧].

الطبقات النبيلة والعسكرية كانت أكثر دعمًا للإصلاحات التي تهدف إلى زيادة القوة العسكرية والاقتصادية. هؤلاء كانوا يرون أن الإصلاحات التي ركزت على زيادة الضرائب وتوسيع قاعدة التمويل هي فرص لتعزيز سلطتهم وتوسيع نفوذهم السياسي. على سبيل المثال، كان الجنرال تانغ سي, أحد أبرز القادة العسكريين الذين دعموا سياسات الإصلاحات العسكرية، لاسيما تلك التي سمحت لهم بالحصول على المزيد من السلطة والموارد [٥٧٨].

من جهة أخرى، كانت ردود فعل الفلاحين أقل إيجابية تجاه هذه السياسات, ومعظم الفلاحين كانوا يعانون من أعباء الضرائب الثقيلة، فضلاً عن مشكلات الجفاف والفقر المتزايد بسبب سوء إدارة الأراضي والمياه. في هذا السياق، ظهرت تمردات فلاحية كبيرة، مثل تمرد "الحواجب الحمراء" في ١٨٤ ميلادي، الذي كان احتجاجًا ضد السياسات التي فرضت مزيدًا

---

[575] J. J. Kaufman, **Marketing Evaluation in a Community**, pp. 52-64.

[576] M. Kim , **Claims of Impact**, pp. 12-30.

[577] B. Laridon, , **Contestation in the Isle Empire**, pp. 107-134.

[٥٧٨] F. Lee, **Altered Gut Microbiota in Han Populations with Parkinson's Disease**, pp. 135-137.

من الضرائب على الفلاحين. هذه الاحتجاجات كانت تبرز بشكل واضح الغضب الشعبي بسبب السياسات التي كانت ترفع الأعباء على الطبقات العاملة دون أن تعود عليهم بفوائد حقيقية [٥٧٩].

أما التجار، فكانوا أكثر تحفزًا لإصلاحات تهدف إلى تحسين الظروف التجارية وزيادة الفرص الاقتصادية. ولكن، رغم ذلك، كانت هناك ردود فعل مختلطة تجاه السياسات الاقتصادية. ففي الوقت الذي كان فيه بعض التجار يعارضون القيود التي كانت تفرضها الحكومة على التجارة والاحتكار، كان آخرون يرحبون بإصلاحات الحكام التي كانت تهدف إلى تحسين شبكة الطرق التجارية وتنظيم الأسواق. على سبيل المثال، في عهد الإمبراطور غوانغ وو الذي حكم من ٢٥ إلى ٥٧ ميلادي، قامت الحكومة بتوسيع الطرق التجارية وتعزيز التجارة البحرية مع الدول المجاورة. هذه السياسات كانت في صالح التجار الذين بدأوا في جني أرباح كبيرة من التوسع التجاري [٥٨٠].

بجانب هذه التغيرات، كانت هناك محاولات لتحسين الوضع الاقتصادي بشكل عام، حيث بدأ بعض الأباطرة في التفكير في إصلاحات اجتماعية تتعلق بتوزيع الثروة وتوفير الخدمات الأساسية للمواطنين. في عهد الإمبراطور ليو بي ، تم تبني العديد من الإصلاحات التي كانت تهدف إلى تحسين الظروف المعيشية للمواطنين، بما في ذلك مشاريع للإسكان والتوسع في شبكات التعليم. ومع ذلك، كانت هذه الإصلاحات غير كافية في مواجهة الأزمات المالية الكبرى التي أثرت على الدولة بشكل عام [٥٨١].

إجمالاً، كانت الإصلاحات الاقتصادية والاجتماعية في مدة حكم أسرة هان الشرقية محكومة بالعديد من العوامل المعقدة والمتشابكة، بما في ذلك الأزمات المالية المستمرة والتحديات الاجتماعية. هذه الإصلاحات لم تكن دائمًا فعالة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي، اذ كانت هناك ردود فعل متنوعة من الطبقات المختلفة في المجتمع، سواء من النخب السياسية أو الفلاحين أو التجار. لكن، رغم هذه المحاولات للإصلاح، فإن العوامل

---

[٥٧٩] J. Lin , In T. Beach and F. Wang (eds.), **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**. , Routledge press , (2019). ,, pp. 1-30.

[580] M. Lu, **Counsellors and Counselors**, pp. 21-54.

[٥٨١] Z. Lu, **Becoming Confucius: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor**. Asia Major , pp. 115-144.

الاجتماعية والسياسية كانت تؤدي إلى استمرار النزاعات الداخلية التي أسهمت في انهيار الدولة في النهاية [٥٨٢].

سابعا: تدخل أمراء الحرب وسقوط الإمبراطورية

في عام ١٨٩م، توفي الإمبراطور لينغ من أسرة هان، وتولى العرش ليو بيان، الإمبراطور الشاب. ذو الاربعة عشر ربيعا وبسبب صغر سنه أدارت والدته الإمبراطورة هي شؤون الدولة وأصدرت مرسوم العفو العام وغيرت لقب الحكم الى قوانغشي وعينت القائد العام في الجيش (هي جين) رئيساً للوزراء[٥٨٣]. وقام الجنرال هي جين ، بالسيطرة على الحكومة وخطط للقضاء على قوة الخصيان. لكن والدة الإمبراطور الشاب، الملكة الأم (هي)، اعترضت ولم تقبل بهذه الخطة. في هذا الوقت، كان يوان شاو، زعيم العلماء البيروقراطيين قد اقترح أن يدخل جيش الشمال الغربي بقيادة دونغ تشو، الذي كان يتمتع باحترام عسكري قوي، إلى العاصمة وإجبار الملكة الأم (هي) على الموافقة. وافق القائد هي جين على اقتراح اليوان شاو، وبدأت خطة القضاء على الخصيان [٥٨٤].

لكن الخطة تسربت. وبالطبع، لم يكن الخصيان على استعداد للجلوس وانتظار الموت، فأخذوا زمام المبادرة وقتلوا هي جين. وعندما سمع يوان شاو، الذي كان في جيش شيان في ذلك الوقت، الأخبار، قاد جيشه على الفور إلى القصر وذبح الخصيان. أخذ الخصي تشانغ رانج إمبراطور هان الشاب كرهينة وهرب. وعندما وصل ملاحقوه، انتحر تشانغ رانج. ولكن في هذا الوقت، وصلت قوة دونغ تشو إلى العاصمة الإمبراطورية لويانغ، وتم القضاء على قوة الخصيان وأقارب الإمبراطور، وسيطر على البلاط [٥٨٥].

من أجل ترسيخ هيبته، قام دونغ تشو الذي كان أميرا لمقاطعة هي دونغ (شانشي الحالية) أولاً بخلع إمبراطور هان الشاب وعين شقيقه الأصغر ليو شو إمبراطورا على هان باسم شاو هان، عام ١٨٩ م. وفي عام ١٩٠م، قام بقتل الإمبراطور شاو هان والملكة الأم

---

[٥٨٢] J. Magli, **The Sacred Landscapes of the Han Emperor's** "Pyramids." Sustainability, Vol 11, No (3), (2019). , pp. 789-797.

[583] نخبة من العلماء, **خمسة الاف سنة من تاريخ الصين**, المجلد الثاني , ٧٣ , ص ٤١-٤٣.

[584] X. Chen, **Tombs of the Eastern Han Dynasty**, pp. 56-75.

[585] R. De Crespigny, **The Han Dynasty**, pp. 175.

هي معًا, وقد تسبب هذا السلوك المنحرف في استياء المسؤولين المحليين, مما دعاهم إلى انتخاب يوان شاو، أحد أفراد عائلة السلالات السابقة، ممثلاً لهم لتشكيل قوات كوانتونغ المتحالفة لمهاجمة دونغ تشو. وعلى الرغم من أن هذه الحرب انتهت بطريقة معاكسة وفشلت في تحقيق هدفها، إلا أنها جعلت دونغ تشو يشعر بعدم الارتياح. ثم اختطف دونغ تشو الإمبراطور شيان(١٨٩-٢٢٠م) من أسرة هان الذي عينه بدلا للإمبراطور شاو المقتول, ونقل العاصمة إلى تشانغآن، وأحرق العاصمة لويانغ. في الوقت نفسه، رفض المسؤولون المحليون في أماكن مختلفة تلقي أوامر من الحكومة التي يسيطر عليها دونغ تشو، وتحولوا إلى أمراء حرب يوسعون سلطتهم بنشاط، وتلاشت هيبة الحكومة في بلاط هان[٥٨٦]. وقد وصفت الشاعرة (تساي وين جي) من أسرة هان الشرقية في قصيدتها (الغضب والسخط) بوضوح مصير التشابك المأساوي لمختلف الناس في العصر المضطرب اذ قالت في مستهل القصيدة "**ان دونغ تشو اتخذ تدابير رجعية بعد هول مدينة لويانغ, وأوقع المدينة في فوضى كبيرة, اذ اجبر الإمبراطور شاو للتخلي عن العرش لصالح ليو شي وقد قتل الإمبراطورة (هي) بالخمر السام**" [٥٨٧].

ونظرًا لقصر عمر الملوك في منتصف وأواخر أسرة هان الشرقية، وصعود معظم الأباطرة الجدد إلى العرش في سن مبكرة (يتوفي الإمبراطور مبكرًا ويكون ولي العهد شابًا)، لما يقرب من مائة عام من عصر الإمبراطور هي حتى نهاية عهد أسرة هان، تناوب الأقارب والخصيان على السلطة، الأمر الذي أصبح نمطًا ثابتًا ومدمراً. في هذه المدة, تقاتل الفصيلان بعضهما البعض وجعل أسرة هان الشرقية فاسدة للغاية. في السنة السادسة من حكم تشونغ بينغ في أسرة هان الشرقية (١٨٩)، قُتل الجنرال هي جين، أحد أقاربه، على يد الخصي شي تشانغشي، الذي قُتل أيضًا على يد يوان شاو ويوان شو وآخرين [٥٨٨].

لاحقًا قاد دونغ تشو حاكم الولاية القوات إلى بكين، وخلع الإمبراطور الشاب ليو بيان وقتل الملكة الأم هي وأسس الإمبراطور شيان ليو شيه. تم القضاء على الأقارب والخصيان الذين أثروا لمدة طويلة على عائلة هان الشرقية الملكية معًا، لكن هذا دفع حكام مختلف المقاطعات إلى معارضة دونغ تشو وتطورت إلى حالة انفصالية لم تتمكن حكومة هان من

---

[586] Shi-Yun Chen , **Han Dynasty China**, pp. 127-130.

[587] نخبة من العلماء , **خمسة الاف سنة من تاريخ الصين** , الجزء الثاني , ٧٤ , ص ٤٤-٤٧.

[٥٨٨] J. Zhongji , **On the Fate of Traditional Culture in Modern China**. Social Sciences in China, Vol 34 , No (2), (2013), pp. 152-164.

السيطرة على البلاد وأصبح الإمبراطور شيان من أسرة هان أيضًا دمية، وتم التحكم فيه لاحقًا بواسطة تساو تساو، وأخيرًا، تم استبدال أسرة هان بـ تساو وي [٥٨٩].

وقد هاجم أمراء الحرب في كل مكان بعضهم البعض من أجل تعزيز نفوذهم وقد اختفت هيبة سلالة الهان المركزية تماما. كانت القوى المحلية الانفصالية الرئيسة هي قوات يوان تشاو في ولاية تشي وقوات تساو ساو في ولاية تشوان وقوات قونتغسون تسان في ولاية يو وقوات يوان شو في ولاية يانغ وقوات ليو بيو في ولاية جينغ وقوات ليو يان في ولاية يي وقوات تشانغ لو في هان تشونغ وقوات ما تنغ وهوي سوي في ولاية ليانغ [٥٩٠].

في عام ١٩٢ م، حرض الوزير وانغ يون في البلاط الهاني القائد ليو بيو قائد ولاية جينغ للتعاون في قتل دونغ تشو وأمره بالعفو عنه بعد قتله. بغية استعادة سلطة البلاط الإمبراطوري لبعض الوقت. ومع ذلك، لم يمض وقت طويل حتى عاد لي جو وغو سي، جنرالات حكومة دونغ تشو، واكتشفوا مؤامرة الوزير وانغ يون مما قاموا بقتله, وهرب ليو بيو، وعلى إثر ذلك دخلت الحكومة في حالة من الفوضى مرة أخرى[٥٩١].

بعد مقتل دونغ تشو دخلت أسرة هان الشرقية بمدة مظلمة اذ انغمس أمراء الحرب في القتال وتُرك الإمبراطور شيان لوحده ونتيجة لحدوث معارك عنيفة بين الموالين لدونغ تشو ومعارضيه, اضطر الإمبراطور شيان لمغادرة مدينة تشانغان والعودة إلى ليويانغ التي قد تحولت إلى انقاض مليئة بالركام والأعشاب الضارة فبدء الإمبراطور بالعيش على هذه الأنقاض وتعرض للجوع بين الحين والأخر, كأنه نسي من قبل الغير [٥٩٢].

وفي عام ١٩٥ م كان هناك قتال داخلي بين لي جو و غو سي، جنرالات دونغ تشو, وعلى إثر ذلك فر الإمبراطور شيان من أسرة هان، ومسؤولوه، من تشانغآن وعادوا إلى لويانغ. لكن لويانغ كانت في حالة خراب، وكان الإمبراطور شيان من أسرة هان في وضع صعب، وكان المكان مقسمًا بالفعل، وكان المعسكران برئاسة يوان شاو ويوان شو في حالة حرب مع بعضهما البعض. وفي عام ١٩٦، أخذ تساو ساو إمبراطور هان شيان إلى مدينة تشاو. بعد

---

[٥٨٩] R. De Crespigny, **The Han Dynasty**, In The Routledge Handbook of Chinese Imperial History, Routledge press , (2018). pp. 175.

[590] تشانغ ليان قن , **تاريخ الصين المختصر** , ص ١٥٠.

[591] S. Daoheng, **The Eastern Transition**, pp. 1-14.

[592] نخبة من العلماء , **خمسة الاف سنة من تاريخ الصين** , الجزء الثاني , ٧٦, ص٥١-٥٣.

ذلك، تولى تساو ساو تدريجيًا سلطة البلاط، ولا يمكن السيطرة على إمبراطور هان شيان إلا بواسطة تساو ساو [٥٩٣].

فاز تساو ساو بمعارك حاسمة مع يان شو في غاندو و وكانتينغ، وجميع السهول الوسطى، في وقت لاحق، استغل القوة المتبقية من الانتصار على قوات يوان لضم جينغتشو؛ ومع ذلك، في عام ٢٠٨ م، هُزم تساو ساو على يد قوات التحالف التابعة لـــ صن تشيان و ليو بي في معركة تشيبي، ثم أضاع تساو ساو الفرصة لغزو الجنوب بالقوة، مما يسمح لـــ صن تشيان و ليو بي بالاستفادة من الوضع في المستقبل، لتطوير القوة تدريجيًا وتشكيل وضع ستتميز فيه الممالك الثلاث في المستقبل. وفي عامي ٢١٢ و٢١٦، اعتلى تساو تساو العرش بصفته دوق وي وملك وي على التوالي، ونصب ابنه الشرعي تساو بي وليًا للعهد، محطمًا حكم تحالف الخيل الأبيض الذي أسسه ليو بانغ في أوائل عهد أسرة هان قبل أربعة قرون مضت. في العام الثاني والعشرين لجيانان (٢١٧) م، اندلع طاعون عظيم في الشمال، مما أسفر عن مقتل عشرات الملايين من الناس، بما في ذلك خمسة من أبناء جيانان السبعة [٥٩٤].

في سنواته الأخيرة، عانى تساو ساو من الحملة الشمالية بقيادة ليو بي، وتمرد وي شي. على الرغم من أن تساو شكل تحالفًا مع صن تشان وهزم غان يو لحل الأزمة، إلا أن وقته كان ينفذ. في الشهر الأول من السنة الخامسة والعشرين لجيانان (٢٢٠ م)، توفي تساو ساو بسبب المرض، وخلفه تساو بي كرئيس للوزراء وملك وي في أكتوبر من السنة الأولى ليانكانغ (٢٢٠ م). أجبر تساو بي الإمبراطور شيان من أسرة هان على التنازل عن العرش واغتصاب العرش، وقام بتغيير اسم البلاد إلى وي وعهده إلى هونغ. في بداية العام سنة ٢٢١ م، انتهت أسرة هان الشرقية رسميًا [٥٩٥].

وأخيرا: إنَّ ضعف الحكومة المركزية في هان أدى إلى ازداد تأكل المؤسسة العسكرية. وكان القسم الأكبر من الجيش الصيني مشغولا بقتال قبائل شيونغنو الرعوية في أقاصي الشمال الغربي اذ اجبر على العمل انطلاقا من حاميات بعيدة وبخطوط أمداد طويلة. كان من

---

[593] R. De Crespigny, **The Han Dynasty**, pp. 39-53.

[٥٩٤] K. Deng, **GDP Per Capita in China from the Han Dynasty to the Communist Era**, pp. 2-25.

[٥٩٥] E.Endicott-West, **Mongolian rule in China: local administration in the Yuan Dynasty**. Brill, No. 29, (2020), pp. 50-80.

الصـعب تجنيد الفلاحين لهذا النوع من الخدمة, فلجات الحكومة باطراد إلى المرتزقة المجندين من الســـكان البرابرة المحليين والى العبيد والمجرمين. شـــكل الجنود على نحو متزايد طبقة منفصلة من الأسر العسكرية التي عاشت وزرعت أراضيها قرب حدود الحاميات وورث الإباء فيها مهنهم العســـكرية لأبنائهم وفي ظل هذه الظروف كان الجنود أميل إلى الولاء لقادتهم المحليين أمثال أميري الحرب تساو ساو ودونغ تشو أكثر من ولائهم للحكومة المركزية [٥٩٦].

عندما اجتمعت الفروقات المطردة في مليكة الأراضـــي مع الكوارث البيئية والأوبئة في ســـبعينات القرن الثاني الميلادي, انفجرت ثورة الحواجب الصـــفراء, ثم اغرى انهيار النظام وتفكك الحكومة المركزية هذه الأسر القوية بالتمرس وراء أسوار مجتمعاتها ومناطقها, إذ كانت عمليا بعيدة عن سـلطة الدولة الضـعيفة. تفككت الدولة المركزية تماما في العقود الأخيرة من عهد أسرة هان, وانتقلت السلطة إلى سلسلة من أمراء الحرب الذين انتقلوا من محاولة فرض مرشحيهم على العرش إلى تولي الحكم بأنفسهم [٥٩٧].

مع نهاية حكم أسـرة هان الشـرقية، كان الصـراع الداخلي قد وصـل إلى ذروته، وكانت النزاعات بين القوى الســياســية قد أضـــعفت قدرة الدولة على الحفاظ على النظام الاجتماعي والسـياسـي مما مهد إلى سـقوطها وانقسـام البلاد إلى ثلاث ممالك عُرفت في التاريخ الصـيني بعصر الممالك الثلاثة, لكن من حيث التطور الصين السياسي, كان احد أسباب انحطاط أسرة هان وقوع الدولة مجددا أسيرة نخب ميراثيه مختلفة, وما نجم عنه من ضـعف الدولة المركزية, وجرى التراجع عن كل الجهود التي بذلتها دولة تشين لإلغاء الإقطاع وخلق دولة حديثة فعادت صـلات القرابة سبيلا أساسا للوصول إلى السلطة والمكانة في الصين وهو وضـع استمر حتى السنوات الأخيرة من عهد أسرة شانغ في القرن التاسع الميلادي.

---

[596] فرنيسيس فوكوياما , **اصول النظام السياسي** , ص ٢١٠-٢١١.

[597] المصدر نفسه , ص ٢١١.

المبحث الثالث: العلاقات الدبلوماسية لأسرة هان الشرقية

لم تقتصر تحديات أسرة هان الشرقية على الجوانب الداخلية فقط، بل امتدت لتشمل العلاقات الخارجية التي شكلت جزءًا مهمًا من سياساتها العامة. في ظل توسع الإمبراطورية الصينية وتطور شبكات التجارة عبر طريق الحرير، أصبحت العلاقات الدبلوماسية مع الجيران والقوى الإقليمية عاملاً حاسمًا في تعزيز مكانة هان الشرقية على الساحة الدولية. فقد دخلت الإمبراطورية في علاقات متعددة مع شعوب السهول الشمالية مثل الهون، فضلاً عن الدول المجاورة مثل كوريا واليابان، مما أدى إلى تكوين شبكة معقدة من التحالفات والصراعات. كما لعبت التجارة دورًا محوريًا في تعزيز العلاقات الدبلوماسية، اذ أصبح طريق الحرير رمزًا للتفاعل الثقافي والاقتصادي بين الصين والعالم الخارجي. ومع ذلك، لم تخلُ هذه العلاقات من التوترات والصراعات العسكرية، لاسيما مع التهديدات الحدودية المستمرة.

العلاقات الدبلوماسية والصراع مع الهون

في إطار تطور أسرة هان الشرقية (٢٥ – ٢٢٠ ميلادي)، كانت العلاقات الخارجية من العناصر الأساسية التي شكلت سياسة الدولة في مواجهة التحديات العسكرية والاقتصادية. سعى حكام أسرة هان إلى إقامة علاقات دبلوماسية مع جيرانهم ودول المنطقة، وكانت الدبلوماسية تُستخدم أداةً لتحقيق الاستقرار الداخلي والرد على التهديدات الخارجية [٥٩٨].

من أهم التفاعلات التي شهدتها أسرة هان الشرقية كانت تلك التي جرت مع شعب الهون، وهو تحالف قبلي كان يسيطر على السهول الشمالية, إذ كان الهون يمثلون تهديدًا دائمًا على أسرة هان، لاسيما في المدة المبكرة التي تحدثنا عنها من حكم الإمبراطور وو الذي تولى العرش في عام ١٤١ قبل الميلاد، اذ شكلوا تهديدًا عسكريًا خطيرًا على حدود الصين الشمالية. تميزت تلك المدة بتحديات مستمرة على مستوى الدفاع عن الحدود الشمالية بسبب الهجمات المستمرة من قبل الهون [٥٩٩].

سعت أسرة هان إلى التعامل مع الهون عبر مزيج من الوسائل العسكرية والدبلوماسية. في البداية، كانت أسرة هان تتبع استراتيجية تهدئة تتضمن إرسال الهدايا والمساعدات إلى الهون كوسيلة لشراء السلام والهدوء على الحدود الشمالية, إلا أن هذه السياسات كانت تُعدَّ غير فعالة على المدى الطويل، مما دفع الأباطرة في النهاية إلى اتخاذ تدابير أكثر قوة [٦٠٠].

في عام ١٣٣ قبل الميلاد، شن الإمبراطور وو حملة عسكرية ضخمة ضد الهون تحت قيادة الجنرال خه سي , التي أسفرت عن تحقيق انتصارات كبيرة. ولكن، لم يكن الانتصار العسكري وحده كافيًا، اذ قام الإمبراطور بتوقيع معاهدات مع الهون في أُقاتٍ لاحقة، ومنها معاهدة عام ١١٩ قبل الميلاد، التي تضمنت تعهدات متبادلة بعدم الاعتداء والاعتراف المتبادل بالحدود [٦٠١].

---

[٥٩٨] A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**. Philosophy Compass, Vol .10, No (6), (2015)., pp. 355-368.

[599] B. Batterson, **China and East Asia**, pp. 10-35.

[600] T. Bitesh , **The Economy of the Han Dynasty**, pp. 1-30.

[٦٠١] E. L . Sabatini, **The War Economy of the Western Han Dynasty**. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy , pp. 115-131.

إحدى أهم استراتيجيات أسرة هان كانت في التحالفات الدبلوماسية، اذ كانت هان تهدف إلى تقوية تحالفاتها مع القبائل المجاورة للهون مثل قبائل يوبيشي وقبائل التتار، مما ساعد على توجيه الضغط على الهون وفتح الطريق لزيادة الاستقرار في المناطق الشمالية [٦٠٢].

خلال عهد أسرة هان الشرقية، كان هناك العديد من المجموعات العرقية الأجنبية الموزعة في المناطق المحيطة بالصين، مثل شيونغنو الجنوبية والشمالية، والمناطق الغربية، وتشيانغ، و ووهوان، وشيانبي، ونانمان وغيرها من المجموعات العرقية. والعلاقة التابعة التي استمرت بين الحكومة المركزية والأقليات العرقية المختلفة منذ عهد أسرة هان الغربية انهارت أيضًا خلال حكم وانغ مانغ(٩-٢٣م)، وانتهزت قبيلة شيونغنو(الهون) الفرصة للسيطرة على المنطقة الغربية بأكملها وعلى المجموعات العرقية المختلفة في الشمال الشرقي. في أوائل عهد أسرة هان الشرقية، عندما كان الإمبراطور غوانغ وو يدير حرب توحيد محلية، تطورت قوة شيونغنو. وتواطأت قبيلة شيونغنو مع القوات الانفصالية في خبي وشانشي، وكثيرًا ما توغلت في عمق جنوب سور الصين العظيم للمضايقة والنهب. لم يكن نظام أسرة هان الشرقية في ذلك الوقت قادرًا على التعامل مع قوات شيونغنو وكان يتبنى استراتيجية دفاعية [٦٠٣].

في عام ٤٦ م (العام الثاني والعشرون لغوانغ وو)، كان نبلاء شيونغنو متشككين في بعضهم البعض وظهرت الخلافات من أجل التنافس على العرش. فضلاً عن ذلك، عانت الأراضي العشبية المنغولية التي تقع فيها قبيلة شيونغنو من الجفاف وكوارث الجراد لسنوات عديدة، "وقتلت المجاعة والأوبئة أكثر من نصف الناس والحيوانات"[٦٠٤]، لذلك انقسمت قبيلة شيونغنو إلى قسمين، الشمال والجنوب. استغل الامبراطور غوانغ وو هذا الانقسام, وقبل استسلام جنوب شيونغنو وجعلهم يعيشون في يان شانغ, وقد زودت حكومة هان الشرقية جنوب شيونغنو بكمية معينة من الحبوب والماشية والخيول والحرير وغيرها من المواد كل عام. أدى إلحاق جنوب شيونغنو إلى تعزيز الدفاع عن الحدود الشمالية لأسرة هان الشرقية بشكل كبير، وكان له أيضًا تأثير إيجابي على تنمية الاقتصاد والثقافة الشمالية. وفي الوقت نفسه، استقر سكان جنوب شيونغنو في سور الصين العظيم وأتيحت لهم المزيد من الفرص

---

[602] D. young-Hankey, **The Power of Alleged Imitation**, pp. 259-270.

[٦٠٣] L. F. Wallace, **Between: Allegories of al-Khaldin (Shiyan) in the tomb paintings of the Eastern Han dynasty**. Ares Orientalis, (2011) , p.p 73-101.

[٦٠٤] L. F, Wallace, **Al-Saqqara illustrations in the Eastern Han dynasty**. History of Sports in China, Vol 39, No (1), (2011) , p.p 99-109.

للتواصل مع الثقافة المتقدمة في السهول الوسطى، والتي عززت أيضًا تنميتهم. وعاش شعب شيونغنو الجنوبي مع شعب الهان لمدة طويلة، وغيروا حياتهم البدوية تدريجيًا، وتعلموا الإنتاج الزراعي، وتأثرت ثقافتهم بشدة بشعب الهان [٦٠٥].

بعد استسلام شيونغنو الجنوبي لأسرة هان الشرقية، ضعفت قوة شيونغنو الشمالية بشكل كبير في المعارك، وهزمتهم شيونغنو الجنوبية عدة مرات, ولم يكن أمام بيدان حاكم شيونغنو الجنوبية خيار سوى إرسال مبعوثين لتكريم أسرة هان الشرقية في عام ٥١ م بغية طلب السلام، وكانت هناك العديد من المناقشات داخل حكومة هان الشرقية حول معاملة شيونغنو الشمالية. وفي النهاية اعتمدوا أسلوب المجاملة المتبادلة ورد الجميل للمبعوثين من أجل تحقيق السلام والأمن [٦٠٦].

بسبب ضعف قوة شيونغنو، تخلصت ووهوان و شيانبي، اللتان استعبدتهما شيونغنو في الأصل، من سيطرة شيونغنو الشمالية. بعد استسلام شيونغنو الجنوبية ووهوان وشيانبي لأسرة هان الشرقية، انقطعت العلاقات الاقتصادية بين شيونغنو الشمالية والسهول الوسطى، مما تسبب في نقص في الضروريات اليومية الأكثر أهمية مثل الغذاء والقماش والملح. لذلك قام سكان شيونغنو الشماليون باستمرار بمضايقة المقاطعات الطرفية في الجزء الشمالي من أسرة هان الشرقية [٦٠٧].

في عام ٧٣ م (العام السادس عشر ليونغ بينغ)، شنت أسرة هان الشرقية هجومًا مضادًا ضخمًا، وقسم القائد دو غو وقادة آخرون قواتهم إلى أربع مجموعات, وحققوا نصرًا عسكريًا عظيمًا، وواصلوا طريقهم شمالًا إلى بوليهاي (بحيرة باركول في شينجيانغ) وبقيوا في لوتشنغ (هامي، شينجيانغ). وبحلول عهد الإمبراطور تشانغ من أسرة هان، كان جيش شيونغنو الشمالي ضعيفًا بشكل متزايد، ودخل مئات الآلاف منهم إلى القلعة واستسلموا. وفي عام ٨٩ م (السنة الأولى ليونغ يوان)، قاد القائدان دو شيان وجينغ بينغ جيش هان للانضمام إلى جيوش جنوب شيونغنو والزحف شمالًا، وقاتلوا شيونغنو الشمالية. لقد فازوا في كل معركة واستسلم أكثر من ٢٠٠٠٠٠ شخص. وفي العامين التاليين، استمر الهون الشماليون في

---

[٦٠٥] A. Wang , **The creator of the emperor: the political group behind the establishment of the Han Empire**. Asia Major, (2001). P.p 19-20.

[606] J. Wu , **The Road to the Empire: Studies in the Han Dynasty**, Berlin, p22.

[٦٠٧] L. Zhang , **A new vision of political thought in the Eastern Han dynasty. Chinese Journal of Thought,** No -39, (2014) , p.p 37-56.

معاناة الهزائم وانتقلوا غربًا. وفي وقت لاحق، انتقل جزء من الهون الشـــماليين عبر وســـط وغرب آسيا إلى أوروبا. منذ ذلك الحين، تحركت قبيلة شيانبي الواقعة شرق شيونغنو تدريجيًا غربًا واحتلت موطن شـيونغنو وينتهي بذلك اخر فصـل من فصـول الصـراع الدراماتيكي بين الصين والهون الذي استمر لمئات السنين(٦٠٨).

التفاعلات مع الجيران والقوى الخارجية

على صـــعيد العلاقات مع الدول المجاورة، كانت ســلالة هان تســعى أيضًـــا إلى إقامة تحالفات دبلوماسية قوية في مناطق شرق آسيا، وخاصـة مع كوريا واليابان. وكانت كوريا في تلك المدة مقسـمة إلى عدة ممالك، ومن أبرزها مملكة غويو ، وكانت حكومة هان تسـعى إلى تكريس هيمنتها على شبه الجزيرة الكورية، وكان لهذا الأمر أهمية استراتيجية كبيرة (٦٠٩).

ففي عام ١٠٨ ق.م، قام الإمبراطور وو بنقل القوات الصـينية إلى شـبه الجزيرة الكورية وفتح أربعة مقاطعات صـــينية في شـــمال كوريا. كانت هذه الخطوة تهدف إلى زيادة النفوذ الصـيني في المنطقة وحماية حدود الصـين الشـرقية, وتمركزت القوات الصـينية في منطقة لياودونغ لتعزيز الوجود العسكري على حدود هان الجنوبية مع كوريا. وعلى الرغم من أن هذه الخطوة أدت إلى تقوية النفوذ الصيني في المنطقة، إلا أن مقاومة الممالك الكورية لهذا الوجود كانت مستمرة على مر العصور (٦١٠).

أما بالنسـبة لليابان، فلم تكن العلاقة مع اليابان في هذه المدة واضـحة جدًا بسـبب قلة المصادر التاريخية الموثوقة. لكن يُعتقد أن اليابان في تلك الفترة كانت تتعرض لتأثيرات ثقافية وتجارية من الصـين، اذ كان هناك تبادل تجاري غير رسـمي بين المناطق الصـينية واليابانية، رغم أن اليابان لم تكن تحت حكم مباشـر من الصـين. هذا التبادل شـمل اسـتيراد السـلع مثل المعادن والأسلحة، وكذلك انتشار بعض المفاهيم الثقافية الصينية (٦١١).

---

(٦٠٨) A. J. Bowling, **Hulinghu's tomb in the Eastern Han dynasty**, Asian Art Archives, no .31, (1977). pp. 79-82.

(609) M. Tau, **Financial regulatory system,** , pp. 67-85.

(610) H. Fan Eys, , **Emperor Wu**, pp. 239-257.

(611) L. F.Wallace, **Al-Khaldin's Parables**, , p73.

في عصر سلالة هان الشرقية، شهدت الصين العديد من التفاعلات الدبلوماسية المعقدة مع جيرانها والقوى الخارجية. كانت هذه التفاعلات تمثل مزيجًا من التحالفات السياسية، والتجارة، والصراعات العسكرية، وسعت أسرة هان الشرقية إلى توسيع نفوذها على الصعيدين الإقليمي والدولي. وكانت الدبلوماسية جزءًا حيويًا من استراتيجية الحكومة، اذ كانت تستخدم للتفاوض على اتفاقيات سياسية وتجارية مع القوى المجاورة والصديقة [٦١٢].

بدأت العلاقات الدبلوماسية لسلالة هان الشرقية بتوجه قوي نحو الغرب، اذ كانت الصين في ذلك الوقت تشهد تطورًا اقتصاديًا وثقافيًا كبيرًا. من أبرز هذه العلاقات كانت تلك مع دولة "ويوي" (التبت) ومناطق آسيا الوسطى، اذ كانت الصين تسعى إلى فتح طرق تجارية جديدة وتوسيع نطاق نفوذها في تلك المناطق [٦١٣].

فضلاً عن التفاعلات التجارية، سعت الصين إلى تعزيز أمن حدودها، ولاسيما في المناطق الطرفية التي كانت عرضة لتهديدات متكررة من قبائل البدو. وقد اعتمدت أسرة هان الشرقية، إلى جانب الإجراءات العسكرية، سياسة دبلوماسية قائمة على التفاوض لتجنّب الانزلاق إلى نزاعات مسلّحة مفتوحة مع تلك القبائل. ومن بين هذه الجماعات عددٌ من القبائل التي واصلت شنّ هجمات على الحدود الشمالية الغربية، الأمر الذي دفع الدولة الصينية إلى اعتماد أسلوب تبادل البعثات الدبلوماسية بوصفه إحدى الوسائل الرامية إلى تهدئة الأوضاع واحتواء التوتر الحدودي [٦١٤] .

كما كانت العلاقات مع مملكة "مان" في جنوب شرق آسيا إحدى القنوات التي اعتمدت عليها سلالة هان الشرقية. فقد استخدمت الصين تحالفات دبلوماسية مع هذه المملكة للحفاظ على تدفق البضائع عبر بحر الصين الجنوبي, وكانت التجارة عبر هذه القنوات مهمة للغاية بالنسبة للاقتصاد الصيني، اذ كان يتم تبادل السلع مثل الحرير والذهب والمعادن الثمينة [٦١٥] .

ومن جهة أخرى، كانت أسرة هان الشرقية قد أقامت علاقات مع إمبراطورية "هوانغ"، وهي إحدى القوى الغربية الكبرى في ذلك الوقت. كانت هذه العلاقات تتمثل في تقديم الهدايا

---

(612) A. Wang, **The Creator of the Emperor**, pp. 50-19.

(613) L. F. Wallace , **Parables of al-Saqara**, pp. 99-109.

(614) J. Wu, **The Road to Empire**, pp. 10-35.

(615) J. Yung, **Platform al-Tadjar**, p. 132.

وتبادل السفراء، بالإضافة إلى الاتفاقيات التجارية التي ضمنت استقرار المنطقة الحدودية المشتركة. ورغم وجود بعض التوترات العسكرية، إلا أن العلاقات التجارية ظلت مستمرة لفترات طويلة [٦١٦].

فيما يتعلق بالعلاقات مع الدول المجاورة في منطقة شرق آسيا، كانت سلالة هان الشرقية تحافظ على توازن حساس مع اليابان وكوريا. رغم أن الصين كانت القوة المهيمنة في تلك المدة، كانت كل من اليابان وكوريا تسعى إلى الاستفادة من هذه العلاقات لأغراض تجارية وعسكرية. كانت السفارات الصينية ترسل بشكل منتظم إلى هذه المناطق لتعزيز علاقاتها التجارية، وفتح أسواق جديدة للسلع الصينية. وفي ذات الوقت، كانت هذه العلاقات تقوم على تبادل الثقافات والمعرفة بين الحضارتين الصينية والكورية واليابانية [٦١٧].

لكن لم تكن جميع التفاعلات الدبلوماسية لاسرة هان الشرقية تتسم بالسلام، إذ شهدت مدة حكمها العديد من النزاعات العسكرية مع القوى الغربية والشمالية. كانت الصين في حرب مستمرة مع قبائل "الهون" في الشمال، وهو ما دفعها إلى توسيع استراتيجياتها الدفاعية. كانت سلالة هان الشرقية تعتمد على استخدام المفاوضات مع زعماء الهون لتهدئة الوضع، في وقت كانت تحاول فيه توجيه ضربات عسكرية في حال فشل الدبلوماسية [٦١٨].

كان للصراع مع الهون تأثير كبير على السياسة الخارجية الصينية في تلك المدة. اذ أظهرت أسرة هان الشرقية اهتمامًا كبيرًا بتقوية قواتها العسكرية على الحدود الشمالية الغربية. كانت هذه التفاعلات مع الهون تتسم بالتحالفات والمعاهدات المؤقتة، لكنها لم تخل من توترات مستمرة. ورغم ذلك، كانت الصين تسعى دائمًا لتحقيق الاستقرار في هذه المنطقة من خلال المبادرات الدبلوماسية [٦١٩].

وفي إطار التفاعلات الدبلوماسية مع الإمبراطوريات المجاورة، كانت أسرة هان الشرقية تحرص على الحفاظ على علاقات ودية مع الدول الواقعة على طريق الحرير, وكانت التجارة عبر هذا الطريق أحد المحاور الأساسية في السياسة الخارجية الصينية, وعملت الصين على تعزيز العلاقات التجارية مع بلاد فارس وآسيا الوسطى، اذ تم تبادل العديد من السلع الهامة

---

(616) L. Zhang, **New vision**, pp. 37-56.

(617) J. C . Ay , **Politics and Culture**, pp. 123-130.

(618) A. C. Bowling, **Hulinghu's grave**, pp. 79-82.

(619) J. H. Cha, **Historical Significance**, pp. 100-115.

مثل التوابل والحرير والأقمشة. وكان لهذه العلاقات الاقتصادية تأثير كبير على استقرار الاقتصاد الصيني وازدهاره [٦٢٠].

لقد كانت العلاقات الدبلوماسية مع الهند أيضًا جزءًا من السياسة الخارجية لأسرة هان الشرقية. على الرغم من المسافات الكبيرة بين الصين والهند، إلا أن الصين كانت تسعى إلى تعزيز روابطها مع هذه المنطقة من خلال تبادل السفارات. كانت الهند مصدرًا للعديد من السلع والموارد التي كانت الصين بحاجة إليها، وخاصة في مجال المعادن والتوابل, وكانت هذه العلاقات تعكس التوجه العام للسياسة الخارجية الصينية نحو فتح أسواق جديدة واستكشاف مجالات تجارية متنوعة [٦٢١].

في هذه المدة، كانت الصين تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع دول متعددة في جنوب شرق آسيا، مثل فيتنام ولاوس، اذ كانت تسعى إلى تحقيق التوسع في هذه المناطق. من خلال هذه العلاقات، وكانت أسرة هان الشرقية تهدف إلى زيادة حجم التجارة وتطوير الروابط الثقافية بين الصين وهذه المناطق. في الوقت نفسه، كان للصين تأثير كبير في نشر ثقافتها ومعتقداتها الدينية في هذه المناطق [٦٢٢].

من جهة أخرى، كانت الصين تواجه تحديات من بعض القوى الخارجية التي كانت تحاول تقويض مكانتها في المنطقة, وكانت أسرة هان الشرقية تواجه في بعض الأحيان تهديدات من قبل إمبراطوريات غربية كانت تنافسها على النفوذ في آسيا الوسطى. لكن في معظم الأحيان، كانت الدبلوماسية الصينية تحرص على تجنب الصراعات المفتوحة مع هذه القوى، مفضلة التفاوض على حلول سلمية [٦٢٣].

بالتوازي مع هذه التحركات الدبلوماسية، كانت الصين تسعى إلى تحقيق التفوق العسكري في بعض المناطق الإستراتيجية، مثل المناطق الغربية والشمالية. كانت أسرة هان الشرقية تبني تحالفات مع بعض الممالك القوية في آسيا الوسطى، مثل "اليوتشي"، التي كانت تشاركها

---

(620) R. De Crespigny, **The Han Dynasty**, pp. 1170-1175.

(621) S. Y. Chen, **The China of the Han Dynasty**, p. 127.

(622) Shi-yun Chen , **The China of the Han Dynasty** , pp. 127-130.

(623) J. Zhongji, **The Fate of Traditional Culture**, pp. 152-154.

في التوترات العسكرية ضد الهون. في تلك الأثناء، كانت الصين تعتمد على التعاون العسكري والدبلوماسي لحماية حدودها وتعزيز نفوذها في المنطقة [٦٢٤].

فضلاً عن هذه العلاقات مع القوى الخارجية، كانت أسرة هان الشرقية تسعى إلى تعزيز روابطها مع الدول في جنوب شرق آسيا. كان هناك تعاون طويل الأمد مع دول مثل "فيتنام" و"لاوس"، اذ كانت هذه الدول بمثابة أسواق لتجارة السلع الصينية. كانت الصين تستخدم هذه الروابط التجارية لزيادة قوتها الاقتصادية وتأثيرها الثقافي في هذه المناطق [٦٢٥].

على الرغم من التحديات العسكرية والاقتصادية التي واجهتها أسرة هان الشرقية، كانت الدبلوماسية تمثل أحد الأساليب الرئيسية لتحقيق أهدافها الخارجية, وكانت هذه الدبلوماسية تتسم بالحذر والذكاء، إذ كانت الصين تستفيد من قوتها الاقتصادية وثقافتها العريقة في تعزيز علاقاتها مع القوى المجاورة [٦٢٦].

خلال مدة حكم أسرة هان الشرقية، كانت الصين تواجه تهديدات مستمرة من بعض القوى الأجنبية مثل الهونغ نو، بالإضافة إلى ممالك في المنطقة المحيطة، مثل الممالك الكورية والقبائل التبتية. من أجل التصدي لهذه التهديدات، اعتمدت سلالة هان على سياسات التحالفات العسكرية والدبلوماسية، فضلاً عن تحسين قدرات الجيش الصيني [٦٢٧].

تضمنت الاستراتيجيات الدفاعية للهان إنشاء تحالفات مع جيرانهم في آسيا الوسطى لتقليل التهديدات على الحدود الصينية. على سبيل المثال، تحالفت أسرة هان مع قبائل يويشي في المنطقة الغربية ضد الهون ، وهي خطوة كانت تهدف إلى تعزيز الأمن على الحدود الشمالية الغربية للصين. كما عملت على تعزيز التبادل العسكري مع الممالك الكورية من خلال إرسال مستشارين عسكريين ودعم التحصينات على الحدود [٦٢٨].

فضلاً عن ذلك، قام حكام هان بتطوير شبكات من الجواسيس والدبلوماسيين الذين كان لهم دور رئيسي في جمع المعلومات حول تحركات الأعداء في المناطق المجاورة. وقد

---

(624) X. Chen , **The Tombs of the Eastern Han Dynasty**, pp. 56-75.

(625) M. Hui Guo, **Becoming Wen**, pp. 58-79.

(626) S. Daoheng, **The Eastern Transition**, pp. 1-14.

(627) H. Hong , **Xiongnuo Agency**, pp. 1198-1201.

(628) E.Endicott-West, **Mongolian Rule**, pp. 50-80.

اعتمدت سلالة هان أيضًا على بناء تحصينات قوية على الحدود، مثل الجدار العظيم الذي تم تطويره لحماية المناطق الشمالية من الهجمات [٦٢٩].

وبذلك، كانت أسرة هان الشرقية قد نفذت استراتيجية دبلوماسية هجومية، إذ كانت تسعى دائمًا إلى تقوية تحالفاتها مع جيرانها والحصول على الدعم العسكري من الدول المجاورة في وقت الحاجة، بينما كانت تسعى في الوقت نفسه إلى تقوية دفاعاتها على الحدود [٦٣٠].

كانت العلاقات الدبلوماسية لأسرة هان الشرقية من أهم عناصر قوتها السياسية والعسكرية. لقد ساعدت التحالفات العسكرية والدبلوماسية مع الهونغ نو وكوريا في الحفاظ على الاستقرار الداخلي والتصدي للتهديدات الخارجية. في الوقت نفسه، كانت سلالة هان تدير تحالفات مع دول أخرى في المنطقة لضمان الأمن في محيطها الجغرافي. كانت هذه السياسات الدبلوماسية جزءًا من رؤية أوسع لصيانة قوة الدولة وتنظيم مصالحها في المنطقة.

التجارة عبر طريق الحرير ودورها في السياسة الخارجية

التجارة عبر طريق الحرير كانت من أهم العوامل التي أسهمت في تعزيز مكانة أسرة هان الشرقية (٢٥ – ٢٢٠ ميلادي) على الصعيدين الاقتصادي والدبلوماسي. لقد شكلت هذه التجارة قناة حيوية للتبادل التجاري والثقافي بين الصين ودول عديدة في آسيا وأوروبا. من خلال السيطرة على جزء من تلك الطرق التجارية المهمة، استطاعت أسرة هان أن تبني علاقات تجارية دائمة مع العديد من الإمبراطوريات والممالك المجاورة، وهو ما أسهم بشكل كبير في تعزيز استقرار الدولة ورفع مكانتها في العالم [٦٣١].

طريق الحرير، الذي يعد من أهم مسارات التجارة في التاريخ، وكان له دور بارز في السياسة الخارجية للصين خلال عصر أسرة هان الشرقية. ولم يكن هذا الطريق مجرد ممر تجاري، بل كان قناة حيوية للربط بين الشرق والغرب، اذ كانت الصين تسعى لاستغلاله لأغراض اقتصادية ودبلوماسية. ويعد طريق الحرير الرابط الأساسي بين الصين والمناطق

---

(629) X. Chen, **Tombs of the Han Dynasty**, pp. 30-55.

(٦٣٠) Y. M . Fong , **Philosophy in the Han Dynasty**. In Routledge History of Chinese Philosophy , Routledge, (2008) , pp. 281-314.

(631) J. J. Kaufman , **Marketing Evaluation in Society**, pp. 52-64.

المجاورة في آسيا الوسطى والشرق الأوسط وأوروبا. وكان يشمل العديد من المسارات البرية والبحرية التي تسهم في تدفق السلع والثقافات بين الشرق والغرب [٦٣٢].

في البداية، كان الطريق يمر عبر مناطق في آسيا الوسطى، اذ تتبادل الصين السلع مع مختلف الإمبراطوريات والممالك التي كانت على طول الطريق, وكانت السلع الأساسية التي تُتبادل هي الحرير، الذي كان يحظى بشعبية كبيرة في العالم الغربي، والتوابل التي كانت تُعدَّ من أغلى السلع في الأسواق الأوروبية. كانت هذه التجارة تُعتبر شريانًا حيويًا لاقتصاد الصين، وتُسهم في تعزيز مكانتها الاقتصادية في العالم القديم [٦٣٣].

على الرغم من الأهمية التجارية لهذه الطريق، كانت أسرة هان الشرقية تدرك أن التجارة عبر طريق الحرير لها تأثير سياسي عميق أيضًا. لذلك كانت الصين تستخدم هذا الطريق ليس فقط لتوسيع تجارتها، ولكن أيضًا لبناء علاقات دبلوماسية مع القوى المجاورة. وكانت الصين تبعث بعثات دبلوماسية إلى الممالك في آسيا الوسطى وجنوب غرب آسيا لتأمين ممرات آمنة للتجارة وضمان استقرار تلك المناطق. وكان تجار الحرير الصينيون في بعض الأحيان يسافرون مع هؤلاء السفراء، مما يعزز علاقات التبادل الثقافي والتجاري بين الصين ودول أخرى [٦٣٤].

فضلاً عن ذلك، كانت أسرة هان الشرقية تستخدم التجارة عبر طريق الحرير لزيادة نفوذها في المناطق المختلفة. كان للتجارة تأثير سياسي اذ كان يتم تبادل الهدايا والسلع الثمينة مع الممالك الأخرى لتوطيد العلاقات الدبلوماسية. وكان العديد من الحكام في آسيا الوسطى قد انحازوا إلى الصين بسبب هذه الروابط التجارية، مما ساعد على حماية مصالح الصين على المدى الطويل. كان استخدام الهدايا والمساعدات في السياسة الخارجية يعكس التفكير الاستراتيجي لأسرة هان الشرقية في تعزيز مكانتها [٦٣٥].

لم يكن طريق الحرير مجرد ممر للتبادل الاقتصادي، بل شكّل فضاءً واسعًا للتفاعل الثقافي والحضاري. إذ حملت قوافل الحرير، إلى جانب السلع التجارية، أفكارًا دينية وفلسفية

---

(632) W. S. Coplin, **Vocal Terms**, pp. 3-24.

(633) R. De Crespigny, **The Han Dynasty**, pp. 39-53.

(634) L. He , **Dietary Transition,** pp. 975-982.

(٦٣٥) K . Deng, **GDP per capita in China from the Han Dynasty to the Communist Era**, pp. 2-25.

انتقلت بين الشرق والغرب. وقد شهد هذا الطريق تدفّقًا مستمرًا للديانات، وفي مقدمتها البوذية، التي انتشـرت عبره إلى الصـين ثم إلى مناطق أخرى. وأسـهم هذا التبادل الثقافي في إحداث تأثيرات عميقة في البنية الثقافية والدينية للمجتمع الصيني، كما مثّل عاملًا إضـافيًا دفع الدولة إلى تعزيز علاقاتها الدبلوماسية وضمان استقرار هذا الطريق الحيوي [٦٣٦] .

على الرغم من التوترات والتهديدات التي كانت تحدث بين الصين وبعض القوى المجاورة على طول الطريق، فكانت أسـرة هان الشـرقية تسـتخدم اسـتراتيجيات دبلوماسـية لتجنب الصـراعات. كان الطريق بمثابة أداة استراتيجية للدبلوماسية السلمية، اذ كانت الصين تسعى للحصول على ضمانات لحماية قوافلها التجارية في الأراضي المعادية. وكان يتم التوصل إلى اتفاقات مع الممالك المحلية للحصول على دعمها في حماية القوافل الصينية [٦٣٧].

كانت أسرة هان الشرقية تسعى بشكل دائم لضمان تدفق التجارة عبر هذا الطريق دون معوقات. كانت الحكومة الصينية تتخذ إجراءات لتوسيع الطرق وتحسين بنيتها التحتية لضمان الوصول السهل للسلع إلى الأسواق الخارجية. كانت هذه الجهود تأتي في إطار سعيها لتعزيز اسـتقرار التجارة وتوسـيع نطاق تأثيرها في منطقة آسـيا الوسـطى. كما كانت المفاوضـات الدبلوماسـية جزءًا لا يتجزأ من هذه العملية، حيث كانت الحكومة الصـينية تضـمن وصـول السلع الصينية إلى الأسواق بأمان [٦٣٨]

كانت سياسة الصين في استخدام طريق الحرير لا تقتصر فقط على التجارة، بل كانت تهدف أيضًا إلى فرض نفوذها العسكري في بعض الأحيان, وكان هناك وجود عسكري صيني في بعض المناطق الاستراتيجية على طول الطريق لضمان الأمن وحماية القوافل التجارية من هجمات البدو أو القوى المعادية, واسـتفادت الصـين من وجودها العسـكري في هذه المناطق لتعزيز علاقاتها مع القوى المحلية وتقديم الحماية لها مقابل تحالفات سياسية [٦٣٩]

مع تقدم الزمن، أصـبح طريق الحرير أكثر أهمية في اسـتراتيجيات السـياسـة الخارجية الصينية. كانت الصين تسعى لزيادة تواجدها العسكري والاقتصادي في المناطق الواقعة على

---

[٦٣٦] F. Li, **Changes in gut microbiota in Han populations with Parkinson's disease**, pp. 134297-134305.

[637] B. Laredon, **The Contest in the Aela Empire,** pp. 107-134.

[638] M. Kim, **Claims of Antiquities**, pp. 12-30.

[639] J. Lin, **The Political Economy and Legacy of the Han Dynasty**, pp. 3-10.

طول الطريق لتوسيع نطاق تأثيرها. كانت تركز بشكل خاص على آسيا الوسطى، التي مثلت نقطة التقاء بين الصين والغرب, من خلال هذه العلاقات، كانت الصين تسعى لتحقيق توازن استراتيجي مع القوى المجاورة في هذه المنطقة [٦٤٠].

تُعدَّ سياسة الدبلوماسية الصينية عبر طريق الحرير مثالًا على كيفية استخدام التجارة أداةً استراتيجية في السياسة الخارجية. فقد كانت الصين تسعى من خلال هذا الطريق إلى تعزيز مصالحها السياسية والاقتصادية، وتأمين موقعها كقوة تجارية رائدة في العالم القديم. كانت السلع الصينية تنتقل عبر العديد من الممالك والإمبراطوريات، مما يعكس قدرة الصين على بناء شبكة من العلاقات التجارية والدبلوماسية عبر مناطق شاسعة [٦٤١].

كان لوجود الصين في طريق الحرير تأثير أيضًا على الممالك التي كانت تقع على هذا الطريق. فقد تأثرت هذه المناطق بالثقافة الصينية وبالمعرفة التقنية، مثل صناعة الحرير واستخدام الورق. كانت هذه التبادلات الثقافية جزءًا من سياسة الصين لتوسيع نطاق تأثيرها الثقافي في الخارج. كما كانت العلاقات التجارية في بعض الأحيان تؤدي إلى نشر السلع الصينية في أسواق العالم المتقدم، مما يعزز من سمعة الصين كمنتج رئيسي في أسواق العالم [٦٤٢].

كانت أسرة هان الشرقية تسعى أيضًا إلى تعزيز قدرتها العسكرية عبر توسيع علاقاتها مع الممالك الواقعة على طريق الحرير. كان هناك تبادل مستمر للتكنولوجيا العسكرية والمعرفة العسكرية بين الصين والممالك الأخرى. هذا التبادل كان يساعد على تقوية التحالفات العسكرية وضمان تأمين طرق التجارة الهامة. من خلال هذه العلاقات، كانت الصين تأمل في تقوية موقفها في مواجهة التهديدات من القوى المعادية [٦٤٣].

علاوةً على ذلك، ضمّ طريق الحرير عددًا كبيرًا من المحطات التي شهدت نشاطًا تجاريًا وعسكريًا متداخلًا, وقد مثّلت هذه المحطات نقاط اتصال محورية بين الصين والعالم الخارجي،

---

(640) M. Lui, **Advisors in the Two Han Dynasties**, pp. 25-30.

(٦٤١) Z. Lu, **Becoming Confucius**: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor. (2020)., pp. 125-140

(٦٤٢) J. Magli, **The Sacred Landscapes of the Han Emperor's "Pyramids**.", pp. 79-85.

(643) A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**., pp. 360-365.

إذ جرى من خلالها تبادل السلع والتقنيات والمعارف, وأسهمت هذه المراكز في تعزيز الروابط التجارية والدبلوماسية بين الصين والمناطق المحيطة بها، كما أدّت دورًا مهمًا في دعم النفوذ الصيني وضمان استقرار حركة التبادل عبر هذا الطريق [٦٤٤] .

ومع مرور الوقت، غدا طريق الحرير رمزًا للتفاعل المتبادل بين الشرق والغرب، إذ اعتمدت عليه أسرة هان الشرقية بوصفه أداةً رئيسة في سياستها الخارجية, فقد استُخدمت التجارة وسيلةً لتحقيق أهداف سياسية وعسكرية، إلى جانب كونها أداةً لتعزيز النفوذ الثقافي الصيني في الأقاليم المجاورة. وبذلك شكّل طريق الحرير حلقة وصل بين حضارات متعددة، وأسهم في توطيد العلاقات بين الصين والدول المحيطة بها، الأمر الذي جعله عنصرًا لا يتجزأ من الاستراتيجية الدبلوماسية للدولة خلال تلك الحقبة [٦٤٥] .

بدأت الصين تحت حكم هان الشرقية في توسيع شبكة علاقاتها التجارية الدولية مع مناطق مثل وسط آسيا، الهند، البحر الأبيض المتوسط، وحتى مناطق أبعد مثل الإمبراطورية الرومانية. طريق الحرير الذي يربط الصين بشبكة من الأسواق العالمية كان يمثل العمود الفقري لهذه العلاقات التجارية. كان الحرير هو السلعة الأساسية التي كانت الصين تصدرها، وقد جلبت هذه التجارة الثروة والموارد الهامة التي عززت الاقتصاد الوطني وأثرت بشكل مباشر على تطور الصناعات الصينية الأخرى [٦٤٦].

كذلك لم تقتصر أهمية طريق الحرير على الجوانب الاقتصادية فقط، بل اسهم في نشر ثقافة الصين وفكرها الديني من خلال التبادل الثقافي مع الدول الأخرى. هذا التبادل الثقافي ساعد على تعزيز النفوذ السياسي للدولة الصينية في المنطقة، اذ كانت الصين تقدم نفسها كقوة عظيمة في عالم مليء بالتحديات[٦٤٧].

---

[٦٤٤] B. Patterson, J. L. Israel , **China and East Asia to the Han Dynasty**, pp. 40-45.

[٦٤٥] E. L. Sabatini, **The War Economy of the Western Han Dynasty**, pp. 120-125.

[٦٤٦] D. young-Hanke, **The Power of a So-Called Tradition**: A Prophecy Glorifying the Han Emperor Wu., pp. 257-260.

[٦٤٧] T. Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty**: An Introduction. pp. 1-8.

وتوسعت شبكة طرق الحرير بشكل كبير خلال مدة حكم أسرة هان الشرقية، مما اسهم في تعزيز العلاقات الدبلوماسية بين الصين ودول متعددة. أصبحت التجارة على هذه الطرق عنصرًا رئيسيًا في السياسة الخارجية لأسرة هان، اذ أثرت بشكل مباشر في اتخاذ القرارات السياسية والمفاوضات الدبلوماسية [٦٤٨].

ومثلت العلاقات مع الإمبراطورية الرومانية مثالاً على ذلك. في عام ١٦٦ ميلادي، اذ أرسلت أسرة هان بعثة دبلوماسية إلى روما، وهي أول بعثة دبلوماسية رسمية للصين إلى الإمبراطورية الرومانية، بهدف تعزيز العلاقات التجارية والثقافية بين الطرفين, وكانت هذه البعثة محاولة لتحسين تبادل السلع بين الصين وروما، مثل الحرير الصيني مقابل الذهب والفضة الرومانية, وعلى الرغم من أن هذه العلاقات كانت في البداية تجارية بشكل رئيسي، إلا أن الارتباط الوثيق عبر طريق الحرير اسهم في تطوير هذه العلاقات إلى مستوى دبلوماسي [٦٤٩].

توسع الطريق أيضًا إلى مناطق مثل الهند ووسط آسيا، إذ كانت الصين تتفاوض مع الدول في تلك المناطق بهدف تأمين طرق التجارة وتوسيع أسواقها, وكانت أسرة هان تستخدم السياسة الاقتصادية أداةً دبلوماسية، وتستفيد من تجارتها مع هذه الدول لتأمين تحالفات ودعم سياسي في مواجهة التهديدات من القوى الكبرى الأخرى مثل الهونغ نو في الشمال [٦٥٠].

مع توسع شبكة طريق الحرير، نشأت علاقات تجارية متنوعة مع القوى الإقليمية، وهذه العلاقات تضمنت كلا من التعاون والصراعات. فبينما كانت سلالة هان تهدف إلى تعزيز علاقاتها التجارية مع الجيران والحلفاء، كان التنافس على السيطرة على طرق التجارة والموانئ التجارية يؤدي في بعض الأحيان إلى صراعات.

---

[٦٤٨] M. Tao, and L. Wei , **Monetary and Financial System in the Two Han Dynasties**. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy, Routledge press , (2019)., pp. 70-75.

[٦٤٩] H. Van Es, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian.** pp. 240-245.

[٦٥٠] L. F.Wallace, **Between: Representations of the Immortals (Xian) in Eastern Han Dynasty Tomb Inscriptions**, pp. 74-80.

على سبيل المثال، كان هناك تنافس تجاري مع قبائل الهونغ نو في السهول الشمالية. هؤلاء كانوا يشكلون تهديدًا دائمًا للسلام على الحدود، كما كانوا يتنافسون مع الصين على السيطرة على طرق التجارة في المنطقة. في بعض الأحيان، كان الهونغ نو يهاجمون القوافل التجارية الصينية التي تعبر الحدود، مما يسبب اضطرابًا في حركة التجارة [٦٥١].

أما في الشرق، فقد نشأت صراعات تجارية مع الممالك الكورية. كان هناك ضغط من أسرة هان لتحسين نفوذها التجاري والسياسي في شبه الجزيرة الكورية، مما أدى إلى صراعات مع ممالك كوريا التي كانت تتنافس على نفس الأسواق والطرق التجارية [٦٥٢].

إلى جانب ذلك، كانت هناك علاقات تجارية أيضًا مع مملكة باكتريا في منطقة أفغانستان الحديثة. كانت هذه المملكة تشكل نقطة اتصال مهمة بين الصين وبلاد فارس، وكانت تبادل السلع من خلالها بين الشرق والغرب. ومع تزايد النفوذ الصيني في هذه المنطقة، نشأت بعض التوترات حول السيطرة على الأراضي التجارية والمناطق الإستراتيجية [٦٥٣].

شكّلت التجارة عبر طريق الحرير عنصرًا محوريًا في تعزيز الاقتصاد الصيني ورفع مكانة الصين على الصعيد الإقليمي والدولي، غير أنّها كانت في الوقت ذاته ساحةً للتفاعل مع قوى إقليمية سعت بدورها إلى الاستفادة من هذه الشبكة التجارية الواسعة. وقد اتسمت هذه العلاقات بازدواجية التعاون والتنافس، إذ عملت سلالة هان على تأمين طرق التجارة وحمايتها، ومنع أي تهديدات من شأنها عرقلة تدفّق السلع أو الإضرار بالمصالح الاقتصادية للدولة [٦٥٤].

أدّت التجارة عبر طريق الحرير دورًا محوريًا في السياسة الخارجية لسلالة هان الشرقية، إذ لم تقتصر على كونها وسيلة لزيادة الثروة الاقتصادية، بل غدت أداة فاعلة لتعزيز القوة السياسية للدولة الصينية. ومن خلال إقامة علاقات تجارية مع الإمبراطورية الرومانية، والهند،

---

[٦٥١] L. F. Wallace, **Representations of Falconry in the Eastern Han Dynasty**.., pp. 100-105.

[٦٥٢] A.Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 35-40.

[٦٥٣] J.Young, **The Han Dynasty Trade Platform**: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy., (2020). , pp. 135-140.

[٦٥٤] L. Zhang , **A New Vision of Political Thought in the Eastern Han Dynasty**., pp. 40-45.

وآسـيا الوسـطى، والممالك الكورية، برزت سـلالة هان قوةً مؤثرة في محيطها الإقليمي. كما أسهمت هذه الشبكة التجارية المتنامية في دعم الاستقرار الداخلي عبر زيادة الإيرادات وتعزيز النفوذ، وفي الوقت نفسـه شكّلت إطارًا للتفاعل مع القوى الإقليمية، سـواء عبر التعاون أو من خلال التنافس والصراع [٦٥٥] .

سياسات التوسع الإمبراطورية

سـعت أسـرة هان الشـرقية (٢٥ – ٢٢٠ ميلادي) إلى توسـيع حدودها العسـكرية بشـكل مسـتمر، اذ كانت القوة العسـكرية تلعب دورًا رئيسـيًا في السـياسـة الخارجية والتوسـع الإقليمي, وكانت الإمبراطورية في البداية تسـتهدف توسـيع نفوذها إلى المناطق المحيطة بالحدود، وهو ما يعكس سـعيها لتحقيق التفوق على جيرانها من خلال الضـغوط العسـكرية والسـياسـية. ومن أبرز محاولات التوسـع كانت الهجمات العسـكرية على قبائل الهونغ نو في الشـمال الغربي وتهديداتهم المسـتمرّة على حدود الإمبراطورية, هذا التوسـع العسـكري لم يكن مجرد رغبة في السيطرة على أراضٍ جديدة، بل كان أيضًا تهدف إلى تحقيق الأمان الداخلي من خلال ضمان عدم قدرة هذه القوى على تهديد الدولة الصينية [٦٥٦].

على الرغم من أن هذه الحملات العسكرية قد ضمنت أوقاتاً من الهدوء والضعف النسبي للمجتمعات المعادية على الحدود، إلا أن محاولات التوسـع كانت لها تأثيرات سـلبية على الاسـتقرار الداخلي. وتكبدت الدولة الصـينية خسـائر اقتصـادية ضـخمة نتيجة لحروبها المتواصلة، اذ كانت تكاليف الحملات العسكرية تستهلك موارد ضخمة من خزائن الدولة. كما أدت تلك الحروب إلى اسـتنزاف الطاقات البشـرية من خلال إرسـال الجيش بعيدًا عن مراكز الإنتاج الزراعي، مما أثر سـلبًا على الإنتاج المحلي وأدى إلى انعدام الاسـتقرار في بعض المناطق [٦٥٧].

---

[٦٥٥] J. Lin, **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**, pp. 10–15.

[656] J. Wu , **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**., pp. 45–50.

[657] M . Lu, **Advisors in the Han Dynasties**, pp. 30–35.

بجانب هذه التحديات الاقتصادية، تسببت الحروب المستمرة في اضطرابات داخلية بسبب الإرهاق العسكري والاجتماعي, وكان الجيش الصيني في بعض الأحيان يعاني من نقص في الإمدادات والموارد، الأمر الذي أثر على الروح المعنوية, كما أسهمت الحروب المستمرة في إضعاف السلطة المركزية، اذ كانت هناك تململات داخلية واحتجاجات من الفلاحين الذين عانوا من استنزاف الموارد والظروف المعيشية الصعبة [٦٥٨].

على مدار حكم أسرة هان الشرقية، كانت الحملات العسكرية ضد المناطق الحدودية، لاسيما تلك التي كانت خاضعة لسيطرة قبائل الهون، تشكل محورًا رئيسيًا في سياستها الدفاعية والتوسعية. بدأت هذه الحملات العسكرية في بداية القرن الأول الميلادي، وكانت تستهدف القضاء على تهديدات الهون الذين كانوا يشنون غارات منتظمة على المناطق الصينية [٦٥٩].

أحد أبرز القادة العسكريين في هذه الحروب كان الإمبراطور **وانغ مانغ**، الذي شن حملات ضخمة ضد الهون في عام ٢٣ ميلادي. كما عُرفت الحملة الشهيرة التي قادها الجنرال **بان تشاو** في عام ٧٣ ميلادي ضد الهون والتي حققت نجاحًا كبيرًا في تهديد تحركاتهم في الأراضي الصينية. كانت هذه الحملات تهدف إلى تقويض قوة الهون وإبعادهم عن الأراضي الصينية لتأمين الاستقرار الداخلي [٦٦٠].

ومثّلت العلاقات الدبلوماسية أحد الجوانب الأساسية في السياسة الخارجية لأسرة هان الشرقية, وقد بدأت هذه المرحلة عقب انهيار أسرة هان الغربية عام ٢٣م، واستمرت حتى عام ٢٢٠م، وهي حقبة شهدت تحولات جوهرية في توجهات السياسة الخارجية الصينية, فقد اتسمت هذه المدَّة بتوسّع النفوذ الإمبراطوري وتعزيز العلاقات الدبلوماسية مع عدد من الدول والممالك المجاورة، في إطار سياسات توسعية ذات طابع إمبريالي هدفت إلى ترسيخ الحضور

---

[٦٥٨] Z. Lu, **Becoming Confucius**: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor., pp. 140-145.

[٦٥٩] J . Magli ,**The Sacred Landscapes of the Han Emperor's "Pyramids."** pp. 85-90.

[660] A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**., pp. 365-370.

الصيني في الأقاليم المختلفة، فضلًا عن تأمين طرق التجارة الحيوية، ولاسيما طريق الحرير [٦٦١].

في البداية، كانت أسرة هان الشرقية تتبع سياسات توسعية على حدودها، فكان هدفها الأساسي هو استعادة الاستقرار الداخلي بعد الانقسامات التي شهدتها مدَّة حكم هان الغربية. كان الإمبراطور الأول لأسرة هان الشرقية، ليوو شيو – غوانغ وو (٢٥-٥٧م)، قد عمل على إعادة توحيد الصين بشكل تدريجي بعد أن تدهور الحكم في المدة السابقة. لكن في الوقت نفسه، كانت أسرة هان الشرقية تسعى إلى توسيع نطاقها على حساب المناطق المجاورة [٦٦٢].

فيما يتعلق بالعلاقات الدبلوماسية مع الدول المجاورة، كانت هان الشرقية في البداية تركز على تعزيز علاقاتها مع الدول الواقعة على الحدود الغربية. كان هناك اهتمام خاص بتوسيع النفوذ الصيني في المناطق الواقعة إلى الغرب من الصين الحالية، والتي كانت تمثل طرقًا حيوية للتجارة بين الشرق والغرب. على سبيل المثال، كان طريق الحرير أحد أهم وسائل التواصل بين الصين والعالم الغربي، وكان لهذا الطريق أهمية خاصة في السياسة الخارجية لأسرة هان الشرقية. وبسبب ذلك، استمرت هان الشرقية في إرسال بعثات دبلوماسية إلى مناطق مثل إيران القديمة وبلاد ما بين النهرين. كان من أبرز هذه البعثات تلك التي أُرسلت إلى الإمبراطورية الفارسية [٦٦٣].

واتسمت العلاقات الصينية–الفارسية خلال تلك الفترة بطابع من الاحترام المتبادل والتعاون التجاري، إذ نشط التبادل السلعي بين الطرفين، واستفاد التجار الصينيون من المنتجات القادمة من الأقاليم الفارسية، في إطار شبكة التجارة العابرة لآسيا, وعلى الرغم من أن هذه العلاقات قامت أساسًا على المصالح الاقتصادية، فإنها حملت في الوقت ذاته أبعادًا

---

[٦٦١] B. Patterson, J. L. Israel, **China and East Asia to the Han Dynasty**. In Travels in the First World History, to 1500 AD, (2023)., pp. 45-50.

[٦٦٢] T,Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty**: An Introduction, pp. 8-12.

[٦٦٣] E. L Sabatini, , **The War Economy of the Western Han Dynasty**., pp. 130-135.

دبلوماسية واضحة، إذ حرصت الأسرة الحاكمة في الصين على إبراز مكانتها ونفوذها في هذه المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية [٦٦٤] .

من جهة أخرى، كان توسع هان الشرقية نحو الجنوب والجنوب الشرقي جزءًا من سياستها الإمبريالية. فقد شهدت هذه المدَّة محاولات حثيثة لتوسيع النفوذ الصيني في فيتنام وكوريا. في عام ١١١ م، غزت أسرة هان الشرقية فيتنام وأسست حكمًا صينيًا هناك. كانت هذه الخطوة جزءًا من سياسة الإمبراطورية للتوسع عبر الجنوب، اذ كان الهدف هو تأمين المزيد من الأراضي الزراعية والموارد الطبيعية. في البداية، كانت العلاقات بين الصين وفيتنام مزيجًا من الصراع والتعاون، لكن مع مرور الوقت أصبح الحكم الصيني هناك أكثر استقرارًا، مما جعل المنطقة جزءًا من الإمبراطورية الصينية [٦٦٥].

كانت سياسات التوسع إلى كوريا أيضًا جزءًا من استراتيجية هان الشرقية. في عام ١٠٨ م، حيث خضعت كوريا للسيطرة الصينية عندما قام إمبراطور هان غوانغ وو بتأسيس ولاية لياو دونغ، التي شملت أجزاء من كوريا الحالية, ومن خلال هذه الخطوة، استطاعت هان الشرقية تأمين حدودها الشمالية، والحد من التهديدات العسكرية القادمة من تلك المنطقة, كما أن العلاقة بين الصين وكوريا كانت معقدة، حيث كانت كوريا تحاول الحفاظ على استقلالها في مواجهة النفوذ الصيني المتزايد [٦٦٦].

أما في ما يتعلق بالعلاقات الصينية مع الدول الهندية، فكان هناك تفاعل دبلوماسي محدود في فترة هان الشرقية. على الرغم من أن الهند كانت تقع بعيدًا عن الأراضي الصينية، إلا أن التجارة عبر طريق الحرير كانت تسمح بوجود تبادل ثقافي وتجاري بين البلدين. على سبيل المثال، كانت الهند تورد الذهب والأحجار الكريمة التي كانت تحظى بتقدير عالٍ في الصين، بينما كانت الصين تورد الحرير والمنتجات الأخرى [٦٦٧].

---

[٦٦٤] D. Young Hanke, **The Power of Alleged Tradition: A Prophecy Glorifying Emperor Han and Wu**., pp. 260-265.

[٦٦٥] M.Tao, and L. Wei, **Monetary and Financial System in the Han Dynasties**.., pp. 75-80.

[٦٦٦] H.Van Es, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian**. pp. 245-250.

[٦٦٧] L. F,Wallace **Between and Between: Representations of the Immortals (Xian) in Eastern Han Dynasty Tomb Inscriptions**, pp. 80-85.

كما أدّت العلاقات مع ممالك جنوب شرق آسيا دورًا مهمًا في استراتيجية أسرة هان الشرقية، إذ عُدّت هذه المناطق محطاتٍ رئيسة على طريق الحرير البحري الذي ربط الصين بجنوب شرق آسيا، ثم امتدّ نحو الهند وآسيا الوسطى. وقد سعت أسرة هان الشرقية إلى تعزيز حضورها ونفوذها في هذه الأقاليم من خلال إقامة تحالفات مع عدد من الممالك المحلية، بما يضمن تأمين المصالح التجارية وتوسيع دائرة التأثير السياسي والدبلوماسي للصين في المجال البحري [٦٦٨] .

من جانبٍ آخر، شمل التوسّع الإمبراطوري لسلالة هان الشرقية تعزيز التحالفات العسكرية مع بعض الدول الآسيوية. فعلى سبيل المثال، أرسل الإمبراطور غوانغ وو عام ٥٢م بعثةً دبلوماسية إلى مملكة يوانغ في الجنوب الشرقي، بهدف توطيد العلاقات السياسية والعسكرية معها، فضلًا عن تبادل الخبرات العسكرية، بما يخدم المصالح الاستراتيجية للدولة الصينية ويعزّز نفوذها الإقليمي [٦٦٩].

ورغم هذه التوجهات التوسعية، إلا أن أسرة هان الشرقية واجهت صعوبات في فرض سيطرتها على بعض المناطق الحدودية. فبينما كانت الحكومة المركزية في لويانغ تركز على تعزيز قوتها العسكرية، كانت المناطق الحدودية تواجه تحديات كبيرة مثل تمرد القبائل البدوية والهجمات من الإمبراطوريات المجاورة. على سبيل المثال، شهدت مناطق شمال الصين صراعات متواصلة مع القبائل الشمالية، مثل الهونيين. كانت هذه القبائل تمثل تهديدًا دائمًا على الحدود الشمالية للصين، وهو ما دفع سلالة هان الشرقية إلى البحث عن حلول دبلوماسية وعسكرية لتأمين حدودها [٦٧٠].

ومع بداية القرن الثاني الميلادي، بدأت الإمبراطورية الصينية تواجه تحديات داخلية أضعفت قوتها العسكرية والدبلوماسية. نشأت حركات تمرد داخلية، مثل تمرد "تينغ" في ١٨٤

---

[٦٦٨] L. F. Wallace, **Representations of Falconry in the Eastern Han Dynasty**, pp. 105–110.

[٦٦٩] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**., pp. 40–45.

[670] J. Wu, **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**., pp. 50–55.

ميلادي، الذي شكل بداية النهاية لأسرة هان الشرقية. هذه التحديات الداخلية أثرت بشكل كبير على قدرة هان الشرقية على الحفاظ على قوتها الإمبريالية والتوسع في الخارج [٦٧١].

وفي الختام، كانت سياسة أسرة هان الشرقية التوسعية والإمبريالية قائمة على تعزيز قوتها العسكرية والدبلوماسية, على الرغم من النجاحات التي حققتها السلالة في توسيع حدودها في مناطق متعددة من آسيا، فإن التحديات الداخلية والإدارية مع مرور الوقت أثرت على استقرار الإمبراطورية، مما ساهم في تراجع قوتها. ومع ذلك، تركت سلالة هان الشرقية إرثًا دبلوماسيًا وعسكريًا هامًا، اذ لعبت دورًا رئيسيًا في تحديد مسار العلاقات الدبلوماسية بين الصين والدول المجاورة خلال تلك المدة[٦٧٢].

على الرغم من النجاح العسكري في بعض الأحيان، كانت الحروب مع الهونغ نو تستنزف موارد الدولة بشكل كبير. لم تكن الإمبراطورية الصينية قادرة دائمًا على الحفاظ على الانتصارات بشكل دائم، حيث كان الهونغ نو في بعض الأحيان يعيدون تنظيم صفوفهم ويقومون بهجمات مضادة قوية، مما جعل الاستقرار في المنطقة الحدودية موضوعًا مستمرًا للتحديات [٦٧٣].

إلى جانب الهون، كانت سلالة هان الشرقية قد واجهت تحديات أخرى في مناطق أخرى مثل كوريا، حيث كانت الحملات العسكرية الصينية تهدف إلى إخضاع الممالك الكورية التي كانت ترفض هيمنة سلالة هان. استمر هذا التوسع العسكري في مناطق كوريا حتى أواخر القرن الأول الميلادي، حين تمكنت هان من تحقيق بعض التقدم في المنطقة، مما أدى إلى فرض تأثيرها على الممالك الكورية [٦٧٤].

ارتبطت سياسة التوسع العسكري في سلالة هان الشرقية ارتباطًا وثيقًا بالعوامل الاقتصادية والسياسية الداخلية. كان التوسع العسكري في البداية مدفوعًا بالحاجة إلى تأمين

---

[٦٧١] J Young , **The Trade Platform in the Han Dynasty: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy**., pp. 140-145.

[٦٧٢] L. Zhang, **A New Vision of Political Thought in the Eastern Han Dynasty**.., pp. 45-50.

[٦٧٣] J. Lin, **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**, pp. 15-20.

[674] M. Lui , **Advisors in the Han Dynasties**.., pp. 35-40.

حدود الإمبراطورية ضـــد تهديدات الهونغ نو والقبائل الأخرى في الشـــمال الغربي. لكن هذا التوسـع كان في الوقت نفسـه مرتبطًا بحاجة الدولة إلى الحصـول على موارد إضـافية لتعزيز اقتصـادها، خاصـة في ظل التحديات الداخلية مثل الاسـتنزاف الزراعي والضـرائب الثقيلة التي كانت تفرض على الفلاحين [٦٧٥].

من ناحية أخرى، كانت السياسة الخارجية التوسعية تؤثر على استقرار السلطة المركزية، حيث كانت الحملات العسكرية تتطلب استنفاد الموارد البشرية والمادية، وهو ما أثر سلبًا على الاقتصـــاد المحلي. كان تأثير الحروب واضـــحًا على الطبقات الاجتماعية المختلفة في الإمبراطورية، لاسـيما الطبقات الفقيرة التي كانت تتحمل عبء هذه الحروب من خلال التجنيد والعمل في الأراضـي العسكرية. كما كان لهذا التوسـع العسكري تأثير على علاقات الدولة مع النخب السياسية، حيث شعر البعض بالاستياء من الاستنزاف المستمر للموارد من أجل تحقيق أهداف التوسع العسكري [٦٧٦].

في سياق آخر، كان التوسع العسكري يعكس أيضًـا تفاعل الدولة الصينية مع التحديات السـياسـية الداخلية. فبينما كانت سـلالة هان تواجه مشـاكل في اسـتقرار الحكم بسـبب التنافس بين الفصـائل السـياسـية الداخلية، كان هناك أيضًـا تأثير من السـياسـة الخارجية على الوحدة الوطنية. على ســـبيل المثال، في المدَّة التي تلت حكم الإمبراطور **وانغ مانغ**، كانت هناك محاولات لإصـلاح النظام السـياسـي من خلال تقليص دور النخب المحلية في السـيطرة على الجيش وتوجيهه بشكل مباشر لخدمة مصالح الدولة [٦٧٧].

أما من الجانب الاقتصـادي، فقد أسـهم التوسـع العسكري في فرض سيطرة الصـين على مناطق جديدة كانت غنية بالموارد الطبيعية مثل المعادن والمراعي الخصـــبة. لكن كان لهذا التوسع العسكري تكاليف باهظة، إذ كانت الاستثمارات العسكرية تحتاج إلى مزيد من التمويل، مما أدى إلى فرض ضـــرائب عالية على الفلاحين والتجار, وهذا الأمر سَـبَّبَ توترًا اجتماعيًا

---

[٦٧٥] Z. Lu, **Becoming Confucius: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor**.., pp. 145-150.

[٦٧٦] J. Magli , **The Sacred Scenes of the Han Emperor's "Pyramids"**.., pp. 90-95.

[677] A. McLeod , **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**, pp. 370-375.

داخليًا، إذ كانت الطبقات الفقيرة تعاني من أعباء مالية ضخمة، مما ساهم في إشعال ثورات شعبية ضد سياسة الدولة(٦٧٨).

واتسمت سياسات التوسع والإمبريالية التي انتهجتها أسرة هان الشرقية بالتعقيد، إذ كانت مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالظروف الاقتصادية والسياسية الداخلية للدولة. فقد سعت الحكومة الهانية من خلال الحملات العسكرية والتوسّع الإقليمي إلى تأمين حدودها، وحماية طرق التجارة الحيوية مثل طريق الحرير، وتعزيز القوة الاقتصادية والسياسية للصين في المناطق المجاورة. ومع ذلك، لم تكن هذه السياسات خالية من التحديات؛ إذ كانت الحملات العسكرية المتكررة تتطلب استنزاف موارد الدولة المالية والبشرية، مما خلق ضغوطًا اجتماعية كبيرة على مختلف شرائح المجتمع. علاوة على ذلك، كان لتحقيق الانتصارات العسكرية ثمن باهظ على الاستقرار الداخلي، إذ أدّت الحروب المستمرة إلى إرهاق الاقتصاد، وزيادة الأعباء الضريبية، وتهديد التوازن الاجتماعي. وبذلك، أصبح واضحًا أن السياسة الخارجية لأسرة هان الشرقية لم تكن مجرد أداة للتوسع والنفوذ، بل كانت مرتبطة بشكل وثيق بإدارة الأزمات الداخلية والتعامل مع الضغوط الاقتصادية والاجتماعية بشكل متوازٍ، ما يوضح الترابط المعقد بين الديناميات الداخلية والخارجية في صياغة الاستراتيجية الإمبراطورية(٦٧٩).

(٦٧٨) B. Patterson, J. L. Israel, **China and East Asia to the Han Dynasty**, pp. 50-55.

(٦٧٩) T. Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty**: An Introduction. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy, Routledge press , (2019)., pp. 12-18.

الفصل الرابع

تأثير التطورات السياسية على انهيار الإمبراطورية الهانية ونظمها الحاكمة

المبحث الأول: أثّر التطورات السياسية على الفكر السياسي

تتمتع الصين بواحدة من أغنى تقاليد الفكر السياسي في العالم, وتشكل هذا الفكر خلال إحدى أكثر العصور حيوية في تاريخ الصين الطويل، والتي سُميت على نحو ينذر بالسوء بعصر الممالك المتحاربة (٤٥٣-٢٢١ قبل الميلاد). كان ذلك, عصر صراعات دموية وحروب مدمرة، ولكنه شهد أيضا نمواً اقتصاديًا سريعاً وتحوّلا اجتماعياً عميقاً، واختراقات وابتكارات جذرية في الاقتصاد والحرب والأساليب الإدارية والأفكار, وعلى الرغم من أنَّ التاريخ الصيني كان حافل بسفك الدماء والثورات التي أعقبت استبدال سلالة حاكمة بأخرى, إلا أنَّ النظام السياسي الصيني التقليدي الذي يُهيمن عليه الإمبراطور ونخبة البيروقراطية, ظل مستقراً وصامداً لأكثر من الفي عام. ورغم تضارب الأيديولوجيات والأديان داخل التقاليد الصينية, ظلت الكونفوشيوسية المصدر المهيمن للفكر السياسي الصيني, وأصبحت القيم الكونفوشيوسية المتمثلة في التسلسل الهرمي الاجتماعي, وسلطة الأسرة, والتركيز على الطقوس العامة وأخلاق الأفراد مبادئ فعالة في الممارسات السياسية الصينية.

أولا- ايدلوجية الحكم

الأيديولوجية من الناحية السياسية تشير إلى النسق الفكري الشامل، بغض النظر عن توجهه أو انتمائه الثقافي، ومن ثم تنقسم إلى أشكال متعددة مثل الأيديولوجية الليبرالية، والأيديولوجية الاشتراكية، والأيديولوجية القومية، مع العلم بأن هذه الأشكال تختلف في مبادئها وأهدافها, وتتشابه الأيديولوجية مع الفكر السياسي في كونهما تعبيراً عن مجموعة أفكار عن مجتمع ما، ماضيه ومستقبله, لكن الفارق بينهما يتضح من أن الفكر السياسي هو نتاج لإعمال فكر مفكر سياسي غالباً ما يكون محايد من الظاهرة السياسية, ويتعامل مع الواقع بشكل تحليلي، يفسر الواقع ويقدم تصوراً لما ينبغي أن يكون عليه, فإن الأيديولوجية يتم تقديمها من الزعامة أو النخبة في المجتمع, وغالباً المرتبطين بالسلطة السياسية, وكذلك تتضمن الأيديولوجية برنامج عمل لنقل الأفكار إلى الواقع مع البدء بتنفيذها [٦٨٠].

[٦٨٠] شاهر اسماعيل , **قراءة في مرتكزات الفكر السياسي الصيني** , من الكونفوشيوسية إلى الماركسية الصينية , المجلة الأفريقية للعلوم السياسية , المجلد ٧ , العدد ٢ , ديسمبر ٢٠١٨, ص ٧٥-٩١.

وأثمرت الحضارة الصينية القديمة فكرًا سياسيًا واستراتيجيًا متفردًا، اتسم بالسبق والأصالة والعمق، نابعًا من رحم المعاناة، ومتشـــكلًا في خضـــم الحروب الدامية التي عرفها تاريخ الإمبراطوريات الصـــينية المتعاقبة. إنه فكر يســتحق الاطلاع والدراســة من كل مهتم بالفكر السياسي من منظور نظري، ومن كل ساعٍ إلى صقل حاسته الاستراتيجية من منظور عملي. ويمكن القول إن الفكر الســياســي في الحضــارة الصــينية القديمة يحمل في طياته بذور كل الأفكار السـياسـية الاسـتراتيجية الحديثة وجذورها، فبالنظر إلى أهم مؤلفاته، يتضـح أن معظم الأفكار الكبرى التي تناولتها الكتب السياسية الكبرى مستمدة – على الأقل جزئيًا – من الفكر الصيني القديم [٦٨١] .

ظهر هذا الفكر الايدلوجي في أعقاب الانحطاط الخطير في الحرب غير المنتهية قبل سقوط دولة تشين عام ٢٠٦ ق.م, تلك الحرب التي تحولت من الخيَّالة وأخلاق الفروسية، إلى حالة توحَّش وإرهابٍ لا قيد له ولا ضـابط، وقد وصـل الإرهاب والفظاعة إلى أعلى المسـتويات في القرن الذي أعقب سـقوط هان الغربية سـنه ٩ م. في مثل ذلك العهد المظلم، كان السـؤال الذي شــغل النَّاس جميعًا هو: كيف يمكننا أن نتوقف عن تحطيم أنفســنا، وعن تدمير ذواتنا؟ واختلفت الإجابات، ولكن السؤال بقي نفسه[٦٨٢].

ومهما كانت طبيعة الخلافات الفكرية، فقد كان جميع المفكرين الذين ظهروا في عهد أسرة هان الأولى والثانية يسعون في المجال السياسي إلى إيجاد بدائل للأرستقراطية التقليدية، وإلى وضــع قاعدة للنظام الجديد وأســاســه الذي نشــأ على أنقاض النظام المركزي الإقطاعي المتداعي والمنهار في ســلالتي تشــو وتشــين. وفي هذا الإطار، بدأت بذور الفكر الســياســي تتبلور في عصـر هان الغربية، إذ انكبّ كل مفكر على محاولة تقديم إجابات للأسـئلة العديدة المطروحة، واستنباط حلول للأزمات المستجدة، فضلاً عن معالجة المشكلات القديمة المرتبطة بجوانب الحياة الســياســية والاجتماعية والاقتصــادية [٦٨٣]. لذلك عمدت الأمة الصــينية منذ نشــأتها إلى صــياغة أيديولوجيتها الوطنية الخاصــة، بهدف مواجهة الكوارث الطبيعية وصــدّ الغزوات البربرية, وقد اســتندت الســلالات الحاكمة إلى هذه الأيديولوجية لتعزيز ســلطتها

---

[٦٨١] محمد المختار الشنقيطي , **بذور الفكر الإستراتيجي وجذوره في الحضارة الصينية العتيقة** , مجلة جامعة قطر , ١-١١-٢٠٢٤ , ص ١-٦٣.

[٦٨٢] هوستن سميث، **أديان العالم**، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط٣، (حلب – ٢٠٠٧)، ص ٢٤٨.

[٦٨٣] عمر عبد الحي، **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**، ص ٦٥؛ وكذلك ينظر:

Sam Crane, **Life, Liberty and the pursuit of Dao**, p.14.

المركزية، مما مكّنها من تعبئة القوى العاملة والموارد في مختلف أرجاء البلاد، وضـمان إدارة فعّالة للشؤون الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية في ظل التحديات الداخلية والخارجية(٦٨٤) .

وسـعى العديد من العلماء، إلى فهم طبيعة النظام الحاكم في الصـين، مع تركيز خاص على النظام الإمبراطوري المركزي الذي تأسس منذ عهد أسرتي تشين وهان، واستمر متواصلاً لما يقرب من ألفي عام وقد زعمت مدرسـة هارفارد – ينشـينغ، ممثلةً بجون فيربانك، أن تاريخ الصـين الممتد لألفي عام كان خاضـعاً بالكامل لسـيطرة النظام الإمبراطوري المركزي. ويرجع أحد الأسـباب الرئيسـية لذلك إلى الحاجة الملحة في الصـين إلى السـيطرة على إدارة قنوات الري، وتنظيم البنية التحتية العامة، وضـمان توفير المياه وتوزيعها بشـكل عادل، وهو ما اسـتلزم إنشـاء حكومة مركزية قوية، على غرار ما حدث في الهند ومصـر والعراق. كما أن الإلحاح الشديد لإدارة الشؤون الوطنية بكفاءة ساهم في تشكيل وتعزيز السلطة المركزية(٦٨٥).

وعلى نحو مماثل أشـار ماكس فيبر في كتابه الكونفوشـيوسـية والطاوية إلى "أنَّ الحاجة الملحة في التحكم في الفيضـانات هو المفتاح لإنشـاء الحكومة المركزية والبيروقراطية في الصـين"(٦٨٦). ومع ذلك، يكشـف تاريخ الصـين عن واقع مختلف تماماً, فبالرغم من أنَّ الحكومات الصينية المختلفة نظمت في الغالب جهوداً واسعة النطاق للحفاظ على المياه وبناء مشـاريع البنية التحتية العامة، إلا أنَّ هذه الأنشـطة لم تكن السـبب الرئيس وراء إنشـاء النظام المركزي. ويعود ذلك إلى أنَّ الزراعة التقليدية في الصـين كانت تعتمد أسـاسـاً على مياه الأمطار، وليس على قنوات الري المصـطنعة، فضـلاً عن أنَّ مشـاريع قنوات الري كانت من اختصاص السلطات المحلية ولم تُدار بواسطة السلطات المركزية (٦٨٧) .

---

(٦٨٤) Qingjie Xia , Qi Tang , **political Implications of Historical and Philosophical China,** pp.75-91.

(٦٨٥) J.K Fairbank , **China: Tradition and Transformation**, Houghton Mifflin Company,
Boston, 1978, p.12.

(٦٨٦) M. Weber , **The Religion of China: Confucianism and Taoism**, tr. / and ed. by H.H.Gerth, with an introd. by C.K.Yang, Macmillan, N.Y, 1995, p 20.

(٦٨٧) H. Qin, **Hongshui lun zhi piping (The Critic about the Flood Control Theory)** The Economic Observer, 19 February ,2007, p.2.

فعلى سبيل المثال، في إمبراطورية هان لم تكن إدارة مؤسسات الري أو مشاريع الأنهار، كما كانت تُعرف في الصين القديمة، تحت السيطرة المباشرة للحكومة المركزية أو ضمن نطاق السلطات الثلاث أو الوزارات الست، ورغم أنها كانت تُعد من المؤسسات الوطنية، إلا أنها لم تُدار من قبل السلطات المركزية في العاصمة شانغان, وبذلك يبرز التساؤل حول كيفية نشأة المركزية في الصين, ومن خلال دراسة طبيعة السلطة المركزية ووظيفتها، يتضح أن السبب الرئيس وراء إنشائها كان توحيد الجهود لإدارة الحرب ضد القبائل البربرية في الشمال الصيني، إضافة إلى الاستجابة السريعة للكوارث الطبيعية المتكررة, كما كانت هناك ضرورة وطنية ملحة لتوحيد البلاد، والحفاظ على إرث السلالات الحاكمة، وتعزيز سيطرتها المطلقة على الحكم [٦٨٨] .

كما يمكن تفسير نشأة السلطة المركزية في الصين الإمبراطورية في ضوء تأثيرات متضافرة تمثلت في طبيعة الهيكلية الإدارية للدولة، وخصائص النظم السياسية التي حكمتها، وآليات العلاقة الهرمية التي نظمت التفاعل بين السلطة الإمبراطورية والوحدات الإدارية المحلية [٦٨٩].

وفي ظل نظام السلطة المركزية لأسرة هان تغّير تكوين المسؤولين الحكوميين من الأرستقراطيين إلى أصحاب الكفاءة والجدارة, ولم تعد التعاليم الطقسية قادرة على ضمان ولاء المسؤولين للإمبراطور , وكان لابد من وجود أيدولوجية دولة قائمة على التعاليم الطقسية للكونفوشيوسية التي أكدت على مسؤوليات النخب تجاه الدولة, ومنذ إعلان الكونفوشيوسية أيديولوجية الدولة الرسمية عام ١٣٥ ق.م أُنشئت أكاديميات وطنية لتدريب المسؤولين على التعاليم الكونفوشيوسية الذين تم اختيارهم عن طريق نظام التوصية والتفتيش [٦٩٠].

وتعد ايدلوجية حكم أسرة هان في الأصل تلخيصاً أو إجمالاً وتطويراً لجميع المدارس الفكرية في أخريات عصر الممالك المتحاربة (٤٥٣-٢٢١ ق.م), ومع ظهور الوضع السياسي للتوحيد الأكبر لأسرة هان, قامت تلك المدارس برسم السياسات وتقديم الاقتراحات

---

[٦٨٨] Ibid , p .2.

[٦٨٩] Mark Csikszentmihalyi, **Readings in Han Chinese Thought** , p 30.

[٦٩٠] Qingjie Xia , Qi Tang , **political Implications of Historical and Philosophical China**, pp.75-91. Lars T. Helliksen , **Autocratic Bureaucatism: Han fee's Ancient Chinese Strateies of Governance as contrasted with Machiavelli's Political Philosophy**, thesis in Political Science, university of Olso , 2002 , p 17.

واستيعاب وجهات نظر المفكرين الآخرين, وتعديل وتغيير أفكارها من اجل تأسيس وشرعنة السلطة المركزية الموحدة [٦٩١].

وخلال سنوات الحكم الأولى من أسرة هان، اتسمت الأوضاع السياسية والاقتصادية بالتعقيد. كرّس الحكام جهودهم لتطوير الاقتصاد والحفاظ على النظام الاجتماعي. وفي الوقت نفسه، كرّسوا جهودهم لبناء فكر حاكم يشمل الكونفوشيوسية والطاوية والشرعية, وشمل ذلك الفكر التطبيق الشامل للعقوبات والطقوس كما رّكز على تفسير "وو وي" الذي يُمّثل جوهر الطاوية. تفاعلت هذه المدارس الثلاث مع بعضها البعض وأسهمت بشكل كبير في استقرار أسرة هان الغربية, وتنميتها الاقتصادية في بداياتها, ومع مرور الوقت اعتمدت الكونفوشيوسية كأيدولوجية موجهة للحكم في ظل حكم الإمبراطور وو عام ١٣٥ ق.م [٦٩٢].

وحققت الإدارة الحكومية التي ظهرت في عهد وو وما بعده توازناً أفضل بين المركزية الاستبدادية لأسرة تشين والنظام الاجتماعي القائم على القرابة في عهد أسرة تشو, وكانت إدارتها المركزية أكثر عقلانية ومؤسساتية باطراد, عملت مع الزمن ضد الجيوب المحلية المتبقية للحكم الميراثي, لكنها, بعد قيام وانغ مانغ بمحاولة تطبيق الإصلاح الزراعي في نهاية عهد أسرة هان الأول, لم تعمد إلى استخدام سلطتها للانخراط في عمليات هندسة اجتماعية واسعة النطاق, بل تركت الشبكات الاجتماعية وحقوق الملكية القائمة إلى حد بعيد على حالها, وعلى الرغم من أنها فرضت الضرائب والسخرة لإنجاز المشاريع العامة, فإنها لم تحاول استنزاف الشعب إلى الحد الذي فعلته سابقتها أسرة تشين [٦٩٣].

ومع ذلك, فقد احتلت أسرة هان مكانة مرموقة في الصين القديمة, ولعبت أيدولوجيتها الحاكمة دوراً هاماً في تاريخ الثقافة الصينية. في بدايات أسرة هان تم تصحيح قوانين أسرة تشين المفرطة ونشأ فكر سياسي شامل شمل الكونفوشيوسية والقانونية والطاوية, وقد انصب

---

[٦٩١] خه جاو وو، وآخرون، **تاريخ تطور الفكر الصيني**، ص٢٤٦.

[٦٩٢] Li Zhen , **A Brief Analysis of Political Thought in Early Western Han Dynasty** , Centre for Promoting Ideas, USA , Vol. 1 No. 4; April 2011 , p 126.

[٦٩٣] فرانسيس فوكوياما , **اصول النظام السياسي** , ص ١٩٧.

ذلك الفكر على تثقيف الناس بالمعرفة القانونية, وبناء نظام الطقوس, وتعزيز نظام أخلاقيات الأسرة [٦٩٤].

وتستمد الايدلوجية السياسية في الصين مادتها ودعامتها الأساسية من نظام الأخلاق في الكونفوشيوسية، فقد كانت الأخلاق غاية الكونفوشيوسية السامية وهدفها المنشود، ذلك أن مفكريها قد شاهدوا بأنفسهم ما أصاب المجتمع الصيني من فوضى واضطراب، ناتج عن ضعف الباعث الأخلاقي، وذلك على أثر سيادة أمراء الإقطاع وانتشار الحروب بينهم، وقد رأوا أن لا سبيل للقضاء على تلك الفوضى إلا بإصلاح النظام الأسري في المجتمع الصيني، وتتمثل المبادئ الأساسية لنجاح ذلك؛ في الولاء والطاعة للأهل، والاستقامة والسلطة المطلقة للحاكم على المحكوم، وللاب على الابن، وللزوج على الزوجة، فضلاً عن حب الخير والحكمة والأيمان، وأن الأخلاق ينبغي أن تكون الأساس في كل من يريد أن يمارس العمل السياسي [٦٩٥].

وقد أولى حكام أسرة هان اهتماماً كبيراً لاختيار المواهب والكفاءات التي تدير الإمبراطورية, على سبيل المثال, تم تطبيق هذه السياسة وفق ما جاء على لسان احد ملوكها غوانغ وو: "**أنا الآن مبارك من الإلهة وبمساعدة الموهبين والجديرين بالتقدير. اعلن أخيراً توحيد الصين مرة أخرى, وابني إمبراطوريتي العظيمة, أمل ان تدوم إلى الأبد, وان يُكافئ أولئك الذين ساعدوني خلال الحرب**" وهناك قولاً اخراً في هذا السياق يجسد تطبيق هذه السياسة تطبيقاً عملياً في الإدارة الإمبراطورية "**يجب على المسؤولين التوصية بالكفاءات ويجب ان تشير هذه المواهب إلى أخطائي**" [٦٩٦].

وعندما حاول وانغ مانغ مؤسس أسرة شين – التي لم تدم طويلاً– اغتصاب العرش سنة ٩ م. دعا جميع المفكرين والعلماء المختصين لمعالجة ايدلوجية الحكم. وقام لفيف من أولئك المفكرين بتجهيز وأعداد فكر خاص اطلقوا عليه تسمية "تشين وي", ويعني النبوءات وشرح الكلاسيكيات, وكان الهدف من ذلك هو إضفاء الشرعية على حكم وانغ مانغ. وشهدت

---

[٦٩٤] Le Zhen , **A Brief Analysis of Political Thought in Early Western Han Dynasty** , p.p 126 –128.

[٦٩٥] حسين إسماعيل، **سفر الصين: رحلة في فكر وحياة ومجتمع الصينيين**، (مصر: الجيزة– ٢٠١٢)، أطلس للنشر والإنتاج العالمي، ط١ ، ص.٢٥.

[٦٩٦] Le Zhen , **A Brief Analysis of Political Thought in Early Western Han Dynasty** , p.p 126 –128.

أخريات أسرة هان الغربية اندلاع الحرب الأهلية وتنافس القادة السياسيين مثل (ليو شيو وقونغ صون شو) في اختلاق التكهنات وتلفيق النبوءات الدينية لتقديم الأدلة والبراهين على انهم تلقوا تلك التكهنات والنبوءات من العناية الإلهية [٦٩٧].

وحينما استحوذ ليو شيو (الإمبراطور غوانغ وو) على السلطة السياسية في خضم حمامات دم الانتفاضات الفلاحية سنة ٢٣ م, واصبح أول إمبراطور لأسرة هان الشرقية, تمادى في استغلال الإيمان بالقوى الدينية الخارقة, ولم يدخر وسعاً في تشجيع "تشين وي" وأصدر مرسوماً إمبراطورياً عام ٥٦ م. أعلن فيه مجموعة من النبوءات الدينية التي أصبحت – فيما بعد– أيدولوجية الحكم الرسمية. وعلى هذا النحو, أصبحت الكونفوشيوسية من العلوم الإلهية, وتتصف بالطابع الديني بشكل كبير في هان الشرقية [٦٩٨].

وكان الهدف الاسمى لتلك الايدلوجية التي اتبعها غوانغ وو في الحكم, هو تحقيق المثالية الأخلاقية, وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم, مما يساهم كلاّ من موقعه في بناء مجتمع منظم ومتحضر, وان بناء مجتمع منتظم ومتناغم والحفاظ عليه, يتحقق من خلال ممارستين مهمتين: الأولى: (الإنسانية والخير واللطف والإحسان والفضيلة وحب الزملاء) والثانية: (الطقوس والعادات والاحتفالات الدينية), ومن المتوقع ان يمتلك الحاكم والنخب الاجتماعية العامة الصفات الإنسانية الخيرة, وتعمل كمعيار أساسي للسيطرة على الجماهير والحفاظ على المجتمع المتحضر, فتكون الحكومة الجيدة تقود الجماهير بالفضيلة, وتكبح جماحهم بالطقوس [٦٩٩].

وعلى هذا الأساس, يمكن تقسيم تلك الأفكار وفق نظريتين أخلاقتين الأولى: نظرية تقويم الأسماء وهي عبارة عن تقرير وظيفة كل شخص داخل مؤسسته, وتحديد أدواره الفعلية بدون تجاوز للصلاحيات مثل الحاكم والأمير والوزير والوالد والابن والزوجة, ويُضرب على سبيل المثال, غياب الوحدة وانقسام الدولة الذي سببه سيطرة الوزراء والأمراء على المقاطعات بدون

---

[٦٩٧] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص٢٥١.

[٦٩٨] المصدر نفسه , ص٢٥١.

[٦٩٩] Xing Lu , **Chinese Political Communication: Roots in Tradition and Impacts on Contemporary Chinese Thought and Culture**, Intercultural Communication Studies , Vol- 1, 2002 , pp 97-103. Lun Du , **Legitimate Authority" in the Chines Tradition**: Ethics-Politics , Int. Confucian Stud. 2022, Vol 1 , No (1): p.p 81-95.

ارتباط فعلي للسـطلة المركزية. أما النظرية الثانية: هي نظرية السـعادة والتي يعدها الهدف المنشـود للإنسـان داخل الآسـرة ومسـؤولية الحكومة الصـالحة نحو الشـعب والتي من خلال التعليم يتحول الفرد إلى مواطن مستنير والى الحكم الصالح بالنهاية [٧٠٠].

وفي عام ٧٩ م, اسـتدعى الإمبراطور تشـانغ عدداً كبيراً من الباحثين والمفكرين لعقد مؤتمر برئاسته في معبد النمر الأبيض لمناقشة الكلاسيكيات, وقام المؤرخ الصيني المشهور بان جو, صاحب كتاب "سجلات هان – هانشو", بجمع وثائق ذلك المؤتمر في كتاب يحمل عنوان "رسالة النمر الأبيض", اذ تم إدماج الكلاسيكيات الكونفوشيوسية من الإيمان بالخرافات والقوى الدينية الخارقة بالتكهنات والنبوءات الدينية لـ "تشين وي", لشرح النظام السياسي والاجتماعي والإقطاعي, ونظرية الأخلاق, واصـبح ذلك الكتاب يضـم مجموعة من القوانين الإقطاعية التي تخدم الطبقة الحاكمة في ذلك العصر [٧٠١].

كان المذهب السـياسـي لدونغ تشـونغ شـو المتبع في أسـرة هان الأولى منذ عهد الإمبراطور وو, بمثابة الأيدولوجية الاسترشادية لكتاب "رسالة النمر الأبيض" بصورة أساسية, وتمحورت أفكار الكتاب الرئيسة على توطيد وتدعيم الاستبدادية المركزية وشرح العلاقة بين العناصـر الخمسـة (المعدن, الخشـب, الماء, النار, التراب), وإبراز عنصـر التراب على وجه الخصوص بصفته العنصر الاسمى بين تلك العناصر واكبر مهيمن على التنظيم الاجتماعي, ويتطابق تماماً مع النظرية الدينية لدونغ التي قدمت البراهين على المكانة الاسـمى للحكام, وإضفاء طابع التقديس على السلطة السياسية للاستبدادية الإقطاعية المركزية [٧٠٢].

ويمكن تصـور المركزية في عهد هان، على وفق ترسـيمة هرميّة على القمة: الإمبراطور أو ابن السماء تيان تسـي (天子)، لا شـيء فوقه سـوى السـماء، وله وحده الحق في تقديم الأضـاحي لأسـلاف السـلالة، والمعبود الأسـمى، له مقر ملكي يقع في مركز العاصـمة، اذ

---

[٧٠٠] سعد عبدالوهاب عبدالكريم , **الاتجاهات القديمة في الفكر السياسي الصيني (الكونفوشيوسية – الطاوية – الموهية – المشرعين**, مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية , مجلد ١٢ , العدد ١ , ٢٠٢٤ , ص .ص ٣٣٦-٣٥٩.

Xing Lu , **Chinese Political Communication: Roots in Tradition and Impacts on Contemporary Chinese Thought and Culture** , p 100.

[٧٠١] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص٢٥٢.

[٧٠٢] المصدر نفسه , ص٢٥٢.

يمارس سلطة مباشرة بعد التفويض[٧٠٣]. ومبدأ التفويض هذا، هو قاعدة البنية المسمَّاة بالإقطاعية، فيمنح من سطلته إلى الإقطاعيين بحيث إن أثرهم السياسي يزداد أهمية بقدر قربهم من السلالة الملكية، مؤكدين بذلك مدى تطابق البنى السياسية والأسرية[٧٠٤].

وفي ضوء مذهب دونغ من الأركان الثلاثة والمكارم الأزلية الخمسة اقترح كتاب "رسالة النمر الأبيض" الأركان الثلاثة وأواصر القربى الست (الأب الأم – الأخوة الكبار والأخوة الصغار – الزوجة والأولاد) بهدف تعزيز نظام الحكم الإقطاعي. وتوجد إرهاصات الأركان الثلاثة الخاصة بالتعاليم الإقطاعية في كتاب هان فيي المشهور, وحاول دونغ استغلال مذهبه الديني القائل في اليانغ المقام الأول والين في المرتبة الثانوية لتأسيس علاقة التابع بالمتبوع بين الحكام والرعية والإباء والأبناء والزوج والزوجة, كما أشار إلى ان العلاقة بين أواصر القربى الست هي علاقة فوقية إقطاعية[٧٠٥].

ولتنفيذ تلك العلاقة الفوقية بين الطبقات, كان من الضروري أنشاء سلطة مركزية قادرة على حشد الشعب وموارده بفعالية, ومنذ تأسيس أول دولة حديثة في الصين القديمة – دولة تشين– دأبت الدولة الصينية على تطوير وتحسين السلطة المركزية الجماعية وبنيتها السياسية, اذ يقيم الإمبراطور في بلاطه من العاصمة المركزية لممارسة سلطاته السياسية على الأقاليم المحلية, وكانت العلاقة بين السلطة المركزية والسلطات المحلية علاقة هرمية وفق مبدء التفويض السماوي هذا, اذ يعهد إلى الحاكم بمهام إدارة الحكم في البلاد, ومنح جزء من سلطاته إلى أقاربه الجديرين بالتقدير والموثوقين مع منحهم أراضي زراعية كبيرة مقابل تعهدات الولاء منهم [٧٠٦].

أخيرا أسس حكّام أسرة هان الصينية نظامًا ذكيًا لتأمين الولاء السياسي وتعزيز الإنتاج الزراعي، تمثّل في منح الأراضي الزراعية لمؤيديهم والمقربين منهم, وكان ذلك النظام يُستخدم أداةً لضمان الولاء للعرش الإمبراطوري، إذ ربط الحيازة الزراعية بالخضوع للسلطة المركزية. غير أن هذا النهج، ومع تعاظم رقعة الإمبراطورية وزيادة التحديات الإدارية، لم يكن كافيًا بمفرده

---

[٧٠٣] آن شنغ، **تاريخ الفكر الصيني الان**، ص ٥١.

[٧٠٤] آن شنغ، **تاريخ الفكر الصيني الان**، ص ٥١.

[٧٠٥] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص٢٥٢.

[٧٠٦] Qingjie Xia , Qi Tang , **political Implications of Historical and Philosophical China,** Malaysian Journal of Chinese Studies , 2022 , Vol 11 , No 2 , pp.75-91.
Lun Du , **Legitimate Authority" in the Chines Tradition** , p. 91.

لضمان الاستقرار طويل الأمد. فقد أدرك حكّام هان أنَّ الاعتماد على الروابط الشخصية والولاءات المحلية لا يكفي لإدارة دولة مترامية الأطراف. وهكذا، بدأوا تدريجيًا بتطوير هياكل إدارية أكثر تنظيمًا ومركزية. بهذا الانتقال والتطور، أصبحت الإدارة الإمبراطورية في عهد هان أكثر انضباطًا وكفاءة، مما اسهم في تعزيز الاستقرار السياسي والنمو الاقتصادي، وأسّس لنموذج إداري ظل مؤثرًا في التاريخ الصيني لقرون طويلة.

ثانيا – الهياكل الإدارية والنظم السياسية

في ظل حكم أباطرة هان الشرقية، شهدت الصين تطورًا في الهياكل الإدارية والتنظيم السياسي الذي كان يعد بمثابة القاعدة لاستمرار تلك الأسرة المهيمنة لمدة طويلة في الصين, ومنذ بداية تأسيس حكم الأسرة في عام ٢٥ م. وحتى انهيارها في ٢٢٠م، كان هناك تركيز كبير على تحسين النظام الإداري لضمان استقرار الحكم وازدهار الاقتصاد. ويعد التنظيم السياسي في ذلك العصر من أهم النقاط التي يجب الوقوف عندها لفهم كيف تمكن أباطرة هان من استدامة حكمهم في مدّة من التحديات الداخلية والخارجية(٧٠٧).

إحدى السمات البارزة في التنظيم السياسي لأسرة هان الشرقية كانت هيكلها الهرمي المتقن والذي بدأ من الإمبراطور نفسه بوصفه رأس النظام السياسي، مرورًا بالحكام المحليين والوزراء، وصولًا إلى المسؤولين الإداريين في الأقاليم المختلفة, وكانت السلطة متركزة في يد الإمبراطور، الذي كان يُعد ممثلًا للسماء، وهو ما منحه الشرعية المطلقة في حكم الإمبراطورية. نظام الحكم هذا كان يعتمد على مجموعة من القوانين والقرارات التي كانت تصدر من القصر الإمبراطوري، وتُنفذ من قبل المسؤولين الذين تم تعيينهم وفقًا لمؤهلاتهم (٧٠٨).

في تلك المدة، ظهرت مجموعة من المناصب الحكومية التي كانت تتمثل في وزير الجيش، وزير الشؤون الداخلية، وزير الخزانة، وكذلك عدد من المستشارين الذين كانوا يقدمون

(٧٠٧) J. J. Ai, **Politics and Traditional Culture: The Political Use of Tradition in Contemporary China**. World Scientific (Singapore 2014) vol. 1 , p. 32.

(٧٠٨) A. J.Bowling , **The Hulinghu Tomb in the Eastern Han Dynasty**. p.p 79–103.

النصح للإمبراطور, ويُعد منصب الوزير واحدًا من أكثر المناصب أهمية، إذ كان المسؤولون في هذا المنصب يشرفون على جميع الأمور المتعلقة بالإدارة، بما في ذلك شؤون الدولة الداخلية والخارجية, وقد كان المستشارون الإمبراطوريون في العادة يتم اختيارهم وفقًا لمهاراتهم الفكرية وقدرتهم على تطبيق السياسات [٧٠٩].

ومن بين السمات الفريدة لتلك الحقبة، تميّزت الإدارة المركزية بنظام متكامل من الترابط بين العاصمة وولايات الإمبراطورية, فقد أُرسيت تسلسلات هرمية دقيقة للمسؤوليات تبدأ من الإمبراطور وتصل إلى الحكام المحليين، الذين كان يتم تعيينهم مباشرة من قبل السلطة المركزية, كما خضع أداء هؤلاء الحكام للمراقبة الدورية، لضمان الحفاظ على الاستقرار الاجتماعي والسياسي في مختلف المناطق، بما فيها النائية، وتأمين تنفيذ سياسات الدولة بفعالية عبر كافة أرجاء الإمبراطورية [٧١٠] .

وقد أثبتت إدارة أسرة هان الشرقية كفاءتها في التعامل مع المسائل الإدارية بفعالية كبيرة, فقد تم تقسيم الإمبراطورية إلى ولايات كبرى وصغرى، حيث كانت كل ولاية تحت إدارة حاكم محلي يُعيَّن مباشرة من قبل الإمبراطور، ويُمنح سلطة تطبيق القوانين المحلية، وجمع الضرائب، وتنظيم شؤون الأمن داخل ولايته, كما وضع النظام الإداري آليات معقدة لإدارة القضايا العسكرية، إذ كان لكل ولاية جيشها الخاص، إلا أن جميع العمليات العسكرية كانت تتم تحت إشراف وزيري الجيش في العاصمة، ما يضمن توحيد السياسة الدفاعية وتعزيز السيطرة المركزية على الإمبراطورية [٧١١] .

وكانت الإمبراطورية تعتمد بشكل كبير على البيروقراطية لتدبير شؤونها, وقد سهلت تلك البيروقراطية عمل الإمبراطورية الضخم، لكنها في ذات الوقت كانت تجعل من الصعب اتخاذ القرارات في الأوقات الحرجة. وعلى الرغم من هذا، إلا أن القادة الحكوميين في أسرة هان

---

[٧٠٩] Ibid. p.p 79-103.

[٧١٠] J. H. Cha , **The Historical Significance of the Reigns of Emperors Wen and Qing in the Earlier Han Dynasty, 180-141 B.C**. , p121.

[٧١١] S. Y. Chen, **Han China: Economy, Society, and State Power**. Tongbao press, (1984)., P.p 70, 127.

كانوا يعمدون إلى تخفيف العبء عن الإمبراطورية من خلال تفويض بعض الصلاحيات للحكام المحليين، وهو ما منحهم قدرًا من الاستقلالية في إدارة شؤونهم الداخلية [٧١٢].

أحد أبرز التحديات التي واجهت أسرة هان الشرقية كان النزاع السياسي الداخلي، إذ شهدت القصور الإمبراطورية صراعات متنامية بين المسؤولين الذين تنافسوا على السلطة والنفوذ. ومع ذلك، نجحت الإمبراطورية في احتواء هذه النزاعات إلى حد كبير من خلال تعيين مستشارين حكوميين ذوي خبرة وحكمة في شؤون الحكم، والذين لعبوا دورًا محوريًا في تحقيق التوازن بين القوى المتصارعة، وضمان استمرار إدارة الدولة بكفاءة، والحفاظ على استقرار النظام السياسي في مواجهة الضغوط الداخلية [٧١٣] .

من الجوانب البارزة الأخرى هي الإصلاحات التي تمت خلال عهد أباطرة هان الشرقية لتحسين الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. كانت هذه الإصلاحات تسعى لتحقيق التوازن بين القوة السياسية والاقتصادية، ما ساعد على استقرار الإمبراطورية لمدة طويلة. وقد كانت هذه الإصلاحات أيضًا تهدف إلى تعزيز قدرة الدولة على مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي كانت تلوح في الأفق [٧١٤].

وقد اعتمدت الإمبراطورية على نظام لتعيين الموظفين في المناصب الإدارية وفقًا لكفاءتهم التعليمية والاجتماعية، ما ضمن اختيار الشخص الأنسب لكل وظيفة. وفي إطار هذا النظام، كان الموظفون يحظون بالعديد من الامتيازات والفرص للتدرج في المناصب، مما عزز روح الولاء والانضباط والجدية في العمل الإداري. كما لعبت المدارس الإمبراطورية دورًا محوريًا في إعداد وتكوين الكوادر التي ستتولى المناصب العليا، فكانت تمثل حجر الزاوية في ضمان استمرارية الكفاءة الإدارية وتوطيد سلطة الدولة المركزية عبر الأجيال [٧١٥] .

---

[٧١٢] R. De Crespigny , **The Han Dynasty**,., p. 222.

[٧١٣] X. Chen, **Tombs of the Eastern Han Dynasty (AD 25–220) in Sichuan**, P. 28.

[٧١٤] X. Chen, **Tombs of the Eastern Han Dynasty (AD 25–220) in Sichuan**, p. 59.

[٧١٥] Shi-yun. Chen, **Han China: Economy, Society, and State Power**. Review of the article (1984), p 15.

وتجسّـد تنظيم هذه الهياكل الإدارية في نظام الإحصـاء الذي كان يُسـتخدم لتحديد حجم السكان، فضـلاً عن تحديد الضـرائب المقررة عليهم, وكان هذا النظام جزءًا أساسيًا من الإدارة الاقتصادية، اذ كان يتم حساب مستوى الإنتاج الزراعي في المناطق المختلفة [٧١٦].

وفيما يتعلق بالاقتصـاد، كان نظام هان يعتمد على الزراعة كعنصـر أسـاسـي في دعم الاقتصـاد, وقد شـهدت تلك المدة تطورًا في تقنيات الزراعة، مما سـاعد على زيادة الإنتاج، وبالتالي تعزيز قوة الدولة, وقد كانت هناك أيضًـا بعض السـياسـات التي تهدف إلى تحسـين الوضع المالي للدولة، مثل سياسات التجارة التي كانت تُعنى بتوسيع سوق المنتجات الصينية في الخارج [٧١٧].

من بين الإصـلاحات الاقتصـادية البارزة التي سـاهمت في تعزيز نمو الإمبراطورية، سـياسـات الحد من احتكار الأرض, ففي بداية عهد أسـرة هان، كانت الأرض مملوكة في الغالب لعدد قليل من النبلاء وكبار المسـؤولين، ما أدى إلى تفاوت اجتماعي كبير وأثر على الاستقرار الاقتصادي للفلاحين, وقد سعت السياسات التي فرضتها أسرة هان إلى إعادة توزيع الأراضـي بشكل أكثر عدلاً، بما يتيح للفلاحين الحصـول على موارد زراعية كافية، ويقلل من الاحتكار الذي كان يحدّ من الإنتاجية ويزيد من الفوارق الاجتماعية، وبالتالي دعم الاسـتقرار الداخلي وتعزيز القاعدة الاقتصادية للدولة [٧١٨] .

علاوة على ذلك، فإن أسـرة هان كانت أول من أدخل نظام ضـرائب إدارية في الصـين, وكانت الضـرائب تفرض على الفلاحين والعمال بشكل عادل، مما سـاعد في تعزيز الاقتصـاد المحلي ورفاهية الطبقات الفقيرة, وكان يتم جمع هذه الضـرائب من خلال إدارة مركزية، ما جعل النظام أكثر فعالية [٧١٩].

---

[٧١٦] W. S. A Coplin, , **Manual of Phonetic Terms in the Eastern Han Dynasty**. China University Press , (1983). , pp.87-88.

[٧١٧] S. Daoheng , **The Eastern Transmission of Chinese Culture in the Eastern Han Dynasty**, p.p 1-37.

[٧١٨] J. Zhongji , **On the Fate of Traditional Culture in Modern China** , p.p 152-164.

[٧١٩] R. De Crespigny , **The Eastern Han Dynasty**, pp. 39-53.

فيما يتعلق بالإصـــلاحات العســكرية، حافظت أســرة هان على جيش قوي وذو هيكل تنظيمي متين، يُعدَّ ركيزة أساسية لأمن الإمبراطورية, فقد اعتمدت الدولة على القوات العسكرية لمواجهة التهديدات الخارجية، لاسيما تلك الصادرة عن قبائل الشمال، وضمان حماية حدودها الممتدة. كما كانت الحكومة المركزية تشرف بشكل مباشر على إدارة الجيش وتنظيم تحركاته، ما يضــمن توحيد الاســتراتيجية العســكرية وتعزيز الأمن الداخلي والخارجي، إلى جانب دعم الاستقرار السياسي والاقتصادي للإمبراطورية [٧٢٠] .

فضـلاً عن ذلك، كانت هان الشرقية تشهد تحسنًا في السياسات المتعلقة بالبنية التحتية, ففي ظل هذا العهد، تم إنشاء العديد من الطرق التي كانت تسهل التنقل بين الولايات المختلفة, كما تم تحسين نظام الاتصال عبر البريد والإعلام لضمان تنقل الرسائل بسرعة بين العاصمة والأقاليم [٧٢١].

كان لنظام أسرة هان الشرقية علاقة وثيقة مع طبقة النبلاء والعائلات الثرية، وكان يمثل مصـــالحهم تقريبًا وكان جميع جنرالات يونتاي الثمانية والعشــرين من عائلات ثرية. اذ لعبت طبقة النبلاء دورًا رائدًا في مجتمع أسرة هان الشرقية، وقام الإمبراطور غوانغ وو بالتنسيق مع طبقة النبلاء والعائلات الثرية وأصبح السبب الرئيسي لغزو العالم [٧٢٢].

سـياسـيًا، كانت أسـرة هان الشـرقية ضـد السـلطة الحصـرية للأبطال وملوك العشـائر والأقارب، واسـتخدمت أسـاليب مختلفة للسـيطرة عليها, وجعلهم يتمتعون بالمعاملة التفضـيلية ولكن لا يشـاركوا في السـياسـة. أما بالنسـبة للوزراء في البلاط، فإن الإشـراف والمسـؤوليات صــارمة عليهم بشــكل خاص. ويقال في التاريخ الصــيني أنه "من الصــعب على الوزراء أن يتحملوا مسؤولية بعضهم البعض" [٧٢٣] .

---

[٧٢٠] K. Deng, and B. K. O'Brien , **GDP per capita in China from the Han Dynasty to the Communist Era**, p. 145.

[٧٢١] E. Endicott-West, **Mongolian rule in China: local administration in the Yuan Dynasty**, p.56.

[٧٢٢] Y. M. Fong, **Philosophy in the Han Dynasty**. , pp. 281-314.

[٧٢٣] H. Hong, **Xiongnuo agency and its political economy through the Han Dynasty**. pp. 1198-1201.

وقد ورث نظام البلاط الإمبراطوري لأسـرة هان الشـرقية نظام أسـرة هان الغربية ككل، ولكن بعد اعتلاء ليو شـيو العرش الإمبراطور غوانغ وو، نفذ سلسلة من الإصـلاحات لتعزيز المركزية على أسـاس النظام السـياسـي لأسـرة هان الغربية، بما في ذلك إضـعاف سـلطة المسؤولين الحكوميين الثلاثة وتوسيع سلطة المستشارية. وتعزيز سلطة مكتب المستشار, فلم تعد تتم إدارة جميع الشؤون الحكومية من قبل المسؤولين الحكوميين الثلاثة. وأصبحت (شانغ شـوتاي) الوكالة أو الوزارة التنفيذية للإمبراطور لإصـدار الأوامر، وتركزت كل السـلطة في الإمبراطور [٧٢٤].

وكان تأسيس أسرة هان الشرقية نتيجةً لإطاحة الإمبراطور غوانغ وو بأسرة شين ومقتل إمبراطورها وانغ مانغ، لتعود بذلك السـلطة مجددًا إلى أسـرة هان. وبناءً على ذلك، فقد اتّبع النظام الرسمي لأسرة هان الشرقية، في جوهره، نظام أسرة هان الغربية، دون أن تطرأ تغييرات جوهرية على التسميات والمناصب الرسمية, غير أنّ المقارنة بين الأسرتين تكشف أن أبرز سـمة ميّزت نظام هان الشـرقية تمثّلت في التعزيز الملحوظ لسـلطة الإمبراطور, ومن هنا، يصـبح من الضـروري، للوقوف على طبيعة هذا التحوّل، عرض الهيكلية الإدارية لأسـرة هان الشرقية عرضًا تفصيليًا.

أولاً: البيروقراطية المركزية

اتبع تكوين الحكومة المركزية في أسـرة هان الشـرقية، في بنيته العامة، النموذج الإداري الذي أُرسِي في عهد هان الغربية، إذ تمثّل الهيكل الأساسي في ثلاثة كبار المسؤولين يشرفون على تسـعة وزراء, غير أن السـلطة السـياسـية الفعلية شـهدت تحولًا ملحوظًا، إذ انتقلت إلى جهاز المستشارية، الذي أصبح مركز الثقل في إدارة شؤون الدولة. وعادةً ما كان الإمبراطور، عند اعتلائه العرش، يعيّن مسؤولين مناصب عليا مثل الـ«تايفو» أو الـ«تايوي» للإشراف على الشـؤون الحكومية والعسـكرية، بما يعكس تعزيز دور المسـتشـارين في صـنع القرار. وفي هذا السياق، تراجعت مكانة جهاز «يوشيتاي» مقارنة بما كان عليه في عهد هان الغربية، وأصبح جهازًا تابعًا لـــ«شاوفو»، مما قلّص من استقلاليته الرقابية. كما شهد منصب «شيزونغ» تحولًا مؤسـسـيًا، إذ انتقل من كونه منصـبًا رسـميًا إضـافيًا في عهد هان الغربية إلى منصـب رسـمي

[٧٢٤] L. He, N. Wang, B. Lu, Y. Hu, J. Song, and J. Wang, **Transition of human diet and agricultural economy at the Xinmingpu site** , p.p 975-982.

قائم بذاته في عهد هان الشرقية، وتم إنشاء معبد «شيزونغ» ليكون مقرًا إداريًا رسميًا له، تابعًا بدوره لـــ«شاوفو». ويعكس هذا التطور إعادة تنظيم الجهاز الإداري بما يخدم تعزيز المركزية وتركيز السلطة في يد الدولة(٧٢٥).

في عهد أسرة هان الشرقية، وبفعل التركيز المتزايد على الكلاسيكيات الكونفوشيوسية، احتلّ منصب «التايفو» مكانة رفيعة، إذ عُدّ الشخصية الأهم ضمن حاشية وليّ العهد, وبعد اعتلاء الأمير العرش، كان التايفو غالبًا ما يتولى تسجيل الشؤون الحكومية باسمه، الأمر الذي جعله يشغل فعليًا موقع رئيس الوزراء في إدارة الدول, وتشير المصادر التاريخية إلى أن عددًا من الشخصيات البارزة تولّت تسجيل الشؤون باسم التايفو، من بينهم تشاو شي، ودنغ بياو، وتشانغ يو، وفنغ شي، وفنغ لي، وهوان يان، وتشاو جون، وهو ما يعكس الأهمية السياسية والإدارية لهذا المنصب في بنية الحكم. كما جرت العادة، عند وفاة التايفو، على عزل المسؤولين المرتبطين به، في تقليد يعكس مظاهر الاحترام والالتزام بالأعراف السياسية السائدة آنذاك. وعلى سبيل المثال، في عهد الإمبراطور لينغ من أسرة هان، جرى تعيين تشين فان في منصب تايفو لتولي تسجيل شؤون السكرتارية, غير أن التحولات السياسية والصراعات داخل البلاط أدّت لاحقًا إلى إعدام تشين فان، ليخلفه هو غوانغ، في دلالة واضحة على هشاشة المناصب العليا وتأثرها بالصراعات السياسية داخل السلطة المركزية(٧٢٦) .

وعلى خلاف ما كان عليه الحال في أسرة هان الغربية، حيث كان كلٌّ من «السيد الأكبر» و«المعلم الأكبر» و«تايباو» يُعدّون ضمن مرتبة الدوق الأكبر، فقد اقتصر هذا اللقب في أسرة هان الشرقية على «السيد الأكبر» وحده، دون وجود لمنصبي المعلم الأكبر أو تايباو بالصيغة نفسها, ويعكس هذا التحول إعادة ترتيب هرم السلطة العليا وتقليص عدد المناصب الشرفية ذات النفوذ الرمزي, وفي عهد الإمبراطور شيان من أسرة هان، على سبيل المثال، قام دونغ تشو بنقل العاصمة إلى تشانغآن، وعيّن نفسه في منصب «السيد الأكبر»، ليحتل مرتبة تفوق «المعلم الأكبر»، في خطوة جسّدت تغوّل السلطة الشخصية على حساب النظام المؤسسي, وغالبًا ما كانت مثل هذه الترتيبات تفرض من قبل مسؤولين أقوياء يسعون

(٧٢٥) M. Hui Guo, **Becoming Wen: Rhetoric in the "Final Dispatches" of Emperor Wen of Han**, p.p 58-79.

(٧٢٦) J. J. Kaufman, **Marketing Evaluation in Society: The Han Dynasty in Ancient China**. , p.p 52-64.

إلى ترسيخ نفوذهم السياسي، ثم تُلغى بعد وفاتهم، الأمر الذي يكشف عن هشاشة البنية الإدارية في أواخر عهد هان الشرقية، وتزايد الطابع الشخصي في ممارسة السلطة[٧٢٧] .

ووفقًا لما ورد في سجلات هان غوان، كان الجهاز الإداري التابع لمنصب التايفو يتكوّن من هيكل تنظيمي واضح ومتشعب, إذ ضمّ هذا الجهاز مسؤولًا واحدًا هو «كبير المؤرخين»، الذي كان يشغل رتبة «ألف حجر»، إلى جانب أربعة وعشرين مرؤوسًا، إضافة إلى اثنين وعشرين مسؤولًا آخرين لكلٍ منهم مهام محددة, وكان «تشانغشي» يُعدّ رئيس الموظفين في قصر التايفو، ويتولى الإشراف على إدارة الشؤون التنظيمية والمستشارين, أما المرؤوسون المباشرون، فكانوا من كبار المسؤولين نسبيًا، ويتولّون معالجة القضايا الإدارية كلٌّ ضمن نطاق اختصاصه، بصورة منفصلة عن جهاز «كاو». في حين كان كلٌّ من «لينغشي» والموظفين الإمبراطوريين يشغلون مراتب أدنى في السلم الوظيفي، وتقتصر مهامهم على الأعمال التنفيذية اليومية، مثل تنظيم الوثائق، والإشراف على العربات والخيول، وغيرها من الشؤون الإدارية الثانوية, ويعكس هذا التقسيم الدقيق تدرّجًا واضحًا في المسؤوليات، ويؤكد الطابع البيروقراطي المنظم للإدارة في عهد هان الشرقية [٧٢٨].

وفي عهد أسرة هان الشرقية، شغل كلٌّ من تايوي وسيتو وسيكونغ مناصب الدوقات الثلاثة، وهي أعلى مراتب السلم الوظيفي في الدولة، إذ كان لقب الدوق يمثل الذروة الرسمية للرتب الإدارية, غير أن قائد فرقة سانغونغ بايليو رغم كونه من الناحية الاسمية أعلى منصب رسمي، لم يكن يمتلك في الواقع سلطة تنفيذية حقيقية، إذ ظلّ دوره محصورًا في الإطار الشرفي والتنظيمي دون نفوذ فعلي على مجريات الحكم[٧٢٩].

وعلى سبيل المثال، عمدت أسرة هان الشرقية إلى تعيين الشانغشو وهو في الغالب من كبار العلماء الكونفوشيوسيين، بهدف ترسيخ مبدأ حكم الدولة بالاستناد إلى الكلاسيكيات الكونفوشيوسية, غير أنّ هذا المنصب، على الرغم من رمزيته الفكرية والأخلاقية، لم يكن يتمتع بسلطة تنفيذية فعلية، بل اقتصر دوره في كثير من الأحيان على المشاركة الشكلية في

---

[٧٢٧] M. Kim, **Buddhist Antiquities Claims in Eastern Han Dynasty Tomb Paintings**. Ars Orientalis, p.44.

[٧٢٨] B. Laredon , **Protest in the Aila Empire: The Case of Qin Fan.**, p.p 107-134.

[٧٢٩] F. Li , B. Wang, Z. Chen, X. Sui, X. Shi, and J. Zhang, **Alteration of gut microbiota in Han population with Parkinson's disease**. Neuroscience Letters, . (2019)., p.707.

الشؤون الحكومية, فقد استخدم الإمبراطور الشانغشو في المشاورات الإدارية، من دون أن يمنحه صلاحيات حقيقية، مثل الإشراف المباشر على رواتب كبار المسؤولين أو توجيه عمل السانغونغ (المستشارين الثلاثة), ونظرًا إلى أن السانغونغ كانوا يُعدّون أساتذة في الكونفوشيوسية والكلاسيكيات، فقد كان يُنتظر منهم الالتزام الصارم بالمثل الأخلاقية، الأمر الذي جعلهم في أحيان كثيرة عرضةً للمساءلة الشديدة حتى عن الهفوات البسيطة، وذلك لإبراز نزاهتهم وسموّهم الأخلاقي. فعلى سبيل المثال، شغل سونغ هونغ منصب السيكونغ لمدّة خمس سنوات، إلا أنّه عُزل من منصبه لعدم وجود أساس واضح لتقييم أداء حاكم منطقة شانغدانغ. كما تولّى فو زان مهام الوزير العظيم، وكان من بين واجباته الإشراف على تقديم التضحيات الشتوية في غاو مياو، معبد أسلاف ليو بانغ، مؤسس أسرة هان [٧٣٠] .

فقد وقع شجار بين هينان يين وسيلي شياوي داخل المعبد، وهو تصرّف عُدّ منافياً للأعراف والبروتوكولات الرسمية, غير أنّ فو زان لم يقم بإبلاغ السلطات العليا بالحادثة، الأمر الذي أدّى إلى عزله من منصبه, ويعكس هذا القرار مدى الصرامة التي اتّسم بها حكم الإمبراطور غوانغ وو من أسرة هان في تعامله مع كبار وزرائه؛ فبعد عزله وإعادته إلى مسقط رأسه، انتهت حياة فو زان وابنه نهاية مأساوية، إذ أقدما على الانتحار. وفي أعقاب ذلك، تعاقب كلٌّ من شي وانغ وشي دي على تولّي المنصب نفسه، غير أنّ مصيرهما لم يكن أقل قسوة، إذ انتهى بهما المطاف إلى السجن أو الإعدام، في دلالة واضحة على شدّة الرقابة الإمبراطورية وقسوة المحاسبة السياسية في عهد هان الشرقية[٧٣١].

وقد تعرّض الأمراء الثلاثة في أسرة هان الشرقية إلى الإقصاء والعزل بصورة متكرّرة، بدءًا من تايوي شو فانغ في عهد الإمبراطور هوان من أسرة هان، واستمرّ هذا النهج حتى أواخر المرحلة الانتقالية التي سبقت حكم تساو بي في عصر الممالك الثلاث. ويعكس هذا المسار التاريخي تراجع المكانة الفعلية للمناصب العليا أمام تنامي السلطة الإمبراطورية المباشرة, وعندما اعتلى الإمبراطور غوانغ وو عرش أسرة هان، بادر إلى تعيين منصب الجراند سيما الذي أُنيطت به مسؤولية تقييم الضباط العسكريين في مختلف أقاليم الدولة, وكان هذا المنصب يرفع في نهاية كل عام تقارير مفصّلة إلى الإمبراطور تتضمّن تصنيفات الأداء

---

[٧٣٠] J. Lin , **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**., p.p 1-30.

[٧٣١] M. Lowe, **Chancellors in the Two Han Dynasties**. Asian History, Vol 53 , No(1), (2019). , p.p 21-54.

العسكري، لتُتَّخذ هذه التقييمات أساسًا لترقية الضباط أو خفض رتبهم, ويكشف هذا الإجراء عن سعي الإمبراطور إلى إحكام السيطرة على المؤسسة العسكرية، وربط مساراتها الوظيفية مباشرة بالإرادة الإمبراطورية [٧٣٢].

وفي السنة السابعة والعشرين من حكم غوانغ غوو (٥١ م)، تم تغيير لقب "دا سيما" الى "تايوي". وفقًا لنظام أسرة هان الشرقية، كان الدوقات الثلاثة هم المسؤولون عن مناقشة الشؤون الرئيسية للبلاد, وكان الدور الرئيسي لتايوي في السياسة يتمثل في مناقشة الشؤون التي يتفاوض عليها الإمبراطور مع "سيتو" و"سيكونغ"، وبعد الوصول إلى اتفاق، يتم إبلاغ الإمبراطور بالتسوية, وفي أسرة هان الشرقية، كان يُعد "مو رونغ" و"شو فانغ" من الأشخاص الذين يشغلون منصب التايوي، اذ كانوا يشاركون في الشؤون السياسية وتسجيل شؤون "شانغشو"، لكن التايوي لم يكن يمتلك السلطة الكافية لاتخاذ قرارات في شؤون الحكومة ما لم يتم تعيينه رسميًا في منصب سكرتير [٧٣٣].

وطبقًا للنظام الإداري في أسرة هان الشرقية، كان التايوي يشرف على وزراء معينين في الحكومة، مثل وزراء "تايتشانغ"، "يوي"، و"قوانغلوكسون". وكان هناك العديد من المسؤولين في قصر التايوي، بمن فيهم كبير المؤرخين والمسؤولون عن الشؤون المختلفة مثل تعيين المسؤولين في القصر، نقل الجنود والسجناء، فضلاً عن الإشراف على البريد والموارد المختلفة. وبالرغم من أن نطاق اختصاص التايوي كان واسعًا من حيث العناوين والمسؤوليات، فإن سلطاته الحقيقية كانت محدودة [٧٣٤].

في عهد حكم الإمبراطور غوانغ وو من أسرة هان، تم تعيين رئيس للوزراء لمتابعة مشاريع البناء والدفاع وإدارة الأمور المختلفة، حيث كان يقوم بالتشاور مع التايوي وسيتو في شؤون الدولة قبل إبلاغ الإمبراطور بالقرارات المتخذة [٧٣٥]. وأما في السنوات التالية، فقد شهدت هياكل الإدارة تغييرات تتعلق باللقب والوظائف المختلفة للمسؤولين في أسرة هان الشرقية، بما في ذلك تعديل ألقاب بعض المسؤولين. ومع مرور الوقت، تم تحديث الهيكل

---

[٧٣٢] M. Kim, **Buddhist Antiquities Claims in Eastern Han Dynasty Tomb Paintings**., p.44

[٧٣٣] Z. Lu, **Becoming Confucius: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor**., p.p 115-144.

[٧٣٤] J. Magli, **The Sacred Landscapes of the Han Emperor's** , p. 789.

[٧٣٥] A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**., p.p 355-368.

الإداري ليشمل مسؤولين إضافيين، مع إضافة كلمة "تشينغ" إلى ألقاب معظم الوزراء, كما تم تعديل بعض المناصب، مثل "شاو فو" و"شانغ شوشي"، وزيادة في التنظيمات الوزارية [٧٣٦].

أما الجنرالات، فقد اضطلعوا بدورٍ محوري في بنية الحكومة المركزية، إذ نُظّموا ضمن ألقاب عسكرية متعددة، مثل «جنرالات الحصار»، و«جنرالات العربات»، و«جنرالات الحرس», وقد تفاوتت مكانتهم في السلم الإداري بين مرتبة الأمراء والوزراء، مع وجود جنرالات يُعيَّنون بصفة مؤقتة وفقًا للظروف العسكرية والسياسية القائمة, وتولّى هؤلاء الجنرالات قيادة وإدارة القوات في مراحل مختلفة، مع إمكانية تبدّل القيادات بين مدَّة وأخرى، بما يتيح للدولة قدرًا من المرونة في إدارة الشؤون العسكرية، ويعكس في الوقت ذاته طبيعة النظام العسكري المتداخل مع البنية الإدارية في عهد هان الشرقية [٧٣٧] .

ويُعدّ أحد أكثر المظاهر الحكومية إثارةً للإعجاب في التجربة الصينية تمثّل السيطرة القوية والممنهجة التي مارستها السلطات المدنية على المؤسسة العسكرية، وهي ظاهرة اتسمت بالاستمرارية والثبات عبر مختلف العصور في التاريخ الصيني, ولا يعود هذا النمط إلى ضعف في السلطة العسكرية أو إلى افتقار الجنرالات الصينيين للكاريزما أو الكفاءة، فالتاريخ الصيني زاخر بسير القادة العسكريين العظام والانتصارات الحاسمة, بل إن معظم الأباطرة المؤسسين للسلالات الصينية اعتلوا العرش في الأصل بفضل تميزهم في القيادة العسكرية, ويبرز ليو بانغ مثالًا واضحًا على ذلك؛ إذ ارتقى من مجرد ابن فلاح إلى مؤسس أسرة هان والإمبراطور كاوتسو، اعتمادًا على قدراته العسكرية بوصفه استراتيجيًا ومنظمًا بارعًا. غير أن اللافت في التجربة الصينية أن مؤسسي السلالات الناجحين، ما إن يرسخوا حكمهم، حتى يتخلوا سريعًا عن الطابع العسكري للسلطة، ويعمدوا إلى الحكم عبر الأجهزة المدنية البيروقراطية المتجذرة في التقاليد السياسية الصينية, وقد مكّنهم هذا التحول، هم وخلفاءهم، من تحييد الجنرالات وإبعادهم عن مراكز القرار السياسي، بما يضمن تفوق السلطة المدنية ويحول دون عسكرة الدولة أو انزلاقها إلى حكم القادة[٧٣٨] .

---

[٧٣٦] B. Patterson, J. L. Israel, **China and East Asia to the Han Dynasty**.., p.78.

[٧٣٧] T. Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty**, pp. 1–30.

[٧٣٨] فرانسيس فوكاما ياما , **أصول النظام السياسي** , ص٢٠٠.

ثانيًا: نظام الحكم المحلي

على الرغم من أن نظام الحكم المحلي في أسـرة هان الشـرقية ظلّ في جوهره، قريبًا من نظيره في عهد هان الغربية على مســـتوى المقاطعات، فإن مكانة هذه المقاطعات ونفوذها تراجعا بصورة ملحوظة خلال حكم هان الشرقية, ففي المقابل، شهدت الولايات على المستوى الوطني تطورًا نوعيًا، إذ تحولت إلى وحدات إدارية من الدرجة الأولى، متقدمة في أهميتها وصلاحياتها على المقاطعات.وفي هذا السياق، عرف النظام الإداري في الصين القديمة تحولًا بنيويًا تمثّل في الانتقال من نظام يقوم أســـاسًـــا على المقاطعات إلى نظام إداري ثلاثي المستويات يتكوّن من: الدولة، والولاية، والمقاطعة. وقد أسهم هذا التحول في تعزيز المركزية الإدارية وتسـهيل الإشـراف على الأقاليم الواسـعة، وهو النظام الذي اسـتمر العمل به حتى مرحلة «إلغاء المقاطعات» في عهد أسرة سوي (٥٨١–٦١٨م)[٧٣٩] .

ثالثًا: الولايات في أسرة هان الشرقية

قسّمت أسرة هان الشرقية المناطق الواقعة خارج العاصمة لويانغ إلى اثنتي عشرة ولاية، عُيِّن على رأس كلٍّ منها حاكم يتولّى إدارتها باسم السلطة المركزية. وإلى جانب ذلك، وُجدت سـبع مقاطعات هي : جينغتشـاو، تسـوفنغي، يوفوفينغ، هيدونغ، خنان، هانوي، وهونغنونغ، وكانت هذه المقاطعات خاضـعة مباشـرةً لسلطة سيلي شياوي, المسؤول الأعلى عن شؤون العاصـمة وضـواحيها, وقد اضـطلع سـيلي شـياوي بمهمة مراقبة الأنشـطة غير القانونية للمسؤولين داخل العاصـمة، وتمتّع بصـلاحيات واسـعة في التحقيق والمسـاءلة، بما في ذلك عزل كبار الموظفين. ونظرًا لخطورة هذا المنصب ومكانته الرفيعة، كان يشرف كذلك على قوة أمنية مسلّحة قوامها نحو ١٢٠٠ عنصر، الأمر الذي أكسبه نفوذًا واسعًا وجعل منصبه يُنظر إليه بوصفه أحد أقوى المناصب الرقابية في الدولة، حتى لُقِّب في المصادر بلقب شيونغتشي، أي المنصب المهيمن[٧٤٠].

---

[٧٣٩] M. Tao, and L. Wei, **Monetary and Financial System in the Two Han Dynasties**., pp. 67–85.

[٧٤٠] E. L. Sabatini, **The War Economy of the Western Han Dynasty**. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy ,pp. 115–131.

رابعًا: المقاطعات في نظام أسرة هان الشرقية

تكوّن التقسيم الإداري في أسرة هان الشرقية من نحو ١٠٥ مقاطعات، شملت سبعًا وعشرين مملكة، وسبع مقاطعات تابعة، وواحدًا وسبعين مقاطعة محلية. وقد اختلف توزيع المقاطعات من منطقة إلى أخرى تبعًا لأهميتها الجغرافية والسياسية؛ فعلى سبيل المثال، ضمّت منطقة يوتشو ست مقاطعات، في حين اشتملت منطقة جيتشو على تسع مقاطعات, وكان لكل مقاطعة حاكم يحمل رتبة «ألفي شي»، يتولى الإشراف على الشؤون الإدارية والمالية والأمنية. أما مقاطعة خنان، التي كانت تضم العاصمة، فقد حظيت بوضع خاص، إذ كان يُطلق على رئيسها لقب «هينان يين»، وهو منصب يتمتع بمكانة أعلى وصلاحيات أوسع مقارنة بحكام المقاطعات الأخرى، ما يعكس الأهمية السياسية والإدارية للعاصمة ضمن بنية الدولة(٧٤١).

خامسًا: النظام التنظيمي للولايات التابعة

كان النظام التنظيمي المحلي على مستوى المقاطعات في أسرة هان الشرقية قريبًا إلى حدٍّ كبير من نظيره في عهد هان الغربية. فقد كانت المقاطعات التي يزيد عدد أسرها على عشرة آلاف أسرة تُدار من قبل قاضٍ برتبة «ألفي شي»، في حين كانت المقاطعات الأصغر تُوكل إدارتها إلى قضاة من رتب أدنى، تتراوح بين ثلاثمئة وأربعمئة شي. إلى جانب ذلك، عيّنت الدولة مسؤولين مختصين في المقاطعات ذات الموارد أو الأنشطة الاقتصادية المميزة؛ فتم تعيين موظفين لإدارة شؤون الملح في المقاطعات المنتجة له، كما أُسندت مهام الإشراف على صناعات الحديد والحِرَف في المناطق التي شهدت نشاطًا صناعيًا متطورًا, ويعكس هذا

(٧٤١) D. Schaab –Hanke, **The Power of a So–Called Tradition**: A Prophecy Glorifying Emper Han Wu. Far Eastern Museum Bulletin, 74, p. 259.

التنظيم الإداري الدقيق حرص السلطة المركزية على المواءمة بين البنية الإدارية والخصائص الاقتصادية لكل إقليم، بما يعزز كفاءة الإدارة واستقرار الموارد المالية للدولة[٧٤٢].

وفي الختام، يمكن القول إن نظام الحكم الإداري في اسرة هان الشرقية اتسم بتعقيد هيكلي وكفاءة عالية، ما مكّنه من الحفاظ على استقرار الإمبراطورية على مدى عدة قرون, فقد نجح هذا النظام في تحقيق توازن نسبي بين المركزية في الإدارة وصنع القرار من جهة، واللامركزية في الحكم المحلي من جهة أخرى، وهو ما مكّن الدولة من الإشراف الفعال على مواردها، وضمان تنفيذ السياسات بشكل متناسق عبر مختلف المقاطعات والولايات. واسهمت الأجهزة المدنية المهيكلة، مثل منصب التايفو والبيروقراطية المرتبطة به، ونظام الولايات والمقاطعات، في تقليص نفوذ السلطة العسكرية على السياسة، وضمان بقاء الجنرالات تحت إشراف الدولة، ما عزز من مركزية القوة واستقرار الحكم, كما لعبت الإصلاحات الاقتصادية، وإدارة الموارد، والسياسات الإدارية الدقيقة دورًا محوريًا في دعم قاعدة الإمبراطورية الاقتصادية، وتحقيق توازن اجتماعي نسبي من خلال توزيع الأراضي وإدارة الصناعات الحيوية كالملح والحديد. لكن مع مرور الزمن ظهرت تيارات معارضة أخرى ساهمت في أرباك الوضع السياسي وادت إلى نشوء تيارات انفصالية أدت في النهاية إلى تمزيق وحدة الصين وانهيارها.

المبحث الثاني: الأزمات الداخلية واثرها في انهيار الإمبراطورية الهانية

أولا- تأثير الفكر المعارض على السلطة الإمبراطورية

بعد القوسين العابرين الذين فتحمها حكم وانغ مانغ (٩ -٢٣ م), والعودة إلى العرش على يد الإمبراطور غوانغ وو سنة ٢٥ م. لم تقدم أسرة هان الرؤية نفسها, فبعد أن استمدت قوتها من رؤية أحادية يكون الحاكم فيها محور العالم البشري والكوني. كان عليها مواجهة اتجاهات

(٧٤٢) H. Van Es , E**mperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian**..,p.p 239-257

نابذة متعاظمة, وبعد فشل وانغ مانغ المدوي, وذلك بحجم الآمال التي علقها عليه الكونفوشيوسيون المثاليون, وبعد عودة الاتجاه التقليدي المحافظ الذي كان قائماً في عهد الفرع الأول من السلالة. انصرف أدباء هان الشرقية شيئاً فشيئاً عن الدور الذين كانوا يمثلونه في مسيرة السلطة الإمبراطورية, فاضطروا إلى أن يدركوا أنَّ لا أباطرة الهان ولا وانغ مانغ استطاعوا تحقيق السلام الكبير (٧٤٣).

وفي الوقت الذي تحاول أسرة هان الشرقية أحياء المذهب الكونفوشيوسي عبر كتاب "رسالة النمر الأبيض" واقتفاء اثر مذهب "تشين وي" الديني. تطورت الأيديولوجية المادية تطوراً هائلاً في صراعها مع الايدلوجية المثالية, وشكلت مناوأة الإيمان بالخرافات الدينية والعلوم الإلهية, ومعارضة الهرطقات والاختلاقات تقليداً ممتازاً لتطوير الأفكار السياسية في أسرة هان الشرقية (٧٤٤).

واشتهر في هذا السياق العالم الصيني وانغ تشونغ الذي دحض بشدة مذهب دونغ تشونغ تشو الديني القائل بالتفاعل والاتصال بين السماء والأرض, وذكر "ان من الخطأ ان يعتقد بعض المفكرين ان الأنسان يولد من قبل السماء والأرض, إنَّ اندماج غاز الأثير في كل من السماء والأرض ينشأ عنه الأنسان بصورة تلقائية مثل التحام غاز الأثير في كل من الزوج والزوجة فيتولد عنه الطفل بصورة طبيعية" (٧٤٥).

وقد كان وانغ إلى حد بعيد, مفكرا يؤمن بالفلسفة الألية أيماناً شديداً. ومن ثم, فقد كان من دعاة الجبرية فالسماء والأرض لا يخلقان الأنسان عن قصد بل قضاء وقدر, وليس للسماء عقل او قوة عزيمة, ولا يمكن ان تبارك الخير وتعاقب الشرير, والظواهر الطبيعية هي مجرد ظواهر طبيعية وليست تحذير من السماء, وليس التكهن بالمستقبل ولا الحبوب التي تطيل العمر لها أي تأثير, وان الناس يتوفون اذا ما دعتهم الظروف إلى ذلك, وعندما يموتون فهذه هي النهاية, ولا أشباح هناك (٧٤٦).

كما اشهر وانغ تشونغ وجهة نظره تجاه الطبيعة بمثابة سلاح, ووجه نقداً عنيفاً لأفكار تشين وي ذائعة الصيت آنذاك من الأيمان بالخرافات, انطلاقاً من اعتقاده بأن السماء تعد

---

(٧٤٣) آن شنغ، **تاريخ الفكر الصيني ,** ص ٣٧٩.

(٧٤٤)خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص٢٥٣.

(٧٤٥) المصدر نفسه , ص٢٥٥.

(٧٤٦)هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس..**، ص ٢٦٧.

كياناً مادياً موضـوعياً دون إحسـاس أو وعي, ومن ثم, لا يمكن أنْ يكون هنالك اتصـال أو تفاعل متبادلان بين السـماء والإنسـان, وذكر أن الإنسـان لا يعرف ثمة شـيءٌ عما تقوم به السماء. إذن, كيف تستطيع السماء معرفة ما يضطلع به الأنسان, وانطلاقاً من هذه الأسباب, قام وانغ تشـونغ بتفنيد نظرية "إرادة السـماء" المعمول بها في أسـرة هان. وعلى صـعيد آخر, أدرك وانغ تشونغ العلاقة بين الاضطراب السياسي في البلاد والحياة اليومية للشعب, واعتقد أنَّ الفقر يُعدّ السبب الرئيس الكامن وراء ثورة الشعب وتمرده[٧٤٧].

الغريب في أمر هذا المفكر أنّه اشـتهر بعقل نقدي جريء، وقادر على تقويم ومواجهة الخرافات والمعتقدات المنتشرة في عصر هان. ومع ذلك، يصوّر، وربما بدافع الحذر والحيطة، عصر هان على أنه عصر "السلام الصيني"، مخصصًا فصلًا كاملًا في كتابه مقالات في النقد للتغنّي بأمجاد هذه المدَّة, ويبدو أن العقل النقدي لوانغ شـونغ، على الأقل جزئيًا، كان مرتبطًا بموقعه المختار أو المفروض عليه كمفكر على هامش دائرة السـلطة المركزية، وهو موقع يشـترك فيه مع غالبية كبار المفكرين الذين ارتبطت أسـماؤهم بالنصـوص القديمة واستُبعدوا عن البنية الأيديولوجية والمؤسساتية لأسرة هان الشرقية طوال قرنين, ومع ذلك، وبالرغم من النظرة التفاؤلية التي بثّها هذا المفكر في وصـف القسـم الأول من حكم السـلالة، يبدو أن المدة التالية كانت في حالة انكفاء وانحدار، ما يعكس التناقض بين رؤيته النقدية والواقع السياسي والاجتماعي المتقلب للإمبراطورية في مراحلها المختلفة[٧٤٨] .

وتبدو هذه الآراء حديثة بصـورة مذهلة، إلا أنّ وانغ تشـونغ، كونه إنسـانًا محدود الطبيعة البشـرية، لم يكن قادرًا على التحرر تمامًا من معتقدات عصـره؛ فرغم أنه دحض العديد من الخرافات والمغالطات الفكرية، فقد أقرّ، بحذر، بحدوث معجزات متنوعة، ما يعكس التوتر بين نقده العقلاني والاعتبارات التقليدية السـائدة, كما أن انتقاداته، في بعض الأحيان، كانت متحذلقة وغير دقيقة بالنسبة للقضايا التي تناولها، وغالبًا ما اتسمت بالتناقض. ومع ذلك، يرى عدد من علماء العصـر الحديث أنّ وانغ تشـونغ قد ترك أثرًا قويًا في تشـكيل رد الفعل على الكونفوشيوسية التقليدية خلال القرن الثاني الميلادي، مؤثرًا بذلك في مسار الفكر السياسي والفلسفي في الصين القديمة[٧٤٩] .

---

[٧٤٧] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص٢٥٥.

[٧٤٨] آن شنغ، **تاريخ الفكر الصيني ,** ص ٣٧٨.

[٧٤٩] هـ.ج. كريل، **الفكر الصيني من كونفوشيوس**..، ص ٢٦٧.

وشـهدت المرحلة الأخيرة من حكم أسـرة هان الشـرقية ظهور تيار إصـلاحي معارض، والذي يمكن النظر إليه من منظورين متكاملين, فمن الناحية الذاتية، لم يكن هذا التيار سـوى محاولة لإنقاذ حكم الأسـرة الحاكمة التي كانت تعاني أزمة سـياسـية واجتماعية حادة، ولم يتجاوز نطاق إصـلاح النظام الإقطاعي القائم, أما من الناحية الموضـوعية، فقد اتسـم هذا التيار بالبعد التقدمي، إذ كشـف فسـاد الطبقة الحاكمة وأظهر مظاهر الظلم الاجتماعي والسياسـي المستفحل. ومع بداية حكم الإمبراطور هان (١٤٦-١٦٤م)، لوحظ عزوف متزايد عن العمل في الجهاز الإداري الحكومي، إلى درجة أن التسوية الاعتراضية أصبحت ممارسة شـائعة، وهو ما أظهر التناقض بين القيم الكونفوشـيوسـية للطهراء الذين تم إقصـاؤهم، وبين السلطة الفعلية التي كانوا يُستشارون فيها, وقد أدى هذا التوتر إلى صراع مفتوح على السلطة، في نفي أنصـار حركة "الأحكام السـليمة" ومنعهم من شـغل المناصـب الحكومية عام ١٦٦م. وتمثل هذه الاضـطهادات الأولى في سـلسـلة من الأحداث التي طبعّت التاريخ الإمبراطوري، وشـكّلت بداية النهاية لحكم هان الشـرقية، ومهدت الطريق لتفكك السـلطة المركزية وتنامي النزعات الانفصالية[٧٥٠] .

في الاغتراب العام الذي عاشـه مفكري سـلالة الهان المتأخرين, كان هنالك موقفان فأما التصـلب في موقف اكثر براغماتية ونفعية بالنهل من المصـادر ذات الواقع التشـريعي, وأما اللجوء إلى الطهارة والاستقلالية الفردية بعيداً عن أية مسؤولية سياسية على الطريقة الطاوية, ولمعالجة اغلاس حكم السلالة. كان البديل في البحث السياسـي عن أنماط حكم اكثر فعالية, هو الرجوع للأصول الطاوية. وبعد التحرر من دعم السلالة التي أصبحت تحت سلطة الحريم والخصيان, وانطلاقاً من منتصف القرن الثاني الميلادي تتابعت أنظمة ملكية قصيرة الأمد او حكم أباطرة صبية ابتعدوا عن الموروث القانوني ينصرفوا نحو أشكال تقديسيه اقل تشققاً مثلا الطاوية أو حتى البوذية التي اخذ اسمها يتداول في الصين [٧٥١].

ومن ناحية أخرى, شـهدت أواخر أسـرة هان الشـرقية ارتكاس الطبقة الإقطاعية الحاكمة في الفساد اكثر فاكثر وتصاعد حدة الانتفاضات الفلاحية. ومن اجل كشف النقاب عن فساد السلطة السياسية, وشجب التصـرفات المشينة للأسـر الأرستقراطية الاستبدادية من توارث

---

[٧٥٠] آن شنغ، **تاريخ الفكر الصيني ,** ص ٣٧٩-٣٨٠.

[٧٥١] المصدر نفسه, ص ٣٨٠.

المناصب الحكومية, وضم الأراضي والاستيلاء على ممتلكات المزارعين. ومن اجل تصحيح المسار السياسي عبر الأفكار الاجتماعية والسياسية الجديدة التي تتصف بالتقدمية [٧٥٢].

في ذلك الوقت بالذات ظهرت طاوية جماعية اتخذت ولأول مره في تاريخها شكلا منظما. بل وحتى مؤسساتياً, ولاسيما في أوساط ملة العمائم الصفراء في وسط البلاد وشرقها بقيادة تشانغ جياو وأدانت أسرة هان الأخذة بالانحلال, وبشرت بقدوم ملك الأرض الوشيك والذي وبحسب دوره توالد العوالم الخمسة يخلف (نار ال هان). وبمقتضى هذا الاعتقاد الألفي بالتحقق القريب جداً لمرحلة السلام الكبير, قام الاتباع الطاوية بتمرد ضد الهان سنة ١٨٤ م, وهي سنة دشنت دورة جديدة من ستين سنة. ثورة العمائم الصفراء, وعلى الرغم من إخمادها في نهاية المطاف، تركت بصمة عميقة على المشهد السياسي والإداري لأسرة هان الشرقية، وأدت في نهاية المطاف إلى تفككها وسقوطها.

ثانيا – **تمرد العمائم الصفراء (١٨٤ م)**

يُعد تمرد العمائم الصفراء حدثًا محوريًا في تاريخ الصين، اذ هزّ أركان سلالة هان الشرقية المتداعية وأذن ببداية عصر من الفوضى والحروب الأهلية التي استمرت لعقود. لم يكن ذلك التمرد مجرد انتفاضة فلاحية عفوية، بل كان حركة دينية وسياسية ذات جذور عميقة في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتردية للإمبراطورية.

البواعث الفكرية للتمرد

بالفلسفة التاوية بلغ التفكير الإلهي في تلك الأودية في الصين، أصفى ألوان الفلسفات بإشاحتها عن المعرفة الظاهرية، وقد استمدت من الداخل المعرفة الصحيحة، التي أتتها بالبرهان عن فراغ السماء من إله تقيده الجسدية، ويحده المكان، ومن الداخل أيضًا، إنَّنا نتحسس تاو، ولكننا له لا نحس "... إنَّه غير ذي جسد، أزلًا وأبد، تاو، سيظل عن الإدراك مطويًا، والمرة بعد المرة، سيعود بك البحث عنه إلى اللا شيء!"[٧٥٣].

---

[٧٥٢] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص٢٥٩.

[٧٥٣] أبكار السقاف، **الدين في الهند والصين وايران**، ص ١٩٩.

وهذا التاو لا يمكن إدراكه، ولا حتى فهمه بشكل واضح، لأنه أوسع بكثير من أن يتمكن العقل البشـــري أن يحيط به، "التاو الذي يمكن التكلم عنه، ليس التاو الســـرمدي"[٧٥٤]. ومع ذلك, فإنَّ هذا التاو، الذي يفوق الوصـف والمتعالي، هو أسـاس كل ما سـيتلو، إنَّه فوق كل شـــيء، وخلف كل شـــيء، وتحت كل شـــيء، والرحم التي انبثقت منها، وتعود إليها كل حياة[٧٥٥].

ويعد لاو تسـو أول من اسـتخدم كلمة تاو اسـتخداماً ميتافيزيقياً محضـاً, فهو الذي جاهر بأن الكون قد انبعث وفقاً لمبدأ شـامل سبق وجوده, ويطلق عليه (تاو), والاصـطلاح عند لاو تسو يماثل اصطلاح "الكلمة" في الأديان السماوية, ويعرف لاو تسو التاو: هو شيء لا صورة له, ألا انه كامل قائم قبل ان توجد الســـماوات والأرض, لا صـــوت له ولا جوهر, موجود لا يتغير, يتخلل كل شـيء, انه منشـأ جميع ما في الكون, لا نعرف اسـمه, لكن نصـطلح عليه بكلمة تاو, وكنيته العظيم, يســـلك التاو العظيم هذا الطريق أو ذاك, ويدين إليه بوجوه الألاف المؤلفة, لا حصر لمأثره, هو الرداء الذي يكسو ملايين الأشياء ويرقى بها" [٧٥٦].

ويجمع التاو نفسـه اذ يوجد سـكون فارغ متجرد, ويظل على تمحضـه من غير ان تشـوبه شـائبة نتيجة جمعه الذاتي هذا. كذلك, فأن سطوع إشراق التاو لا ينبع من كونه متجلياً بذاته, بل نتيجة قدرته على إنارة العالم من خلال العدم واللاَّشـيئية, فاذا ما عدنا إلى كتاب "التاو تي تشنغ" نجد الشيء "الموحل العكر" مغترب عن التاو, أما ما يتحد مع التاو فهو الساكن والفارغ والمتجرد, لذا فأن الســـكون الفارغ هو اعلى مرتبة من مراتب الوجود التي يمكن للأشـــياء ان تحصـلها, اذ إنها ومن خلال عكسـها للعدم الكامن في التاو والذي يصـبغه بصـبغته تضـفي على حضـورها في الكينونة والوجود هالة ظلامية تجعلها قادرة على الاشـتراك في مصـفوفة قدرات التاو الخالقة [٧٥٧].

---

[٧٥٤] لاو تسو، **كتاب التاو (تي – تشينغ)**، ترجمة: فراس السواح، ١/١، ص ٣٥.

[٧٥٥] هوستن سميث، **أديان العالم**، ص ٣٠٣.

[٧٥٦] Abrahem Mohammed. , **Lao Tzu'nun Tao Düşüncesinde Felsefi Boyutlar / Philosophical Dimensions of Lao Tzu's Tao Thought**". Mesned İlahiyat Araştırmaları Dergisi/The Journal of Mesned of Theological Studies, (2023-2): p.p 109-125.

[٧٥٧] ديفيد تشاي ,**هايدغر والطاوية – من العدم الى البحث عن جلاء الفطرة** , جامعة تونتو , كندا ترجمة سامي اليوسف , ص ١٠٠.

وعلى الرغم من أنَّ التاو فكرة فائقة بنحو مطلق، فإنها باطنية ذاتية أيضًا، وبهذا المعنى فإنَّ التاو هو منهج الكون، النظام، الإيقاع، القوة المُحركة في الطبيعة كلها، المبدأ الآمر خلف كل حياة، إنه خلف كل حياة، ولكنه في وسط كل حياة أيضًا، وبما أنه أساس "روح محضة"، وليس مادة فهو لا ينفذ، وكلما سحب منه كلما تدفق أكثر، لأنه "**ذلك النبع الذي لا ينضب**"(٧٥٨).

"**حين يسمو لا يوجد سطوع نور، وحين يتهاوى لا توجد ظلمة. فهو دائما كذلك: لا اسم له، دائما يرجع الى ذاك الذي هو لا– شيء. يسمى هذا: صورة ما لا صورة له، صورة ما هو ليس بشيء**"(٧٥٩).

وقد تطور التاو فصار هو المبدأ والمآل، المبدأ الذي تأتي منه كل الأشياء، والمآل الذي ترتد إليه كل الأشياء، وهو القانون الطبيعي أو الكيان الذاتي للأشياء، أهو الجوهر إذن؟ وربَّما انطوى التاو على شيء من ذلك، فالمفهومات التي اكتسبتها هذه المفردة تجعلها قابلة لتغيرات شتَّى قام بها التاويون، لكن الأساس يبقى أنَّ التاو، هو مطلق التاويين، مبدأ الأشياء، جوهرها، طبيعتها الذاتية، محركها(٧٦٠).

وربَّما رانت عليه من بعض الوجوه ملامح روحانية توحي بها بيانات الفلاسفة المشوبة بنزعة صوفية، والمكتوبة بنفسٍ شعري، ولكنه لا يخرج في كل الأحوال عن مقتضى الكون والطبيعة الكونية، ولا يُخفي لاو تسو نفسه حيرته أمام هذا المطلق، إذ يقول: "مظلم، محير، عسير الفهم"(٧٦١).

"ان التاو هو ما لا يُرى ولا يُسمع ولا يُلمس, فلا يمكنك ان تعرف شكله, وانه في جسد واحد, فلا يظهر فوقه النور, ولا تحته الظلام, فأنه متواصل لا يوصف وان كل حركات الكائنات سترجع إلى الشيء الغيبي, وهذا هو ذلك الشكل الذي لا شكل له, والصورة التي لا جسد لها, فسمّي بالعدم, واذا واجهته لا ترى وجهه, واذا اتبعته لا ترى ردفه" (٧٦٢).

---

(٧٥٨) Sam Crane, **Life, Liberty and the pursuit of Dao**, p.27.

(٧٥٩) ديفيد تشاي ,**هايدغر والطاوية – من العدم الى البحث عن جلاء الفطرة** , ص١٠١–١٠٢.

(٧٦٠) لاو تسو وتشوانغ تسه، **كتاب التاو**' ترجمة: هادي العلوي، ص ١٥.

(٧٦١) المصدر نفسه ، ص ١٦.

(٧٦٢) تانغ شيومي , **فلسفة الأخلاق بين الكونفوشيوسية والطاوية** – دراسة مقارنة , مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية , عدد ٢٩ , ص ٧٧٧.

من هذه الخلفية الفكرية، طوَّر الصينيون المفهوم الجديد للفكر التاوي، وكان لاو تسو يرى في الطبيعة أساس التاو الذي يجب أن يتخذه الإنسان وسيلة، وهدفًا له، ليجد فيه ذاته ووجوده، أي أن على الإنسان أن يذوب في الطبيعة، لأنَّها الطريق الموصل إلى الحكمة(٧٦٣).

والطبيعة لا تستعمل العقل، وجدال الفلاسفة، فهي نشاط تلقائي، وقانون أزلي لكل الوجود، فالشمس تشرق كل صباح، وتغيب كل مساء، والليل والنهار يتتابعان إلى الأبد، والفصول تتوالى على الدوام، إنَّه التاو المحدد، والمُسيَّر لكل الوجود، وهو الطريق الأمثل المُجسد في كل مجرى ماء، وفي كل صخرة، وفي كل نجم، وفي إنبات كل زرع(٧٦٤).

إذا كان التاو عند لاو تسو هو مبدأ الوجود وأساسه، وعنه انبثق الوجود، فإنَّه لم يقصره على ذلك، بل رآه أيضًا السبيل الذي يسلكه الوجود إلى الأبد في تغيراته الدائمة التي لا تتوقف في مكان، لأنَّ التاو خال من المكان، إذ يجري دون عناد ولا مِنّة، وبدون أن يسأل الوجود شيئًا، لأنَّ هناك وحدة الوجود الكامنة في التاو(٧٦٥).

لذلك فإنَّ الطاوية تؤمن بوحدة الوجود، أي أنَّ الخالق والمخلوق متحدان في شيء واحد، لا يمكن فصلهما، وإلا سيحدث الفناء. ولعلّ هذه النظرة إلى الإله هي الأقرب إلى مذهب الحلولية، الذي يعني أن الخالق لا يستطيع أن يعمل، أو يتصرّف إلاّ بحلوله في الأشياء، وذلك هو القانون الأعظم لجميع الموجودات في السماء والأرض(٧٦٦).

الطاوية فلسفة ترسم طريق للحياة الحسنة عبر فعل كل ما هو طبيعي، و من خلال التناغم ضمن نطاق المجتمع والأنسان الفرد، وكذلك في إدراك التناغم في السماء والأرض والإنسانية، مثلما أنها دعوة إلى العيش بعفوية عبر الفعل حسب الطريق الطبيعي للأشياء أو التاو. وقد جاءت استجابة للأوضاع الاجتماعية المتدهورة في الصين، وكما هي الكونفوشيوسية، نظر لاو تسو في فضائع الحروب وجسد الشوق العميق للسلام، مثلما حمّل

---

(٧٦٣) عمر عبد الحي، **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**، ص ٩٦.

(٧٦٤) المصدر نفسه ،ص ٩٦.

(٧٦٥) Lao–Tzu, **Tao – Te – Ching,** A new translation by Derek Bryce and Lion Wieger, Samuel Weiser INC, york– Beach – maine – 1999), p. 94.

(٧٦٦) Wenli Zhang, **How Do We Think about Death?, A Cultural Glance of Superstitious Ideas from Chinese and Western Ghost Festivals**, international education studies, Yanshan University, Qinhuangdao City, China, vol.2, no.4, 2009, p 68.

الحكام مسؤولية الفقر والجوع بسبب الطمع الذي تسببه الحروب والقتل، وكذلك الرغبات الزائفة في المجد والقوة والمال التي تسبب في دمار المجتمع ومعاناة الأنسان [٧٦٧].

ودعت الطاوية إلى البساطة والعمق والتسامي، وكسر القواعد, ذلك أنه كلما كثرت وتشعبت القوانين والقواعد والطقوس, ازداد عدد المخالفين الذين يخرقون تلك القوانين، بمعنى أن زيادة القواعد التي يتعين مراعاتها تتسبب بزيادة احتمالات وفرص كسرها. لذا على المرء معرفة التاو تلك القوة العظيمة التي خلقت كل شيء, وقيدت كل شيء, وأطلقت كل شيء, فجميع البشر هم جزء من التاو، إذ تسعى الطاوية إلى تعليم الناس ممارسة السير في طريق الحياة الآنية من أجل تحقيق الخلود [٧٦٨].

وأسس تشانغ جو زعيم العمائم الصفراء فرقة السلام العظيم التي قامت بنشر الأفكار الأصلية للطاوية ومفادها السلام العظيم بين صفوف الشعب. كانت فرقة السلام العظيم آنذاك تمثل مذهبا أخراً للطاوية الأصلية وتتحلى الكلاسيكيات الطاوية بالترويج للنظرة الدينية المثالية بوجود الاله, فضلا عن ان تعاليم الطاوية تحتوي على فكرة مناوأة اضطهاد واستغلال الإقطاعية. فعلى سبيل المثال, يظم كتاب الكلاسيكيات الطاوية المطالبة بمؤازرة المساواة في ظل السلام العظيم, والتمسك بإلغاء جميع الممارسات الاجتماعية غير العادلة, وتشجيع تحقيق السلام والمساواة [٧٦٩].

"إذا اعتلى الحكيم قمة السلطة لا يشعر بسلطته أحد، وإذا سار في مقدمة الركب لا يشعر بوجوده أحد؛ ولهذا يعطيه الناس ولاءهم عن طيب خاطر" [٧٧٠].

الغاية السياسية هنا تتضح من جهة دعوتهم الحكام أن يلتزموا العمل الهادف، إلى الحرية الفردية الطبيعية، بعدم وضع قوانين وقيود خارج قوانين الطبيعة المنسجمة مع الفضيلة, وعلى الحاكم إشباع الحاجات الأساسية للإنسان دون ابتذال، فهو قد آمن بالطبيعة وقوانينها وبمسيرتها المحققة لجميع حاجات الأنسان، مثلما دعت الرواقية إلى العيش في وفاق مع

---

[٧٦٧] جون م كولر، **الفلسفات الأسيوية**، ص ٤٨٧-٤٨.

[٧٦٨] رياض هلال مطلك ورحاب مهدي , **تمثلات الفلسفة الطاوية في الرسم الصيني المعاصر**, مجلة نابو للبحوث والدراسات , المجلد ٣٣ , العدد ٤٣ , ٢٠٢٣ , ص ١٥٤٢.

[٧٦٩] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص265.

[٧٧٠] فراس السواح , **فصول من الفلسفة الصينية** , هنداوي للنشر , ص ٨٦.

الطبيعة والابتعاد عن تعقيدات الحياة المدنية، ورفض كل أنواع التمايز بين البشـــر إذ الألقاب والمناصب مدعاة لفساد المجتمع [٧٧١].

من فهمهم "للتاو"، الذي نادى به لاوتسـو، وانطلاقاً من النظرة الخاصـة للسـلطة والحاكم وما يقوم به في سياسته يرون بأنه إن كان هناك ثمة عمل للحكام، فإن كل ما يتوجب عليهم فعله، هو عدم الفعل، أي عدم التدخل في حياة الأفراد، والامتناع عن ســـن القوانين المقيدة للإنسـان والمعرقلة للسـير الطبيعي للأشـياء، إذ ليس على السـلطة التدخل في حياة الناس ألا في أضـيق نطاق، لان المجتمع يتأثر بأقل الأخطاء من طرف الحاكم لان تدخل الحاكم يؤدي إلى اختلال توازن النظام. [٧٧٢]. "**عندما تكون الحكومة غافلة يتسـم الشـعب بالبسـاطة.. عندما تكون الحكومة يقظة يتسم الشعب بالخبث**" [٧٧٣].

إنَّ التأكيد على القيمة السياسية التي ينطوي عليها موقف اللافعل أو عدم التدخل ونقض أعمال المشـــرعين في الدولة باعتبار لا جدوى من قوانينهم الناظمة للدولة, لان كلما ازدادت حياة الناس ببساطة عاشوا بسلام. بمعنى ان عدم تدخل الحاكم في بلد تسير الأمور فيه وفقا لمجراه الطبيعي، وحينما تتدخل الطبقة الحاكمة يكون ذلك بهدف الحصـــول على المكاســـب, وما عمل الحكومة ســـوى ان تحرم الناس من احتياجاتهم وتفرض عليهم الضـــرائب الباهظة، وتثير الحروب التي يموت فيها الناس من أجل أهداف لا علاقة لهم بها، وعليه فإن هذا البؤس الذي بحياة الناس منذ والدتهم وحتى مماتهم يرتبط بالمدينة والدول[٧٧٤].

وبالرغم من أنَّ تعاليم الطاوية الأصـــلية كما جســـدها مبدأ الســـلام العظيم غير واقعية, وتنأى عن الحقيقة. لكنها, أثارت مشـــاعر الشـــعب للنهوض وإشـــهار الســـلاح تعبيرا عن الاحتجاج ضد الظلم الاجتماعي, والسعي وراء إقامة مجتمع مثالي يتسم بالمساواة, وقد استغل تشـانغ جو وتشـانغ لو وغيرهما من القادة البارزين في تعبئة الشـعب وتنظيم صـفوفه للعصـيان المسلح ضـد أسرة هان الشرقية. وعندما قاد تشـانغ جو الانتفاضـة المسلحة رفع شـعار موت السـماء الزرقاء, ومرحبا بالحكم القادم للسـماء الصـفراء كنداء لاسـتنهاض جماهير الشـعب وتشـــجيعها, وترمز الســـماء الصـــفراء للعمائم الصـــفراء. وفيما يبدو ان هذا النداء تأثر بالقوة

---

[٧٧١] زيد خالد وضرار علي , **الفلسفة السياسة والاجتماعية عند لاوتسي– الطاوية** , ص١٤.

[٧٧٢] عمر عبد الحي، **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**، ص ١٠١.

[٧٧٣] فراس السواح , **فصول من الفلسفة الصينية** , هنداوي للنشر , ص ٨٦–٨٧.

[٧٧٤] زيد خالد وضرار علي , **الفلسفة السياسة والاجتماعية عند لاوتسي– الطاوية** , ص٢٣.

الدينية الغامضة لنظرية العناصر الخمسة وجيَّر بجلاء تصميم شانغ جو على تأسيس سماء صفراء جديدة بدلا لسماء حكم أسرة هان المتداعي [٧٧٥].

أسباب التمرد وتحركاته

ثورة العمائم الصفراء، المعروفة أيضًا باسم ثورة الأوشحة الصفراء، كانت انتفاضة فلاحية محورية خلال أواخر عهد أسرة هان الشرقية في الصين القديمة. بدأت عام ١٨٤ م في عهد الإمبراطور لينغ، ورغم قمعها بشكل كبير بحلول عام ١٨٥ م، استمرت بقايا الحركة والانتفاضات المرتبطة بها حتى عام ٢٠٥ م. أضعفت هذه الاضطرابات المستمرة سلالة هان بشكل كبير، مما حفز صعود أمراء حرب إقليميين أقوياء، ومهد الطريق لعصر الممالك الثلاث. استمدت الثورة اسمها من أغطية الرأس الصفراء التي كان يرتديها المشاركون فيها، ومثلت لحظة مهمة في تاريخ الطاوية نظرًا لخلفيتها الدينية [٧٧٦].

في البداية اختارت الملكية الصينية في عصر هان الوقوف إلى جانب الفلاحين ضد ملاك الأرض الذين كانوا يزدادون قوة. كانت ثمة دعوات دورية في سلالة هان الأولى للعودة إلى نظام "المربعات التسعة" او ما يسمى نظام البئر آنذاك الذي ألغاه شانغ يانغ في عصر تشين, وكانت المطالب بأحيائه مدفوعة بمحنة الفلاحين الفقراء الذين طردهم كبار الإقطاعيين وأصحاب المزارع الكبيرة من أراضيهم [٧٧٧].

وحينما حاول وانغ مانغ في تنفيذ إصلاح زراعي شامل عندما اغتصب العرش عام ٩ م. واجه معارضة كبيرة في البلاد مما أدى إلى فشله وأزاحته عن السلطة, وعودة سلالة هان إلى الحكم. أتاح فشل وانغ مانغ في تطبيق الإصلاح الزراعي الفرصة أمام الأرستقراطية الميراثية

---

[٧٧٥] عمر عبد الحي، **الفلسفة والفكر السياسي في الصين القديمة**، ص266. وكذلك ينظر :

Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory Of The Yellow Turban Rebellion 184 Ce, From The Late Han To The Ming Dynasty** , A Thesis submitted in Partial Fulfillmen of the Requirements for the Degree of Master of Arts , University Of Northern Colorado, 2014, p.1.

[٧٧٦] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 45–50.

[٧٧٧] فرنسيس فوكاماياً , **أصول النظام السياسي** , ص٢٠٩.

لتوسيع ممتلكاتها وتعزيز سلطتها, وقد نجح ملاك الأراضي الزراعية الكبيرة في عهد هان الشرقية في السيطرة على مئات بل الأف الخدم والمستأجرين والاتباع والأقارب. وفي أحيان كثيرة, كانت لديهم جيوش خاصة كبيرة كما ضمنوا إعفاءات ضريبية لأنفسهم واتباعهم, وضاعفوا القاعدة الضريبية لعموم الإمبراطورية وسكان الأرياف المستخدمين في اعملا السخرة والتجنيد [٧٧٨].

في أواخر أسرة هان الشرقية ورث أقرباء الإمبراطور الاستبدادية الإقطاعية, وقام النبلاء الأقوياء بضم الأراضي بصورة محمومة, وفرض الموظفين الحكوميين الضرائب الفادحة, وأصابهم الجشع البشع إلى ما لانهاية, فضلاً عن الكوارث الطبيعة المتتالية, مما أدى ذلك كله إلى إفلاس جموع الفلاحين وتشريدهم وانتشرت النكبات والكوارث في جميع أنحاء البلاد من المجاعة, وتشريد مئات الأف من الفلاحين الذين حصدهم الموت واحدا تلو الأخر [٧٧٩].

وقد وصف سو هسون الأمر بقوله: "إنَّ من يحرثون الحقول لا يملكونها ومن يملكونها لا يحصدونها ...., ويساق الناس في عملهم بالسوط والهراوة ويعاملهم السيد الإقطاعي كعبيد. في حين يجلس هو مستريحا ليشرف على تنفيذ أوامره, ويأخذ نصف المحصول على الرغم من هناك مالك واحد وعشرة عمال. ولذا, في الوقت الذي كان صاحب الأرض يحقق فيه الثراء والنفوذ كان العامل يقع فريسة للفقر والجوع"[٧٨٠].

كما كان الفساد المتفشي في البلاط الإمبراطوري، وخاصةً بين الخصيان ذوي النفوذ، المعروفين باسم "الخدم العشرة"، سببًا في تراجع سلالة هان. وقد أدى اعتماد الإمبراطور لينغ على هؤلاء الخصيان إلى تقويض النزاهة الإدارية، مما أثار استياءً واسع النطاق. كما اتسمت تلك الحقبة بتكرار الكوارث الطبيعية والأوبئة، التي اعتُبرت علامات إلهية على فقدان الإمبراطور لتفويض السماء، وهو مفهوم يُبرر الحكم الإمبراطوري القائم على الحوكمة الأخلاقية والفعالة [٧٨١].

---

[٧٧٨] المصدر نفسه , ص٢٠٩.

[٧٧٩] خه جاو وو واخرون , **تاريخ تطور الفكر الصيني** , ص.265

[٧٨٠] هيلدا خوهام , **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين** , ص١١٠.

[٧٨١] M. Tao, and L. Wei, **The Monetary and Financial System in the Han Dynasties**, pp 80-85.

أدى الفيضـــان على طول النهر الأصـــفر إلى نزوح آلاف المزارعين، مما زاد من حدة المنافسة على الموارد في المناطق الجنوبية. وقد أدى هذا، إلى جانب متطلبات العمل القاسية والضـرائب المرتفعة، إلى تفاقم الفقر الريفي. كما أدى تفشـي الأمراض، التي يُحتمل ارتباطها بالطاعون الأنطوني، إلى مزيد من الدمار للسـكان، مما أدى إلى انخفاض الإنتاجية الزراعية وتدهور الظروف المعيشية [٧٨٢].

وقد أفضت تلك المحن إلى اندلاع ثورات فلاحية اتخذت طابعًا مزدوجًا جمع بين السخط السـياسـي والبعد الديني، وبلغت ذروتها سـنة ١٨٤م باندلاع ثورة «العمائم الصـفراء». وقد اشـتُقّت تسمية الحركة من العمائم الصـفراء التي ارتداها المتمردون لتمييز أنفسـهم عن القوات الحكومية، واختير اللون الأصـفر لما يحمله من دلالات رمزية، إذ يرمز إلى عنصـر الأرض في علم الكونيات الصـيني، في مقابل أسرة هان التي ارتبطت بعنصـر النار ويرمز لها باللون الأحمر. واعتمد المتمردون منظومة من العلامات والرموز بهدف إضـــفاء الشـــرعية الكونية والتبرير الديني على حركتهم. كما اسـتندت الحركة إلى تفسـيرات معينة من الطاوية الشـعبية، وكان أتباعها في الغالب من الطاويين. وقد تزعم الثورة تشـــانغ جو، الذي اعتقد أن الطاعون الذي اجتاح البلاد كان نتيجة للخطيئة، وأن الخلاص منه يتحقق عبر الاعترافات العلنية، والممارسات السحرية والدينية، واستخدام التمائم والتعاويذ. وذهب تشانغ جو إلى القول بإمكانية تجديد العالم وافتتاح عصر ذهبي جديد من «السلام العظيم» (تاي بينغ) [٧٨٣] .

وفي السـنة الثالثة من حكم الإمبراطور لينغ عانى السـكان من معاناة شـديدة نتيجة لمجموعة من الكوارث الطبيعة والفيضـانات التي حصـلت في البلاد, وأصـبحت المجاعات حادة لدرجة أنَّ البعض لجأوا لأكل لحوم البشر. وبالنظر إلى أنَّ الاستغلال كان منتشرا أكثر من أي وقت مضى, بدأت نذر العاصفة السياسية تتجمع, ففي الشهر الثاني من عام ١٨٤ م

---

[٧٨٢] H. Van Ess, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian** , p.p 250-255.

[٧٨٣] Grégoire Espesset, **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church** , Hal press , ubmitted on 16 Feb 2012 , p.p 7-8. A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 45-50.

بدأ تشانج جو وهو زعيم طائفة السلام العظمى الطاوية دعوة سرية للثورة, واستجاب مئات الألاف من الفلاحين الغاضبين, ولقبوا انفسهم بجيش العمائم الصفراء [٧٨٤].

واستغلّ الزعيم الطاوي، تشانغ جو، يأس السكان بالترويج لتعاليمه، التي زعم أنها قادرة على شفاء المرضى واستعادة الوئام, واكتسبت طائفته، "طريق السلام الأسمى"، زخمًا من خلال معالجة المظالم عبر طقوس دينية ووعود بعصر جديد مزدهر, وقد تصوّرت تعاليم تشانغ جو، التي نشرها تلاميذه، مجتمعًا خاليًا من فساد الهان، ممهدةً بذلك الطريق الأيديولوجي للتمرد [٧٨٥].

قاد تشانغ جوي وشقيقاه تشانغ باو وتشانغ ليانغ الثورة, وكان الإخوان، اللذان يُبجَّلان بوصفهما معالجين، يجذبان أتباعًا من المجتمعات الريفية الفقيرة, وقد نشرا تعاليمهما من خلال ممارسات مثل طقوس الاعتراف والترانيم والصيام. كان شعارهما "السماء الزرقاء قد ماتت بالفعل؛ السماء الصفراء ستشرق قريبًا" رمزًا لرؤيتهم الثورية، اذ يرمز اللون الأصفر إلى التجديد والعدالة [٧٨٦].

التزم المتمردون بعلم الكونيات الطاوي، مؤمنين بالتغيرات الدورية في الحكم, وادعى تشانغ جو التوجيه الإلهي من خلال نص مقدس، "المفاتيح الأساسية لطريق السلام", وحّدت حركته جماعات متنوعة، بما في ذلك الأقليات العرقية والنساء، من خلال ممارسات وطقوس روحية مشتركة [٧٨٧].

على الرغم من أن تشانغ جو خطط في البداية لتمرد منسق على مستوى الإمبراطورية، إلا أن جواسيس الحكومة كشفوا المؤامرة [٧٨٨]، مما أدى إلى اندلاع انتفاضة مبكرة في مارس

---

[٧٨٤] مايكل ديلون , **مختصر تاريخ الصين** , ص١٣٩.

[٧٨٥] Grégoire Espesset, **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church** , p.p 8-9.

[٧٨٦] J.Young, **The Han Dynasty Trade Platform: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy**, pp. 145-150.

[٧٨٧] Grégoire Espesset, **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church** , p.p 8-9. Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory Of The Yellow Turban Rebellion 184 Ce** , p 18.

[٧٨٨] Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory Of The Yellow Turban Rebellion 184 CE** , p21.

١٨٤ م, ورغم تلك النكسة، هاجم عشرات الآلاف من المتمردين مكاتب الحكومة المحلية، مما أدى إلى انتشار الفوضى بسرعة في شمال الصين, وشملت المراكز الرئيسية للتمرد مقاطعات جي وجينغ ويو و وو [٧٨٩].

وعلى إثر ذلك, توحدت صـــرخات الفلاحين في المزارع والحقول, فهبت الانتفاضـــة في وادي يانغتســي الأسـفل والأوسـط وشـبة جزيرة شـاندوغ ضـد حكومة الهان وزلزلت أصـواتهم الأرض بأنشودة ثورية تقول:

"ينبت الشعر بعد قصة مثل الكراث,

ويستمر الرأس ليصيح بعد ان انقطع مثل الديك,

فلا تخف من المسؤولين ولا تستهين بقوة الشعب" [٧٩٠].

وخلال عشرة أيام فقط من اندلاع التمرد، تعرّضت العديد من المكاتب الحكومية لهجمات مباشرة، وتعرّضت بلدات وقرى لا تُحصى للنهب، في حين تمكّن المتمردون من السيطرة على مقاطعات بأكملها. ومع اتسـاع رقعة التمرد في مختلف أنحاء الصـين، سـادت حالة من القلق الشديد داخل البلاط الإمبراطوري لأسرة هان، ولا سيما في العاصـمة لويانغ، إزاء تفاقم الأزمة واستمرارها. واستجابةً لذلك، كلّف الإمبراطور لينغ صهره هي جين، بصفته القائد العام الجديد، بالإشـراف على الجيوش الإمبراطورية وتوجيهها نحو قمع حركة العمائم الصـفراء. وتعزيزًا لهذه الجهود، عيّن الإمبراطور كلاً من الجنرالات لو تشي، وهوانغفو سونغ، وتشو جون لقيادة ثلاثة جيوش إضافية، أوكلت إليها مهمة القضاء على التمرد [٧٩١] .

وحينما عيّن بلاط أسـرة هان هي جين قائدًا عامًا للقوات الإمبراطورية، جرى حشـد ثلاثة جيوش تولّى قيادتها الجنرالات لو تشـي، وهوانغفو سـونغ، وتشـو جون. وقد أُوكلت إلى هؤلاء

Ngô Văn , **Ancient utopia and peasant revolts in China** , July 20, 2004 , [٧٨٩]p.8.

[٧٩٠] شريف سامي , **مختصر تاريخ الصين**, ص٩٨.

[٧٩١] Ngô Văn , **Ancient utopia and peasant revolts in China** , p.8.

القادة مهمة قمع التمرد، مع تركيز العمليات العسكرية على معاقل المتمردين في شمال ووسط الصين، واتسمت المواجهات الأولى بمعارك عنيفة أفضت إلى دمار واسع النطاق [٧٩٢] .

ففي مقاطعة جي، فرض لو تشي حصارًا على معقل تشانغ جو، غير أن مسؤولي البلاط اتهموه بالتقصير في أداء مهامه، فتمت إقالته وحلّ دونغ تشو محلّه, وفي الوقت نفسه، تمكّن هوانغفو سونغ وفو شي من تحقيق انتصار حاسم على قوات المتمردين في مقاطعة غوانغزونغ، أسفر عن مقتل تشانغ ليانغ وتدمير وحدات كبيرة من قوات العمائم الصفراء, وخلال هذه الحملات، توفي تشانغ جو متأثرًا بالمرض، الأمر الذي أسهم في إضعاف الروح المعنوية للمتمردين وزيادة حالة الإحباط في صفوفهم [٧٩٣] .

وفي مقاطعة يو، تمكّن تشو جون، بدعم من تساو تساو، من سحق القوات الرئيسية للمتمردين بقيادة بو كاي. وفي الوقت نفسه، تعرّض المتمردون في قيادة نانيانغ لهجمات منسقة شنّتها القوات الإمبراطورية بقيادة تشين جيه وتشو جون، وأسفرت هذه العمليات عن هزيمتهم وأسر عدد من قادتهم البارزين، من بينهم هان تشونغ [٧٩٤] .

ولم تقتصر استجابة الحكومة على هذه الإجراءات فحسب، بل جرى حشد ما يقرب من مليوني رجل لمواجهة المتمردين. ومع دخول التمرد عام ١٨٥م، سمح الإمبراطور للوردات الإقليميين بحشد قواتهم الخاصة والمشاركة مباشرة في قمع الحركة، وهو إجراء كانت له تداعيات بعيدة المدى ظهرت بوضوح بعد انتهاء تمرد العمائم الصفراء. وقد شارك في هذه الأحداث عدد كبير من اللوردات الذين برزوا لاحقًا بوصفهم شخصيات محورية في تاريخ الإمبراطورية، من بينهم تساو تساو، وليو باي وإخوته غوان يو وتشانغ فاي، ويوان شاو ويوان شو، ودونغ تشو، وسون جيان، وغيرهم كثير. وبحلول منتصف شباط/فبراير من عام ١٨٥م، أُعلن القضاء رسميًا على تمرد العمائم الصفراء، بعدما قُتل الأخوان تشانغ في المعارك، وتحوّل من تبقّى من أتباعهم إلى جماعات متفرقة من قطاع الطرق. ومع ذلك، أقدم

---

[٧٩٢] Ibid , p.8.

[٧٩٣] Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory Of The Yellow Turban Rebellion 184 Ce** , p 23.

[٧٩٤] Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory Of The Yellow Turban Rebellion 184 Ce** , p .23.

الإمبراطور لينغ على تغيير اسم العصر من «غوانغهي» إلى «تشونغ بينغ»، أي «تحقيق السلام»، في محاولة رمزية للإعلان عن استعادة الاستقرار [٧٩٥] .

نتائج التمرد واثره على النظام الحاكم في الصين

على الرغم من سحق التمرد الأساسي بحلول أوائل عام 185م، استمرت فصائل متمردة أصغر في المقاومة, وأدت هذه البقايا، التي كانت تعمل في مناطق نائية، إلى إطالة أمد عدم الاستقرار، وتطلبت جهودًا عسكرية متواصلة لقمعها [٧٩٦].

واستمرت بقايا حركة العمائم الصفراء في إشعال انتفاضات متفرقة على مدى العقدين التاليين، ومن أبرز الأمثلة على ذلك نشاط قطاع الطرق المعروف باسم «ذوي الموجة البيضاء» في مقاطعة شيخه، بالإضافة إلى التمردات الإقليمية في مقاطعات تشينغ ويي ويان, وعلى الرغم من هزيمة هذه الحركات في النهاية، فإنها برهنت على استمرار تأثير أيديولوجية التمرد في التعبير عن الاستياء الاجتماعي والسياسي، ومدى قدرتها على تحريك الجماهير حتى بعد انهيار الحركة الرئيسية [٧٩٧] .

وقد أسهم تمرد العمائم الصفراء في إضعاف حكومة أسرة هان إضعافًا بالغًا، إذ أدى إلى تآكل السلطة المركزية وتعزيز نفوذ أمراء الحرب الإقليميين, كما أن اعتماد البلاط الإمبراطوري على القادة العسكريين المستقلين في قمع التمرد أسهم بصورة مباشرة في تفتيت البنية السلطوية للدولة, وقد مهّدت هذه النزعة اللامركزية الطريق لظهور عصر الممالك الثلاث، الذي اتسم بصراعات حادة وحروب أهلية طويلة الأمد[٧٩٨].

---

[٧٩٥] J. Wu, **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**, pp. 55–60. Young, J. **The Han Dynasty Trade Platform: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy**, pp. 145–150.

[٧٩٦] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 45–50.

[٧٩٧] Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory Of The Yellow Turban Rebellion 184 Ce** , p 11.

[٧٩٨] Ibid_, p 14.

كان لثورة العمائم الصفراء تأثيرٌ عميقٌ على التاريخ الصيني, فقد شهدت تراجع أسرة هان الشرقية وانهيارها، وأرست أسس عصر الممالك الثلاث في التاريخ الصيني. وفي الوقت نفسه، أسهمت ثورة العمائم الصفراء في إحداث تغييرات وتطورات في المجتمع الصيني، وفتحت آفاقًا جديدةً لتحول الأنظمة السياسية والهياكل الاجتماعية في التاريخ الصيني [٧٩٩].

ويرى بعض المؤرخين أن تمرد العمائم الصفراء يمكن اعتباره النهاية الفعلية لسلالة هان، إذ يُنظر إليه بوصفه الحدث الأكثر تدميرًا لسلطتها وهيبتها، على نحو يفوق في آثاره حتى مرحلة الممالك الثلاث اللاحقة, فقد كان الدمار الذي خلّفه التمرد كارثيًا على سلطة هان في مختلف أنحاء الصين؛ إذ تعرّضت أعداد كبيرة من المكاتب الحكومية للهجوم، ودُمّرت مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية، كما تلاشت عائدات ضريبية هائلة كانت تمثل عصب الاقتصاد الإمبراطوري، واستغرق تعويضها عقودًا طويلة, غير أن عامل الزمن لم يكن في صالح أسرة هان، إذ تشير التقديرات إلى مقتل ما يصل إلى سبعة ملايين شخص خلال الصراع، فضلاً عن تشريد أعداد كبيرة من السكان، الأمر الذي أسهم في تفشي أعمال اللصوصية وعدم الاستقرار في الأرياف. ومع القضاء على التمرد، اكتسب اللوردات الإقليميون، الذين برزوا خلال تلك المرحلة، قدرًا أكبر من الاستقلال الذاتي داخل أقاليمهم، مدعومين بجيوش ضخمة وثروات واسعة من الأراضي. وقد أدت هذه التحولات إلى تسريع تفكك السلطة المركزية، ومهّدت الطريق لانهيار إمبراطورية هان نهائيًا بحلول عام ٢٢١م [٨٠٠].

في المحصلة النهائية، لم يكن تمرد العمائم الصفراء مجرد انتفاضة فلاحية عابرة فرضتها ظروف طارئة، بل شكّل تعبيرًا تاريخيًا مكثفًا عن تراكم طويل الأمد من المظالم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، التي تفاقمت بصورة حادة في ظل ضعف البنية الإدارية وفساد مؤسسات الحكم في أواخر عهد سلالة هان الشرقية. فقد كشف التمرد عن عمق الفجوة بين الدولة والمجتمع، وعن عجز السلطة المركزية عن الاستجابة لمطالب الفئات الدنيا التي أنهكتها الضرائب، والكوارث الطبيعية، واستغلال النخب المحلية.

---

[٧٩٩] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 45–50.

[٨٠٠] فرنسيس فوكو ياما , **اصول النظام السياسي** , ص ٢١١.

وعلى الرغم من نجاح الدولة في إخماد التمرد بالقوة العسكرية، فإن ذلك الانتصار كان شكليًا ومؤقتًا، إذ خلّف التمرد شرخًا عميقًا في البنية السياسية والعسكرية للإمبراطورية الصينية. فقد أدى الاعتماد المتزايد على القادة العسكريين الإقليميين إلى إضعاف المركز وتعزيز النزعات اللامركزية، الأمر الذي أسهم في تفكك النظام الإمبراطوري التقليدي وأفقده قدرته على إعادة إنتاج الاستقرار. كما أن البعد الديني–الأيديولوجي للتمرد أضفى عليه طابعًا شموليًا، جعله يتجاوز كونه احتجاجًا اقتصاديًا ليغدو حركة ذات رؤية خلاصية سعت إلى إعادة صياغة النظام القائم.

ومن هذا المنطلق، يمكن النظر إلى تمرد العمائم الصفراء بوصفه نقطة تحول مفصلية مهّدت لبداية مرحلة طويلة من الانقسام السياسي والحروب الأهلية، التي تجسدت لاحقًا في عصر الممالك الثلاث وما تلاه من اضطرابات امتدت آثارها لعدة قرون, ويظل هذا التمرد علامة فارقة في التاريخ الصيني، ليس فقط لما خلّفه من دمار، بل لما يحمله من دلالات عميقة حول العلاقة بين العدالة الاجتماعية والاستقرار السياسي، ودورهما الحاسم في الحفاظ على وحدة الإمبراطوريات واستمرار ازدهارها.

المبحث الثالث: أسباب انهيار نظام هان الشرقية

شهد حكم أسرة هان الشرقية تطورات سياسية حادة أثرت بشكل مباشر على استقرار الدولة واستمراريتها، مما أدى في النهاية إلى انهيار النظام الإمبراطوري, وظهور ما يُعرف

بعصـــر الدول الثلاث. لم تكن تلك الأزمة نتيجة عامل واحد، بل كانت نتاج تراكم مشـكلات سياسية واقتصادية واجتماعية معقدة تعذر حلها خلال قرون الحكم. من بين تلك المشكلات، برزت الأزمات الاقتصادية التي ضربت البلاد نتيجة الفساد الإداري، والكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات، والتي زادت من معاناة السكان وأضعفت موارد الدولة. كما لعبت الثورات الشـعبية دورًا محوريًا في زعزعة الاسـتقرار الداخلي، اذ عبرت عن الغضـب المتزايد ضـد السياسات الحكومية التي فشلت في تلبية احتياجات المواطنين.

من جهة أخرى، اسهم تراجع سلطة الإمبراطور المركزية في ظهور قوى محلية مستقلة، مثل النبلاء الإقطاعيين الذين استغلوا الظروف الصعبة لتعزيز نفوذهم العسكري والسياسي. هذا الانقسام الداخلي أدى إلى تقسيم الإمبراطورية إلى إقطاعيات متفرقة، مما ضعف نظام الموحد الذي أسسته سلالة هان الشرقية.

أولا: الأزمات السياسية والاقتصادية

تعرضت أسرة هان الشرقية لعدة أزمات سياسية كانت السبب المباشر في انحلال نظامها وأدت إلى انهيارها في نهاية المطاف. من أبرز أسباب تلك الأزمات كان الفساد المستشري داخل النظام السياسي، اذ كان الفساد يعم المؤسسات الحكومية والمجالس الحاكمة، مما أدى إلى تدهور فعالية إدارة الدولة. بعد قتل الإمبراطور وانغ مانغ في عام ٢٣ م، بدأت مرحلة من الاضطرابات الداخلية التي تميزت بالصراع على السلطة، اذ سعى العديد من القادة العسكريين والنخب السياسية إلى استغلال الوضع لتحقيق مكاسب شخصية، مما أدى إلى تفكك السلطة المركزية [٨٠١].

كما كانت فوضـى النظام السـياسـي مرتبطة أيضًـا بتقلبات في العلاقات بين الطبقات الحاكمة والشعب. ففي عهد هان الشرقية، كانت العلاقة بين الفلاحين والحكومة متوترة بشكل خاص. الفلاحون كانوا يعانون من القوانين القاسية، اذ كانت الضرائب المرتفعة ترهق كاهلهم، مما أدى إلى حالة من الاستياء الشعبي المتزايد. هذا الاستياء أطلق شرارة العديد من الثورات

[٨٠١] E. L. Sabatini, **The War Economy of the Western Han Dynasty**, pp. 135–140.

الشـعبية التي كانت تمثل تحديًا مباشـرًا للسـلطة المركزية. ومع ضـعف الحكومة المركزية، أصبح قادة المناطق يكتسبون نفوذًا أكبر، وهو ما سهل تحلل السلطة وتفككها [٨٠٢].

فضـلاً عن ذلك، كان هناك صراع مستمر داخل أسرة هان نفسها, بين الأباطرة والوصـاة الذين كانوا يمسـكون بمقاليد السـلطة، كانت هناك تنافسـات كبيرة على النفوذ، مما أدى إلى انعدام الاستقرار السياسي. على سبيل المثال، كانت المدة التي شهدت حكم الإمبراطور شاو (١٥٦-١٥٩ ميلادي) في ظل الوصي دوانغ قد تميزت بصراع داخلي على السلطة بين أفراد العائلة المالكة، مما أثّر على فعالية الحكومة [٨٠٣].

كان للكوارث الطبيعية دور كبير في تعميق الأزمات السياسية والاقتصادية التي شهدتها في عهد هان الشرقية. كانت الزلازل، الفيضانات، والجفاف من أبرز الكوارث التي أثرت على اسـتقرار الدولة. ومن أبرز الأمثلة على تلك الكوارث كانت الفيضـانات التي ضـربت مناطق واسـعة من الصـين في القرن الثاني الميلادي، والتي أثرت على الإنتاج الزراعي وأدى إلى تدمير المحاصيل وتدهور الأوضاع الاقتصادية في الدولة [٨٠٤].

كان من الطبيعي أن تؤثر تلك الكوارث على الوضـع الاجتماعي والسـياسـي أيضًـا. الفيضـانات التي حدثت في السنوات بين ١٥١ و١٥٨ م، تسببت في نزوح جماعي للفلاحين، مما أدى إلى زيادة الضغط على المدن الكبرى، وأدى إلى ارتفاع أسعار المواد الأساسية بسبب نقص الغذاء. كما تسـببت تلك الكوارث في تراجع الموارد المالية لدى الحكومة، مما جعل من الصعب توفير الموارد العسكرية لمكافحة الثورات الشعبية والتهديدات الخارجية [٨٠٥].

فضـلاً عن الفيضـانات، كانت الزلازل تؤثر على المدن الكبرى والبنى التحتية، مما جعل من الصـعب على الحكومة توفير الدعم الكافي للمناطق المتضـررة. كانت تلك الكوارث الطبيعية تسـاهم بشـكل كبير في تعزيز مشـاعر الاسـتياء بين الشـعب، الذين بدأوا يرون

---

[٨٠٢] D. Schaab –Hanke, **The Power of Alleged Tradition: A Prophecy Glorifying Emperor Wu of Han**, pp. 265-270.

[٨٠٣] M.Tao, and L. Wei, **The Monetary and Financial System in the Han Dynasties**, pp. 80-85.

[٨٠٤] H. Van Ess, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian** , p.p 250-255.

[٨٠٥] L. F. Wallace, **Between and Between: Representations of the Immortals (Xian) in Eastern Han Dynasty Tomb Inscriptions**, pp. 85-90.

الحكومة عاجزة عن تأمين حياتهم وأمنهم، وبالتالي تزايدت الانتقادات لسياسات السلطة المركزية [٨٠٦].

من أهم العوامل التي أسهمت في انهيار سلالة هان الشرقية كانت الثورات الشعبية التي قامت على مدار حكمها، والتي كانت غالبًا نتيجة مباشرة للأزمات الاقتصادية والاجتماعية. كانت تلك الثورات تعبيرًا عن استياء الفلاحين بسبب القوانين الجائرة، الضرائب المرتفعة، وظروف الحياة الصعبة. تجسد ذلك في العديد من الانتفاضات الكبيرة، التي كان أبرزها "**ثورة طائفة الرداء الأصفر**" (العمائم الصفراء) عام ١٨٤م [٨٠٧].

بدأت ثورة الرداء الأصفر نتيجة لتدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، اذ اندلعت احتجاجات عارمة ضد الحكومة في مناطق واسعة من الصين. كانت الحركات الثورية في تلك المدة تنطلق من المناطق الريفية، اذ كان الفلاحون يعانون من الفقر المدقع، كما كان الاستبداد المحلي والضرائب الثقيلة من أبرز الأسباب التي أدت إلى اندلاع هذه الثورات. عُرفت هذه الثورة بتجمعات شعبية ضخمة، اذ كانت هناك دعوات لتغيير النظام السياسي الحاكم في الصين [٨٠٨].

ثورة الرداء الأصفر بدأت في **مقاطعة خنان** ولكنها سرعان ما انتشرت إلى بقية المناطق الريفية. تجمعت قوات ضخمة من المتمردين، وقادها قادة مثل **تشانغ جيو** و**تشانغ تشاو**، اللذان كانا يطالبان بإصلاحات اجتماعية وإلغاء الضرائب. كانت هذه الثورة تمثل تحديًا كبيرًا للسلطة المركزية التي كانت تعاني من ضعف شديد في تلك المدة. ومع اندلاع الثورة، أصبح من الواضح أن السلطة المركزية لم تعد قادرة على الحفاظ على الاستقرار الداخلي، مما أدى إلى تدخل القوات العسكرية لإخماد هذه الحركات الشعبية، لكن فشل الحكومة في ذلك زاد من تفاقم الأوضاع [٨٠٩].

L. F.Wallace, **Falconry Representations in the Eastern Han Dynasty**, pp. 110–115.

[٨٠٦]

[٨٠٧] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 45–50.

[٨٠٨] J.Wu, **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**, pp. 55–60.

[٨٠٩] J. Young, **The Han Dynasty Trade Platform: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy**, pp. 145–150.

فضـــلاً عن ثورة الرداء الأصـــفر، كانت هناك العديد من الثورات المحلية الأخرى التي أضـــعفت الســـلطة، مثل **احتجاج الفلاحين** في عام ١٤٧ ميلادي، اذ شـــهدت هذه المدة احتجاجات واسعة في جنوب الصين بسبب الضرائب المرتفعة, كما أسهمت الحروب الداخلية وصراعات النخب الحاكمة في تأجيج الأزمات، مما زاد من ضعف النظام السياسي، وبالتالي تدهورت قدرة الحكومة على مواجهة التهديدات الداخلية والخارجية [٨١٠].

وشهدت أسرة هان الشرقية سلسة من التقلبات السياسية والاقتصادية التي أسهمت بشكل كبير في انهيار النظام في نهاية المطاف. هذه التقلبات لم تكن حدثًا مفاجئًا، بل كانت نتيجة لتراكم الأزمات السياسية والاقتصادية على مر العقود. على الرغم من أن أسرة هان الشرقية بدأت عهد حكمها في عام ٢٥م عندما تمكن الإمبراطور غوانغ وو من إعادة توحيد الصـــين بعد عصـــر من الانقســـام والفوضـــى، إلا أن تلك المدة لم تخل من العديد من المشـــاكل التي هددت استقرار الإمبراطورية على المدى الطويل [٨١١].

واحدة من أبرز الأزمات السـياسـية التي بدأت تهدد اسـتقرار أسـرة هان الشـرقية كانت مشـكلة تزايد نفوذ القوى العسـكرية والأمراء العسـكريين داخل الإمبراطورية. في بدايات القرن الثاني الميلادي، كانت هناك فئة من الضـباط العسـكريين الذين بدأوا يتمتعون بنفوذ كبير في الجيش، مما سـمح لهم بالتدخل في شـؤون الحكومة المركزية. وكان ذلك يتسـبب في ضـعف سلطة الإمبراطور، اذ كان هؤلاء الضباط يتمتعون بقوة أكبر من كبار المسؤولين الحكوميين، مما أثر على استقرار الحكم [٨١٢].

كما تسببت الانقسامات داخل الأسرة الحاكمة في زيادة هذه الأزمات. على الرغم من أن أسرة هان الشرقية بدأت مع الإمبراطور غوانغ وو، إلا أن الأسرة الحاكمة نفسها كانت تعاني من صـراعات داخلية على السـلطة. فقد اندلعت عدة صـراعات داخل العائلة المالكة حول من

---

[٨١٠] L. Zhang, **A New View of Political Thought in the Eastern Han Dynasty**, pp. 50–55.

[٨١١] J. Young, **The Han Dynasty Trade Platform: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy**. pp. 155–160.

[٨١٢] J. Magli, **The Sacred Landscapes of the Han Emperor's 'Pyramids'**, pp. 105–110.

يحق له خلافة العرش، وهو ما جعل الحكم في أيدي عدد من الشخصيات الضعيفة التي لم تكن قادرة على فرض سيطرتها على شؤون الإمبراطورية [٨١٣].

من أبرز الأحداث التي عكست هذه الانقسامات السياسية كان تمرد "الدونغ تشو" في عام ١٨٩ ميلادي، عندما قامت مجموعة من كبار القادة العسكريين في البلاط الإمبراطوري بالإطاحة بالإمبراطور الهاني واستيلاء "دونغ تشو" على السلطة. هذا التمرد أظهر الانقسام الكبير في السلطة داخل البلاط الإمبراطوري وأدى إلى اندلاع موجة من الصراعات الداخلية التي زادت من تدهور حالة الإمبراطورية [٨١٤].

ومن الأسباب المهمة التي أسهمت في انهيار أسرة هان الشرقية كان تفشي الفساد داخل الحكومة. وعلى مر السنين، ازدادت مستويات الفساد في البلاط الإمبراطوري، اذ كان العديد من المسؤولين الحكوميين يبددون الموارد ويستغلون سلطاتهم لمصالح شخصية, هذا الفساد، الذي أثر على الإدارة والمجتمع بشكل عام، أدى إلى تدهور الثقة في النظام الحاكم [٨١٥].

فضلاً عن ذلك، كانت الأزمات الاقتصادية تشكل عاملاً مهمًا في انهيار أسرة هان الشرقية, في أوقات مختلفة، واجهت الإمبراطورية تحديات اقتصادية كبيرة، مثل نقص الموارد الزراعية بسبب الحروب المستمرة والفوضى الداخلية. كما أن الأزمات الزراعية كانت تتفاقم بسبب التغيرات المناخية التي أثرت على المحاصيل، مما زاد من معاناة الشعب. وكانت هذه الأزمات الاقتصادية تؤدي إلى تزايد الفقر والجوع في مختلف أنحاء الإمبراطورية، وهو ما أدى إلى اندلاع تمردات شعبية ضد الحكومة [٨١٦].

وكانت واحدة من أكثر الأزمات الاقتصادية تأثيرًا هي الأزمة المالية التي نشأت نتيجة لارتفاع الضرائب المفروضة على الفلاحين. كانت الحكومة بحاجة إلى تمويل الجيوش والحفاظ على توازنها المالي، وهو ما دفعها إلى فرض ضرائب ثقيلة على طبقات الفلاحين

---

[٨١٣] M. Tao, and L. Wei, **The Monetary and Financial System in the Han Dynasties**, pp. 95-100.

[٨١٤] L. F. Wallace, **Between and Between: Representations of the Immortals (Xian) in Eastern Han Dynasty Tomb Inscriptions**, pp. 100-105.

[٨١٥] E. L. Sabatini, **The War Economy of the Western Han Dynasty**, pp. 150-155.

[٨١٦] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 60-65.

والمزارعين. لكن، مع عدم وجود حلول فعالة، أصـــبحت الطبقات الفقيرة أكثر تأثراً بالأزمة الاقتصادية، مما أسهم في تزايد الاستياء الشعبي من النظام [٨١٧].

وفي السياق نفسه، كانت الطبقات الحاكمة تتسم بالتركيز على مصلحتها الخاصة على حساب العامة. تزايدت معدلات الفساد في الجيش والإدارة، مما جعل الأوضاع الاقتصادية تتدهور بشكل سريع. وبذلك، أصبحت الإمبراطورية عاجزة عن معالجة الأزمات المتعددة التي كانت تهدد بقائها [٨١٨].

التوسع العسكري الهائل الذي شهدته الإمبراطورية الصينية في بداية سلالة هان الشرقية كان له أثرٌ كبير في تفاقم هذه الأزمات الاقتصادية. فقد اضطرت الصين إلى تخصيص موارد ضخمة للحروب في الخارج، مما أرهق خزائن الدولة. بالإضافة إلى ذلك، زادت تكاليف الدفاع عن الحدود من استنزاف الموارد الطبيعية [٨١٩].

وكان من أبرز الأمثلة على هذه الأزمة الاقتصـــادية هو اندلاع التمردات في عام ١٨٤ ميلادي، ثورة العمائم الصـــفراء ثم تلتها ثورة "الدونغ تشـــو"، اذ كانت المجاعات والظروف الاقتصادية السيئة من العوامل الرئيسية التي ساعدت في إشعال هذه الثورات. في تلك المدة، كانت الحكومة قد فقدت القدرة على التحكم في الأراضي الزراعية بشكل كامل، مما أدى إلى تدهور الوضع الاقتصادي وزيادة الفوضى [٨٢٠].

من جهة أخرى، كانت التوترات بين مختلف الطبقات الاجتماعية تؤدي إلى تصـــعيد الأزمات السياسية. كانت هناك طبقات غنية تسعى للحفاظ على مكانتها الاجتماعية، بينما كانت الطبقات الفقيرة تشعر بالإحباط والغضب بسبب قسوة الظروف المعيشية. هذا التباين الاجتماعي الكبير كان أحد العوامل التي أدت إلى اندلاع المزيد من الثورات. وكما هو الحال

---

[٨١٧] A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**, pp. 385–390.

[٨١٨] Z. Lu, **Becoming Confucius: The Pseudo–Texts of the Ming Emperor**, pp. 160–165.

[٨١٩] E. L. Sabatini, **The War Economy of the Western Han Dynasty**, pp. 150–155.

[٨٢٠] J. Wu, **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**, pp.70–75.

في ثورة "دونغ تشو"، التي شهدت تصاعد مشاعر الكراهية تجاه الطبقات العليا وأدت إلى موجات من العنف [٨٢١].

ومع مرور الوقت، تفاقمت الأزمات الداخلية. فقد حاولت الحكومة المركزية في عهد حكم الإمبراطور هوانغ تشو (١٣٢-١٦٩ م) السيطرة على الوضع، إلا أن التأثيرات السلبية التي سببتها الأزمات الاقتصادية والاجتماعية كانت أكبر من قدرة الحكومة على معالجتها. وبذلك أصبحت الإمبراطورية تتجه نحو التفكك [٨٢٢].

وفي عام ١٨٩ م، تم قتل الإمبراطور لينغ في حادث اغتيال خطير على يد مجموعة من القادة العسكريين، ما شكل بداية النهاية لسلالة هان الشرقية. هذا الحادث كان من الواضح أنه نتيجة مباشرة لتراكم الأزمات السياسية والاقتصادية داخل الدولة. وبالتالي، فقد تحولت الإمبراطورية إلى ساحة صراعات بين القوى العسكرية المختلفة [٨٢٣].

الاقتصاد، الذي كان يعتمد بشكل أساسي على الزراعة والتجارة، عانى بشكل كبير بسبب التوترات الداخلية. كما أن نقص الأراضي الزراعية بسبب الحروب الداخلية والخارجية زاد من معاناة المزارعين، مما جعلهم في موقف صعب. تراكمت هذه المشاكل حتى وصلنا إلى نقطة اللاعودة، اذ أصبح الوضع السياسي في الإمبراطورية غير قابل للإصلاح [٨٢٤].

ورغم محاولات الإصلاح التي حاول عدد من الحكام القيام بها، بما في ذلك استحداث سياسات لتخفيف الفقر وتحسين الاقتصاد، إلا أن الوضع كان قد خرج عن السيطرة. كانت الحروب الأهلية وفساد الحكومة قد أصابا الدولة بالضعف الشديد، مما أدى إلى انهيار النظام السياسي وتفكك أسرة هان الشرقية بشكل نهائي في عام ٢٢٠ م [٨٢٥].

---

[٨٢١] H. Van Ess, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian**, pp. 265-270.

[٨٢٢] M. Lowe, **Chancellors in the Han Dynasties**, pp. 45-50.

[٨٢٣] B. Patterson, and J. L. Israel, **China and East Asia until the Han Dynasty**, pp. 55-60.

[٨٢٤] E. L. Sabatini, **The War Economy in the Western Han Dynasty**, pp. 140-145.

[٨٢٥] A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty,** pp. 375-380.

شهدت أسرة هان الشرقية سلسلة من الأزمات السياسية والاقتصادية المتشابكة، التي أسهمت في تقويض استقرار الدولة وانهيار نظامها في نهاية المطاف, كما ان الفساد السياسي، والكوارث الطبيعية، والثورات الشعبية كانت عوامل رئيسية أسهمت في تفكك السلطة المركزية. مع ارتفاع حدة الاستياء الشعبي وغياب الإصلاحات الحقيقية، أصبح النظام عاجزًا عن التعامل مع التحديات الداخلية والخارجية، مما أفسح المجال لانهيار أسرة هان الشرقية وبداية مرحلة جديدة من الاضطرابات في تاريخ الصين.(٨٢٦) .

وفي الختام، يمكن القول إن أسرة هان الشرقية لم تنهار فقط بسبب الأزمات الاقتصادية، بل أيضًا بسبب التفكك الداخلي والفساد في الدوائر الحاكمة. كانت السياسة والاقتصاد متشابكين بشكل معقد في تلك المدة، مما جعل انهيار النظام أمرًا حتميًا بعد عقود من الاستقرار النسبي .

ثانيا- تراجع سلطة الإمبراطور وظهور القوى المحلية

تعد قوة النبلاء الإقطاعيين والجيش الخاص من العوامل الرئيسية التي ساهمت في تراجع سلطة الإمبراطور في عصر أسرة هان الشرقية. مع تدهور الحكم المركزي، بدأ النبلاء الإقطاعيون في تمركز السلطة في أيديهم، مما أدى إلى تفكك السلطة السياسية المركزية. في البداية، كانت الأراضي تُمنح للنبلاء من قبل الإمبراطور على شكل إقطاعيات كبيرة، وكان هؤلاء النبلاء يتسلطون على المناطق الريفية، ويجمعون الثروات ويؤثرون بشكل كبير في السياسة. ومن خلال احتكارهم للأراضي، بدأ هؤلاء النبلاء في تشكيل جيوش خاصة بهم، مما ساعد في تعزيز سلطتهم المحلية على حساب السلطة الإمبراطورية (٨٢٧).

يعد حكم هان الشرقية من أكثر الحقب السياسية اضطرابًا في تاريخ الصين القديم. على الرغم من أن أسرة هان الشرقية قد شهدت بداية قوية مع استعادة الوحدة الصينية بعد سقوط هان الغربية، إلا أن التوترات الداخلية كانت تزداد مع مرور الزمن، مما أسهم في تراجع سلطة

(٨٢٦) D. Schaab –Hanke, **The Power of a So-Called Tradition: A Prophecy Glorifying Emperor Han wu**, pp. 270-275.

(٨٢٧) Z. Lu, **Becoming Confucius: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor**, pp. 150-155.

الإمبراطور وظهور القوى المحلية التي كانت تسعى إلى تقويض الحكم المركزي. وتعد الأسباب المؤدية إلى هذا التراجع معقدة، وتعود إلى عوامل اقتصادية واجتماعية وعسكرية ودبلوماسية [٨٢٨].

في البداية، نشأت سلالة هان الشرقية في عام ٢٥ م عندما أعلن الإمبراطور ليو شيو نفسه إمبراطورًا وأسس حكمه في مدينة لويانغ. كانت أسرة هان الشرقية تهدف إلى استعادة الاستقرار في الصين بعد مدة من الفوضى والانقسام بعد سقوط سلالة هان الغربية. ومع ذلك، وعلى الرغم من التوسع العسكري والتقدم الاجتماعي في السنوات الأولى، بدأت تظهر ملامح التراجع تدريجيًا مع تزايد تأثير القوى المحلية على حساب السلطة الإمبراطورية المركزية [٨٢٩].

كانت السلطة الإمبراطورية في أسرة هان الشرقية تعتمد على النظام الإداري الذي كان يركز على السلطة المركزية في يد الإمبراطور. ومع ذلك، أصبح الحكام المحليون في الأقاليم هم من يديرون الأمور بشكل فعلي، وهو ما اسهم في تراجع سلطة الإمبراطور. كانت هذه القوى المحلية في البداية تتمتع بقدر من الاستقلالية، ومع مرور الوقت بدأوا في تكوين تحالفات مع بعض القبائل والأسر العشائرية، مما جعلهم يتحكمون في أراضٍ واسعة بعيدًا عن سلطة الحكومة المركزية [٨٣٠].

في منتصف القرن الثاني الميلادي، ولاسيما في مدة حكم الإمبراطور هوانغ مينغ دي (٥٧-٧٥ م)، بدأت تتضح بوادر ضعف السلطة الإمبراطورية. في هذه المدة، كان الحكم الإمبراطوري يواجه صعوبة في التحكم في المناطق النائية، وكان هناك تحولات في الهيكل الاجتماعي والاقتصادي للصين التي ساعدت في ظهور القوى المحلية. على الرغم من أن الإمبراطور كان يحكم بقبضة من حديد، إلا أن الفساد السياسي والإداري كان يزداد في القصر الإمبراطوري، مما أسهم في تدهور السلطة المركزية [٨٣١].

---

[٨٢٨] T. Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty**, pp. 18-23.

[٨٢٩] M. Tao, and L. Wei, **The Monetary and Financial System in the Han Dynasties**, pp 85-90.

[٨٣٠] H. Van Ess, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian**, pp. 255-260.

[٨٣١] L. F. Wallace, **Between and Between: Representations of the Immortals (Xian) in Eastern Han Dynasty Tomb Inscriptions**, pp. 90-95.

أحد أبرز الأمثلة على هذا التدهور هو قوة المحظيات والأسر الملكية التي كانت تتدخل في شؤون الحكومة. في بداية القرن الثاني الميلادي، أصبح هناك تدخل متزايد من قبل أفراد الأسرة المالكة والمحظيات في القضايا السياسية، مما دفع الإمبراطور إلى اتخاذ قرارات غير حكيمة، وهو ما أثر على استقرار الحكم (٨٣٢).

كما أن ظهور قوى محلية في المناطق النائية كان يعكس انعدام الثقة في السلطة المركزية. كانت العديد من المناطق تشهد تمردات واحتجاجات ضد الحكومة الإمبراطورية بسبب قسوة الضرائب وغياب العدالة الاجتماعية. على سبيل المثال، في عام ١٨٤ ميلادي، اندلعت ثورة تاو تياو التي كانت تمردًا ضخمًا ضد الحكومة المركزية، وأدت إلى سقوط العديد من الحكام المحليين في عدة مناطق.

في هذا السياق، يمكن إرجاع تراجع سلطة الإمبراطور إلى وجود مشكلة هيكلية في النظام الإداري الصيني في تلك المدة. كان هناك تعيينات غير ملائمة للمسؤولين في الأقاليم، وكان بعض الحكام المحليين يتصرفون بشكل مستقل تمامًا عن الحكومة المركزية. كان هذا يؤدي إلى استنزاف الموارد وإضعاف الرقابة الحكومية على تلك الأقاليم، مما أسهم في تراجع سلطة الإمبراطور (٨٣٣).

فضلاً عن ذلك، ساعدت النزاعات العسكرية الداخلية والخارجية في تدهور سلطة الإمبراطور. على الرغم من أن أسرة هان الشرقية كانت تتمتع بقوة عسكرية هائلة في بداية حكمها، إلا أن الانقسامات الداخلية، مثل التنافس بين العائلات الحاكمة والنزاعات على السلطة، أدت إلى توجيه الجهود العسكرية بعيدًا عن المناطق الحدودية، مما سمح للقوى المحلية بتعزيز قوتها الخاصة. على سبيل المثال، في السنوات الأولى من القرن الثاني الميلادي، كانت أسرة هان الشرقية في حرب مستمرة مع العديد من الجماعات البدوية على الحدود الشمالية، مثل الهونيين. لكن بسبب التوترات الداخلية، كانت هذه الحروب تتطلب طاقات وموارد ضخمة، مما أثر على السلطة الإمبراطورية (٨٣٤).

---

(٨٣٢) J. Magli, **Sacred Scenes of the Han Emperor's "Pyramids**," pp. 95–100.

(٨٣٣) L. F. Wallace, **Falconry Representations in the Eastern Han Dynasty**, pp. 115–120.

(٨٣٤) J. Lin, **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**, pp. 20–25.

بالإضافة إلى الضغوط العسكرية، كانت الظروف الاقتصادية تتدهور أيضًا. في عهد حكم الإمبراطور هوانغ دي، كانت الصين تواجه العديد من المشاكل الاقتصادية. كان الاقتصاد يعاني من تدني الإنتاج الزراعي بسبب الطقس القاسي، وهو ما أدى إلى ازدياد معدلات الفقر في بعض المناطق. تدهور الوضع الاقتصادي أدى إلى تصاعد الاستياء الاجتماعي، مما دفع العديد من الفلاحين إلى الانضمام إلى الحركات الثورية والتمردات ضد السلطة الإمبراطورية [٨٣٥].

وكان من أبرز العوامل التي أسهمت في تراجع سلطة الإمبراطور في هذه المدة هو الارتباط الوثيق بين القوى المحلية وبين النخب العسكرية والمالية, وأصبحت بعض الأسر المحلية تتمتع بقوة اقتصادية وعسكرية لا تقل عن قوة الحكومة المركزية, وكانت هذه القوى المحلية تستفيد من ضعف الإمبراطورية في السيطرة على الأقاليم البعيدة، وكان لديهم القدرة على تشكيل تحالفات مع بعض الشخصيات السياسية البارزة، وهو ما مكنهم من تحدي السلطة المركزية [٨٣٦].

ومن خلال هذه التطورات السياسية والاجتماعية، أصبح من الواضح أن سلطة الإمبراطور قد تراجعت بشكل ملحوظ. كان العديد من الحكام المحليين يسيطرون على الأقاليم ويمارسون السلطة بشكل شبه مستقل، بل إن بعضهم بدأ يتحدى الحكومة المركزية بشكل علني. على سبيل المثال، كان بعض الحكام المحليين في المناطق الجنوبية والغربية يتصرفون وكأنهم حاكمون مستقلون، بينما كانت الحكومة المركزية عاجزة عن فرض سلطتها في هذه المناطق [٨٣٧].

بدأ النبلاء الإقطاعيون في توسيع نفوذهم السياسي والعسكري. على سبيل المثال، في عهد حكم الإمبراطور هوانغ (١٤٦-١٦٨ ميلادي)، كانت بعض القوى الإقطاعية مثل أسرة هو وأسرة وانغ تسيطر على جزء كبير من الأراضي، وكانوا يملكون جيوشًا خاصة بهم. هؤلاء النبلاء، الذين أصبحوا في وضع قوي بسبب علاقاتهم بالإمبراطور وبسبب قوتهم العسكرية

---

[٨٣٥] M. Lui, **Advisors in the Han Dynasties**, pp. 40–45.

[٨٣٦] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 50–55.

[٨٣٧] J. Wu, **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**, pp. 60–65.

والاقتصادية، بدأوا في التمرد على السلطة المركزية. ومع مرور الوقت، أصبح هؤلاء النبلاء يشكلون تهديدًا حقيقيًا لاستقرار الدولة [٨٣٨].

كما اسهم الجيش الخاص للنبلاء في تعزيز تراجع سلطة الإمبراطور. كان النبلاء يقيمون جيوشًا مستقلة تتبع أوامرهم مباشرة ولا تتبع السلطان الإمبراطوري. هؤلاء الجنرالات المحليون كانوا يمتلكون قوة عسكرية كبيرة تسمح لهم بالاستيلاء على المناطق والتمرد ضد الحكومة المركزية. كما كان النبلاء يتعاطون مع الجنرالات بشكل غير مباشر، من خلال الدفع لهم بالموارد وتوفير الحماية لهم، مما ساهم في تقوية أيديهم [٨٣٩].

شهدت اسرة هان الشرقية مدة من الضعف المتزايد في السلطة المركزية، مما أثر بشكل كبير على الوحدة الوطنية وأدى إلى الانقسام الداخلي. بدأ هذا الضعف في الظهور بشكل واضح في عهد الإمبراطور شاو (١٥٦-١٥٩ ميلادي)، الذي حكم خلال مدة كان فيها تأثير الأباطرة ضعيفًا بسبب الانشغال بالقضايا السياسية الداخلية. هذا الانشغال ساعد في تقوية القوى المحلية، التي بدأت في تجاوز السلطة الإمبراطورية [٨٤٠].

مع ضعف الإمبراطور، كان النبلاء والجنرالات المحليون يسيطرون على مقاليد الحكم في مناطقهم الخاصة، متجاهلين سلطات الحكومة المركزية. هذا الوضع أدى إلى تراجع فعالية الحكومة المركزية في إدارة الشؤون الداخلية. أصبحت الدولة في حالة من الانقسام السياسي، اذ كان كل إقليم يحكمه قائد محلي أو نبيل، مما زعزع استقرار الوحدة الوطنية. تزايدت الاحتجاجات الشعبية ضد الحكومة بسبب نقص العدالة وارتفاع الضرائب، وزادت الانقسامات داخل الطبقات الحاكمة. وبذلك، أصبح النظام السياسي عاجزًا عن فرض السلطة على جميع أنحاء البلاد [٨٤١].

---

[٨٣٨] J. Young, **The Han Dynasty Trade Platform: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy**, pp. 150-155.

[٨٣٩] L. Zhang, **A New View of Political Thought in the Eastern Han Dynasty**, pp. 55-60.

[٨٤٠] J. Lin, **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**, pp. 25-30.

[٨٤١] Z. Lu, **Becoming Confucius: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor**, pp. 155-160.

تزامن هذا الضعف مع تدهور الوضع الاقتصادي بسبب الأزمات المالية والضغوط الاجتماعية، مما جعل الحكومة المركزية غير قادرة على تحمل تكاليف الجيوش وحماية حدود البلاد. ومع تزايد الثورات الشعبية، كان تأثير الإمبراطور محدودًا جدًا على الشؤون اليومية. وفي النهاية، أدى هذا الوضع إلى انهيار فعالية النظام السياسي المركزي.

كانت النتيجة النهائية لتراجع سلطة الإمبراطور وظهور القوى المحلية هي انقسام الدولة إلى إقطاعيات مستقلة، وهو ما أدى إلى ظهور بداية العصر الثلاثي في تاريخ الصين. بدأت سلالة هان الشرقية في الانهيار تدريجيًا في القرن الثاني الميلادي، اذ تفككت الدولة إلى عدة مناطق تحت سيطرة قوى محلية [٨٤٢].

من أهم الأحداث التي اسهمت في هذا الانقسام هو تمرد الرداء الأصفر (١٨٤ ميلادي)، الذي هز أركان الدولة، اذ اندلعت ثورة شعبية واسعة النطاق في الصين بسبب الأزمات الاجتماعية والاقتصادية. مع بداية هذه الثورة، بدأت القوى المحلية، مثل قوات الجنرال تشانغ تشاو وتشانغ جيو، تسيطر على مناطق واسعة من البلاد. بعد هذا التمرد، انقسمت الدولة إلى عدة مناطق تحت سيطرة قادة محليين، مما أدى إلى بداية تفكك السلطة المركزية [٨٤٣].

في النهاية، مع تزايد الانقسامات السياسية وصراع القوى المحلية، تم تأسيس العصر الثلاثي في الصين. هذا العصر كان يتمثل في تقاسم السلطة بين ثلاثة ممالك رئيسية، وهي: مملكة وي (غرب الصين) تحت قيادة تساو تساو، مملكة شو (جنوب غرب الصين) تحت قيادة ليو بي، ومملكة وو (جنوب الصين) تحت قيادة سونغ تشوان. كل من هذه الممالك كانت تحكم مناطق مستقلة وتتنافس فيما بينها للحصول على السيطرة الكاملة على الصين [٨٤٤].

أدى هذا الانقسام إلى ظهور عصر من الاضطرابات والحروب المستمرة بين هذه الممالك، وهو ما استمر حتى فترة الدينغ في القرن الثالث الميلادي. كان هذا العصر بداية مرحلة جديدة في تاريخ الصين، اذ تحولت الدولة إلى مجموعة من الإقطاعيات المستقلة بدلًا

---

[٨٤٢] J. Magli, **Sacred Scenes of the Han Emperor's "Pyramids**," pp. 100–105.

[٨٤٣] A. McLeod, **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**, pp. 380–385.

[٨٤٤] B. Patterson, and J. L. Israel, **China and East Asia until the Han Dynasty**, pp. 55–60.

من دولة واحدة تحت حكم إمبراطور واحد. هذا الانقسام العميق في السلطة كان يمثل نهاية لحكم هان الشرقية، وبداية مرحلة جديدة من التناحر السياسي في الصين [٨٤٥].

أدى تراجع سلطة الإمبراطور في عهد هان الشرقية إلى ظهور القوى المحلية والنبلاء الإقطاعيين الذين شكلوا تهديدًا للسلطة المركزية. مع ضعف الإمبراطور، سيطر هؤلاء النبلاء على أجزاء كبيرة من الأراضي وأقاموا جيوشًا خاصة بهم، مما ساعد على تفكك الدولة. بالإضافة إلى ذلك، فإن ضعف الحكومة المركزية أدى إلى انقسام الدولة إلى إقطاعيات مستقلة، ما مهد الطريق للعصر الثلاثي الذي ساد في الصين بعد انهيار سلالة هان الشرقية [٨٤٦].

وفي نهاية المطاف، أدت هذه التقلبات السياسية إلى انهيار نظام هان الشرقية في عام ٢٢٠ ميلادي. وكان انهيار السلالة نتيجة لتراكم هذه المشاكل: ضعف السلطة الإمبراطورية، صعود القوى المحلية، والانقسامات الداخلية. في النهاية، انقسمت الإمبراطورية إلى ثلاث ممالك متنافسة: مملكة وو في الشرق، ومملكة شو في الجنوب الغربي، ومملكة وي في الشمال. وقد كانت هذه الممالك بمثابة نتيجة مباشرة لتدهور سلطة الإمبراطور وهبوط النظام المركزي في أسرة هان الشرقية [٨٤٧].

من خلال هذه التحولات السياسية والاقتصادية، تبين أن تراجع سلطة الإمبراطور في أسرة هان الشرقية كان نتيجة لعوامل عدة، أبرزها ضعف الحكومة المركزية، وزيادة قوة القوى المحلية التي كانت تسعى إلى الحصول على مزيد من الاستقلالية عن السلطة الإمبراطورية.

ثالثا- المعطيات التاريخية في تجربة هان السياسية

---

[٨٤٥] T. Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty: An Introduction**, pp. 23-28.

[٨٤٦] H. Van Ess, **Emperor Wu of the Han Dynasty in the Records of Sima Qian**, pp. 260-265.

[٨٤٧] L. F. Wallace, **Between and Between: Representations of the Immortals (Xian) in Eastern Han Dynasty Tomb Inscriptions**, pp. 95-100.

تعد سياسات أسرة هان مزيجًا معقدًا من النجاحات والإخفاقات، التي تقدم دروسًا هامة في الحكمة السياسية والاقتصادية، وكذلك في التعاطي مع القوى الداخلية والخارجية. بالنسبة للسياسات الداخلية، يمكن تقييم قدرة أسرة هان على إدارة بلاد شاسعة وموارد كبيرة على أنها كانت قوية في أوقات معينة، لكنها بدأت بالتراجع مع مرور الزمن. على الرغم من أن أسرة هان قد شهدت نموًا اقتصاديًا هائلًا في بداية حكمها، إلا أن التوترات السياسية والاجتماعية والاقتصادية أثرت سلبًا على استقرار الدولة (٨٤٨).

على المستوى الداخلي، كانت سياسات الهان ناجحة في البداية في تعزيز الاستقرار، لاسيما بعد أن وضعت أسسًا قوية للدولة الصينية من خلال الترسيخ النظام البيروقراطي وتطوير نظام الضرائب والمراقبة. ولكن مع مرور الزمن، بدأت الأزمة تظهر نتيجة تزايد النفوذ العسكري للنبلاء الإقطاعيين وتزايد الفساد الإداري، ما أدى إلى ضعف الإمبراطورية وازدياد الانقسام السياسي. أبرز مثال على ذلك هو تحول إمبراطوريات الهان من نظام مركزي إلى نظام هزيل في عهد الإمبراطور شو في هان الشرقية، مما سمح للنبلاء العسكريين بتحقيق مصالحهم الشخصية على حساب الدولة (٨٤٩).

أما على الصعيد الخارجي، فقد تميزت سياسات الهان بالتعامل الحذر مع التهديدات الخارجية، لاسيما تلك القادمة من شعوب السهول الشمالية مثل الهون(Xiongnu), بدأت أسرة هان بالتحالفات الدبلوماسية مع هؤلاء الجيران في بداية حكمها، واستخدمت سياسة الهدنة مقابل الزواج لتأمين حدودها الشمالية، ولكن مع الوقت تزايدت الضغوط على الهان. فقد كان ضعف العلاقات مع الهون في الأوقات التي فقدت فيها الإمبراطورية قدرتها العسكرية أدى إلى نتائج كارثية مثل الهزائم العسكرية في المناطق الشمالية (٨٥٠).

من أهم أسباب الفشل في مواجهة التحديات السياسية لأسرة الهان يمكن أن تُعزى إلى ضعف المركزية وضعف السلطة الإمبراطورية، اللذين تسببوا في تفشي الفساد وزيادة نفوذ النبلاء العسكريين، مما أدى إلى اختلال التوازن السياسي داخل الدولة. فضلاً عن ذلك، فإن

---

(٨٤٨) J. Lin, **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**, pp. 30–35.

(٨٤٩) L. Zhang, **A New View of Political Thought in the Eastern Han Dynasty**, pp.60–65.

(٨٥٠) B. Patterson, and J. L. Israel, **China and East Asia until the Han Dynasty**, pp. 65–70.

عدم القدرة على التكيف مع التغيرات الاقتصادية والاجتماعية السريعة في أواخر عهد هان، مثل زيادة التفاوت الطبقي والركود الاقتصادي، كانت من بين الأسباب الرئيسية التي أدت إلى تراجع الدولة [٨٥١].

من أبرز الأسباب الأخرى التي أسهمت في الفشل كانت النزاعات الداخلية المستمرة بين القادة العسكريين والنبلاء على السلطة، اذ كانت هذه الصراعات تؤثر بشكل خطير على استقرار الإمبراطورية. على سبيل المثال، التوترات بين سلالة هان والنبلاء العسكريين مثل قوة الجنرالات في معركة بو تشيو سنة ٧٣م، التي أظهرت هشاشة تماسك السلطة، أدت إلى انقسامات في الجيش وانتشار الاضطرابات في جميع أنحاء البلاد [٨٥٢].

من جانب آخر، حققت أسرة الهان نجاحًا مبدئيًا في استعادة النظام وتعزيز قوتها العسكرية عن طريق تنفيذ بعض الإصلاحات الهامة مثل تحسين أساليب الحكم وإنشاء مؤسسات إدارة متقدمة. كما قامت بتعزيز العلاقات مع الدول المجاورة مثل كوريا واليابان، ما ساعد على الحفاظ على موازين القوى في المنطقة لمدة طويلة [٨٥٣]. لكن مع تزايد الهجمات الداخلية والخارجية في مراحل لاحقة، فقد أثبتت أن هذه الإصلاحات لم تكن كافية لتحمل كل التحديات. تلك الإصلاحات لم تتمكن من سد الثغرات التي حدثت نتيجة ضعف سيطرة السلطة الإمبراطورية على العديد من القادة المحليين الذين أصبحوا يحكمون مناطق إقطاعية مستقلة [٨٥٤].

كان لانهيار سلالة هان تأثيرات بعيدة المدى على تاريخ الصين. فبدايةً من نهاية اسرة هان الشرقية في ٢٢٠ ميلادي، دخلت الصين في فترة طويلة من التفكك السياسي والاضطرابات الداخلية المعروفة باسم العصر الثلاثي. هذه المدة كانت مليئة بالصراعات بين الممالك الثلاث وو وشو ووي، وهي مدة تميزت بالحروب المستمرة والانقسامات العميقة في داخل المجتمع الصيني. لكن من جانب آخر، مهدت هذه المدة أيضا للعديد من التحولات

---

[٨٥١] A. Wang, **The Emperor's Creators: The Political Group Behind the Founding of the Han Empire**, pp. 55–60.

[٨٥٢] M. Luyi, **Chancellors in the Two Han Dynasties**, pp. 50–55.

[٨٥٣] J. Wu, **The Road to Empire: Studies in the Han Dynasty**, pp. 65–70.

[٨٥٤] M., and L. Wei, **The Monetary and Financial System in the Two Han Dynasties**, pp. 90–95.

الثقافية والاجتماعية التي ساهمت في ظهور أساليب جديدة في الحكم والعلاقات السياسية [٨٥٥].

الانعكاسات السياسية لانهيار أسرة الهان تسببت في تحول جذري في النظام السياسي في الصين، اذ انتقلت الصين من نظام الإمبراطورية الموحدة إلى مرحلة الفراغ السياسي الذي تلتها محاولات لتأسيس دول جديدة. وقد تزامن هذا الانهيار مع ظهور إيديولوجيات جديدة في الحكم، مثل مفهوم الممالك الثلاث وظهور تحالفات بين قوى إقليمية أدت إلى تكوين النظام الإقطاعي في الصين [٨٥٦].

على المستوى الاقتصادي، خلف انهيار أسرة الهان أيضًا آثارًا اقتصادية سلبية، اذ عانت الأراضي الصينية من تدهور في الإنتاجية الزراعية نتيجة للحروب المتواصلة التي استنزفت الموارد. فالكوارث الطبيعية والضغوط الخارجية أسهمت في إضعاف البنية التحتية الزراعية مما أدى إلى نقص حاد في الإنتاج [٨٥٧].

أما على الصعيد الثقافي، فإن انهيار سلالة هان كان له أثرٌ مهم في التطورات الفكرية. فقد شهدت تلك الحقبة ظهور مفاهيم جديدة في السياسة والفلسفة التي أثرت في الفكر الصيني لاحقًا. تركزت العديد من هذه المفاهيم حول أهمية الاستقلالية السياسية والاعتماد على التحالفات الإقليمية بدلاً من فكرة الإمبراطورية الموحدة, كما شهدت تلك المدة بداية انتشار الطوائف الدينية والروحانيات الشعبية التي كان لها أثر في تشكيل الثقافة الصينية حتى العصر الحديث [٨٥٨].

بالتالي، يعد انهيار سلالة هان الشرقية سنة ٢٢١ م نقطة تحول هامة في تاريخ الصين، اذ مهدت للتغيير في كيفية التعامل مع التحديات السياسية والاقتصادية. كما أن هذه التجربة

---

[٨٥٥] D. Schaab –Hanke, **The Power of a So-Called Tradition: A Prophecy Glorifying Emperor Hanwu**. pp. 275-280.

[٨٥٦] T.Beach, **The Political Economy of the Han Dynasty: An Introduction**, pp 28-33.

[٨٥٧] D. Schaab –Hanke, **The Power of a So-Called Tradition: A Prophecy Glorifying Emperor Hanwu**. pp. 275-280.

[٨٥٨] L. F. Wallace, **Representations of Falconry in the Eastern Han Dynasty**, pp. 125-130.

قدمت دروسًـــا هامة في إدارة الســـلطة ومواجهة الأزمات الداخلية والخارجية التي لا تزال تعد مرجعًا في الحقب التالية من تاريخ الصين.

نتائج الدراسة : ابرز ما توصلت اليه الدراسة من نتائج.

- ❖ لم تستطع سلالة تشين، على الرغم من إنجازها في توحيد الصين، الحفاظ على استقرار نظامها المركزي الصارم. تبنيها للفكر القانوني وتطبيقها لقوانين قاسية وإجراءات بيروقراطية صارمة، بالإضافة إلى مشاريع البناء الضخمة والعمل القسري, أدت إلى استنزاف الموارد واستياء قطاعات واسعة من المجتمع، بما في ذلك النبلاء القدماء والفلاحين والكونفوشيوسيين الذين عارضوا حرق الكتب وتقييد الفكر. هذا الاستياء المتراكم خلق بيئة خصبة للتمرد.
- ❖ الضرائب الباهظة والخدمة العسكرية الإلزامية والعمل القسري في مشاريع مثل سور الصين العظيم وقصر أفانج، أثقلت كاهل الفلاحين بشكل غير محتمل. أدت الكوارث الطبيعية وسوء إدارة الموارد إلى تفاقم الأوضاع المعيشية، مما أشعل ثورات شعبية واسعة النطاق مثل ثورة تشين شينغ وغوانغ وو سنة ٢٠٧ ق.م التي هزت أركان الدولة التشينية وكشفت عن ضعفها البنيوي. هذه الثورات لم تنجح في إسقاط تشين مباشرة، لكنها أضعفت سلطتها بشكل كبير ومهدت الطريق لقوى أخرى.
- ❖ بعد وفاة الإمبراطور الأول تشين شي هوانغ سنة ٢١٠ ق.م ، نشأت صراعات حادة على السلطة بين الورثة والمسؤولين النافذين، مثل لي سوي وتشاو قاو. أدت هذه المؤامرات والانقلابات الداخلية إلى زعزعة الاستقرار السياسي وتقويض شرعية النظام الحاكم، مما أظهر هشاشة المؤسسات السياسية التي أنشأتها تشين.
- ❖ بعد الاضطرابات التي أعقبت سقوط تشين سنة ٢٠٦ ق.م، نجح مؤسسو هان في إرساء دعائم نظام حكم مركزي أكثر استقرارًا ومرونة. تم الحفاظ على بعض المؤسسات الإدارية التي أنشأتها تشين مثل نظام المقاطعات والمحافظات، ولكن تم تعديلها لتكون أكثر توافقاً مع المبادئ الكونفوشيوسية.
- ❖ أظهر مؤسسو سلالة هان براغماتية سياسية من خلال استيعاب بعض جوانب نظام تشين الإداري والقانوني التي أثبتت فعاليتها، مع تخفيف حدة القوانين القمعية وتبني سياسات أكثر اعتدالاً. هذا النهج الانتقائي سمح لهان بالاستفادة من إنجازات تشين في التوحيد مع تجنب أخطائها التي أدت إلى سقوطها.

- ❖ مثّل صعود سلالة هان تحولًا سياسياً جذرياً من نظام حكم سلالة تشين القائم على الفلسفة القانونية الصارمة إلى نظام جديد تبنى الكونفوشيوسية كإيديولوجية حاكمة. هذا التحول لم يكن مجرد تغيير في الفلسفة، بل أثر على هيكل السلطة، وأساليب الإدارة، والعلاقة بين الحاكم والمحكومين.
- ❖ كان تبني الكونفوشيوسية حافزاً لظهور طبقة بيروقراطية متعلمة، اذ أصبح الإلمام بالكلاسيكيات الكونفوشيوسية شرطاً أساسياً للتوظيف في المناصب الحكومية. هذا أدى إلى تحول في النخبة الحاكمة، اذ حلت تدريجيًا الكفاءة التعليمية محل النفوذ الأرستقراطي المطلق كمعيار للترقية.
- ❖ تطور نظام الامتحانات الإمبراطورية في الدولة, على الرغم من أن نظام الامتحانات الإمبراطورية بشكله الكامل تطور لاحقًا، إلا أن مدة هان شهدت بدايات هذا النظام من خلال التركيز على الجدارة والمعرفة في اختيار المسؤولين، مما مثل تطورًا سياسيًا هامًا نحو حكم أكثر استحقاقية.
- ❖ سعى أباطرة هان باستمرار إلى تعزيز سلطتهم المركزية، من خلال تطوير المؤسسات الحكومية والسيطرة على الجيش والموارد الاقتصادية. ولكنهم واجهوا تحديات مختلفة من النبلاء الأقوياء، والأسر المرتبطة بالإمبراطور، والخصيان النافذين. شكلت هذه الصراعات الداخلية ديناميكية سياسية مستمرة طوال عهد حكم هان.
- ❖ شهد عهد هان المبكر، وخاصة عهود الأباطرة وين وجينغ، مدة من الاستقرار السياسي والاجتماعي النسبي. هذا الاستقرار خلق بيئة مواتية للنمو الاقتصادي والازدهار الثقافي، اذ تمكنت الحكومة من التركيز على تطوير البنية التحتية وتعزيز التجارة والزراعة.
- ❖ تم تطوير نظام إداري مركزي معقد وفعال، يتألف من مختلف الوزارات والمكاتب المتخصصة التي تعنى بالشؤون المالية والزراعية والقضائية والعسكرية وغيرها. هذا التقسيم للمسؤوليات ساهم في كفاءة إدارة الإمبراطورية الشاسعة. وقامت حكومة هان باستثمارات كبيرة في بناء الطرق والجسور وقنوات الري، مما سهل حركة التجارة والجيوش وعزز الإنتاج الزراعي، وبالتالي دعم الاستقرار والنمو الاقتصادي.

- ❖ نجحت سلالة هان في توسيع أراضيها بشكل كبير منذ عام ١٣٥ ق.م، خاصة في عهد الإمبراطور وو، من خلال حملات عسكرية ناجحة ضد شيونغنو وتوسع نفوذها في آسيا الوسطى. هذا التوسع وفر موارد جديدة وأمنًا استراتيجيًا، لكنه أيضًا أدى إلى تحديات جديدة في إدارة هذه المناطق الشاسعة والمحافظة عليها.
- ❖ لعبت سلالة هان دوراً محوريًا في تأسيس وتوسيع طريق الحرير، وهو شبكة واسعة من الطرق التجارية التي ربطت الشرق بالغرب. هذا الطريق لم ينقل البضائع الفاخرة مثل الحرير والتوابل فحسب، بل ساهم أيضاً في تبادل الأفكار والتقنيات والمعتقدات الدينية بين الحضارات المختلفة. وقد فتح طريق الحرير آفاقاً جديدة للعلاقات الخارجية والتجارة، مما استدعى تطوير سياسات دبلوماسية وتجارية لحماية المصالح الصينية وتأمين طرق التجارة.
- ❖ شكلت قبائل شيونغنو البدوية تهديدًا دائمًا للحدود الشمالية لسلالة هان. خاضت هان حروبًا طويلة ومكلفة معهم، تضمنت فترات من الهزائم والانتصارات، وأثرت بشكل كبير على السياسة الخارجية والاستراتيجية العسكرية للإمبراطورية. في النهاية، تمكنت هان من إضعاف شيونغنو وتقسيمهم، مما أمن الحدود لمدة من الزمن. كما مثلت الحروب الطويلة مع شيونغنو قضية سياسية وعسكرية مركزية لسلالة هان. تطلبت هذه الصراعات حشد الموارد وتطوير استراتيجيات عسكرية وتحالفات دبلوماسية، وأثرت بشكل كبير على أولويات الحكومة.
- ❖ بسطت سلالة هان نفوذها السياسي والعسكري على مناطق واسعة في آسيا الوسطى، وأنشأت محميات مثل قيادة المناطق الغربية (Western Regions Protectorate) للسيطرة على طرق التجارة وضمان الأمن. هذا التوسع أدى إلى تفاعلات ثقافية واقتصادية مع مختلف الشعوب في المنطقة.
- ❖ أقامت سلالة هان علاقات دبلوماسية وتجارية مع ممالك وإمارات أخرى في شرق وجنوب آسيا، مثل مملكة نانيوي في الجنوب والممالك الكورية واليابانية في الشرق. هذه العلاقات ساهمت في نشر النفوذ الصيني وتبادل السلع والأفكار. وانتشرت الثقافة الصينية، بما في ذلك نظام الكتابة والكونفوشيوسية والمؤسسات الإدارية، إلى المناطق

المجاورة، مما أثر على تطور هذه المجتمعات وشكل جزءًا من النظام الهرمي للعلاقات الدولية في شرق آسيا.

- ❖ شهدت فترة هان تطورًا في المؤسسات القانونية والإدارية بهدف تنظيم شؤون الإمبراطورية وضمان تطبيق القوانين. ومع ذلك، ظل تطبيق هذه المؤسسات عرضة للتأثيرات السياسية والفساد. ومع ضعف السلطة المركزية في أواخر عهد هان الشرقية، بدأت تظهر بوادر لامركزية إقليمية، اذ اكتسب الحكام المحليون والجنرالات نفوذًا متزايدًا، مما قوض سلطة الإمبراطور. ومع مرور الوقت، تولى العرش أباطرة ضعفاء وغير فعالين، كانوا غالبًا ما يكونون صغارًا أو غير مهتمين بشؤون الدولة. هذا أدى إلى فراغ في السلطة وتدهور في كفاءة الإدارة المركزية.
- ❖ استغلت الأسر القوية التي تزوجت من العائلة الإمبراطورية نفوذها المتزايد في البلاط لتعزيز مصالحها الخاصة وتهميش السلطة الإمبراطورية. وبالمثل، اكتسب الخصيان نفوذًا كبيرًا في البلاط، غالبًا ما يتآمرون ويسعون للسلطة، مما أدى إلى فساد وصراعات داخلية حادة. لعبت تلك الأسر دورًا سياسيًا متزايد الأهمية في المراحل المتأخرة من حكم هان. غالبًا ما سيطرت هذه الأسر على المناصب الرئيسية في الحكومة ومارست نفوذًا كبيرًا على القرارات الإمبراطورية، مما أضعف السلطة الإمبراطورية.
- ❖ أصبح الخصيان قوة سياسية مؤثرة بشكل متزايد في البلاط الإمبراطوري، خاصة خلال فترات ضعف الأباطرة. وغالبًا ما تورطوا في مؤامرات على السلطة وصراعات مع المسؤولين الكونفوشيوسيين، مما زاد من حالة عدم الاستقرار السياسي.
- ❖ تفشى الفساد على نطاق واسع في أجهزة الدولة، اذ استغل المسؤولون مناصبهم لتحقيق مكاسب شخصية. مما أدى إلى إضعاف الحكومة المركزية، وتآكل ثقة الشعب بها، وتقليل قدرتها على جمع الضرائب وتقديم الخدمات الأساسية.
- ❖ ساهمت الكوارث الطبيعية والأوبئة في تفاقم الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، مما أدى إلى زيادة الاستياء الشعبي وإضعاف قدرة الحكومة بالحفاظ على النظام السياسي.

- ❖ في المراحل المتأخرة من حكم هان، بدأ تأثير الإيديولوجية الكونفوشيوسية في التراجع بسبب الفساد والصراعات الداخلية وفقدان الثقة في الحكومة، الأمر الذي أدى لفراغ أيديولوجي ساهم في عدم الاستقرار.
- ❖ فشل النظام السياسي في التكيّف بشكل فعال مع التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي حدثت على مدى أربعة قرون، مما أدى إلى تفاقم المشاكل الهيكلية. وعلى الرغم من وجود محاولات للإصلاح السياسي خلال مدة حكم هان، إلا أنها غالبًا ما قوبلت بمقاومة من القوى المستفيدة أو جاءت متأخرة جدًا لمنع الانحدار.
- ❖ استمرت الأوضاع الاقتصادية السيئة والضرائب الباهظة والتمييز الاجتماعي في إثارة استياء الفلاحين مما اندلعت ثورات شعبية واسعة النطاق، مثل ثورة العمائم الصفراء في أواخر عهد هان الشرقية، والتي هزت أركان الإمبراطورية وكشفت عن ضعفها العسكري والإداري. كانت ثورات الفلاحين المتكررة، تعبيرًا عن فشل الحكومة في معالجة المظالم الاقتصادية والاجتماعية. هذه الثورات لم تكن مجرد اضطرابات اجتماعية، بل كانت تحديًا مباشرًا للسلطة السياسية القائمة وكشفت عن نقاط ضعفها.
- ❖ ضعف الجيش وتفككه بسبب الفساد وسوء الإدارة والصراعات الداخلية اذ فقدت الوحدات العسكرية الانضباط والتدريب، وأصبحت أقل قدرة على الدفاع عن الحدود أو قمع الثورات الداخلية اذ أدى تدهور النظام العسكري إلى ضعف قدرة الحكومة على الحفاظ على الأمن الداخلي والدفاع عن الحدود، مما زاد من حالة عدم الاستقرار السياسي وعرض الإمبراطورية للخطر.
- ❖ استغل الحكام المحليون والجنرالات الأقوياء ضعف الحكومة المركزية وجيشها المنهار لتعزيز سلطتهم الإقليمية وبناء جيوشهم الخاصة. هؤلاء الأمراء تحدوا سلطة الإمبراطور بشكل متزايد، مما أدى إلى حروب أهلية وصراعات على السلطة. كما كان صعود أمراء الحرب الإقليميين في أواخر عهد هان الشرقية بمثابة تفكك تدريجي للسلطة المركزية. هؤلاء الأمراء امتلكوا جيوشًا خاصة وتجاهلوا أوامر الإمبراطور، مما أدى في النهاية إلى حروب أهلية وتقسيم الإمبراطورية.

- ❖ تفاقمت الصراعات بين الفصائل المختلفة في البلاط والأمراء الإقليميين، مما أدى في النهاية إلى انهيار السلطة المركزية وانقسام الإمبراطورية إلى ثلاث ممالك متناحرة (شو وهان وواي) في عام ٢٢٠ م، إيذانًا بنهاية سلالة هان.
- ❖ كان الانقسام النهائي للإمبراطورية الهانية إلى ثلاث ممالك في عام ٢٢٠ م تتويجًا لسلسلة طويلة من التطورات السياسية الداخلية والخارجية التي أدت إلى تآكل السلطة المركزية وظهور قوى إقليمية متنافسة.
- ❖ على الرغم من سقوطها، تركت سلالة هان إرثًا سياسيًا عميقًا، اذ شكلت نموذجًا للإمبراطورية الصينية الموحدة والقائمة على المبادئ الكونفوشيوسية، وهو النموذج الذي سعت السلالات اللاحقة إلى استعادته وتطويره.

المصادر العربية

- أبو الحسن احمد قارس زكريا, معاجم مقاييس اللغة , تحقيق عبد السلام هارون, ج ٣, دار الجبل, (بيروت, ١٩٩١).
- اسامه باسم صبري, التأهيل المستدام للمدن الأثرية والتاريخية واثره في مستقبل السباحة في العراق : دراسة ميدانية – مدينة أور الأثرية انموذجا, رسالة ماجستير غير منشورة, الجامعة المستنصرية , كلية العلوم السياحية , (بغداد, ٢٠١٨).
- إبراهيم انيس وأخرون, المعجم الوسيط ,ج٢, دار المعارف, (القاهرة, ١٩٨٢).
- بن يوسف شتيح, ظاهرة التطور اللغوي عند يوهان فك من خلاله كتابه العربية , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة زيان عاشور – كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية , الجزائر, ٢٠٠٩).
- مباركة خماقي, التطور اللغوي, مجلة الأثر,ع٢٤, (الجزائر, ٢٠١٦).
- ابن منظور, لسان العرب , دار صادر, ج١١, ط٢, (بيروت, ٢٠٠٤).
- حسن ظاظا, اللسان والأنسان, دار القلم, (دمشق, ١٩٩٠).
- مصطفى الخشاب , المدخل الى علم الاجتماع , مكتبة انجلو المصرية, (القاهرة, ١٩٩٢).
- اسماعيل صبري, محمد محمود ربيع, موسوعة العلوم السياسية, جامعة الكويت, (١٩٩٤).
- عائشة احمد حسن, التغيير السياسي المعاصر من خلال فقه الأولويات, المجلة الجامعة, ع ٢٨, المجلد الثالث, (٢٠١٦).
- كدروسي مختار, عرابي علي, الإصلاحات السياسية في دول المغرب العربي, رسالة ماجستير غير منشورة, كلية الحقوق والعلوم السياسية, قسم العلوم السياسية, جامعة مولاي الإمام الطاهر سعيدة, (٢٠١٦).
- محمد أحمد الزغبي, التغير الاجتماعي – بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي، دار الطليعة، (بيروت، ١٩٧٨).
- معن زيادة, الموسوعة الفلسفية العربية، ١، ط١، معهد الانحاء العربي، (١٩٨٦).

- هناء مال الله عبد الرزاق، التطور السيمائي لبنية الشكل المجرد في الرسم العراقي المعاصر، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، (٢٠٠٠).
- فرانسيس فوكو ياما، أصول النظام السياسي (من عصور ما قبل الإنسان إلى الثورة الفرنسية)، تر: مجاب الإمام ومعين الإمام، منتدى العلاقات العربية والدولية، (قطر, ٢٠١٦).
- ان شانغ , الفكر في الصين اليوم , تر: محمد حمود, هيئة البحرين للثقافة والآثار, مكتبة ٦١٥ للنشر, (المنامة , ٢٠١٩).
- البان . ج . ويد جري, التاريخ كيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توبني, تر: عبد العزيز توفيق جاويد, الهيئة المصرية العامة للكتاب, (القاهرة).
- هـ فان براج , حكمة الصين, تر: موفق المشنوق , الأهالي للطباعة والنشر, (دمشق, ١٩٩٨).
- كتاب التغيرات، نقلته إلى الإنجليزية س. ف. بايينز عن ترجمة: ريتشارد ويلهيلم، ترجمة وتقديم إلى العربية: بشار عبدالله، دار فضاءات للنشر والتوزيع والطباعة، (عمان, ٢٠٠٨).
- كارلتون كون وإدوارد هنت، السلالات البشرية الحالية، تر: محمد غلاب، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة, ١٩٧٥).
- خه جاو وو، وآخرون، تاريخ تطور الفكر الصيني، تر: عبد العزيز حمدي عبد العزيز، المشروع القومي للترجمة، (القاهرة, ٢٠٠٤).
- ناصر رحيم عجيل, من تاريخ الصين التحولات السياسية والفكرية في الصين القديمة ٧٧١ – ٢٢١ ق . م, مطبوعات بيت الحكمة للنشر, (القاهرة, ٢٠٢٢).
- ناصر رحيم عجيل , التحولات السياسية في عصر الربيع والخريف (٧٧١–٤٥٣ ق.م) بحث منشور , مجلة كلية التربية , جامعة واسط, ع٣٤, (٢٠١٩).
- ول وايرل ديورانت، قصة الحضارة– الشرق الأقصى الصين، تر: محمد بدران، مج١، ج ٤، (بيروت).
- هيلدا هوخام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين، تر: أشرف محمد كيلاني، المشروع القومي للترجمة والنشر، (القاهرة, ٢٠٠٢).

- نخبة من العلماء, تاريخ الصين, ج١, سلسلة سور الصين العظيم للكتب ,مجلة بناء الصبن , (بكين, ١٩٨٦).
- نخبة من العلماء , خمسة الآلف من تاريخ الصين , مج١, الدار العربية للعلوم الناشرين.
- ان شنغ , تاريخ الفكر الصيني , تر: محمد حمود , المنظمة العربية للترجمة.
- هيربرت .أ. جايلز , تاريخ الأدب الصيني , تر: سامي مسلم, جامعة القدس للنشر, (رام الله, ٢٠١٧).
- احمد محمد الربيعي, قصة تاريخ الصين, منذ ما قبل التاريخ وحتى القرن الحادي والعشرين, بيت الحكمة للنشر والتوزيع, (القاهرة, ٢٠٢٤).
- مايكل ديلون, مختصر تاريخ الصين, تر: نانسي محمد, شركة العربي للنشر, (القاهرة, ٢٠١٨).
- آن شنغ، تاريخ الفكر الصيني، ترجمة: محمد محمود، مراجعة: الدكتور جمال حشيد، المنظمة العربية للترجمة والنشر، (بيروت, ٢٠١٢).
- اسامه الجوهري, تاريخ الدول والإمبراطوريات الصينية , دار الكتب للطباعة والنشر, (القاهرة, ٢٠٢٠).
- عفاف مسعد العبد , دراسات في تاريخ الشرق الاقصى, المعرفة الجامعية للنشر, (القاهرة).
- ساهر رافع , تاريخ وحضارة الصين, مكتبة النافذة للطباعة والنشر, (القاهرة, ٢٠١١).
- تشانغ ليان قن, تاريخ الصين المختصر, تر: فواد حسن, الدار العربية للعلوم الناشرون, (بيروت, ٢٠٢١).
- حبيب سعيد، أديان العالم، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، (القاهرة – ب. ت).
- جوزيف نيدهام, موجز تاريخ العلم والحضارة في الصين, الهيئة المصرية العامة للكتاب للنشر, (القاهرة, ٢٠١٠).
- جان يوه تسان وأخرون, موجز تاريخ الصين, دار النشر باللغات الأجنبية, (بكين, ١٩٨٥).
- نخبة من العلماء , خمسة الآلف من تاريخ الصين , مج٢ , الدار العربية للعلوم الناشرين.

- ❖ شاهر اسماعيل, قراءة في مرتكزات الفكر السياسي الصيني, من الكونفوشيوسية إلى الماركسية الصينية, المجلة الأفريقية للعلوم السياسية, مج ٧, ع ٢, (٢٠١٨).
- ❖ محمد المختار الشنقيطي, بذور الفكر الإستراتيجي وجذوره في الحضارة الصينية العتيقة, مجلة جامعة قطر, (٢٠٢٤).
- ❖ هوستن سميث، أديان العالم، تر: سعد رستم، دار الجسور الثقافية، ط٣، (حلب, ٢٠٠٧).
- ❖ حسين إسماعيل، سفر الصين: رحلة في فكر وحياة ومجتمع الصينيين، أطلس للنشر والإنتاج, (مصر: الجيزة, ٢٠١٢)،
- ❖ سعد عبدالوهاب عبدالكريم, الاتجاهات القديمة في الفكر السياسي الصيني (الكونفوشيوسية – الطاوية – الموهبة – المشرعين , مجلة جامعة الانبار للعلوم القانونية والسياسية , مج ١٢, ع ١, (٢٠٢٤).
- ❖ لاو تسو، كتاب التاو (تي – تشينغ)، تر: فراس السواح، ١/١،.
- ❖ ديفيد تشاي, هايدغر والطاوية – من العدم الى البحث عن جلاء الفطرة, تر: سامي اليوسف, جامعة تونتو كندا.
- ❖ تانغ شيومي, فلسفة الأخلاق بين الكونفوشيوسية والطاوية – دراسة مقارنة , مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية والتربوية , ع ٢٩,
- ❖ رياض هلال مطلك ورحاب مهدي, تمثلات الفلسفة الطاوية في الرسم الصيني المعاصر, مجلة نابو للبحوث والدراسات, مج٣٣, ع٤٣, (٢٠٢٣).

- ❖ A. F. P. Hulsewé, **Remnants of Han Law,** (Leiden: E. J. Brill, 1955).

- Aaron Zhao, **Imagining Wu in the Han**, Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements For the Degree of Master of Arts, University of Washington, (Washington, 2020).
- Abrahem Mohammed. , **Lao Tzu'nun Tao Düşüncesinde Felsefi Boyutlar / Philosophical Dimensions of Lao Tzu's Tao Thought**". Mesned İlahiyat Araştırmaları Dergisi/The Journal of Mesned of Theological Studies, (2023-2).
- Abu-Lughod, Lila, **Writing Women's Worlds: Bedouin Stories**, University of California Press, (1993).
- Adshead, Samuel Adrian Miles, **China in World History**, London: Macmillan, (2000).
- Agnieszka Joniak-Lüthi , **The Han China's Diverse Majority** , University of Washington Press (Seattle & London).
- Ai, J. J. **Politics and Traditional Culture: The Political Use of Tradition in Contemporary China**, World Scientific, vol. 1, (Singapore, 2014).
- Aihe Wang , **Creat An Emperor The Political Group Behind The Founding Of The Han Empire**, University of Hong Kong Press, (Hong Kong -2007).
- Akira, Hirakawa, **A History of Indian Buddhism**: From Sakya Mani to Early Mahayana, translated by Paul Gruner, New Delhi: Jainendra Prakash Jain in Shri Jainendra Press, (1998).
- Ann, Jiayu , "**When Glass Bottles Were Precious in China**," in Giuliano, Annette L.; Lerner, Judith A. (eds.), Silk Road Studies VII: Nomads, Merchants, and Holy Men on the Chinese Silk Road, Turnhout: Brebuls Publishing, (2002).

- Ann, Jiayu, "**When Glass Bottles Were Precious in China**," in Giuliano, Annette L.; Lerner, Judith A. (eds.), Silk Road Studies: Nomads, Merchants, and Holy Men on the Chinese Silk Road, Turnhout: Brebuls Publishing, No. 11, (2002).
- Anne Behnke Kinney, **Empress Lü. China's First Female Ruler**, Bonn University Press, (2021) .
- Ay, J. J., **Al-Sisiyah and Traditional Culture**: The Political Use of Traditions in Contemporary China.
- Ay, J. J., **Al-Sisiyah and Traditional Culture**: The Political Use of Traditions in Contemporary China.
- Bailey, H. W, **Indo-Sigthic Studies: Khotanese Texts**, Vol. VII, cambridge University Press, (1985).
- Balchin, John, Science: **100 Scientists Who Changed the World,** New York: Enchanted Lion Books, (2003).
- Ball, Warfwick, **Rome in the East: The Transformation of Empire**, London and New York: Routledge, (2016).
- Barbieri-Lo, Anthony J. **Craftsmen in Early Imperial China**, Seattle and London: University of Washington Press, (2007).
- Barbieri-Lou, Anthony J., **Artisans in Early Imperial China**, Seattle and London: University of Washington Press. (2007).
- Barker, C., **Cultural Studies: Theory and Practice**, SAGE Publications, (2011).
- Beach, T. , **The Political Economy of the Han Dynasty**: An Introduction. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy, Routledge press , (2019).

- Béatrice L'Haridon , **Wang Mang (c. 45 b.c.e.–23 c.e.) and Classical Learning As Path to Supreme Power**, Submitted on 29 Jan (2023).
- Beck, Mansfeld, "**The Fall of the Han**", in Twitschit, Dennis; Lowy, Michael (editors), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 BC – 220 AD, Cambridge University Press, (1986).
- Beck, Mansvelt, "**The Fall of the Han**," in Toetschit, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Vol. I: The Qin and Han Empires, 221 BC–AD 220, Cambridge University Press, (1986).
- Beilinstein, Hans, **Bureaucracy in the Han Period**, Cambridge: Cambridge University Press, (1980).
- Bodde, Derk ,**China's First Unifier: A Study Of The Ch'In Dynasty As Seen In The Life of Li Ssu (280?-208 B.C.),** Hong Kong University Press (Hong Kong, 1975) .
- Bowling, A, "**Landscape Representation in the Western Han Period**," Artibos Asiae, Vol. 25, No. 4, (1962).
- Bowling, A. J., **The Hulinghu Tomb in the Eastern Han Dynasty**, Asian Art Archives, no .31, (1977).
- Bowling, A., "**Landscape Representation in the Western Han Period,**" Artibos Asiae, 25(4), (1962).
- Brian May, Takako Tomoda , **Medical events in the time of Wang Mang ca. 26 BC – AD 23** , May, B & Tomoda, T 2002, `Medical events in the time of Wang Mang, circa 26 BC – AD 23', Pacific journal of Oriental Medicine, vol. 14, (2002).

- C. P. Barkey and F.K. Morris**, Geology of Mongolia**, G. P. Putman's Sons, (New York, 1981).
- Cha, J. H. , **The Historical Significance of the Reigns of Emperors Wen and Qing in the Earlier Han Dynasty, 180-141 B.C**. Ph.D. Dissertation, University of Chicago, (1973).
- Chang, Chun-Shu, **The Rise of the Chinese Empire**: Volume II: Frontiers, Migration, and Empire in Han China, 130 BCE–AD 157, Ann Arbor: University of Michigan Press, (2007).
- Charles Keith Maisels, **Early Civilization of The World**, By Routledge Press (New York And London , 1999).
- Chen, Chi-Yun, "**Confucian Thought, Legalism and Daoism in the Late Han**," in Toichtschitt, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 B.C.–A.D. 220, Cambridge University Press, (1986).
- Chen, Chi-Yun, "**Confucian Thought, Legalism and Daoism in the Late Han**", in Toichtschit, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Vol. I: The Qin and Han Empires, 221 BC–AD 220, Cambridge University Press, (1986).
- Chen, S. Y. **Han China: Economy, Society, and State Power**. Tongbao press, (1984).
- Chen, Shi-yun. **Han China: Economy, Society, and State Power**. Review of the article, (1984).
- Chen, X. **Tombs of the Eastern Han Dynasty (AD 25-220) in Sichuan**. PhD thesis, University of Oxford, (UK, 2014).

- Chi Yun, **Confucianism A modern interpretation**, translated to English by Orient Lee, World Scientific and Zhejiang university press, (China , 2012).
- Chi, Tung-Tsu, Dole, Jacques L. (Editor), **China in the Han Period**: Vol. I: Social Structure in the Han, Seattle and London: University of Washington Press, World.
- Chi, Tung-tzu, Doll, Jack L. (ed.), **China in the Han Period**: Vol. I: Social Structure in the Han, Seattle and London: University of Washington Press, (1972).
- Christian de Pee, **Urban Life and Intellectual Crisis in Middle-Period China, 800–1100 CE,** Amsterdam University Press , (1965).
- Christoph Baumer "**The History of Central Asia – The Age of The Silk Roads** ,part I: Early Empires and Kingdoms in East Centralasia – The Xiongnu, The First Steppe Nomad Empire, (Volume 2).
- Christoph Baumer "**The History of Central Asia – The Age of The Silk Roads** ,Part I: Early Empires and Kingdoms in East Central Asia- The Xiongnu, The First Steppe Nomad Empire, (Volume 2).
- Chun Fung Tong , **The Reformation of Social in the Qin Empire**, Asia Major, 3d Set , Vol. 36.
- Chun Fung Tong, **The Reformation of Social order in the Qin Empire**, Asia Major, 3d Ser. Vol. 36,(2023)
- Coplin, W. S. A, **Manual of Phonetic Terms in the Eastern Han Dynasty**. China University Press, (1983).
- Cotterell, Maurice, **The Terracotta Warriors**: The Secret Codes of the Emperor's Army, Rochester: Bear & Company, (2004).

- Cotterill, Maurice, **The Terracotta Warriors**: The Secret Symbols of the Imperial Legislature, Rochester: Bear and Company Publishers, (2004).
- Creel, Herrlee Glessner , **Chinese Thought from Confucius to Mao Tse-tung**, University of Chicago Press, (1953).
- Cribb, Joe, "**Chinese lead ingots with barbarous Greek inscriptions**", Coin Hoards, archived from the original on 16 August, No. 4, (2021).
- Cribb, Joe, "**Chinese lead ingots with barbarous Greek inscriptions**", Coin Hoards, archived from the original on 16 August 2021, retrieved 13 July 2017 4.
- Csikszentmihalyi, Mark, **Readings in Han Chinese Thought**, Indianapolis and Cambridge: Hackett Publishing Company, (2006).
- Csikszentmihalyi, Mark, **Readings in Han Chinese Thought,** Indianapolis and Cambridge: Hackett Publishing Company, (2006).
- Cui Mingde, "**on The Self-Esteem of Hun Leader in The Han Dynasty,**" China's Borderl and History and Geography Studies, Vol. 18, No. 22, (2008).
- Cullen, Christoper, **Astronomy and Mathematics in Ancient China**: The Zhou Bi Suan Jing, Cambridge: Cambridge University Press, (2006).
- Cullen, Christoper, **Astronomy and Mathematics in Ancient China**: The Zhou Bi Suan Jing, Cambridge: Cambridge University Press, (2006).

- Cutter, Robert Joe, **The Brush and the Spur: Chinese Culture and the Cockfight,** The Chinese University of Hong Kong, (Hong Kong, 1989).
- Cutter, Robert Joe, **The Brush and the Spur: Chinese Culture and the Cockfight**, Hong Kong: The Chinese University of Hong Kong, (1989).
- Daoheng, S., **The Eastern Transmission of Chinese Culture in the Eastern Han Dynasty**. Prospects for Literary Studies in China, vol-2, no (1), (2008).
- Dark Bodde, **China's First Unifier – A Study of Chin Dynasty As Seen – In The Life of Le Ssu (280 – 208 BC)**, Prill Press, (1938).
- Dauben, Joseph W, "Chinese Mathematics", in Katz, Victor J. (ed.), **The Mathematics of Egypt, Mesopotamia, China, India**, and Islam: A Sourcebook, Princeton: Princeton University Press, (2007).
- Davis, Paul K. **100 Decisive Battles: From Ancient Times to the Present,** Oxford: Oxford University Press, (2001).
- De Crespigny, R, **The Eastern Han Dynasty**, In The Routledge Handbook of Chinese Imperial History ,Routledge press , (2018).
- DeWitt, David, **The Cross and the Crescent: Christianity and Islam,** University of Chicago Press, (1981).
- Duguid, Stephen M, "**The Role of Confucianism in Han Society**", in Adams, Peter (ed.), Confucianism and Social Order, Albany: (2001).
- Ebrey, Patricia Buckley, "**The Legacy of Han Dynasty**", in The Cambridge History of China, Volem. 1: **The Ch'in and Han Empires, 221 BC–20 AD**, Cambridge: Cambridge University Press, Vol.1, (200

- Edgar Kiser&Yang Cai, **War and Bureaucratization in Qin China**, Exploring an Case, American Sociological Review, (New york, 2003).
- Elvin, Mark, **The Pattern of the Chinese Past**: A Social and Economic Interpretation, Stanford: Stanford University Press, (2000).
- Elvin, Mark, **The Pattern of the Chinese Past: A Social and Economic Interpretation**, Stanford University Press, (2000).
- Endicott-West, E. , **Mongolian rule in China: local administration in the Yuan Dynasty**. Brill, No. 29, (2020).
- Fairbank, J. K, **China: Tradition and Transformation**, Houghton Mifflin Company, (Boston, 1978).
- Fairbank, John King ,China: **A New History, Cambridge**, MA: Harvard University Press, (1992).
- Fairbank, John King ,China: A New History, Cambridge, MA: Harvard University Press, (1992).
- Fairbank, John King, **China: A New History**, Cambridge, MA: Harvard University Press, (1992).
- Fong, Wen , **The Great Age of Chinese Art**, Beijing: Foreign Languages Press, (2004).
- Fong, Wen, **The Great Age of Chinese Art**, Beijing: Foreign Languages Press, (2004).
- Fong, Y. M. , **Philosophy in the Han Dynasty**. In Routledge History of Chinese Philosophy ,Routledge, (2008).
- Franklin, Hugh , **The Emperor's Handbook**: A New Translation of The Meditations, New York: Modern Library, (1990).

- Franklin, Hugh, **The Emperor's Handbook: A New Translation of The Meditations**, (New York, 1990).
- Franklin, Hugh, **The Emperor's Handbook**: A New Translation of The Meditations, New York: Modern Library, (1990).
- Gao Heng, **Qin Lü Zhong 'Li Chen Qie' Wenti De Tantao**, WW 7 press, (1972).
- Gernet, Jacques , **A History of Chinese Civilization,** Cambridge: Cambridge University Press, (1996).
- Gernet, Jacques , **A History of Chinese Civilization**, Cambridge: Cambridge University Press, (1996).
- Gernet, Jacques, **A History of Chinese Civilization**, Cambridge: Cambridge University Press, (1996).
- Gideon Shelach and Elt, **Birth an Empire the State of Qin Revisited**, University of California Press, (USA, 2014).
- Gideon Shelach and Elt, **Birth an Empire the State of Qin Revisited**, University of California Press, (USA, 2014).
- Glover, William , "**The Rise and Fall of the Han Dynasty**", in The Origins of Ancient China, Toronto: University of Toronto Press, (2003).
- Glover, William, "**The Rise and Fall of the Han Dynasty**", in The Origins of Ancient China, Toronto: University of Toronto Press, (2003).
- Gosling, John , **The Scientific Revolution in China**, Beijing University Press, (Beijing , 2001).

- Gosling, John, **The Scientific Revolution in China**, Beijing: Beijing University Press, (2001).
- Gosling, John, **The Scientific Revolution in China**, Beijing: Beijing University Press, (2001).
- Grant Hardy And Anne **Behnke Kinney, the est ablishment of the Han Empire and Imperial China**, Greenwood Press ,(London, 1984).
- Grant Hardy and Anne **Behnke Kinney, The Establishment of the Han Empire and Imperial China**, Greenwood Press,(London, 1984).
- Greeley, Colorado, **Altered Remembrance: Historical Memory of the Yellow Turban Rebellion 184 CE, From the Late Han tothe Ming Dynasty**, A Thesis submitted in Partial Fulfillmen of the Requirements for the Degree of Master of Arts, University of Northern Colorado, (2014).
- Greene, David , "**China's Cultural Revolution**: The Economy and Politics", Asian Studies Review, (1995), 15(4).
- Greene, David, "**China's Cultural Revolution: The Economy and Politics**", Asian Studies Review, (1995), 15(4).
- Greene, David, "**China's Cultural Revolution**: The Economy and Politics", Asian Studies Review, Vol. 15, no.4, (1995).
- Greg Anderson, M. A , **To Change China: A Tale of Three Reformers,** Asia Pacific: Perspectives, vol. 1, no. 1, (2001).
- Greg Anderson, M. A, **To Change China: A Tale of Three Reformers,** Asia Pacific: Perspectives, vol. 1, no. 1, (2001).
- Grégoire Espesset, **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church, Hal press,** Submitted on 16 Feb (2012).

- Grégoire Espesset, **Latter Han religious mass movements and the early Daoist church**, Hal press , ubmitted on 16 Feb (2012) .
- Gregory L. Mayhew**, The Formation The Qin Dynasty A Socio – Technical System of Systems** , Procardia Computer Science 8, (2012).
- Handout , **Ancient China**, Constitutional Rights Foundation.
- Hans Vaness**, Praise and Slander: The Evocation of Emipress LÜ in The Shiji and The Hanshu**, University of Munich, Brill, Leiden, NAN- No 8.2, (2006).
- Hayden Windrow , **A Short History of Law, Norms, and Social Control in Imperial China** , New York University Law School, (2005).
- He, L., Wang, N., Lu, B., Hu, Y., Song, J., and Wang, J. **Transition of human diet and agricultural economy at the Xinmingpu site**, Geosciences of China, No. 55, (2012).
- Heng-fu Zou, **Notes on the Nature of Chinese Ancient Political Economy**, July 13, (2024).
- Hill John, "**The Political Economy of Ancient China**", Journal of Asian Studies, (2000), 57(3).
- Hill, John , "**The Political Economy of Ancient China**", Journal of Asian Studies, (2000), 57(3).
- Hill, John, "**The Political Economy of Ancient China**", Journal of Asian Studies, vol. 57, no. 3, (2000).
- Hok-Lam Chan**, El Mandato Del Cielo 天命 Y El Emperador Han Gaozu汉高祖. Una Lectura ,** *Revista Estudios,* No. 33, (2016).

- Homer H. Dubs, **The History of The Former Han Dynasty by Pan Ku. Translation,** Volume One, (Baltimore: Waverly Press, 1938).
- Hui Guo, M, **Becoming Wen: Rhetoric in the "Final Dispatches" of Emperor Wen of Han**. Early Medieval China, No.19, (2013).
- Hymes, Robert , "**The Cultural Evolution of China**: From the Han to the Tang", in The Han Dynasty: China's Imperial Age, University of Chicago Press, (Chicago, 2006).
- Hymes, Robert , "**The Cultural Evolution of China: From the Han to the Tang**", in The Han Dynasty: China's Imperial Age, Chicago: University of Chicago Press, (2006).
- J. J. L. Duyvendak, The Book of Lord Shang, Chinese Materials Center, (San Francisco, 1974).
- J. P. Morgan ,**Chinas Terracotta Warriors–The First Emperors Legacy** ,Chase Press, (2012-2013).
- J. P. Morgan, **Chinas Terracotta Warriors-The First Emperors Legacy**, Chase Press, (2012).
- James A. Eurasian Crossroads, **A History of Xinjian**g, Columbia University Press, (2007).
- Jennifer Wolff**, Emperor Qin in The Afterlife**, Writing 20, (2007): The Archaeology of Death.
- Jiandong Chen, **Local Authority in the Han Dynasty: Focus on the Sanlao,** School of International Studies Faculty of Arts and Social Sciences University of Technology Sydney Sydney,(Australia, 2018).
- Jiayi Zhang , **A Study on Sima Qians View of life and death and the Principle and Influence of his Writing**, Proceedings of the 4th

International Conference on Educational Innovation and Philosophical Inquiries , 4/11/2023.

- John. S. Major and Constance. A. Cook, **Ancient China**, Rutledge Press, (New York, 2017).
- Joseph Palumbo, **Wang Mang Confucian Success or Failure**, National Center for History in the Schools University of California, Los Angeles, (1999).
- Jung, J., **Trading Platform in the Han Dynasty**: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy, The Chinese Journal of Al-Baqah al-Historani, Vol. 229, (2020).
- K. E. Brashier, **Sima Qian, the First Emperor**, oxford world's classics Press, (New york,2007).
- K. E. BRASHIER, **Sima Qian, the first Emperor**, Oxford University Press, (2007).
- Kathrin Leese-Messing, **the Qin and Han Empires,** published by De Gruyter, (2020).
- Kaufman, J. J., Marketing Evaluation in Society: **The Han Dynasty in Ancient China**. Journal of Macromarketing,Vol. 7, No. 2, (1987).
- Ke Xiang , **Reproducing the Chinese Ancient Heroic Figure "Xiang Yu" Using 3D Graphics Technology**, Thesis Documentation For the Master of Fine Arts Degree, (2014).
- Knoblock, John; Riegel, Jeffrey, **The Annals of Lü Buwei: A Complete Translation and Study**, Stanford University Press, (2000).
- Korhan Yazgan, **Change in Internationa System: A Comparative Study of Hierarchic and Anarchic Systems**, Thesis Requirement For The Degree of Master of Arts, Waterloo, Ontario, (Canada, 2005).

- Kund Chuan Hsiao, **Legalism and Autocracy in traditional Chine,**Tsing – Hsueh, No. 2, (1964).
- Lao-Tzu, **Tao – Te – Ching,** A new translation by Derek Bryce and Lion Wieger, Samuel Weiser INC, york- Beach – maine – 1999),
- Laredon, B., **Protest in the Aila Empire: The Case of Qin Fan.** on Continuing Protest?: Perspectives on the History of Protest in China ,(2023).
- Lars T.Helliksen , **Autocratic Bureaucatism: Han fee's Ancient Chinese Strateies of Governance as contrasted with Machiavelli's Political Philosophy**, thesis in Political Science, university of Olso , (2002).
- Leon Vandermeersch, **la formation du legisme recherché sur la constitution dune phillophie politique caracteristique de la china ancienne**, (paris Ecole francaise d Extreme –orient, 1965).
- Lewis, M, "**Ancient China**", Oxford: Oxford University Press, (2006).
- Li Feng, **Landscape And Power In Early China: The Crisis And Fall of The Western Zhou (1045-771 BC)**, Cambridge University Press, (London, 2006).
- Li Huarui , **The Song Dynasty's Fiscal and Economic Policy and Its Social Economy**, Social Sciences in China ,(2023).
- Li Xueqin And Xing Wen, **New Light on The Early-Han Code: A Reappraisal of The Zhangjiashan Bamboo-Slip Legal Texts**, Stanford University Pess.
- Li Zhen, **A Brief Analysis of Political Thought in Early Western Han Dynasty**, Centre for Promoting Ideas, Vol. 1, No. 4, (USA, 2011).

- Li, F., Wang, B., Chen, Z., Sui, X., Shi, X., and Zhang, J , **Alteration of gut microbiota in Han population with Parkinson's disease**. Neuroscience Letters, (2019).
- Lin, J. , **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy**. In T. Beach and F. Wang (eds.) **The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy** , Routledge press , (2019).
- Liu, Xinru "**Ancient China: Land of Silk and Spice**", in The History of China: A Global Overview, Toronto: University of Toronto Press, (2010).
- Liu, Xinru , "**Ancient China: Land of Silk and Spice**", in The History of China: A Global Overview, Toronto: University of Toronto Press, (2010).
- Lowe, M. **Chancellors in the Two Han Dynasties**. Asian History, Vol. 53, No. 1, (2019).
- Lu, Z. , **Becoming Confucius**: The Pseudo-Texts of the Ming Emperor, (2020).
- Lun Du , **Legitimate Authority" in the Chines Tradition**: Ethics-Politics , Int. Confucian Stud, Vol. 1, No. 1, (2022).
- Lyu, Jiayan, "**The Han Empire: Social Organization and Development**", in The Encyclopedia of Chinese History, Zhonghua Book Company, (Beijing, 2001).
- Lyu, Jiayan, "**The Han Empire: Social Organization and Development**", in The Encyclopedia of Chinese History, Beijing: Zhonghua Book Company, (2001).
- Magli, J. **The Sacred Landscapes of the Han Emperor's** "Pyramids." Sustainability, Vol. 11, No. 3, (2019).

- Maria Khayutina , **Qin The Eternal Emperor And His Terracotta Warriors** , Neue Zürcher Zeitung Publishing , (2013).
- Maria Nicoara, **The Han Empire at The Origlne of Modern Chinese Diplomacy**, Research and Science Today No. 1(5), (2013). رقم ١ لو ٥
- Mark Edward Lewis, **Warring State Political History From The Cambridge History of Ancient China**, Cambridge University Press, (Cambridge, 1999).
- McLeod, A. , **Philosophy in the Eastern Han Dynasty**, Philosophy Compass, Vol .10, No. 6, (2015).
- Meiyu Hsieh, **Viewing The Han Empire From The Edge**, A History of Stanford University, (2011).
- Michael Loewe, Denis Twitchett, **Cambridge History of China**, 15 Vols., Vol. 1: **The Ch'in and Han Empires, 221 BC – AD 220**, Cambridge, (1986).
- Michael Lüdke , **Professional Practice: Law in Qin and Han China**, Submitted To The Faculty of Philosophy of the Ruprecht-Karls-Universität Heidelberg
- Millward, James , "**Central Asia and the Silk Road: The Han and the West**", in The Cambridge History of Central Asia, Cambridge: Cambridge University Press, (2008).
- Millward, James, "**Central Asia and the Silk Road**: The Han and the West", in The Cambridge History of Central Asia, Cambridge: Cambridge University Press, (2008).
- Ming Sun , **The Han Dynasty-Xiongnu Relationship In The Early Western Han Dynasty: The Peace Between The Enemies** ,

Advances In Social Science, Education And Humanities Research, Volume 586.

- Mostipan O. M, **Socio-Political Ideas in I-Ching: Historical Context, Power and Intellectual Tradition,**
- Nanny Kim, **The last 3000 years in China**, Chapter 3: The Formation of Empire: The Qin And Han Dynasties (221 BC – 220 AD) , Research · April (2015).
- Nanny Kim, **The last 3000 years in China**, Chapter 3: The Formation of Empire: The Qin and Han Dynasties(221 BC – 220 AD).
- Ngô Văn , **Ancient utopia and peasant revolts in China** , July 20, (2004).
- Nivison, "**Royal 'Virtue' In Shang Oracle Inscriptions**", EC 4 press ,(1978– 79).
- Paris Arnopoulos , **Defining Political Development** ,(Toronto, 2015).
- Patterson, B., Israel, J. L. **China and East Asia to the Han Dynasty**. In Travels in the First World History, to 1500 AD, (2023).
- Pingxin Zhao, **Cinfucian –Legalist State** (A New Theory of Chinese History), Oxford University Press, (New York, 2015).
- Qin, H., **Hongshui lun zhi piping (The Critic about the Flood Control Theory)** The Economic Observer, 19 February , (2007).
- Qinghua QIU – Shaoyun DENG , **Evolution History of Chinese Han Nationality Reflect Great Integration of Chinese Nation** , IJCSRR ,Vol. 06, Iss. 09, (2023).

- Qingjie Xia, Qi Tang, **political Implications of Historical and Philosophical China,** Malaysian Journal of Chinese Studies , Vol. 11, No. 2, (2022).
- Rafe de Crespigny , **Scholars and Rulers Imperial Patronage Under The Later Han Dynasty**, The Australian National Universit.
- Rafe de Crespigny, **Scholars and Rulers Imperial Patronage Under The Later Han Dynasty**, The Australian National University.
- Rexroth, Kenneth , **Love and the Turning Year: One Hundred More Poems from the Chinese**, New York: New Directions, (1970).
- Reza Afshari, **Mercury Poisoning, Emperor Qin Shi Huang and His Terracotta Army BC**, Toxicology News Monthly Bulletin BCTOX 2019 Jan 1 , no – (4).
- Robert Eno , **The Qin Dynasty**, Indiana University, History Reading , (2010).
- Robert Eno , **The Reigns of The Early Han Emperors**, Indiana University, History Reading, No. 380, (2010).
- Robert Eno, **The Han Dynasty206 Bc – 220 Ce**, Indiana University, History Reading, (2010).
- Robert Eno**, The Laws of Qin**, Indiana University, History Reading, No. 380, (2010).
- Robert Eno, **The Qin Revolution and The Fall of The Qin** , Indiana University, History Reading , (2010).
- Robert Eno, **The Rise of the Han**, Indiana University, History Reading, G380, (2010).

- Robert Eno, **The Rise of the Han**, Indiana University, History Reading, (2010).
- Robert tye , **Wang Mang**, South Uist January 1993, Revised May 2013.
- Roloff, Eva ,**The Cultural Identity of China,** Routledge, (New York, 2002).
- Ruikern Wang, **Carola Hein , from natural environment to artificial system: chang an and its water system in western han dynasty**, research in frontiers of architectural, (2022).
- Sabatini, E. L, **The War Economy of the Western Han Dynasty**. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy. نقص
- Sam Crane, **Life, Liberty and the pursuit of Dao**, wiley Blackwell, (USA, 2013).
- Saylar Url, **The Qin Dynasty**, The Saylar Foundation Press.
- Sen Qi & Xinyi Wang , **An Analysis of the Reasons Why Confucianism Became an Orthodox Thought in the Han Dynasty,** Advances in Social Science, Education and Humanities Research, Vol. 638, Proceedings of the 2021 International Conference on Public Art and Human Development (2021).
- Shaobai Xiong, **Weakening Local Power and Streng thening the Central Government: Wang Mang's Spatial Organization Dynasty Reform in the Xin**, Bachelor of Philosophy, University of Pittsburgh,(2019).
- Sharaealika License, **Chu – Han Contention**, by Using Terms of use, (2021).

- Sharon Sanderovitch, **Empress Lü** , Hebrew University of Jerusalem press ,(Israel, 2021).
- Sima Qian 司馬遷, Shiji 史記, (Records of The Grand Historian), Revised Ed, Translated by Burton Watson, Vol. 3, Vol. 1, (Hong Kong, 1993).
- Sima Qian. **Shiji** , 110. Watson Burton. Records of The Grand Historian of China, Vol. 2 , Columbia University Press (Columbia, 1971).
- Stuart V. Aque, "**The *Hanshu* Biography of Jia Yi and other writings**," M. A. Thesis, (University of Washington, 1989).
- Sunxiaozhong Liu , **Exploring The Reasons For The Rapid Demise Of Qin Dynasty**, International Conference on Advances in Social Sciences and Sustainable Development, (Hong Conk, 2022) .
- Tan Chung , **Historical Chindian Paradigm: Intercultura Transfusion and Solidification,** (ICI in the New School University), New York on April 21, (2009).
- Tao, M., and Wei, L. , **Monetary and Financial System in the Two Han Dynasties**. In The Political Economy of the Han Dynasty and Its Legacy, Routledge press , (2019).
- Thomas S. Mullaney, **Critical Han Studies Global**, Area, And International Archive University of California Press, Berkeley Los Angeles (London , 2012).
- Ursula Brosseder, Bryan K. Miller, **XIONGNU ARCHAEOLOGY**– Multidisciplinary Perspectives of the First Steppe Empire in Inner Asia , Bonn Contributions to Asian Archaeology , Volume 5 , 2011.

- Victoria Tin – Bor Hui, **War and State Formation in Ancient Chine and Early Modern Europe**, Cambridge University Press, (New York, 2005).
- Victoria Tin. Bor Hui, **War And State Formation in Ancient Chine and Early Modern Europe**, Cambridge University Press, (New York, 2005).
- Victoria Tin–Bor Hui , **History and Thought in China's Traditions** , Journal of Chinese Political Science, (2012).
- Victoria Tin–Bor Hui , **History And Thought In China's Traditions**, J of Chin Polit sci, (2012).
- Wallace, L. F, **Al–Saqqara illustrations in the Eastern Han dynasty**. History of Sports in China, Vol. 39, No. 1, (2011).
- Wallace, L. F., Between: **Allegories of al–Khaldin (Shiyan) in the tomb paintings of the Eastern Han dynasty**. Ares Orientalis, (2011).
- Wang Mang, "**The Restoration of the Han Dynasty and the Later Han**," in Toichtschitt, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 BC–AD 220, Cambridge: Cambridge University Press.
- Wang Mang, "**The Restoration of the Han Dynasty and the Later Han**," in Toichtschitt, Dennis; Lowe, Michael (eds.), The Cambridge History of China: Volume I: The Qin and Han Empires, 221 BC–AD 220, Cambridge: Cambridge University Press. (السنة)
- Wang, A. , **The creator of the emperor: the political group behind the establishment of the Han Empire**. Asia Major, (2001).

- Weber, M., **The Religion of China: Confucianism and Taoism**, tr. / and ed. by H.H.Gerth, with an introd. by C. K.Yang, Macmillan, N.Y, (1995).
- Weiying Wu , **Han-Nationalism Throughout The Ages**, Washington University In St. Louis.
- Wenli Zhang, **How Do We Think about Death?, A Cultural Glance of Superstitious Ideas from Chinese and Western Ghost Festivals**, international education studies, Yanshan University, Qinhuangdao City, China, vol.2, no.4, (2009).
- Wing, Chris , **Ancient Chinese Philosophies and Modern Applications**, Oxford: Oxford University Press, (2000).
- Wing, Chris, **Ancient Chinese Philosophies and Modern Applications**, Oxford: Oxford University Press, (2000).
- Wolfram Eberhard , **A history of China**, University of California Press, (Berkeley and Los Angeles, 1969).
- Xi and He Gun, **The Legend Ary Emperors**, Indiana University, History G380 – Class Text Readings – Spring 2010.
- Xi And He Gun, **The Legendary Emperors**, Indiana University, History G380 – Class Text Readings – Spring, (2010).
- Xing Lu , **Chinese Political Communication: Roots in Tradition and Impacts on Contemporary Chinese Thought and Culture**, Intercultural Communication Studies, Vol. 1, (2002).
- Xinzhong Yao , **An introduction to Confucianism**, Cambridge University press, (New York, 2000).

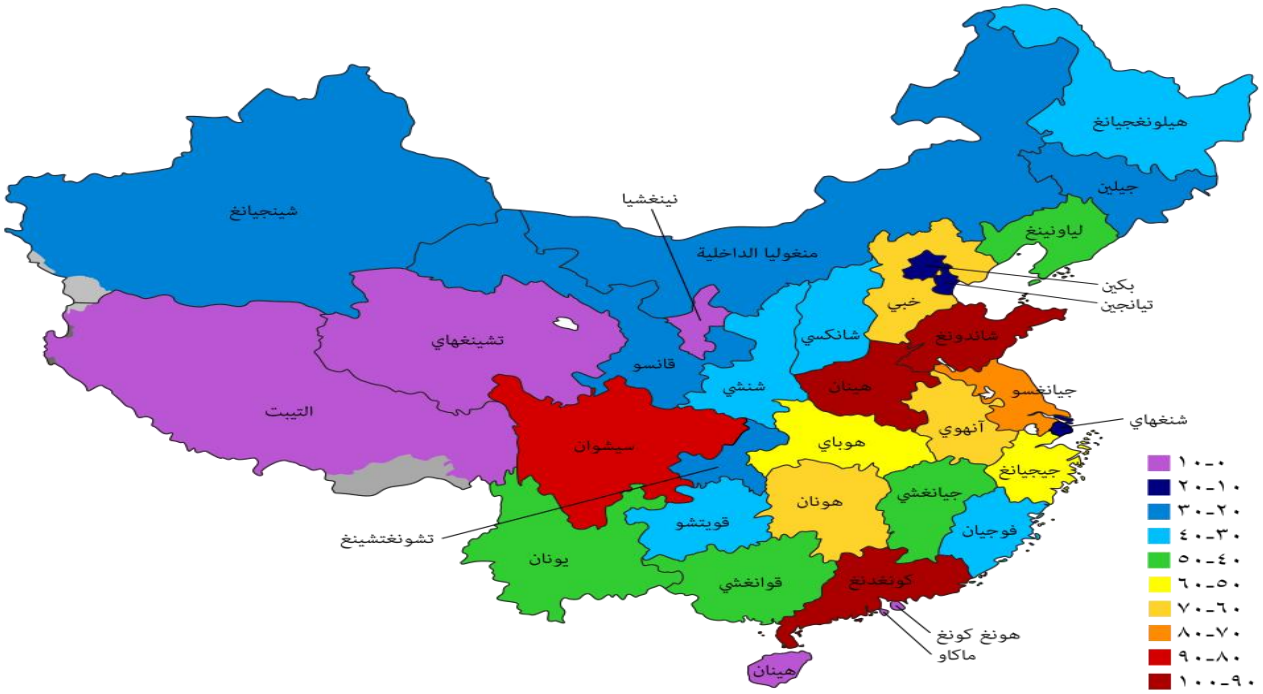
- Xiuzhen Li, Andrew Bevan, Marcos Martinón-Torres, Yin Xia, Kun Zhao, **Marking Practices and the Making of the Qin Terracotta Army**, Postprint From Journal of Anthropological Archaeology, vol. 42.
- Yang Qinye and Zheng Du, **Tibetan Geography China**, Intercontinlal Press (China, 2004).
- Yansu Lu, **The Mythology of Liu Bang In *Shiji* And Western Hanelites ,** Advances in Social Science, Education and Humanities Research, Vol. 664, (Ichssr, 2022).
- Yifeng Yau, **Historical Landscape and Its Planning From Geographical Pres Pective**, Springer Press , (New York, 2016).
- Yong Jinz Hang, **System, empire and state in Chinese international relations**, Review of International Studies, (2001).
- Yong Jinz Hang, **System, empire and state in Chinese international relations** , Review of International Studies ,Vol. 27, (2001).
- Yong-Bin Zhao , **Ancient DNA Reveals That The Genetic Structure of The Northern Han Chinese Shaped Prior To 3,000 Years Ago**, PLOS ONE , May No. 4, (2015).
- Yongjin Zhang, **The Idea of order in Ancient Chinese**, Published by John Wiley & Sons Ltd, 9600 Garsington Road, Oxford Ox4 2dq , International Affairs 90: 1, (USA, 2014).
- Young, J. ,**The Han Dynasty Trade Platform**: Building the Foundation for the Transformation of the Chinese Economy, (2020).
- Yu Bai, Yanju , **The Legacy Of Imperial China-Evidence From The Great Wall** Rechearch Gate, (2022).

- Yu Bai, Yanju, **The Legacy of Imperial China–Evidence From The Great Wall,** Research Gate press, (China , 2022).
- Yukun Zhao, Martin Seligman, Kaiping Peng, Leyang Ye, Cheng Liang, Huicong Wang & Haibo Gao , **Agency in ancient China,** Published online: 25 Aug 2021.
- Yunxinli , **Elites' Social Networks and Politics in the Han Empire (202 B. C.E.–220 C.E)** , Researchpaper, (USA, 2023).
- Yuri Pines, **A "Total War"? Rethinking Military Ideology in the Book of Lord Shang**, Tuta Sub Aegide Pallas, Journal of Chinese Military History, No.5, (2016).
- Yuri Pines, **The Question of Interpretation Qin History in Light of New Epigraphic Sources**, Early China, No. 29, (2004).
- Yuri Pines, **Zhou History And Historiography Introducing The Bamboo Manuscript Xinian**, Beijing Normal University, Toung Pao 100-4-5, (2014).
- Zhang Fengyi, **The Influence of Chenwei on Han Dynasty**–Literature and Literary Theory, Journal of chinese humanities, no. 8, (2022).
- Zhang Hanmo , **Witchcraft and Witch-hunting in the Later Years of Emperor Wu's Reign: A Reappraisa** , School of Chinese Classics, Renmin University of China, (2021).
- Zhang Linfa, **King On The Study of Violence and Death Qin**, Tand Dyncty Journal , No 14,
- Zhang Yangfan, **The Interaction Between Liu Bang and The Group of Generals**, Advances in Social Science, Education and Humanities

Research, Vol. 497, Proceedings of The, Art and Human Development (Iclahd, 2020).

- Zhang, L. , **A new vision of political thought in the Eastern Han dynasty. Chinese Journal of Thought,** No. 39, (2014).
- Zhang, Tshun-Shu, **The Rise of the Chinese Empire**: The Second Vol: Borders, Migration, and Empire in Han China, 130 BC - 157 AD, Ann Arbor: University of Michigan Press, (2007).
- Zheng Xueyi, Yaguang Zhang, John Whalley , **Monetary Theory From A Chinese Historical Perspective** , National Bureau of Economic Research 1050 Massachusetts Avenue Cambridge, MA 02138, JEL No. 20, (2010).
- Zhongji, J. , **On the Fate of Traditional Culture in Modern China**. Social Sciences in China, Vol. 34 , No. 2, (2013).
- Zongjie Wu , **Chinese Mode Of Historical Thinking And Its Transformation In Pedagogical Discourse** , Recearchgate Press, (2012).

الملاحق




آسيا
الخريطة السياسية
الاتحاد الروسي
بحر أوخوتسك
أوروبا
أفريقيا
المحيط الهندي
منغوليا
الصين
الهند
اليابان
كوريا الشمالية
كوريا الجنوبية
بحر الصين الشرقي
بحر الصين الجنوبي
بحر الفلبين
بحر العرب
خليج البنغال
أستانا
أولان باتور
بكين
طوكيو
سول
بيونغ يانغ
تايبيه
تايوان
مانيلا
جاكرتا
كوالا لامبور
بندر سيري بيغاوان
سنغافورة
نايبيداو
نيو دلهي
إسلام اباد
كابول
طهران
بغداد
دمشق
بيروت
أنقرة
باكو
أشغابات
عشق أباد
دوشانبي
بشكيك
طشقند
أستانا
كاتماندو
دكا
يانغون
بانكوك
هانوي
مانيلا
ديلي
أجريت
جايوارديبورا سري
مالي لانكا
جزر المالديف
جزيرة سقطرى
صنعاء
مسقط
الدوحة
أبو ظبي
المنامة
الكويت
مدينة الكويت
القدس
عمان
بيروت
دمشق
بغداد
طهران
كابول
إسلام اباد
نيو دلهي
كاتماندو
دكا
نايبيداو
بانكوك
هانوي
مانيلا
جاكرتا
ديلي
كوالا لامبور
بندر سيري بيغاوان
سنغافورة
أجريت
جايوارديبورا سري
جزر المالديف
أنشي



- خارطة الصين في عهد هان

جدول أباطرة أسرة هان الغربية ٢٠٢- ق.م – ٩ م)

ت	اسم الإمبراطور	مدة حكمه	إنجازاته
١	ليو بانغ- كاوتسو	٢٠٢-١٩٥ ق.م	مؤسس سلالة هان، أنهى الفوضى بعد تشين، أسس الإدارة المركزية
٢	ليو ينغ – هوي دي	١٩٥-١٨٨ ق.م	حافظ على استقرار الدولة، حكمه خضع لنفوذ الإمبراطورة لو
٣	ليو هنغ – ون دي	١٨٠-١٥٧ ق.م	تخفيف الضرائب والقوانين، دعم الزراعة، تحقيق الاستقرار
٤	ليو تشي – جينغ دي	١٤٧-١٤١ ق.م	تقليص نفوذ الإقطاعيين، قمع تمرد الأمراء السبعة، تعزيز السلطة المركزية
٥	ليو تشه – وو دي	١٤١-٨٧ ق.م	أوج قوة هان، التوسع غربًا، تأمين طريق الحرير، اعتماد الكونفوشيوسية رسميًا
٦	ليو شون – تشاو دي	٨٧-٧٤ ق.م	استقرار داخلي نسبي، إدارة الدولة عبر أوصياء أكفاء
٧	ليو فو لينغ – شوان	٧٤- ٤٩ ق.م	إصلاح الإدارة، تقوية الدولة بعد حقبة الاضطراب
٨	ليو شي – يوان	٤٩- ٣٣ ق.م	تسلط نساء القصر في البلاط الإمبراطوري
٩	ليو او – تشنغ	٣٣- ٧ ق.م	ضعف السلطة الإمبراطورية، تصاعد نفوذ الخصيان
١٠	لو شين – أي دي	٧ -١ ق.م	تفاقم الصراعات الداخلية، ازدياد نفوذ الحاشية
١١	ليو جي – بينغ	١-٦ م	حكم صوري تحت وصاية وانغ مانغ
١٢	ينغ دي	٦- ٩ م	آخر حكام هان الغربية، انتهى حكمه بانقلاب وانغ مانغ

أسرة شين (٩-٢٣ م)

ت	اسم الإمبراطور	مدة حكمه	تاريخ حكمه
١	وانغ مانغ	٩-٢٣ م	أنهاء حكم أسرة هان الشرقية وإصلاحات جذرية

جدول أباطرة أسرة هان الشرقية (٢٥-٢٢١) م

ت	اسم الإمبراطور	مدة حكمه	تاريخ حكمه
١	وانغوو	٢٥م – ٥٧م	إعادة توحيد الصين وتأسيس أسرة هان الشرقية
٢	مينغ	٥٧م – ٧٥م	إدخال البوذية إلى الصين وتعزيز الحكم المركزي
٣	تشانغ	٧٥م – ٨٨م	فترة ازدهار وتقوية الفكر الكونفوشيوسي
٤	خه	٨٨م – ١٠٥م	دعم الإدارة المدنية وتقليص نفوذ أسرة الإمبراطورة
٥	شانغ	١٠٥م – ١٠٦م	حكم قصير بسبب صغر سنه
٦	آن	١٠٦م – ١٢٥م	ضعف السلطة وازدياد نفوذ الخصيان
٧	شون	١٢٥م – ١٤٤م	محاولات إصلاح محدودة واستمرار الفساد
٨	تشونغ	١٤٤م – ١٤٥م	حكم قصير لطفل وسيطرة الوصاة
٩	تشي	١٤٥م – ١٤٦م	اغتياله نتيجة صراعات داخل القصر
١٠	هوان	١٤٦م – ١٦٨م	تقوية نفوذ الخصيان واضطهاد العلماء
١١	لينغ	١٦٨م – ١٨٩م	تفشي الفساد واندلاع ثورة العمائم الصفراء
١٢	شاو	١٨٩م-٢٢٠م	حكم اسمي قصير وبداية سيطرة أمراء الحرب

Summary

The Chinese civilization is considered one of the oldest in human history, with its roots extending back thousands of years, leaving deep imprints on various aspects of human life, from thought and art to politics and economy. Among the historical periods rich in events and developments witnessed by this vast land, the **Han Dynasty (206 BCE – 221 CE)** stands out as a crucially important pivotal era. This dynasty did not merely unify the Chinese Empire and expand its influence; it established cultural, administrative, and social foundations whose impact lasted for subsequent centuries.

The scope of this study will focus on analyzing the key **political, military, and foreign developments** that occurred during the Chinese Han Dynasty (206 BCE – 221 CE). **Chronologically**, the analysis will cover the entire reign of the Han dynasty, giving special attention to the historical periods that witnessed pivotal transformations in the aspects under study. This includes: the **Period of Foundation and Consolidation (Early Western Han)**, studying the dynasty's genesis and the strengthening of its authority after the fall of the Qin Dynasty, as addressed in Chapter One: "Political Developments during the Establishment of the First Han Dynasty, 206–141 BCE"; the **Period of Expansion and Prosperity (The reign of Emperor Wu and other powerful emperors in the Western Han)**, analyzing regional expansion and significant political and military transformations, as noted in Chapter Two: "State Building and Foreign Expansion" (141 BCE – 9 CE); and the **Period of Gradual Decline and Division (Eastern Han)**, studying the factors that led to the deterioration of central authority and internal unrest until the dynasty's end, covered in the last two chapters, Chapter Three: "Division and the Rise of the Eastern Han (25–221 CE)," and Chapter Four: "The Impact

of Political Developments on the Collapse of the Han Empire and its Ruling System." **Geographically**, the study will focus primarily on the territories under the direct control of the Han dynasty, in addition to border regions and kingdoms that had political, military, or commercial relations with the Empire, especially those affected by Han expansion or the **Silk Road**. **Thematically**, the focus will be on the following aspects: **Political Developments** (analyzing governing structures, the bureaucratic system, power struggles within the imperial court, the evolution of political ideologies, especially **Confucianism**, and changes in laws and administration); **Military Developments** (studying strategies of war and expansion, army organization and composition, developments in military technology, relations with border tribes and peoples like the **Xiongnu**, and the impact of wars on the Empire's stability); and **Foreign Developments** (analyzing diplomatic relations with other kingdoms, the development of the **Silk Road** and its effect on trade and cultural exchange, and Han expansion and influence in neighboring regions like Central Asia, Vietnam, and the Korean Peninsula).

The study reached the following main conclusions: The rise of the Han Dynasty represented a **radical political shift** from the Qin Dynasty's rule system based on strict Legalist philosophy to a new system that adopted **Confucianism** as its ruling ideology. This transition was not merely a change in philosophy but affected the structure of power, administrative methods, and the relationship between ruler and ruled. The adoption of Confucianism served as an impetus for the emergence of an **educated bureaucracy**, as familiarity with the Confucian Classics became an essential requirement for government employment. This led to a transformation within the ruling elite, where **educational competence** gradually replaced absolute aristocratic influence as the criterion for promotion. The imperial examination system

developed in the state; although the imperial examination system in its complete form evolved later, the Han period witnessed the **beginnings of this system** through a focus on merit and knowledge in selecting officials, which represented a significant political development towards more deserving governance. Han emperors constantly sought to **strengthen their central authority** by developing government institutions and controlling the army and economic resources. However, they faced various challenges from powerful nobles, families related to the emperor (imperial consorts' families), and influential **eunuchs**. These internal conflicts constituted a continuous political dynamic throughout the Han rule.

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education and
Scientific Research
University of Wasit
College of Education for Humanities
Department of History

Political Developments in China during the Han Dynasty (206 (BC – 221 AD))

Doctoral Dissertation submitted by

Nasser Rahim Ajil

to the Council of the College of Education for Humanities at the University of Wasit

As partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy in Ancient History

Supervised by

DR. Ahmed Bashar Juma

2025 ١٤٤٧